UNIVERSAL LIBRARY

٨٣

الاول من شرح العالم العلامة والبحر الفهامة وحيد دهره
فريد عصره محمد بن ابراهيم المعروف بابن عباد النفزى
الرندى على متن الحكم للامام المحقق أبى الفضل
أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله
السكندرى تغمدهما الله
بالرحمة والرضوان
وأسكنهما أعلى
الجنان

ولاجل تمام النفع وضع على هامش هذا الشرح شرح المحقق شيخ الاسلا
الشيخ عبد الله الشرقاوى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

* (طبع بالمطبعة الكاستلية) *
بمصر المحميه
ادارة جرنال الكوكب المصرى الـ
(سنة ١٢٩٧ هجريه)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير الى الله تعالى المعتمد في غفران ذنوبه على الله محمد بن ابراهيم بن
عبد الله بن ابراهيم بن عباد النفزي الرندي لطف الله به الحمد لله المنفرد بالعظمة
والجلال المتوحد باستحقاق نعوت الكمال المنزه عن الشركاء والنظراء والامثال
المقدس عن سمات الحدوث من التغير والانتقال والاتصال والانفصال عالم
الغيب والشهادة الكبير المتعال والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي من
الضلال وعلى آله وأصحابه الذين خلصت لهم الاعمال وصفت منهم الاحوال وعلى
جميع من اتبعهم فيما لهم من محامد الصفات ومحاسن الخلال (أما بعد) فانا لما رأينا
كتاب الحكم المنسوب الى الشيخ الامام المحقق العارف المكاشف الولي الرباني أبي
الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري رضي الله
عنه ونفعنا به من أفضل ما صنف في علم التوحيد وأجل ما اعتمده بالتفهم والتحفظ
كل سالك ومريد لكونه صغير الحجم عظيم العلم ذا عبارات رائقة ومعان حسنة
فائقة قصد فيها الى ايضاح طريق العارفين والموحدين وابانة مناهج السالكين
والمتجردين أخذنا في وضع تنبيه يكون كالشرح لبعض معانيه الظاهرة وكالكشف
للمعة يسيرة من أنواره الباهرة ولا قدرة لنا على استيفاء جميع ما اشتمل عليه الكتاب
وما تضمنه من لباب اللباب لان كلام الاولياء والعلماء بالله منطو على أسرار مصونة
وجواهر حكم مكنونة لا يكشفها الا هم ولا تتبين حقائقها الا بالتلقي عنهم ونحن في
هذه الكلمات التي نوردها والمناحي التي نعتمدها غير مدعين لشرح كلام المؤلف

ولا

بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله
رب العالمين
وصلى الله على
سيدنا محمد
وعلى آله
وصحبه وسلم
(أما بعد) فيقول
المرتجي غفر
المساوي عبد
الله بن حجازي
الخلوتي المشهور
بالشرقاوي
هذه تقييدات
لطيفة على
حكم العارف
الله سيدي أحمد
ابن عطاء الله
قدس سره
وقصده بها في
الغالب خطاب
المريدين
الصادقين
وترقيهم الى مقام
العرفان فينبغي
ان نقتصر على
بيان مقصوده
بحسب الامكان
* قال رضي
الله عنه

ولا ان مانذكره فيه هو حقيقة مذاهبهم حسبما يفعله كل مصنف فانا ان ادعينا ذلك كان منا اساءة آداب تؤل بنا والعياذ بالله الى العطب وكنا قد تعرضنا للخطر والضرر في تعاطي مالا يليق بنا من شرح كلام السادة من أهل الله تعالى من غير خوف ولا حذر وانما نورد ذلك على حسب ما فهمناه من كلامهم وما انتهى الينا علمه من مذاهبهم فان وافقنا فيه حقيقة الامر وعثرنا على مكنون السر كان ذلك من النعم التي لا نحصي لها شكرا ولا نقدر لها قدرا وان خالفنا ذلك ولم نهتد الى تلك المسالك أحلناه على نقصنا وجهلنا واتفق عندنا التعزير بقولنا وفعلنا واقتصر الامر في ذلك علينا وكانوا هم مبرئين مما قلنا ونوينا فلا جرم اذ كان هذا مقصدنا لوجود السلامة التي جعلناها معتمدنا فينبغي لنا أن نقدم أولا كلام المؤلف رحمه الله تعالى مستوفى ثم نتبعه كلامنا بصيغة الخبر والدعوى ونأتي فيه بعبارة أبسط من عبارته واشارة أجلى من أشارته ليفهم بذلك ما عندنا في تفسير ماذكره لا أنه تفسيره حقيقة مقررة ونذكر في أثناء ذلك كثيرا مما ناسب عندي من الكلام المنبه عليه لتتم بذلك الفائدة في الغرض المتوجه اليه وما ظهر لنا في كلامه من تكرار معان وتداخل فروع ومبان رأينا التنبيه عليه كالفرض وأحلنا بعضه على بعض وعلى الناسخ لهذا المجموع أن يتبع فيه ما رسمناه ويكتب نص كلام المؤلف بصبغ يخالف لونه لون ما يكتب به سواه أو يكتبهما بقلمين مختلفين في الغلظ والرقة ويوفي من ذلك كلا منهما حقه ليكون ذلك أقرب الى حصول المرام في استخراج فائدة ترتيب الكلام والله الموفق لا رب غيره ولا خير الا خيره والذي حملني على وضعه وتكلف تصنيفه وجمعه بعد تقدم ارادة الله تعالى التي لا تغلب وتقديره الذي ليس للعبد منه منجى ولا مهرب ثم الرأى الذي رأيناه من المطالب والمقاصد المعظمة ونبهنا عليه في صدر هذه المقدمة الحاح بعض الاصحاب في ذلك علي وترددهم بالمسئلة الى لكونهم على اعتقاد صحيح في هذه الطريقة ومحبة خالصة لاهل الحقيقة فأسعفتهم بما طلبوه وحققت لهم الامل فيما رغبوه كما شاء الله تعالى وحكم وقضى به علينا وحتم نفعنا الله واياهم بما يجري منه على يدينا ولا جعله حجة عليهم ولا علينا ونحن نستغفر الله تعالى مما تعاطيناه من الامر العظيم واقتحمناه من الخطر الجسيم ونستعيذ به من الوقوع في حبائل العدو الرجيم ونسأله توفيقا يقف بنا على جادة الاستقامة ويصرفنا عن العمل بما يعقب ملامة أوندامة ونرجوه مع هذا اذ من علينا بالانتماء الى مذاهبهم والانتساب الى كريم مناسبهم والتعلق بأذيالهم ومحاولة النسج على منوالهم ورزقنا شيأ من تعظيمهم وحبهم وقسطا من تكريمهم وبرهم أن لا يحرمنا من شفاعتهم ولا يخرجنا من كنف ولايتهم ولا يطردنا عن

(من علامة الاعتماد على العمل) أي عمل الجوارح من صلوات وأوراد وأذكار وغيرها والمعتمد على ذلك العباد والمريدون فالاولون يعتمدون عليها في دخول الجنة والتنعم فيها والنجاة من عذاب الله تعالى والآخرون يعتمدون عليها في الوصول الى الله تعالى وكشف الاستار عن القلوب وحصول الاحوال القائمة بها والمكاشفات والاسرار وكلاهما مذموم وناشئ من رؤية النفس ونسبة الاعمال اليها حتى ينتج ما ذكره أما العارفون فلا يرون لانفسهم شيأ حتى يعتمدوا عليه بل يشاهدون أن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى وأنهم محل لظهور ذلك فقط وأشار المصنف رحمه الله تعالى الى علامة يعرف بها العبد نفسه فمن علامة كونه من القسمين الاولين (نقصان الرجاء) أي رجائه في الله تعالى أن يدخله الجنة وينجيه من العذاب ان كان ❊(٤)❊ من العباد وأن يوصله الى مطلوبه المتقدم ان كان من المريدين (عند وجود الزلل) بان تصدر منه معصية كزنا وغفلة عن الله تعالى وترك أوراد ومن علامة كونه من العارفين فناؤه عن نفسه فاذا وقع في زلة أو أصابه غفلة شهد تصريف الحق فيه وجريان قضائه عليه كما انه اذا صدر منه طاعة أو لاح له مشاهدة قلبية لم ير في ذلك حوله وقوته ولا فرق عنده بين الحالين لانه غارق في بحار التوحيد قد استوى خوفه ورجاؤه فلا ينقص العصيان خوفه ولا يزيد الاحسان الشدة رجائه فمن لم يجد هذه العلامة فيه فليجاهد نفسه بالرياضات والاذكار حتى يصل الى مقام العرفان ومراد المصنف بهذه الحكمة تنشيط السالك ورفع همته عن الاعتماد على شئ سوى مولاه لا التزهيد في الاعمال لانها سبب عادي في الوصول الى الله تعالى ولا تحقير ما تنتجه من الاحوال وغيرها لان ذلك منة من الله تعالى لا ينبغي رده

بابهم الكريم ولا يصرفنا عن منهجهم القويم فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم

لي سادة من عزهم ❊ أقدامهم فوق الجباه

أن لم أكن منهم فلي ❊ في حبهم عز وجاه

اللهم انا نتوسل اليك بحبهم فانهم أحبوك ولم يحبوك حتى أحببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك الا فضلا منك فتمم لنا ذلك حتى نلقاك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلم عليهم تسليما كثيرا وهذا حين أبتدئ وبالله التوفيق ومنه الهداية الى سواء الطريق قال المؤلف

قدس الله سره ❊ (من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل) أقول الاعتماد على الله تعالى نعت العارفين الموحدين والاعتماد على غيره وصف الجاهلين الغافلين كائنا ما كان ذلك الغير حتى علومهم وأعمالهم وأحوالهم اما العارفون الموحدون فانهم على بساط القرب والمشاهدة ناظرون الى ربهم فانون عن أنفسهم فاذا وقعوا في زلة أو أصابتهم غفلة شهدوا تصريف الحق تعالى لهم وجريان قضائه عليهم كما أنهم اذا صدرت عنهم طاعة أو لاح عليهم لائح من يقظة لم يشهدوا في ذلك أنفسهم ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم لان السابق الى قلوبهم ذكر ربهم فانفسهم مطمئنة تحت جريان أقداره وقلوبهم ساكنة لما لاح لها من أنواره ولا فرق عندهم بين الحالين لانهم غرقى في بحار التوحيد قد استوى خوفهم ورجاؤهم فلا ينقص من خوفهم ما يجتنبونه من العصيان ولا يزيد في رجائهم ما يأتون به من الاحسان ❊ قال شارح المجالس العارفون قائمون بالله قد تولى الله أمرهم فاذا ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليها ثوابا لانهم لم يروا أنفسهم عمالا لها وان ظهرت منهم زلة فلا دية على القاتل لم يشاهدوا غيره في

خروجك عنها وعدم معاناتها (مع اقامة الله اياك في الاسباب) وعلامة ذلك ان يهيئ الله لك [illegible]
السلامة في دينك عند معاناتها * (٥) * وينقطع بها طمعك عما بأيدي الناس ولا يشغلك

عما انت فيه من وظائف العبادات القاهرة والاحوال الباطنة (من الشهوة) اى من شهوات النفوس التى تدعوا اليها (الخفية) وكانت شهوة لعدم وقوفك على مراد سيدك وموافقتك مراد نفسك وخفية لان ظاهر ذلك ان مرادك بالتجرد الانقطاع الى الله تعالى والقرب اليه وباطنه ان رادك الشهوة بالولاية لتقصدك الناس بالاعتقاد والتقرب اليك فتنقطع عما انت بصدده فقد قال العارفون اقبال الناس على المريد قبل كماله سم قاتل وربما انقطعت بذلك عن وظائفك واورادك وصرت

الشدة والرخاء قيامهم بالله ونظرهم اليه وخوفهم هيبته ورجاؤهم الانس اه
واما غيرهم فبقوا مع نفوسهم في نسبة الاعمال والافعال اليها وطلبوا الحظ لها
وعليها فاعتمدوا على اعمالهم وسكنوا الى احوالهم فاذا وقعوا في زلة نقص بذلك
رجاؤهم كما انهم اذا عملوا طاعة جعلوها من اعظم عددهم واقوى معتمدهم
فتعلقوا بالاسباب وحجبوا بتفرقهم بها عن رب الارباب فمن وجد هذه العلامة في
نفسه فليعرف منزلته وقدره ولا يتعد طوره فيدعي مقامات الخاصة من المقربين
وانما هو من عامة اصحاب اليمين وستأتي اشارات الى هذا المعنى في مواضع من كلام
المؤلف قدس الله سره * وقد ذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي والحافظ ابو نعيم
الاصفهاني عن يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنهم قال عارضني بعض الناس
في كلام وقال لي لا تستدرك مرادك من عملك الا ان تتوب فقلت مجيبا لو ان التوبة
تطرق بابي ما اذنت لها على اني انجو بها من ربي ولو ان الصدق والاخلاص كانا
عبدين لي لبعتهما زهدا مني فيهما لاني ان كنت عند الله في علم الغيب سعيدا
مقبولا لم اتخلف باقتراف الذنوب والمآثم وان كنت عنده شقيا مخذولا لم تسعدني
توبتي واخلاصي وصدقي وان الله خلقني انسانا بلا عمل ولا شفيع كان لي اليه
وهداني لدينه الذي ارتضاه لنفسه فقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن
يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فاعتمادي على فضله وكرمه اولى بي ان
كنت حرا عاقلا من اعتمادي على افعالي المدخولة وصفاتي المعلولة لان مقابلة
فضله وكرمه بافعالنا من قلة معرفتنا بالكريم المتفضل * قلت وهذه الحكاية
وامثالها مما يقرع سمع من لا حقيقة عنده من طريق القوم فينكر معناها
ولا يعتقده او يسلمه ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا الحالتين مؤدية بصاحبها الى
ضرر وخطر فليتق الله تعالى عبد ليس له بصر في هذه الطريقة ان ينكر ما ذكرناه
فيقع في الاعتراض على السادة والاولياء وفي ذلك بعده من الله تعالى او يدعيه
مقاما لنفسه من غير ان يستظهر عليها ويتوثق منها ويزنها بالمعيار الذي نبهنا عليه
ومحال وجود ذلك ممن لم يصح مقام الفناء عن النفس فيرتكب حينئذ مساخط
الله تعالى ويتعدى حدوده ويجعل ذلك حجة لنفسه غلطا وجهلا وهذا باب من
الزندقة والعياذ بالله سبحانه وتعالى * (ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في

في الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد

تتطلع لما بايدي الناس (وارادتك الاسباب) اى التسبب والاكتساب (مع اقامة الله اياك في التجريد)
اى بان يسر لك القوت من حيث لا تحتسب وجعل نفسك مطمئنة عند تعذره متعلقة بمولاها ودمت على
الاشتغال بوظائف العبادات

انحطاط عن الهمة العلية) الاسباب ههنا عبارة عما يتوصل به الى غرض ما ينال في الدنيا والتجريد عبارة عن عدم تشاغله بتلك الاسباب لاجل ذلك فمن اقامه الحق تعالى في الاسباب وأراد هو الخروج منها فذلك من شهوته الخفية وانما كانت من الشهوة لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى به وارادته هو خلاف ذلك وانما كانت خفية لانه لم يقصد بذلك نيل حظ عاجل وانما قصد بذلك التقرب الى الله تعالى بكونه على حال هي أعلى بزعمه لكن فاته الادب بعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من اقامته اياه فيما أقامه فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق به في الوقت وعلامة اقامته اياه في الاسباب أن يدوم له ذلك وان تحصل له ثمرته ونتيجته وذلك بان يجد عند تشاغله بالاسباب سلامة في دينه وقطع الطمع عن غيره وحسن نيته في صلة رحم أو اعانة فقير معدم الى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة بالدين ومن اقامه الحق تعالى في التجريد وأراد الخروج منه الى الاسباب فذلك من انحطاط همته وسوء ادبه وكان واقفا مع شهوته الجلية لان التجريد مقام رفيع أقام الحق تعالى فيه خواص عباده من الموحدين والعارفين فاذا أقامه الحق تعالى في مقام الخواص فلم ينحط عن رتبتهم الى منازل أهل الانتقاص * قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه من لم يأنف من مشاركة الاضداد في الاسباب فهو خسيس الهمة وعلامة اقامته اياه في التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات ذلك طيب وقت المتجرد وصفاء قلبه ووجدان راحته من ملابسة الخلق ومخالطتهم والهمة حالة للقلب وهي قوة ارادة وغلبة انبعاث الى نيل مقصود ما وتكون عالية ان تعلقت بمعالي الامور وسافلة ان تعلقت بادانيها قال الشاعر واجاد

وقائلة لم علتك الهموم * وأمرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على حالتي * فان الهموم بقدر الهمم

وقال الآخر

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى * وهامة همته في الثريا
فان اراقة ماء الحياة * دون اراقة ماء المحيا

وما ذكرته من معاني الاقامة في نوعي الاسباب والتجريد هو شئ فهمته مما يقوله بعد هذا من علامة اقامة الحق لك في الشئ ادامته اياك فيه مع حصول النتائج والله أعلم وقد ذكر في التنوير هذه المسئلة نصها حاكيا عن هذا الكتاب وقال بأثره وافهم رحمك الله ان من شأن العدوان يأتيك فيما أنت فيه مما اقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه فيشوش عليك قلبك ويكدر وقتك وذلك انه يأتي للمتسببين فيقول لهم لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار

(انحطاط عن الهمة العلية) لا رادتك الرجوع الى الخلق بعد التعلق بالحق ولو لم يكن الاانحطاطه ابناء الدنيا فيما هم فيه لكان كافيا في دناءة الهمة فالواجب على السالك ان يمكث في ما اقامه الحق فيه ويرضى به حتى يتولى الله اخراجه منه ولا يخرج بنفسه وارادته وتسويل الشيطان فيقع في بحر القطيعة والعياذ بالله تعالى

واستغفت منه لم القلوب والاسرار قائلا وكذلك سيدنع فلان وفلان و يكون هذا
العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به انما صلاحه في الاسباب فيتركها فيتزلزل
ايمانه ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب من الخلق والى الاهتمام بأمر الرزق
فيرمى في بحر القطيعة وذلك قصد العدو منه لانه انما يأتيك في صورة ناصح كما
أتى أبويك فيما أخبر الله تعالى عنه بقوله تعالى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن
الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك يأتي المتجردين ويقول لهم الى متى تتركون الاسباب
ألم تعلموا أن ترك الاسباب تتطلع معه القلوب الى ما في أيدى الناس ويفتح
باب الطمع ولا يمكنكم الاسعاف والايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون
منتظرا لما يفتح به عليك من الخلق فلو دخلت في الاسباب بقي غيرك منتظرا ما يفتح
به عليه منك الى غير ذلك و يكون هذا العبد قد طابت وقته وانبسط نوره ووجد
الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود الى الاسباب فتصيبه كدورتها
وتغشاه ظلمتها و يعود الدائم في سببه أحسن حالا منه لان ذلك ما سلك طريقا ثم
رجع عنها ولا قصد مقصدا ثم انعطف عنه فافهم واعتصم بالله ومن يعتصم بالله
فقد هدى الى صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد الرضا عن
الله تعالى فيما هم فيه وأن يخرجهم عن مختار الله لهم الى مختارهم لانفسهم وما
أدخلك الله فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه وقل رب
أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
فالمدخل الصدق أن تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق أيضا كذلك فافهم
والذى يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق سبحانه هو
الذى يتولى اخراجك كما تولى ادخالك وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن
أن يتركك السبب * قال بعضهم تركت السبب كذا كذا مرة فعدت اليه ثم
تركني السبب فلم أعد اليه ودخلت على الشيخ رضى الله عنه وفي نفسي العزم على
التجريد قائلا في نفسي ان الوصول الى الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال
بالعلوم الظاهرة ووجود المخالطة للناس فقال لي من غير أن أسأله صحبني انسان
مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من هذه الطريق شيأ فجاء الى فقال
ياسيدى أخرج عما أنا فيه وأتجرد لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن
امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو اليك واصل ثم قال الشيخ
ونظر الى وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شئ حتى يكون الحق سبحانه هو
الذى يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي
ووجدت الراحة بالتسليم الى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم اه كلامه في التنوير في هذا

(سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار) هذه الحكمة كالتعليل لما قبلها وتصلح أيضا لما بعدها كأنه قال أراد تلك أيها المريد خلاف ما أراده مولاك لا تجدي نفعا لأنه إذا كان سوابق الهمم أي الهمم السوابق أي سريعة التأثير في الأشياء وهي قوى النفس التي تنفعل عنها الأشياء وتكون للولي كرامة يقال فعل كذا بهمته إذا وجهها إليه فوجد ولغيره كالساحر والعائن إهانة لا تنفعل عنها الأشياء إلا بتقدير الله تعالى أي بإذنه سبحانه فالهمم غير السوابق كهمتك أيها المريد لا أثر لها من باب أولى ففي هذا تبريد لنار الحرص المشتعلة في قلبه حتى يتخيل له أن ذلك الشيء طوع يده وأنه يدركه لا محالة والإضافة في قوله سوابق الهمم من إضافة الصفة إلى الموصوف كما تقرر وفي قوله أسوار الأقدار من إضافة المشبه به للمشبه ثم قال (أرح نفسك) أيها المريد ※(٨)※ (من التدبير) لأمر دنياك وهو أن يقدر الشخص في نفسه أحوالا يكون عليها على ما تقتضيه شهوته ويدبر لها ما يليق بها من أحوال وأعمال ويهتم لأجل ذلك وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه وإعمال أكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه وفي تعبيره بأرح إشارة إلى أن المطلوب تركه للمريد هو ما فيه تعب ومعاناة أما تدبير أمور معاشه على وجه سهل يستعين به على مطلوبه فلا بأس به ولذا ورد التدبير نصف المعيشة (فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك) أي أن الأمر مفروغ منه إذ قد قام به غيرك وهو الله تعالى وما قام به غيرك لا فائدة في قيامك به فيكون قيامك به فضولا لا ينبغي أن يتلبس به ذوو العقول وأيضا فيه ترك العبودية ومضادة الأحكام الربوبية ومنازعة القدر وإنما خاطب المريد بذلك لأنه إذا توجه لحضرة الرب واشتغل بأوراد الطريق وأعماله تعطلت عليه أسباب معاشه في الغالب فيأتيه الشيطان ويوسوس له ويصير يدبر في نفسه أمورا لا يقع أكثرها وذلك يشغله عما هو بصدده فيرجع عما هو متوجه له فدواء ذلك كثرة الذكر والرياضة حتى يرجع عنه الشيطان وتحصل له الراحة من تعب التدبير ولذا قال

المعنى وهو كلام حسن وإنما أثبتناه ههنا على طوله لأنه تولى فيه بيان مسئلته التي ذكرها في هذا الكتاب بنفسه بيانا شافيا فنقلناه بلفظه ووددنا لو أن جميع مسائله تكون هكذا * (سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار) الهمم السوابق هي قوى النفس التي تنفعل عنها بعض الموجودات بإذن الله تعالى وتسميها الصوفية همة فيقولون أحال فلان همته على أمر ما فانفعل له ذلك وهذه الهمم السابقة لا تنفعل الأشياء عنها إلا بالقضاء والقدر وهو معنى قولنا بإذن الله تعالى فهي على حال سبقيتها ونفوذها لا تخرق أسوار الأقدار ولا تنفذها وهذه الهمم قد تكون للأولياء كرامات وقد تكون لغيرهم استدراجا ومكرا كما تكون للعائن والساحر وقد ثبت أن العين حق والسحر حق ومعناه ما ذكرناه وحاصل ذلك أنه يجب أن يعتقد أنها أسباب لا تأثير لها ولا فاعلية وأن الفاعل هو الله تعالى وحده عندها لا بها * وكأن المؤلف رحمه الله إنما أورد هذه المسئلة بين يدي كلامه في التدبير ليعرفك بذلك أن وجود التدبير لا جدوى له ولا فائدة لأن الهمة الفعالة إذا لم تنفذ في خرق أسوار الأقدار شيأ كيف يفيد في ذلك التدبير وما لا فائدة فيه فضول لا ينبغي أن يتشاغل به ويتعب فيه ذوو العقول ولذلك قال (أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك) تدبير الخلق لأمور دنياهم على الوجه الذي تقوله مذموم لأن الله تعالى قد تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم أن (يفرغوا)

(اجتهادك فيما ضمن لك) اى تكفل الله لك به وهو الرزق تفضلا منه واحسانا قال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم الى غير ذلك من الآيات (وتقصيرك فيما طلب منك) وهو العمل الذي يتوصل به لسعادة الى ❊(٩)❊ مولاك من أذكار وصلوات وأوراد وغير ذلك من أنواع الطاعات قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية فالمطلوب من المريد السعي في قوت الارواح وهو ذكر المولى وفعل ما يقرب اليه لا قوت الاشباح لانه قائم به غيره وهو مولاه (دليل على انطماس اى عمى البصيرة منك) وهي عين في القلب تدرك الامور المعنوية كما ان البصر يدرك الامور المحسوسة وفي تعبيره بالاجتهاد اشارة الى ان طلب الرزق من غير اجتهاد لا بأس به للمريد ولا يدل على انطماس بصيرته

يفرغوا قلوبهم منه ويقوموا بحق عبوديته ووظائف تكليفاته فقط وهو ان يقدر العبد لنفسه شؤونا يكون عليها من أمر دنياه على ما تقتضيه شهوته وهواه ويدبر لها ما يليق بها من أحوال وأعمال ويستعد لذلك ويهتم لاجله وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ولعل أكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه ثم فيه من ترك العبودية ومضادة أحكام الربوبية ومنازعة القدر واضاعة العمر ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع مواده وأسبابه * قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم * وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي ان كان ولا بد ان تدبروا فدبروا ان لا تدبروا وهذه المسئلة أساس طريق القوم بل هي جملته وكليته والكلام فيها طويل عريض وانما اقتصرنا فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه لان المؤلف رحمه الله أفرد في هذا المعنى كتابا سماه التنوير في اسقاط التدبير أحسن فيه غاية الاحسان وقرب الامر فيه بحيث يستغنى به عما صنف في هذه الطريقة من ديوان فتحصيله متعين على كل مريد نجيب

(اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك) الشئ المضمون للعبد هو رزقه الذي يحصل له به قوام وجوده في دنياه ومعنى كونه مضمونا ان الله تعالى تكفل بذلك وفرغ العباد عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد في السعي فيه ولا الاهتمام له والشئ المطلوب من العبد هو العمل الذي يتوصل به الى سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى من عبادات وطاعات ومعنى كونه مطلوبا بانه موكول الى اكتساب العبد له واجتهاده فيه ومراعاة شروطه وأسبابه وأوقاته بهذا جرت سنة الله تعالى في عباده قال الله عز وجل في المعنى الاول الذي ضمنه للعبد وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وقال تعالى في المعنى الثاني الذي طلبه منه وان ليس للانسان الا ما سعى وقد روى في بعض الآثار أن الله تعالى يقول عبدي أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك وذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما بال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور * وقال ابراهيم الخواص العلم كله في كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت ومن قام بهذا الامر على ما ينبغي له من الوجه الذي

ثم قال (لا يكن تأخر امد) اى زمن (العطاء) بتاخر مايقع فيه (مع الالحاح فى الدعاء) بزوال أوصاف
بشريتك و رفع الحجاب عنك و وصولك الى مولاك (موجبا لياسك) أى من اجابة الدعاء (فهو ضمن
لك الاجابة) بنحو قوله ادعونى أستجب لكم (فيما يختاره لك لا فيما تختار لنفسك وفى الوقت الذى يريد
لا فى الوقت الذى تريد) فقد يكون دوام الحجاب *(١٠)* على المريد خيرا له ليجتهد فى الاعمال

ذكرناه من الاجتهاد فى الامر المطلوب منه وتفرغ القلب عن الامر المضمون له
فقد انفتحت بصيرته وأشرق نور الحق فى قلبه وحصل على غاية المقصود ومن
عكس هذا الامر فهو مطموس البصيرة أعمى القلب وفعله دليل على ذلك *
والبصيرة ناظر القلب كما ان البصر ناظر العين وناظر القلب انما ينظر الى العاقبة
والعاقبة للمتقين فالتقوى هى التى يجب على العبد أن يجتهد فيها ولا يتوانى و يقصر
عما يمنع منها وتعبير المؤلف رحمه الله بالاجتهاد اشعار بأن طلب الرزق من غير
اجتهاد فيه غير مقصود بالكلام وهو كذلك لانه مباح ومأذون فيه فلا يدل ذلك
على انطماس بصيرة صاحبه الا ان اقترن به تقصير فى ما أمر به قال فى التنوير فى
قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك أى قم
بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيآن شئ ضمنه الله لك فلا تتهمه وشئ
طلبه منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت
غفلته وقل أن ينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد أن يشتغل بما طلب منه عما
ضمن له اذا كان الله سبحانه وتعالى قد رزق أهل الجحود كيف لا يرزق أهل
الشهود واذا كان سبحانه قد أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لا يجرى رزقه
على أهل الايمان فقد علمت أيها العبد ان الدنيا مضمونة لك أى مضمون لك منها
مايقوم بأودك والآخرة مطلوبة منك أى العمل لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا
فان خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك فى ما ضمن لك
اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك من أمر الآخرة حتى قال بعضهم ان الله تعالى
ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا اهـ

(لا يكن تأخر امد العطاء مع الالحاح فى الدعاء موجبا لليأس فهو ضمن لك الاجابة
فى ما يختاره لك لا فى ما تختاره لنفسك وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد)
حكم العبد أن لا يتخير شيئا على مولاه ولا يجزم بصلاحية حال من الاحوال له لانه
جاهل من كل وجه قد يكره الشئ وهو خير له ويحب الشئ وهو شر له * قال سيدى
أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لا تختر من أمرك شيئا واختر أن لا تختار وفر من
ذلك

ويدوم خوفه منه ولولا ذلك لكن الشيطان ربما أتى اليه وقال له لو كنت من أهل الارادة لاجابك مولاك وأزال أوصاف بشريتك وحصل لك مقصودك وجهل أن عدم اجابته قد يكون خيرا له وقد تكون بشريته غليظة فلا يقطع الا بعد مدة طويلة وما أتى به من المجاهدات والرياضات لا يفيد ذلك فى تلك المدة * وقد شبه بعض العارفين الطبيعة بارض ذات شوك فقد يكون الشوك
غليظا كثيرا لا ينقطع الا بعد مدة ومعاناة تامة وقد يكون قليلا ضعيفا
إذا مشى يزيله وكذلك أوصاف النفوس قد تكون خبيثة كثيرة فتحتاج الى مدة طويلة وشدة معاناة
فى قطعها فاذا حصل المقصود ولو فى آخر نفس من عمره كان هو الغاية القصوى وكان ما تعب فيه حقيرا
بالنسبة لذلك وقد يكون بضد ذلك فلا تحتاج الى طول مدة وكثرة معاناة

ذلك الاختيار ومن قرارك ومن كل شئ الى الله عز وجل وربك يخلق ما يشاء
ويختار ودخل رجل على سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه وهو يتألم لما
به فقال ذلك الرجل عافاك الله يا سيدى فسكت ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل
ساعة وقال الله يعافيك يا سيدى فقال له الشيخ أبو العباس وأنا ما سألت الله
العافية فقد سألته العافية والذى أنا فيه هو العافية هذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد سأل الله العافية وقد قال ما زالت أكلة خيبر تعاودنى والآن قد
قطعت أبهرى وسيدنا أبو بكر رضى الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات
مسموما وسيدنا عمر رضى الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مطعونا
وسيدنا عثمان رضى الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مذبوحا
وسيدنا على رضى الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مقتولا فاذا
سألت الله تعالى العافية فاسأله من حيث يعلم أنها لك عافية اهـ فعلى العبد أن
يسلم نفسه الى مولاه ويعلم أن الخيرة له فى جميع ما به يتولاه وان خالف ذلك مراده
وهواه فاذا دعا وطلب من مولاه شيأ يرى ان له فيه مصلحة أيقن بالاجابة لا محالة
قال الله عز وجل وقال ربكم ادعونى أستجب لكم وقال تعالى واذا سألك عبادى
عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وعن جابر رضى الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من أحد يدعو بدعاء الا آتاه الله ما سأل أو
كف عنه من السوء مثله ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم وعن أنس رضى الله عنه عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من داع يدعو الا استجاب الله له دعوته أو صرف
عنه مثلها سوأ أو حط من ذنوبه بقدرها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فاذا الاجابة
المطلقة حاصلة لكل داع بحق حسبما ورد الوعد الصدق الا أن الاجابة أمرها الى
الله تعالى يجعلها متى شاء وقد يكون المنع وتأخر العطاء اجابة وعطاء لمن فهم
عن الله تعالى ذلك فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى اذا رأى منعا أو تأخيرا
وان ألح فى دعائه وسؤاله وقد يكون تأخير ذلك الى الآخرة خيرا له فقد جاء فى
بعض الاخبار يبعث عبد فيقول الله تعالى له ألم آمرك برفع حوائجك الى فيقول
نعم وقد رفعتها اليك فيقول الله تعالى ما سألت شيئا الا أجبتك فيه ولكن نجزت
لك البعض فى الدنيا وما لم أنجزه فى الدنيا فهو مدخر لك فخذه الآن حتى يقول
ذلك العبد ليته لم يقض لى حاجة فى الدنيا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم معنى النهى عن الاستعجال فى اجابة الدعاء فى قوله يستجاب لاحدكم ما لم
يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى وقد دعا موسى وهارون عليهما السلام على
فرعون فيما أخبر الله به عنهما حيث قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على
قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم اخبر انه أجاب دعاءهما بقوله
سبحانه وتعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون قالوا وكان بين قول الله تعالى لهما قد أجيبت دعوتكما

(لايشككنك في الوعد) الذي وعدك به مولاك في منام أو على لسان ملك أو بإلهام رحماني (عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه) أي وان كان زمنه معينا بان ألهمت أنه يحصل لك في الوقت الفلاني فتح أو يحصل في العام رخاء أو غير ذلك (لئلا يكون ذلك) الشك (قدحا في بصيرتك واخمادا لنور سريرتك) فمن وعده مولاه شيأ وان كان معين الزمان ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي أن يشككه ذلك في صدق وعده به لجواز أن يكون وقوع ذلك الموعود معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق تعالى بعلمها دون العبد لحكمة يريدها ومن هذا القسم ما يقع لبعض الأولياء ان يخبر بأنه يحصل في هذا العام كذا ثم لا يحصل فيقع بعض الناس في اعراضهم ومنه ما وقع له صلى الله عليه وسلم عام الحديبية من أخباره للصحابة بالفتح ثم لم يحصل في ذلك العام بل في عام بعده فاذا خطر للمريد خاطر رحماني أو ملكي ثم لم يحصل مقتضاه فلا ينبغي أن يشك في حصول الموعود

(١٢)

وهلاك فرعون أربعون سنة (قال) سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في قوله تعالى فاستقيما أي على عدم استعجال ما طلبتما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون الاجابة وناهيك شرفا وحظا ما يحصل له بسبب مداومة الدعاء من محبة الله تعالى وموافقة رضاه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الملحين في الدعاء وقد جاء في الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب عبدك فلان اقض له حاجته فيقول دعوا عبدي فاني أحب أن أسمع صوته رواه أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا ان من الناس من يعجل الله له نوال حاجته لكراهة صوته وقد روي هذا المعنى أيضا منصوصا فليكن العبد خائفا من ذلك عند تعجيل اجابة دعائه قال أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من لم يكن في دعائه تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته فاني أكره أن أسمع صوته فاذا كان في دعائه مع اختيار الحق تعالى لا مع اختيار نفسه كان مجابا وان لم يعطوا الاعمال بخواتيمها اه وقد تكون الاجابة مرتبة على شروط لا علم للداعي بها فتؤخر لعدم وقوع ذلك أو بعضه وذلك مثل وجود الاضطرار قال الله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه فرتب الاجابة على الاضطرار وقال بعض العارفين اذا أراد الله أن يستجيب دعاء عبد رزقه الاضطرار في الدعاء والاضطرار لا يحققه العبد من نفسه في جميع حالاته وقال بعضهم المضطر الذي اذا رفع الى الله تعالى يديه لم ير لنفسه عملا وهذا حال شريف ومقام منيف يعسر على أكثر الناس الوصول اليه وكيف يتحقق بما ينبني عليه وفي المسئلة التي باثرها تنبيه على هذا المعنى

(لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك واخمادا لنور سريرتك) الحق سبحانه لا يخلف الميعاد فمن وعده مولاه شيأ وان كان معين الزمن ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي أن يشككه ذلك في صدق وعد ربه لجواز أن يكون وقوع ذلك الوعد معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد أن يعرف قدره ويتأدب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ويطمئن اليه لا يتشكك في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده

(فيه)

بل ينبغي أن يعرف قدره ويتأدب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ولا يتشكك في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فمن كان كذلك فهو عارف بالله سالم البصيرة منور السريرة والا فعلى العكس من ذلك

(اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها أن قل) بفتح الهمزة (عملك) أى بقلة عملك اعلم أن السالك
لابد له فى سلوكه من كثرة الاعمال ليقطع عقبات النفوس ويصل الى حضرة الرب فاذا شرع فى المجاهدة
وطالت عليه المدة ربما كسل عن بعض أنواع العادات والاوراد التى رتبت عليه فيحصل عنده
شدة الهم والغم وربما تسول له نفسه الترك بالكلية مع كونه قد حصل عنده نوع من معرفة الله تعالى
فأرشده الشيخ رضى الله عنه الى انه اذا فتح له وجهة من التعرف أى نوعا من المعرفة كأن عرف بطريق
الذوق ان الله تعالى حاضر معه مطلع على حاله أو عرف ذوقا انه لافاعل الا الله بأن حصل له تجلى الافعال
الذى هو أول التجليات عندهم فلا يبالى حينئذ بقلة العمل لان القصد من العمل القرب من حضرة
الرب وفتح تلك الوجهة دليل على ذلك وعلى انه معتنى به وانه سيصير من اهل ودّه وقد

تكون قلة العمل بسبب مرض يعوقه عنه فاذا حصل عنده نوع من المعرفة بأن عرف ان نزول المرض به خير من الصحة لما فيه من ترقيه وان الله يفعل به مايريد فلا يبالى حينئذ بقلة العمل (فانه ما فتحها) أى تلك الوجهة (لك الا وهو يريد أن يتعرف اليك)

فيه فمن كان على هذا الوصف فهو عارف بالله تعالى سالم البصيرة منور السريرة
والا فعلى العكس (اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك فانه
مافتحها لك الا وهو يريد أن يتعرف اليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك
والاعمال أنت مهديها اليه وأين ماتهديه اليه مما هو مورده عليك) معرفة الله
تعالى هى غاية المطالب ونهاية الآمال والمآرب فاذا وجه الله تعالى عبده ببعض
أسبابها وفتح له باب التعرف له منها أو وجد له سكينة وطمأنينة فيها فذلك من النعم
الجزيلة عليه فينبغى أن لا يكترث بما يفوته بسبب ذلك من أعمال البر ومايترتب
عليها من جزيل الاجر وليعلم أنه سلك به مسالك الخاصة المقربين المؤدى الى حقائق
التوحيد واليقين من غير اكتساب من العبد ولا تعمل والاعمال التى من شأنه أن
يتلبس بها هى باكتسابه وتعمله فلا تسلم من دخول الآفات عليها والمطالبة بوجود
الاخلاص فيها وقد لا يحصل له مايريد من الثواب عند مناقشة الحساب وأين
أحدهما من الآخر ومثاله مايصاب به الانسان من البلايا والشدائد التى تنغص
عليه لذات الدنيا وتمنعه من تكثير اعمال البر فان مراده أن يستمر بقاؤه فى دنياه
طيب العيش ناعم البال ويكون حاله فى طلب سعادة الآخرة حال المترفين
المتورعين فلا تستخف نفسه الا بالاعمال الظاهرة التى لا كبير مؤنة عليه فيها

اى يواجهك بفضله ويقرب منك ويتجلى عليك بصفاته وأسمائه ولاشك ان ذلك اعظم من كثرة
الاعمال الظاهرة (ألم تر ان التعرف هو مورده عليك) أى محصله لك بطريق التفضل (والاعمال انت
مهديها اليه وأين ماتهديه اليه مما هو مورده عليك) فان هدية العبيد وان كانت جليلة هى حقيرة
بالنسبة الى هدية السيد وان كانت قليلة على أن هدية العبد هنا نفعها عائد عليه لاعلى السيد وحاصل
ماذكر ان قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بدونها فاذا حصل للسالك بعض المعرفة ينبغى له
أن يوجه نابه الى حضرة مولاه ليزيده من معرفته وقربه ويهتم بذلك أكثر من اهتمامه بالاعمال
الظاهرة ولذا كانت اعمال العارفين الظاهرة قليلة فى أواخر أمرهم وما زالوا يحنون الى البداية لما فيها
من كثرة الانوار بسبب كثرة الاعمال

لا مشقة ولا تقطع عليه لذته ولا تفوته شهوته ومراد الله منه أن يطهره من أخلاقه الدنيئة ويحول بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من أسر وجوده الى متسع شهوده ولا سبيل له الى الوصول الى هذا المقام على غاية الكمال والتمام الا بما يضاد مراده ويشوش عليه معتاده ويكون حاله حينئذ المعاملة بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الاعمال الظاهرة فاذا فهم هذا علم أن اختيار الله له ومراده منه خير له من اختياره لنفسه ومراده لها وقد روى ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه أنزلت بعبدى بلاء فدعانى فماطلته بالاجابة فشكانى فقلت عبدى كيف أرحمك من شئ به أرحمك وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده أنشطته من عقالى وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ويستأنف العمل وروى عن سعيد المقبرى قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال الله تبارك وتعالى انى ابتلى عبدى المؤمن فاذا لم يشك الى عواده حللت عنه عقدى وبدلت له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت له استأنف العمل قال أبو عبد الله محمد بن على الترمذى رضى الله عنه ولقد مرضت فى سالف أيامى مرضة فلما شفانى الله تعالى منها مثلت فى نفسى ما دبر الله تعالى لى من هذه العلة فى مقدار هذه المدة وبين عبادة الثقلين فى قدر أيامى فقلت لو خيرت بين هذه العلة وبين أن تكون لى عبادة الثقلين فى مقدار مدتها الى أيهما يميل اختيارى فصح عزمى ودام يقينى ووقفت بصيرتى أن مختار الله تعالى أكثر شرفا وأعظم خطرا وأنفع عاقبة وهى العلة التى دبرها لى ولا شوب فيه اذا كان فعله فشتان بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رأيت ذلك دق فى عينى عبادة الثقلين فى مقدار تلك المدة فى جنب ما آتانى فصارت العلة عندى نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة أملا وصار الامل عطفا فقلت فى نفسى بهذا كانوا يستمرون فى البلاء على طيب النفوس مع الحق وبهذا الذى انكشف كانوا يفرحون بالبلاء اه فهذه هى وجهة التعرف التى فتحها الله تعالى له وحصلت له الغبطة بها وآثرها على عبادة الثقلين والله أعلم فاذا أنزل الله تعالى على العبد شيأ من البلايا فليستشعر ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه وليعد تذكاره على نفسه حتى يحصل له من السكون والطمأنينة ما يحمل عنه اثقال ذلك ويزيل عنه مراراته ويوجد حلاوته وعند ذلك يكون حاله فى بلائه حال الشاكرين من الفرح والاغتباط به فيرى من حق شكره أن يأتى بما يلائمه من أعمال بره ولنعتبر جميع ما قلناه فى هذه المسئلة بالحكاية التى ذكرها أبو العباس بن العريف رحمه الله فى كتابه مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق الارادة قال فيه كان بالمغرب عمره الله بالاسلام رجل يدعى أبا الخيار

ثم قال (تنوعت أجناس الأعمال) على العاملين (لتنوع واردات الأحوال) أي الواردات التي تع
أحوال الإفاضة بقلوبهم تقتضي ميلهم إلى تلك الأعمال أو واردات هي الأحوال فإن الوارد قد يسمى حالا
كما سيأتي يعني أن بعض المريدين تجده مشتغلا بالصلاة وبعضهم بالصيام وهكذا وسبب ذلك وارد
إلهي اقتضى ميل هذا إلى كذا وهذا إلى كذا وينبغي لكل أحد أن يعمل بمقتضى ميله المذكور إن لم
يكن تحت تربية شيخ وإلا فلا يشتغل بشيء إلا بإذنه وإرادته وحاصل ذلك أن تنوع الأوراد في حق
المريدين الصادقين ناشئ عن تنوع *(١٥)* الواردات على قلوبهم فينبغي لكل مريد أن يعمل
بمقتضى وارده بالشرط المتقدم ولا يعمل بمقتضى وارد غيره ولا يعترض على ذلك الغير في عدم اشتغاله بما اشتغل به هو ثم قال (الأعمال) الظاهرة (صور قائمة) أي كالأشخاص التي ليس فيها أرواح فلا نفع بها (وأرواحها) التي بها حياتها ونفعها (وجود سر الإخلاص) أي سر هو الإخلاص (فيها) والإخلاص يختلف باختلاف
الناس فإخلاص العباد سلامة أعمالهم من الرياء الجلي والخفي وكل ما فيه حظ للنفس فلا يعملون العمل
إلا لله تعالى طلبا للثواب وهربا من العقاب مع نسبة العمل إليهم والاعتماد عليه في تحصيل ما ذكر
وإخلاص المحبين هو العمل لله إجلالا وتعظيما لأنه تعالى أهل لذلك لا لقصد ثواب ولا هرب من عقاب
ولذا قالت رابعة العدوية ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك فتثبت العبادة إليها
وإخلاص العارفين شهودهم انفراد الحق بتحريكهم وتسكينهم من غير أن يروا لأنفسهم في ذلك
حولا ولا قوة فلا يعملون العمل إلا بالله لا بحولهم ولا قوتهم وهذا أرفع مما قبله ثم ذكر رحمه الله
ما يعين على الإخلاص ويحصله بقوله

رحمه الله ونفعنا به ذكره أصله من صقلية وموطنه بغداد وجاوز سنه التسعين وهو
في الرق لابتلاء مولاه ذلك منه عن قصد واختيار وعم جسده الجذام ورائحة
المسك توجد منه على مسافة بعيدة قال الذي حدثني رأيته يصلي على الماء ثم لقيت
بعده محمدا الأصفهاني فإذا هو الأبرص فقلت له يا سيدي كأن الله تعالى لم يجد
للبلاء محلا من أعدائه حتى أنزله بكم وأنتم خاصة أوليائه قال فقال لي اسكت
لا تقل ذلك إنه لما أشرفنا على خزائن العطاء لم نجد عند الله شيئا أشرف ولا أقرب
إليه من البلاء فسألناه إياه فكيف بك لو رأيت سيد الزهاد وقطب العباد وإمام
الأولياء الأوتاد بغار في أرض طرسوس ودماء الهاجمة يتناثر وجلده يسيل قيحا
وصديدا وقد أحاط به الذباب والنمل فإذا كان الليل لم يقنع بذكر الله وشكره
على ما أعطاه من الرحمة وأسكن جسده من العافية حتى يشد نفسه بالحديد
ويستقبل القبلة قائمة ليله حتى طلع الفجر اهـ وسيأتي شيء من كلام المؤلف رحمه
الله في هذا المعنى والتنبيه عليه والله ولي التوفيق * (تنوعت أجناس الأعمال
لتنوع واردات الأحوال) واردات الأحوال هي ما يرد على القلوب من المعارف
الربانية والأسرار الروحانية وهي التي توجب لها أحوالا مختلفة فمنها وارد يوجب
هيبة ومنها وارد يوجب أنسا ومنها وارد يوجب قبضا ومنها وارد يوجب بسطا إلى
غير ذلك من مختلفات الأحوال ولما كانت هذه الواردات أيضا متنوعة كانت
أجناس الأعمال التي تقتضيها هذه الواردات أيضا متنوعة والأعمال الظاهرة أبدا
تتبع لأحوال القلوب الباطنة كما سيقوله المؤلف بعد هذا في قوله حسن الأعمال
نتائج حسن الأحوال * (الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها)
خلاص كل عبد في أعماله على حسب رتبته ومقامه فأما من كان منهم من الأبرار

(ادفن وجودك فى أرض الخمول) أى فى الخمول وهو عدم الشهرة الشبيه بالارض ودفن وجودك فيه أن لا تتعاطى أسباب الشهرة بأن تعرض نفسك للمناصب وغيرها مما فيه انتشار الصيت فان سلكت الطريق بعد شهرتك فالواجب عليك التواضع وأن لا ترى لنفسك مقاما ولا ترى ما أنت فيه من المناصب وغيرها شيأ عظيما بل ترى أن الخير فى تركه لكن (١٦) لا تتركه الا باشارة أستاذك أو اذن الهى ثم ضرب لذلك مثلا بقوله (فما نبت من الحب (مما لم يدفن لا يتم نتاجه) بل يخرج ضعيفا مصفرا لا ينتفع به الانتفاع التام واذا لم ينبت فالغالب أن يلتقطه الطائر فلا ينتفع به أيضا وكذلك السالك اذا تعاطى أسباب الشهرة فى بدايته قل أن يفلح فى نهايته وبقدر تحققه بوصف الخمول تحقق له مقام الاخلاص فيبقى أمره فى الابتداء على الاذار من الخلق واخمال الذكر وعدم حب الشهرة حتى اذا فنيت أوصافه وبقى بربه للعبودية كان مع مولاه ان شاء أظهره وان شاء أخفاه قال أبو العباس قدس الله سره من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه اهـ

فمنتهى درجة اخلاصه أن تكون عماله سالمة من الرياء الجلى والخفى وقصد موافقة أهواء النفس طالبا ما وعد الله تعالى به المخلصين من جزيل الثواب وحسن المآب وهربا مما أوعد به المخالفين من أليم العذاب وسوء الحساب وهذا من التحقيق بمعنى قوله تعالى اياك نعبد أى لا نعبد الا اياك ولا نشرك فى عبادتنا غيرك وحاصل أمره اخراج الخلق عن نظره فى اعماله البرية مع بقاء رؤيته لنفسه فى النسبة اليها والاعتماد عليها وأما من كان منهم من المقربين فقد جاوز هذا الى عدم رؤيته لنفسه فى عمله فاخلاصه انما هو فى شهود انفراد الحق تعالى بتحريكه وتسكينه من غير أن يرى لنفسه فى ذلك حولا ولا قوة ويعبر عن هذا المقام بالصدق الذى به يصح مقام الاخلاص وصاحب هذا مسلوك به سبيل التوحيد واليقين وهو من التحقق بمعنى قوله تعالى واياك نستعين أى لا نستعين الا بك بأنفسنا وحولنا وقوتنا فعمل الاول هو العمل لله تعالى وعمل الثانى هو العمل بالله فالعمل لله يوجب المثوبة والعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب تحقيق العبادة والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة والعمل لله نعت كل عابد والعمل بالله نعت كل قاصد والعمل لله قيام بأحكام الظواهر والعمل بالله قيام بالضمائر وهذه العبارات للامام أبى القاسم القشيرى رضى الله عنه وبهذا يتبين الفرق بين المقامين وتباينهما فى الشرف والجلالة فاخلاص كل عبد هو روح اعماله فبوجود ذلك تكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ويكون فيها أهلية وجود القبول لها وبعدم ذلك يكون موتها وسكوتها عن درجة الاعتبار وتكون اذ ذاك أشباحا بلا أرواح وصورا بلا معان قال بعض المشايخ صحح عملك بالاخلاص وصحح خلاصك بالتبرى من الحول والقوة * ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الحالة التى اذا كان العبد عليها كان مخلصا بالمعنيين فقال *(ادفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه) لا شئ أضر على المريد من الشهرة وانتشار الصيت لان ذلك من أعظم حظوظه التى هو مأمور بتركها ومجاهدة النفس فيها وقد تسمح نفس المريد بترك ما سوى هذا من الحظوظ ومحبة الجاه وايثار الاشتهار مناقض

للعبودية التي هو مطالب بها قال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه ما صدق الله من أحب الشهرة وقول بعضهم طريقنا هذه لاتصلح الالاقوام كنست بأرواحهم المزابل وقال أيوب السختياني رضي الله عنه والله ما صدق الله عبد الاسره أن لا يشعر بمكانه وقال رجل لبشر بن الحرث رضي الله عنه اوصني فقال أخمل ذكرك وأطب مطعمك وقال بعضهم رضي الله عنه ما أعرف رجلا أحب ان يعرف الاذهب دينه وافتضح وقال أيضا لايجد حلاوة الآخرة من أحب ان يعرفه الناس وقال الفضيل رضي الله عنه بلغني أن الله عزوجل يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم انعم عليك الم استرك الم أخمل ذكرك ثم ان تلك الاشياء الراجعة الى محبة الاشتهار والاستعلاء مما يقدح في اخلاص العبد على اختلاف مراتبه لانه اما بسقوط الناس عن النظر اليهم أو بسقوط النفس عن النظر اليها ولا يثبت للمريد جميع ذلك الا بالخمول وسقوط المنزلة عند نفسه وعند الناس لانه ان لم يكن بهذه المثابة لم ينفك عن الاغراض التي تبعثه على استمالة قلوب الخلق لما يرى لنفسه عليهم من الحق فتدعوه نفسه الى ذلك دعاء خفيا فينصبغ عمله بالرياء انصباغا لايتفطن له كما سيأتي عند قوله ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وبقدر تحققك بوصف الخمول يحقق لك مقام الاخلاص حتى تتخلص بذلك من رؤية اخلاصك وبهذا يتبين لك افلاس جميع الناس الا من رحمه الله تعالى وان الاخلاص في غاية الصعوبة على النفس وانه أعز الاشياء في الوجود وقيل لسهل ابن عبد الله رضي الله عنه أي شئ أشد على النفس قال الاخلاص لانها ليس لها فيه نصيب وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه أعز شئ في الدنيا الاخلاص وكم أجتهد في اسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت فيه على لون آخر قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه والاخلاص عند المخلصين اخراج الخلق عن معاملة الخالق وأول الخلق النفس والاخلاص عند المحبين أن لايعمل عملا لاجل النفس والا دخل عليه مطالعة العوض أو تشوف الى حظ طبع والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق عن النظر اليهم في الافعال وترك السكون والاستراحة بهم في الاحوال اهـ فاذا أخمل العبد نفسه ولزمها التواضع والمذلة واستمر على ذلك حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا يجد لضعته ألما ولا لمذلته طعما فحينئذ تتزكى نفسه ويستنير بنور الاخلاص قلبه وينال من ربه أعلى درجات الخصوصية ويتحصل على أوفر نصيب من المحبة الحقيقية قال الشيخ أبو طالب ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد لذلته طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل والتواضع كونه فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه فصارت الذلة والضعة صفة له لا تفارقه لازمة لزوم الزبالة للزبال والمساحة للكساح وهما صنعتان له كسائر الصنائع

وربما نفروا بهما لعدم النظر الى نقصهما فهذه ولاية عظيمة له من ربه قد ولاه على نفسه وما ملكه علي افقهرها بعزه وهذا مقام محمود محبوب وبعده مقام المكاشفات بأسرار الغيوب ثم قال ومن كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فان فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما ان المتعزز اذا فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك حياة نفسه اه فاذا لابد للمريد من اسقاط جاهه واخمال ذكره وفراره عن مواضع اشتهاره وتعاطيه أمورا مباحة تسقطه من أعين الناس كقصة السائح الذي سمع به ملك زمانه فجاء اليه فلما علم بذلك السائح استدعى بقلا وجعل يأكله أكلا عنيفا مرأى من الملك فلما رآه على تلك الحالة استحقره واستصغره وانصرف عنه ذاما له وسيأتي نص هذه القصة بعد هذا عند قوله ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وقد بالغ أئمة الصوفية رضي الله عنهم في مداواة علة الجاه الذي علق بالقلوب حتى استعملوا في ذلك أشياء منكرة في ظاهر الشرع ورأوا ذلك جائزا لهم أن يفعلوه ويأمروا به وذلك مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه بحيث تظهر ومشى بذلك متميرا بحيث يرى ويظن به السرقة فلما رآه الناس أخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة حتى كان يعرف عندهم بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه ومثله ما روى عن أبي يزيد رضي الله عنه في قصة الشاهد الذي أمره بحلق رأسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه واعطائه لمن يصفعه من الصبيان وطوافه على تلك الحالة في المحافل والمحاضر والحكايتان مشهورتان ذكرهما الامام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه وغيره قال بعض المصنفين واذا جاز ان غص بلقمة من طعام حلال أن يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد غيره مع ان تحريمه مقطوع به ولا يفوته الا حياة فانية فلان يجوز مثل هذا اذا تعين أولى اذ يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله تعالى فاذا التزم العبد هذه الطرق من الرياضات ماتت نفسه وحيي قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وتلك الثمرة اخلاق الايمان التي تكيفت بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهي نتيجة الحكمة التي أنبتها الله في قلوب عباده المتواضعين ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال عيسى عليه الصلاة والسلام لاصحابه أين تنبت الحبة قالوا في الارض فقال عيسى عليه الصلاة والسلام كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب مثل الارض قلت وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول وذم الشهرة أحاديث كثيرة منها ما روى أبو امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل ان أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من

الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضاً في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافاً فاصبر على ذلك ثم نفض يده فقال عجلت منيته وقلت بواكيه وقل تراثه وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لابره وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان يسيرا من الرياء شرك وان من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي نوه فيه باسم أويس القرني وأشار بذكره ونبه على عظيم أمره رضي الله عنه أنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة من أصحابه اذ قال ليصلين معكم غدا رجل من أهل الجنة قال أبو هريرة فطمعت أن أكون ذلك الرجل فغدوت فصليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فأقمت في المسجد حتى انصرف الناس فبقيت أنا وهو صلى الله عليه وسلم فبينما نحن كذلك اذ أقبل رجل اسود متزر بخرقة مرتد برقعة فجاء حتى وضع يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبي الله ادع الله لي بالشهادة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم له بالشهادة وانا نجد منه ريح المسك الاذفر فقلت يا رسول الله أهو هو قال نعم انه لمملوك بني فلان قلت أفلا تشتريه فتعتقه يا نبي الله فقال واني لي بذلك ان كان الله تعالى يريد أن يجعله من ملوك الجنة يا أبا هريرة ان لاهل الجنة ملوكا وسادة وان هذا الاسود أصبح من ملوك الجنة وساداتهم يا أبا هريرة ان الله عز وجل يحب من خلقه الاصفياء الاخفياء الابرياء الشعثة رؤسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم وان خطبوا المتنعمات لم ينكحوا وان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان طلعوا لم يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك أويس القرني قالوا وما أويس القرني قال أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام بنظره الى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه له متزر بازار صوف ورداء صوف مجهول في أهل الارض معروف في أهل السماء لو أقسم على الله لابر قسمه ألا وان تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء ألا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويقال لاويس القرني قف فاشفع فيشفعه الله في مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا أنتما لقيتماه فاطلبا اليه يستغفر لكما يغفر الله لكما وذكر باقي الحديث وفي حديث آخر ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في أمتي رجل يقال له أويس القرني يدخل
في شفاعته عدد ربيعة ومضر لو أقسم على الله لأبره فمن لقيه بعدي فليقرئه مني
السلام ثم سئل عن علامته فقال هو رجل أصهب أشهل ذو طمرين أبيضين له أم
وقد كان به بياض فدعا الله عز وجل فاذهبه عنه الا مقدار الدينار أو الدرهم
لا يؤبه له مجهول في الارض معروف في السماء وكان قد بلغ من شدة خموله ونهاية
ضعفه ان الناس كانوا يسخرون منه ويستهزؤن به ويؤذونه ويرون فيه أهلية
الخداع والتلصص وينسبونه الى ذلك فقد روي في ذلك انه دفع اليه بعض فقهاء
الكوفة ثوبين وكان يجالسه فانقطع عن مجلسه لاجل العري فردهما عليه بعد
أن أخذهما منه وقال ان الناس يقولون من أين له هذان الثوبان ترى من خدع
عليهما وكان في ذلك الوقت يجالس الفقهاء ويظهر للناس وذلك قبل أن يعرف
برفعة القدر وجلالة الخطر وتنويه عمر رضي الله عنه به على المنبر فلما رأى ان
الناس عرفوا حاله هرب عنهم واختفى منهم ولبس أمره عليهم برعاية الابل وغير
ذلك وقيل لعمر رضي الله عنه لما سأل عنه قوم ما فينا أخمل منه ذكرا فلما لقيه هو
وعلي رضي الله عنهما وسألاه من هو فقال له راعي غنم وأجير قوم وستر ذكر أويس
فلما سألاه عن اسمه قال له عبد الله فلما سألاه عن اسمه الذي سمته به أمه امتنع ان
يجيبه عن ذلك فلما أخبراه بوصف النبي صلى الله عليه وسلم له وانهما عرفاه بذلك
قال لهما عسى أن يكون ذلك غيري فلما قالا له أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في بدنه شكل الدرهم لمعة بيضاء وطلبا منه أن يوضحها لهما لم يجد بدا من أن
يوضحها لهما وذلك والله أعلم لتيقنه ان في ذلك صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم
وصدقه في اخباره بالغيب وذلك أمر واجب عليه والا فلعله كان يتعلل لهما كما
فعله في كل ما سئل عنه ثم بعد ذلك لما سأله عمر رضي الله عنه أن يلتقي معه في محل
ذلك الموضع ميعادا بينه وبينه قال له يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك ولا أعرفك
ولا تعرفني بعد اليوم ثم دفع الابل الى أصحابها وخلا عن الرعاية وكذلك فعل مع
هرم بن حيان رضي الله عنه لما لقيه بشاطئ الفرات ووقع بينهما التعرف قال له
حدثني بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظه عنك فقال له لا أحب أن
أفتح هذا الباب على نفسي لا أحب أن أكون محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا فلما فرغا
من الكلام الذي كان بصدده سأله مداومة الاجتماع به فأبى وامتنع وقال له
لا أراك بعد اليوم تطلبني ولا تسأل عني انطلق أنت ههنا حتى انطلق أنا ههنا ثم
بعد ذلك اجتهد في طلبه والبحث عنه فلم يقع له على خبر ومن عجيب أمره ان
حقق الله تعالى له هذا الحال من التخفي والتستر وأتمه له بعد موته مع
ما أظهره بسببه من الآيات والعبر حينئذ قال عبد الله بن سلمة غزونا

(مانفع القلب) أي قلب المريد في التطهر من غفلاته والقرب الى حضرة مولاه (شئ مثل عزلة) أي اعتزال عن الناس (يدخل بها ميدان فكرة) أي فكرة شبيهة بالميدان لتردد القلب فيها كتردد الخيول في الميدان فالمريد اذا كان مخالطا للناس اشتغل نظره بالمحسوسات فلا يتفكر قلبه الا فيها ولا يزال ناظرا الا لعالم الشهادة فاذا اعتزلهم انعكس الحال وجال قلبه في عالم الغيب وقد جاء في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وقيل لأم الدرداء ما كان (٢١) أفضل أعمال أبي الدرداء قالت التفكر وذلك لانه يصل به الى معرفة حقائق الاشياء والى تعظيم الله وتعظيم كل ما يرضيه فيعمله وتحقير كل ما يسخطه فيجتنبه ويطلع به على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويتعرف به وجوه الحيل في التباعد عنها ويسلم به من الآفات الناشئة عن مخالطة أهلها والعزلة المذكورة يحصل التمرن على الخلوة التي هي أحد أركان الطريق الاربعة بالنسبة للمريدين وباقيها الصمت والجوع والسهر

اذربيجان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا أويس القرني رضي الله عنه فلما رجعنا مرض فمات فنزلنا فاذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لاقبر ولا أثر قلت والحكايات والآثار في مدح الخمول وذم الاشتهار أكثر من أن يأتي عليها انحصار وقد أورد كثيرا منها الائمة المصنفون في هذا العلم فليطالع ذلك المريد مستمدا من الله تعالى أحسن التوفيق والتأييد وتعبير المؤلف رحمه الله تعالى هنا بالدفن والارض والنبات والنتاج من ملح الاستعارات *(مانفع القلب شئ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) مداواة أمراض القلب واجبة على المريد وأمراضه انما تكون من غلبة أحكام الطبع عليه من صحبته للاضداد ووقوفه مع المعتاد وانقياده الى هوى النفس وانسه بعالم الحس ومداواة هذا المرض تتأتى من وجوه كثيرة وأبلغها في ذلك وأنفعها العزلة عن الناس المصحوبة بالفكرة فبالعزلة يتقيد الظاهر عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا يأمن دخول الآفات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي التي تعرض له بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والرياء والتصنع ويحصل له بذلك السلامة من مسارقة الطباع الرديئة والاخلاق الدنيئة ويستفيد بذلك أيضا صيانة دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وأنواع الشرور والفتن فان للنفس تولعا وتسارعا الى الخوض في مثل هذا فواجب على المعتزل ان يكف لسانه عن السؤال عن أخبار الناس وما هم مشغولون به وما هم كائنون فيه ومكبون عليه ويصون سمعه عن الاصغاء الى أراجيف البلدان وما اشتملت عليه من الاحوال التي ذكرناها وليحرص على أن لا يغشاه في خلوته وعزلته من شأنه التطلع لذلك والبحث عنه وليجتنب صحبة من لا يتورع في منطقه ولا يضبط لسانه عن الاسترسال في دقائق الغيبة والوقيعة والتعريض بالطعن على الناس والقدح فيهم فان ذلك مما يكدر صفاء القلب ويؤديه الى ارتكاب مساخط الرب فليهجره المعتزل وليفر منه

وبهذه الاربعة تصير الابدال ابدالا الا وهذا كله في حق المريد الذي يسلك بنفسه فان كان تحت تربية شيخ فلا بد من مخالطته ومخالطة الاخوان الذين يعينونه على سلوك الطريق فاذا ذهبت رعونات نفسه وصار من العارفين فلا تضره مخالطة الخلق أجمعين لانه حينئذ لا يرى غير الله تعالى واعلم ان الفكرة هي المقصود والعزلة وسيلة لها ومعينة عليها ثم بين الامور التي تصيب القلب اذا لم يحصل له لا عزلة ولا فكرة بقوله

فراره من الاسد ولا يجتمع معه فى مكان البتة وليتنكر الى كل من يتعرف له ممن هذا شأنه من المنسوبين الى الدين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم أنكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف وفى الخبر مثل الجليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وفى الاخبار السالفة ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل أخ أو صاحب لا يوازرك على مبرتى فهو لك عدو وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام فقال له يا داود مالى أراك منتبذا وحدانيا فقال الهى قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل خدن لا يوافقك على مبرتى فلا تصحبه فانه لك عدو ويقسى قلبك ويباعدك منى وما أحسن قول أبى اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيرى فى هذا المعنى

نخف أبناء جنسك واخش منهم * كما تخشى الضراغم والسبنتى
وخالطهم وزايلهم حذرا * وكن كالسامرى اذا لمستا

وبالعزلة أيضا يجتمع همه ويقوى فى ذات الله عزمه بخلاف الخلطة فانها تفرق الهم وتضعف العزم فقد قيل ان العبد ليعقد فى خلوته على خصال من الخير يعملها فاذا خرج الى الناس حلوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى يرجع الى بيته وقد انحلت العقد كلها وروى عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وفى الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أخوف ما أخاف على أمتى ضعف اليقين وضعف اليقين انما يكون من رؤية أهل الغفلة ومخالطة أرباب البطالة والقسوة قال أبو طالب المكى رضى الله عنه وأضر ما يبتلى به العبد وأدخله وأعمله فى هلاكه وأشده بحجبه وابعاده ضعف يقينه لما وعد من الغيب وتوعد عليه بالشهادة وقوة اليقين أصل كل عمل صالح وقال بعض هذه الطائفة قلت لبعض الابدال المنقطعين الى الله كيف الطريق الى التحقيق والوصول الى الحق قال لا تنظر الى المخلوقات فان النظر اليهم ظلمة فقلت لابد لى منهم قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابد لى منهم قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران ووحشة وحسرة قلت انا بين أظهرهم ولا بد لى من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا تنظر الى اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد ان تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات هذا لا يكون أبدا وبالعزلة ايضا ينكف بصره عن النظر الى زينة الدنيا وزهرتها وينصرف خاطره عن الاستحسان الى ما ذمه الله تعالى من زخرفها فتمتنع بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها ومنافسة أهلها فيها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الآية ولا ينبغى لاحد أن يستحقر هذا فانه يؤدى الى

أمراض عظيمة فى القلب ومن اعتزل الناس سلم باذن الله تعالى منها قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فأرباب المجاهدات اذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة لم ينظروا الى المستحسنات قال وهذا أصل كبير لهم فى المجاهدات فى أحوال الرياضات اه وقال محمد بن سيرين رضى الله عنه اياك وفضول النظر فانه يؤدى الى فضول الشهوة وقال بعض الادباء من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا ان العين سبب الحين ومن أرسل طرفه اقتنص حتفه وان النظر الى الاشياء بالبصر يوجب تفرقة القلب وقد أنشدوا فى هذا المعنى

وانك ان أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل له منهم الاياس وذلك من أعظم فوائد العزلة عند العقلاء الاكياس ولا تتم له منفعة العزلة الا باشتغال القلب بالفكرة وهى المقصودة منها وكانت العزلة مقدمة لها ومعينة عليها وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع الظاهرة والقيام بمراعاة آدابه الباطنة وقد ذكر منها الشيخ أبو حامد الغزالى جملة شافية فى كتاب العزلة من الاحياء فلينظر هناك وقد جاء فى الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وكذا هو والله أعلم وكان عيسى ابن مريم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام يقول طوبى لمن كان قوله ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة ان أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال كعب من أراد شرف الآخرة فليكثر التفكر وقيل لام الدرداء ما كان أفضل عمل أبى الدرداء قالت التفكر وذلك لانه يصل به الى معرفة حقائق الاشياء وتبين الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع به أيضا على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويتعرف به وجوه الحيل فى التحرز عنها والطهارة منها قال الحسن البصرى رضى الله عنه الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك ويطلع بها أيضا على عظمة الله تعالى وجلاله اذا تفكر فى آياته ومصنوعاته ويطلع بها أيضا على آلائه الجلية والخفية فيستفيد بذلك الاحوال السنية تزول بها أمراض قلبه ويستقيم بسببها على طاعة ربه قلت والعزلة التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى تتضمن وجود الخلوة وهى أحد الاركان الاربعة التى هى أساس المريدين ويلزم عنهما من الثلاثة الباقية الصمت اذ لا يتأتى من أكثر الناس الا بالخلوة والعزلة فان أضاف اليها المريد الركنين الباقيين وهما الجوع والسهر فقد حصل على كلية الدواء والتحق بزمرة الاولياء والبدلاء قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اجتمع الخير كله فى هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت والخلوة والسهر وقال الشاعر وجمعها فى نظمه

(أكيف يشرق قلب صور الأكوان) أي المكونات من الآدميين وغيرهم (منطبعة في مرآته) باعتقاده انها تضر وتنفع وتطلعه لما في حصول أمر ما من الامور وتعلقه بها (أم كيف يرحل) أي يسير (الى الله وهو مكبل) أي مقيد (بشهواته) النفسية والمقيد لا يمكنه السير (أم كيف يطمع أن يدخل) ذلك القلب (حضرة الله) بأن يشاهده (وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته) أي من غفلاته الشبيهة بالجنابة فكما يمنع الجنب من دخوله المسجد كذلك يمنع من استولت عليه الغفلة من دخوله حضرة الرب (أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الاسرار) وهي العلوم الدقيقة التي ترد على قلوب العارفين (وهو لم يتب من هفواته) وهي ما يصدر منه من المعاصي لا عن قصد وانما تعجب المصنف من ذلك لما فيه من الجمع بين الاضداد وهو محال وهذه الاشياء المذكورة متضادة * (٢٤) * فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التي استولت عليه بالركون الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها والسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال في حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية لطهارة القلب ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة الغفلات التي مقتضاها الابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفاد من التقوى مضاد للاصرار على المعاصي والهفوات واليه الاشارة بقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وبما روي في بعض الاخبار من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم وكل واحد من هذه الاربعة سبب فيما بعده فانطباع صور الاكوان في مرآة القلب سبب في تكبله بالشهوات والتكبل بها سبب في الغفلة وهي السبب في كثرة الهفوة والهفوة سبب في عمى القلب ثم شرع رحمه الله يتكلم على شيء من المعارف لينشط المريد حتى يجد لذلك ذوقا فتكلم على وحدانية الوجود التي أفردت بالتأليف فقال (فقال)

يا من يروم منازل الابدال * من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعن فيها فلست من اهلها * ان لم تزاحمهم على الاحوال
بيت الولاية قسمت أركانه * سادتنا فيه من الابدال
ما بين صمت واعتزال دائم * والجوع والسهر النزيه العالي

* (كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته أم كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته)

الجمع بين الضدين محال كاجتماع الحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الاشياء التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى اضداد لا تجتمع فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التي استولت عليه من ركونه الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها والسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال في حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية لطهارة الداخل ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة غفلاته التي مقتضاها الاقصاء والابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفاد من التقوى مضاد للاصرار على المعاصي والهفوات واليه الاشارة بقوله عز من قائل واتقوا الله ويعلمكم الله وبما روي في بعض الاخبار من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم قال يحيى بن معين رحمه الله تعالى التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي الحواري فقال ابن حنبل لابن أبي الحواري يا أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من استاذك أبي سليمان

(الكون) أى المكونات أى الموجودات بأسرها (كله ظلمة) أى عدم محض لا وجود له فى نظر أرباب
الشهود (وانما أناره) أى أوجده (ظهور الحق) أى الله (فيه) كظهور الشمس فى الكوة ذات الزجاج
فليس هناك الا وجود واحد وهو وجود الحق وبظهوره فى الاشياء وجدت على *(٢٥)*

فقال يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب فقال ابن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب
فقال ابن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك
الآثام جالت فى الملكوت وعادت الى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير أن
يؤدى اليها عالم علما قال فقام أحمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت فى
الاسلام بحكاية أعجب الى من هذه ثم ذكر الحديث الذى ذكرناه من عمل بما يعلم
ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لاحمد بن أبى الحوارى صدقت يا أحمد وصدق شيخك
ولاجل كون هذه الاشياء اضدادا أعجب المؤلف رحمه الله تعالى ممن يعتقد صحة
اجتماعهما وممن طمع فى نيل مراتب الرجال مع كونه على أقبح الخلال (الكون كله
ظلمة وانما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله
أو بعده فقد أعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار)
العدم ظلمة والوجود نور فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم وباعتبار تجلى نور
الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلف أحوال الناس ههنا فمنهم من لم
يشاهد الا الاكوان وحجب بذلك عن رؤية المكون فهذا تائه فى الظلمات محجوب
بسحب الآثار الكائنات ومنهم من لم يحجب بالاكوان عن المكون ثم هم
فى مشاهدتهم اياه فرق فمنهم من شاهد المكون قبل الاكوان وهؤلاء هم الذين
يستدلون بالمؤثر على الآثار ومنهم من شاهده بعد الاكوان وهؤلاء هم الذين
يستدلون بالآثار على المؤثر ومنهم من شاهده مع الاكوان والمعية ههنا امامعية
اتصال وهو شهوده فى الاكوان وامامعية انفصال وهو شهوده عند الاكوان
وهذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا مكانية لان الزمان والمكان من جملة
الاكوان والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم من معانيهما
فانهما أيضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل هذه الامور والتفرقة بين هذه
الحقائق على ماهى عليه موكول الى أربابه فلنقتصر على ماذكرناه فههنا زلت
أقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات منكرة
فى الشرع فكفروا بذلك وبدعوا فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك

حسب ما تقتضيه طبائعها وليس لها وجود فى ذاتها واذا كان كذلك (فمن رأى الكون) أى شيأ منه (ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه) أى فاته (وجود الانوار) الالهية التى يدرك بها مشاهدة الله على أى وجه من الوجوه المذكورة (وحجبت عنه شموس المعارف) أى المعارف التى كالشموس (بسحب الآثار) أى بالآثار وهى الاكوان
ى كالسحب جمع سحاب [illegible] بجامع ان كلا يحجب ما وراءه وأشار المصنف رحمه الله
لك الى اختلاف أحوال أرباب المشاهدة فى شهودهم فمنهم من يشاهد المكون قبل الاكوان فاذا وقع
ره على شئ كحيوان شاهد قيام الحق به وظهوره فيه وانه المحرك والمسكن له قبل أن يحضر له كونه
ميا أو شاة طويلا أو قصيرا الى غير ذلك ومنهم من يشاهد ذلك بعد كونه حيوانا ومنهم من يشاهده معه
ومنهم من يشاهده فيه وهو ظرف متسع وهذا تقريب للافهام والا فهذا أمر لا يدركه الا بالذوق وما كان
ذلك تقصر عنه العبارة

بقوله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير سبحانه لا إله غيره * (مما يدلك
على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه) اتفقت مقالات
العارفين والمحققين واشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكرناه قبيل هذا من ان
ماسوى الله تعالى عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله سبحانه
وتعالى اذ لو وصف به لكان ذلك شركة واثنينية وهو مناقض لاخلاص التوحيد
قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق
كلمة قالها الشاعر ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
قال بعض العارفين أبى المحققون أن يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود
القيومية واحاطة الديمومية وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا
لننظر الى الله ببصر الايمان والايقان فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به
على الخلق هل في الوجود شيء سوى الواحد الحق فلا نراهم وان كان ولا بد فنراهم
كالهباء في الهواء ان فتشتهم لم تجدهم شيأ وقال أيضا رضي الله عنه قوي علي
الشهود مرة فسألته أن يستر ذلك عني فقيل لي لو سألته بما سأله موسى كليمه وعيسى
روحه ومحمد صفيه صلوات الله عليهم أجمعين لم يفعل ولكن سله أن يقويك
فسألته فقواني قال ابن عطاء في التنوير فما سوى الله تعالى عند اهل المعرفة
لا يوصف بوجود ولا فقد اذ لا يوجد معه غيره لثبوت أحديته ولا فقد لغيره لانه
لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان ولأشرق
نور الايقان فغطى وجود الاكوان وهذا الكلام هو بسط ما ذكره في هذا
الكتاب وقال بعضهم لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع فانه لا غير معه حتى أشهده
معه وقال الشاعر

مذ عرفت الاله لم أر غيرا * وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا * وأنا اليوم واصل مجموع

وقال آخر

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بأنك والعوالم كلها * لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا بأن لم يشهدوا * شيأ سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا * في الحال والماضي والاستقبال

وقد صنفوا في بيان هذا الاصل تصانيف وتفننوا في الكلام في هذا المعنى نظما
ونثرا وكل عبر على حسب شربه وذوقه جزاهم الله عنا خيرا فاذا تقرر هذا ووجدنا
أكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى بشهواتهم الدنيوية ودرجاتهم الاخروية

معه اتفقت مقالات العارفين واشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكر من أن ماسوى الله عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله تعالى قال بعض العارفين أبى المحققون أن يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية اه فمع كون ما ذكر عدما فهو حجاب عن الله تعالى فان الناس لا يشهدون عند نظرهم الاكوان الا هي ولا يشاهدون مكونها مع انها لا وجود لها والوجود انما هو له سبحانه فهذا مما يقضي منه العجب ثم ذكر
أدلة تدل على انه لا ينبغي ان يحتجب بتلك الاكوان وان الاحتجاب بها للعامة والعوام فقال ومقامهم

(كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء) بما أشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم فبظهوره في الاشياء ظهرت واذا كان ظهور الاشياء متوقفا عليه فيستحيل أن تحجبه حتى يكون خفيا غير ظاهر فان الاظهار للغير يفيد ظهور المظهر لا خفاءه (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء) حتى استدل عليه المستدلون بالاشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق وذلك لان الاثر يدل على المؤثر و يعرف به فهذا مقام المستدلين الضعفاء (كيف يتصور * (٢٧) أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء) بذاته كما يقوله أهل الشهود أو بمحاسن صفاته وأسمائه كما يقوله أهل الحجاب فالاشياء كلها مجالي ومظاهر لظهور معاني أسمائه التي هي تفاصيل معاني صفاته فيظهر في أهل العزة كونه معزا وفي أهل الذلة كونه مذلا وفي الاحياء معنى اسمه المحيي وعند سلب الارواح معنى اسمه المميت وعند العطاء معنى اسمه المعطي وعند المنع معنى اسمه المانع وعند افاضة الفضل معنى اسمه الكريم وعند اجابة الدعاء معنى اسمه المجيب وعند تسليطه المضار وجلب المنافع معنى اسمه الضار النافع الى غير ذلك (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء) أي تجلى لكل شيء حتى عرفه ولذا كان ساجدا له ومسبحا بحمده ولكن لا نفقه ذلك فكل شيء عارف به على قدر تجليه له وان كان في الاشياء من لا يقدر الله حق قدره لنقص معرفته وقصوره وهم [illegible] أبدا

ومقاماتهم العلوية فكل ذلك من الاغيار العدمية والوجودات الوهمية علمنا بذلك وجود قهره اذ من أسمائه تعالى القهار ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن أنفسهم وارادتهم وبقوا بربهم وكانوا عبيد الله حقا وقد سئل أبو سعيد بن الاعرابي رضي الله عنه عن الفناء فقال الفناء أن تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والاحوال والدرجات والمقامات والاذكار وتفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وعن فنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء لانه يغرق في التعظيم اه قالوا والفناء على ثلاثة أوجه فناء في الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله وفناء في الصفات أي لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله وفناء في الذات أي لا موجود على الاطلاق الا الله تعالى وأنشدوا في ذلك

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * فكان فناؤه عين البقاء

وقال سيدي يحيى بن معاذ من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وأنشدوا في هذا المعنى

من أبصر الخلق كالسراب * فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود يراه رتقا * بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه * هناك يهدي الى الصواب
فلا خطاب به اليه * ولا مشير الى الخطاب

(كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء) بما أشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم * (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء) حتى استدل عليه المستدلون بالاشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم * (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء) اذ هو المتجلي فيها بمحاسن صفاته وأسمائه * (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء) في ظهوره لذلك الشيء ولذلك كان ساجدا له ومسبحا بحمده

كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الظاهر قبل وجود كل شئ) لتحقق هذا الاسم له أزلا وأبدا فظهوره تعالى ذاتى له غير مكتسب ولا مستفاد ولا معلول وظهور الاكوان ناشئ من تجليه عليها بصفة الظهور فكيف تكون حاجبة له (كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ) لان الوجود أظهر من العدم على كل حال ولان الظهور الذاتى أقوى من العرضى والظهور المطلق أقوى من المقيد والدائم أقوى من المنصرم وانما لم يدرك العقول مع شدة ظهوره لان شدة الظهور لا تطيقها الضعفاء كالخفاش يبصر بالليل دون النهار لا لخفاء النهار واستتاره بل لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا أشرقت فيكون شدة ظهور النهار مع ضعف *(٢٨)* بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيأ الا اذا امتزج الظلام بالضوء ضعف ظهوره فكذلك العقول ضعيفة وجمال الحضرة الالهية فى غاية الاشراق والاستنارة فصارت شدة ظهوره سببا لخفائه (كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ) اذ كل شئ سواه عدم لا وجود له على التحقيق فليس ثم شئ يحجبه اذ الوجود الحقيقى كله له ولا شئ منه لغيره (كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أقرب اليك من كل شئ) لثبوت [illegible] الله احاطته بك وقيوميته عليك قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد فهو قريب لذاته عند أهل الشهود وأما أهل الحجاب فيقولون هو قريب بعلمه وقدرته وارادته الى غير ذلك (كيف يتصور أن يحجبه شئ ولولاه ما كان وجود كل شئ) حتى استدل به المشاهدون على الاشياء قال تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ولو أسقط لفظ كل لكان أظهر فى افادة العموم والقصد بهذا الكلام المبالغة فى نفى الحجاب فلا يذكر كونه هذا الوجه يعنى الوجه الاول وبعضهم أثبت التغاير بينهما عما فيه كفعة يا عجبا كيف يظهر الوجود فى العدم) لان العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان (أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم) لان الحادث باطل والله تعالى حق

ولكن لا نفقه ذلك *(كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الظاهر قبل وجود كل شئ) لتحقق هذا الاسم له أزلا وأبدا *(كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ) لان الوجود أظهر من العدم على كل حال *(كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ) اذ كل ما سواه عدم لا وجود له على التحقيق *(كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أقرب اليك من كل شئ) لثبوت احاطته بك ووجود قيوميته عليك *(كيف يتصور أن يحجبه شئ ولولاه ما كان وجود كل شئ) حتى استدل به الشاهدون على الاشياء كما قال الله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد *(يا عجبا كيف يظهر الوجود فى العدم) لان العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان *(أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم) لان الباطل لا يثبت مع ظهور الحق كما قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقال عز من قائل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (قلت) وهذا الفصل من قوله الكون كله ظلمة الى هنا أبدع فيه المؤلف غاية الابداع وأتى فيه بما تقر به الاعين وتلذ به الاسماع فانه رضى الله عنه ذكر جميع متعلقات الظهور وأبطل بحجابية كل ظلام ونور وأراك فيه الحق رؤية عيان وبرهان ورفعك من مقام الايمان الى أعلى مراتب الاحسان كل ذلك فى أوجز لفظ وأفصح عبارة وأتم تصريح وألطف اشارة فلو لم يكن فى هذا الكتاب الا هذا الفصل لكان كافيا شافيا فجزاه الله عنا خيرا ثم قال رضى

والباطل لا يثبت ظهوره مع الحق قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالظاهر والثابت هو الحق تعالى لا الكون وما بدا الا وجه الحق فهو المظهر والظاهر والموجود دون كل المظاهر والتعجب المذكور ناشئ من غلبة الشهود فانه اذا قوى على العبد اضمحلت الاكوان في نظره وفنى عنها بالمرة (ما ترك من الجهل شيأ من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه) فاذا كان المريد في حال بدني أو قلبي لا يذمه الشرع لزمه *(٢٩)* حسن الادب في اختيار بقائه عليه ورضاه به حتى يقيمه الله عنه فاذا كان متجردا وتعلق قلبه بالتكسب أو كان في صنعة وأراد الانتقال عنها لغيرها كان قليل الادب مع مولاه جاهلا بما يناسب حضرته وكذا ان كان في حال قبض وأراد الانتقال عنه الى البسط قال بعضهم لي منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته وهذا من نتائج العلم بالله ومعرفة ربوبيته فان سخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال عنها بنفسه وأراد ان يحدث غير ما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه وإساءة الادب في حضرته وهذا من معارضة حكم الوقت الذي تشير اليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة

الله عنه (ما ترك من الجهل شيأ من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه) اذا أقام الله تعالى العبد في حال من الاحوال التي لا يذمها الشرع فليلتزم حسن الأدب في اختيار بقائه عليها ورضاه بها وليراقب الله تعالى في مراعاة آدابها وليوافق مراد الله تعالى في ذلك حتى يكون هو الذي ينقله عنها قال أبو عثمان رضي الله تعالى عنه منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته وقد تقدمت حكاية المؤلف رحمه الله تعالى مع شيخه أبي العباس المرسي حين عزم على التجرد وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما أجابه به الشيخ رضي الله تعالى عنه وهذا من نتائج العلم بالله تعالى ومعرفة ربوبيته فان سخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال عنها بنفسه وأراد أن يحدث غير ما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه وأساء الادب في حضرة مولاه عز وجل وهذا من معارضة حكم الوقت الذي تشير اليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى في ذلك الوقت فهو أدب العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى وهذا هو أحد معاني لفظ الوقت في اصطلاحهم قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لانفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت أي انه مستسلم لما يبدو من الغيب من غير اختيار وهذا فيما ليس لله عز وجل عليهم فيه أمر أو اقتضاء بحق شرع اذ التضييع لما أمرت به واحالة الامر فيه على التقدير وترك المبالاة لا بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين ومن كلامهم الوقت سيف أي كما أن السيف قاطع فالوقت بما يقضيه الحق ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه بترك الرضا انتكس وتردى

وأنشدوا وكالسيف ان لاينته لان مسه * وحداه ان خاشنته خشنان

ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت هذا كلام الامام أبي القاسم وهو موافق لما ذكره صاحب الكتاب والله الموفق

(احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس) فاذا كان المريد مشتغلا بحال من احوال
دنياه وكان ذلك يمنعه من الاعمال التي يتوصل بها الى حضرة مولاه وأحال ذلك على فراغه من تلك
الاشغال فقال اذا تفرغت عملت كان ذلك دليلا على رعونة نفسه وللرعونة ضرب من الحماقة وذلك
لتسويفه العمل الى فراغ أوانه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك ويزداد شغله لان اشغال الدنيا
يتداعى بعضها الى بعض ولو فرض انه تفرغ منها فقد يتبدل عزمه وتضعف نيته فالواجب عليه النهوض
الى ما يوصله الى مولاه قبل الفوات ولذا قيل الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك (لا تطلب منه أن يخرجك
من حالة) دنيوية كصناعة أو دينية كطلب * (٣٠) * علم (ليستعملك فيما سواها)
انه مهملك ان
حالة انت فيه عائق
عن نهوضك
لحضرته (فلو
أرادك) أي
أحبك وكنت من
أهل الارادة
(لاستعملك)
[illegible] المحبوبا
عنده من تلك
الاعمال المانعة
ونقلك فابك به
(من غير اخراج)
أي مع بقائك
على حالتك التي
أنت عليها فاذا
كان المريد على
حالة لا توافق
غرضه وكانت
مباحة في الشرع
لا ينبغي له أن يروم

(احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس) اذا كان العبد متلبسا
بحال من أحوال دنياه وكان له فيها شغل يمنعه من العمل بالاعمال الصالحة وأحال
ذلك العمل على فراغه من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت فذلك من رعونة
نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وحماقته من وجوه الاول ايثار الدنيا على الآخرة
وليس هذا من شأن عقلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلب منه قال الله تعالى بل
تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى والثاني تسويفه بالعمل الى أوان فراغه
وقد لا يجد له مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك أو يزداد شغله لان أشغال الدنيا
يتداعى بعضها الى بعض كما قيل فما قضى أحد منها لبانته * ولا انتهى أرب الا
الى أرب والثالث انه قد يتفرغ منها الذي يرضيه من تبدل عزمه وضعف نيته ثم
فيه من دعوى الاستقلال ورؤية الحول والقوة في جميع الاحوال ما يستحق ترفه
جنبه جميع هذا بل الواجب عليه أن يبادر الى الاعمال على أي حال كان وان
ينتهز فرصة الامكان قبل مفاجأة الموت وحلول الفوت وان يتوكل على الله
تعالى في تيسيرها عليه وصرف الموانع الحائلة بينها وبينه وما أحسن قول ابن
الفارض في هذا المعنى

وعد من قريب فاستجب واجتنب غدا * وشمر عن الساق اجتهادا بنهضة
وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى * واياك مهلا فهي أخطر علة
وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك الـ * ـبطالة ما أخرت عزما لصحة
وجد بسيف العزم سوف فان تجد * تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

(لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو أرادك لاستعملك
من غير اخراج) كما انه اذا كان المرء على حالة لا توافق غرضه كانت متعلقة بالدين

الخروج منها بنفسه ويعارض حكم الوقت كما مر في قوله ما ترك من الجهل شيئا الخ وكذا لا ينبغي او
له أن يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه أن يخرجه منها ويستعمله فيما سواها لان هذا من التخيير
على الله ولا خيرة له في ذلك بل لا ينبغي أن يطلب حسن الادب معه وايثار مراده على اختياره فاذا علم منه
الله ذلك استعمله بما يحبه عنده مع بقائه على ما هو عليه فيكون اذ ذاك مرادا لله لا مرادا لنفسه
ويدخر له مما اختاره ولو قال لحصل المطلوب من غير احراج لكان أولى اما لو كان على حالة لا توافق
غرضه يجب عليه المسارعة الى الانتقال والطلب من مولاه أن يقهره الى ما يرضيه

(ما أرادت همة سالك) أي سائر الى الله تعالى (أن تقف عندما كشف لها) في أثناء السلوك من المعارف والاسرار والانوار وأن ترى أن * (٣١) * ما وصل اليه من المعرفة وذوق الاحوال ومنازلة المقامات هو الغاية القصوى والنهاية فتقف همته عنده وينقطع ويحتمل أو يرى أن ما فوقه أعظم منه لكنه يقنع بذلك ويرى أن فيه الكفاية فلا يرقى بهمته أو يرى قصور همته عن الرقى لما فوقه (الا ونادته هواتف الحقيقة) أي الهواتف التي تهتف على قلبه من جهة الحقيقة الالهية ويحتمل أن المعنى الا ناداه لسان حال الحقيقة التي كشفت له سر وجد في السير لا تقف فان (الذي تطلبه) وهو وصولك الى المولى وعدم ركون قلبك الى شئ سواه (أمامك) ولا تقف عندما كشف لك (ولا تبرجت) أي أظهرت لك محاسنها (ظواهر المكونات) كتسخير الخلق لك واقبالهم عليك والتوسعة في الدنيا وظهور خوارق العادات كتسخير الحيوانات والمشي على الماء والتربع في الهواء والاطلاع على أسرار الخلائق وخواص الموجودات وتكثير القليل من الطعام وطي الارض ونحو ذلك مما تميل النفس له (الا ونادتك حقائقها) أي بواطنها نداء معنويا وان لم تسمعه (انما نحن فتنة) أي ابتلاء واختبار (فلا تكفر) أي فلا تفتتن بنا ولا تقف عندنا ولا تجعل نفسك رقا لنا فتحجب بنا عن الله لان ذلك كفر

أو بالدنيا لا ينبغي أن يريد الخروج منها لنفسه ويعارض حكم وقته فيحدث فيه غير ما أظهره الله فيه كما تقدم في قوله ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه مع التزام طاعته ودوامها وأن لا يكون في ذلك مخالفة أمر ولا ارتكاب نهي فينبغي له أيضا أن لا يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه أن يخرجه منها أو يستعمله فيما سواها لان هذا من التخيير على الله تعالى ولا خيرة له في ذلك بل ينبغي له حسن الادب معه وايثار مراده به على اختياره هو وحينئذ يتحقق بحال يتعرف فيها محبة الله تعالى وارادته له فيستعمله استعمالا محبوبا له مع بقائه على حالته التي هو عليها فيكون اذ ذاك بمراد الله تعالى له لا بمراده لنفسه وهو خير مما اختاره قال في التنوير يحكى عن بعضهم انه كان يقول وددت لو أني تركت كل الاسباب وأعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك أن يستريح من تعب الاسباب قال فسجنت ثم كنت في السجن يؤتى الي كل يوم برغيفين فطال ذلك علي حتى ضجرت ففكرت يوما في أمري فقيل لي انك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية فأعطيناك ما طلبت فاستغفرت من ذلك ورجعت الى الله تعالى فاذا باب السجن يقرع فتخلصت وخرجت قال فيه فتأدب بهذا أيها المؤمن ولا تطلب أن يخرجك من أمر ويدخلك فيما سواه اذا كان ما أنت فيه مما يوافق لسان العلم فان ذلك من سوء الادب مع الله تعالى فاصبر لا تطلب الخروج بنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيأ وداخل في غيره ليجد الثروة والراحة فيتعب وقوبل بوجود التعسير عقوبة لوجود الاختيار اه كلامه في التنوير وهو كالتفسير لما ذكره هنا فلذلك أوردته

(ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر)

السائر الى الله تعالى يتجلى له في أثناء سلوكه أنوار وتبدو له أسرار فان أرادت همته أن تقف عندما كشف لها من ذلك لاعتقاده أنه وصل الى الغاية القصوى والنهاية من المعرفة نادته هواتف الحقيقة المطلوب الذي تطلب أمامك فجد في السير ولا تقف وان تبرجت له ظواهر المكونات بزينتها فمال الى حسنها وجمالها نادته حقائقها الباطنة انما نحن فتنة فلا تكفر وغض عينيك عن ذلك ولا تلتفت اليه ودم على سلوكك وسيرك واعلم أنه ما دامت لك همة وارادة

فأنت بعيد في الطريق لم تصل فلو فنيت عنها لوصلت وما أحسن قول الشيخ أبي الحسن التستري في هذا المعنى

ولا تلتفت في السير غيرا فكل ما * سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه * حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي * عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب * فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

وقد رأيت لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه كلاما حسنا مناسبا لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ههنا من الترقي في الاحوال بظهور النقص في رؤية الكمال فرأيت أن أذكره ههنا بنصه لما فيه من سني الفوائد وشريف المقاصد قال رضي الله عنه اعلم أنك اذا أردت أن يكون لك نصيب مما لاولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة الا من يدلك على الله تعالى باشارة صادقة وأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة وأعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيأ على ذلك بل كن في ذلك عبد الله أمرك أن ترفض عدوه فان أوتيت بهاتين الخصلتين الاعراض عن الناس والزهد في الدنيا فأقم مع الله بالمراقبة والتزام التوبة بالرعاية والاستغفار والانابة والخضوع للاحكام بالاستقامة وتفسير هذه الوجوه الاربعة أن تقوم عبدا لله فيما تأتي وما تذر وتراقب قلبك أن لا يرى قلبك في المملكة شيأ لغيره فان أتيت بهذا ناداك هواتف الحق من أنوار العز انك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام مع الله تعالى بالمراقبة وأنت تسمع قوله وكان الله على كل شئ رقيبا فهنالك يدركك من الحياء ما يحملك على التوبة مما ظننت أنه قربة فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك أن لا يشهد ذلك منك بحال فتعود الى ما خرجت عنه فان صحت هذه منك ناداك الهواتف أيضا من قبل الحق تعالى التوبة منه بدت والانابة منه تبعها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهنالك تظهر أوصافك فتستعيذ بالله منها وتأخذ في الاستغفار والانابة والاستغفار وطلب الستر من أوصافك بالرجوع الى أوصافه فان كنت بهذه الصفة أعني الاستغفار والانابة ناداك عن قريب اخضع لاحكامي ودع عنك منازعتي واستقم مع ارادتي برفض ارادتك وانما هي ربوبية تولت عبودية وكن عبدا مملوكا لا تقدر على شئ فهل رأيت منك قدرة وكلتك اليها وأنا بكل شئ عليم فان صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هنالك على أسرار لا تكاد تسمع من أحد من العالمين (طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه) وطلبك لغيره لقلة حيائك منه

(طلبك منه اتهام له) يعني ان المريد ينبغي له أن يشتغل في حال سلوكه بما يقربه من مولاه من الاعمال الصالحة ولا يشغل قلبه بالطلب لشئ من الاشياء لان ذلك مذموم قاطع عن الله فان طلبك منه ان يرزقك بالقوت الذي يعينك على سيرك وأن يوسع عليك الرزق تهمة منك له بانه لا يرزقك اذ لو وثقت به في ايصال منافعه اليك من غير سؤال وتيقنت انه عالم بحاجتك قادر على ايصالها لك لما طلبت منه شيأ (وطلبك له) بأن تطلب قربك منه وزوال الحجاب عنك حتى تشاهده بعين قلبك (غيبة منك عنه) وطلبك
اذ الحاضر لا يطلب (وطلبك لغيره) من الاعراض الدنيوية وزخارفها ومناصبها

ومن المكاشفات والكرامات والأحوال والمقامات (لقلة حيائك منه) إذ لو حصل لك حياء منه لما التفت
إلى غيره. طلبت شيأ سواه (وطلبك من غيره) بأن توجهت إلى بعض الناس لتطلب منه شيأ من أعراض
الدنيا غافلا في حال الطلب عن مولاك (لوجود بعدك عنه) إذ لو كنت قريبا منه لكان غيره بعيدا
عنك ولو كنت مشاهدا لقربه منك لاكتفيت به عن سائر خلقه لكن وجود البعد قضى عليك بالشعور
بالغير حتى توجهت إليه وطلبت منه فالطلب كله من المريدين معلول سواء كان متعلقا بالحق أو الخلق
إلا ما كان على وجه التعبد والتأدب واتباع الأمر وإظهار الفاقة أما العارفون فلا يرون غير الله
تعالى فطلبهم ليس من المخلوق في الحقيقة وإن كان منه بحسب الظاهر (ما من نفس) بفتح الفاء وهو
جزء من الهواء يخرج من باطن البدن في جزء من الزمن والمعنى أن كل نفس من أنفاسك تبديه أي
تظهره بقدرة الله تعالى لا تبديه *(٣٣)* (الا وله) تعالى (فيك قدر) أي أمر مقدر عليك
من طاعة أو معصية أو نعمة أو بلية (يمضيه) أي يبرزه بقدرته في ذلك النفس فكل نفس يبدو منك ظرف لقدر من أقدار الحق ينفذ فيك كائنا ما كان فينبغي لك الأدب معه ومراقبته في كل نفس من أنفاسك فتكون في كل نفس سالكا طريقا إلى الحق سبحانه وتعالى
وهو معنى قولهم الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق (لا تترقب) أيها المريد
(فروغ الأغيار) الواردة على قلبك وهي ظلمات تحدث فيه تحول بينه وبين شهود المولى والحضور
معه (فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه) من الأعمال التي تتوصل بها إليه
فالمطلوب منك المواظبة على ما أنت فيه ومراقبة المولى في ذلك ولا تشتغل بما يورده على قلبك من
ظلمة أو نور ولو قال فإن ذلك يقطعك عما هو مقيمك فيه لكان أولى ووجه كونه قاطعا أن نفسك تسول
لك وتقول لو كنت من أهل الإرادة لما وردت هذه الأغيار عليك مع كثرة عبادتك فيشتغل قلبك
بهذه الوساوس وربما سولت لك الرجوع عما أنت قاصده وترك الأعمال الصالحة وسبب هذه
الأغيار غالبا ما يرد عليك من أكدار الدنيا وذلك أمر لابد منه ولذا قال

(وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه) الطلب الذي يتصور من العبد على أربعة
أوجه كلها مدخولة معلولة طلبه من الله وطلبه له وطلبه لغيره وطلبه من غيره
فطلبه من الله تهمة له إذ لو وثق به في إيصال منافعه إليه من غير سؤال لما طلب منه
شيأ وطلبه له غيبة عنه إذ الحاضر لا يطلب وطلبه لغيره قلة حياء منه إذ لو استحيا
منه لانقبض عما يكره له من طلبه لغيره ومن حق الحياء منه أن لا يذكر معه
غيره ولا يؤثر عليه سواه وطلبه من غيره لوجود بعده عنه إذ لو كان قريبا منه
لكان غيره بعيدا عنه فلا يطلب منه فالطلب كله عند الموحدين العارفين
معلول سواء كان الطلب متعلقا بالحق أو بالخلق إلا ما كان من الطلب على وجه
التأدب والتعبد واتباع الأمر وإظهار الفاقة والفقر فحينئذ تزول العلة عنه
*(ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه) الأنفاس أزمنة دقيقة تتعاقب على
العبد ما دام حيا فكل نفس يبدو منه ظرف لقدر من أقدار الحق تعالى ينفذ
فيه كائنا ما كان فإذا كانت جزئيات العبد وأوقاته قد استغرقتها أحكام الله
تعالى وأقداره وكان جميع ذلك يقتضي منه حقوقا لازمة من حقوق الله تعالى
يقوم بها وهو مطالب بذلك ومسؤول عنه وعن أنفاسه التي هي أمانة للحق عنده لم
يبق له إذن مجال لتدبير أمور دنياه ولا محل لمتابعة شهوته وهواه *(لا تترقب
فروغ الأغيار فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه) إذا

أقام الله تعالى عبدا في سبب من الاسباب فالواجب عليه أن يوفيه حقه ويلتزم فيه الادب ولا يترقب وقتا ثانيا يكون فيه فارغا منه فان تأميله للوقت الثاني يمنعه من القيام بحق الوقت الاول فيما أقيم فيه وتوفيته بما يجب له وهو خلاف الامر المطلوب منه فليجتنب ذلك المريد قال أبو حفص رضي الله تعالى عنه الفقير الصادق هو الذي يكون في كل وقت بحكمه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه وقال سهل بن عبد الله رضي الله تعالى عنه اذا جنك الليل فلا تؤمل النهار حتى تسلم ليلتك تلك وتؤدي حق الله فيها وتنصح فيها لنفسك واذا أصبحت فكذلك وسئل سهل رضي الله تعالى عنه متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير وقتا غير الوقت الذي هو فيه قال البغوي في تفسيره عند قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير الشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون لننظر شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون

٭(لا تستغرب وقوع الاكدار مادمت في هذه الدار فانها ما أبرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها) جعل الله تعالى الدنيا دار فتنة وابتلاء ليعمل كل أحد فيها على مقتضى ما سبق له ويوفى جزاءه في الدار الآخرة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وعمل كل واحد فيها انما هو بمخالفة شهوات نفسه أو موافقتها وذلك لامحالة يستدعي وجود محبوب أو مكروه بفعل أو بترك فمن ضروريات الدنيا وجدان المكاره والمشاق فيها فتقع الاكدار بسبب ذلك أيضا فحاصل الدنيا أمور وهمية انقادت طباع الناس اليها وهي لا تفي بجميع مطالبهم لضيقها وقلتها وسرعة تقضيها وتقلبها فتجاذبوها بينهم فتكدر عيشهم ولم يحصلوا على كلية اغراضهم كما قيل في المعنى

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها ٭ على انهم فيها عراة وجوع
أراها وان كانت تحب كأنها ٭ سحابة صيف عن قريب تقشع

فلا تستغرب وقوع أمثال هذا فانه ما ظهر منها الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها من وجدان المكاره التي هي ذاتية لها قال بعض الحكماء لولا أن الدنيا مبنية على المكاره لجعلت منفعة الاهلين في الوزن وسيأتي التنبيه على الحكمة في هذا عند قوله انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها وفي بعض الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه انه قال من طلب مالم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وما ذاك قال الراحة في الدنيا وفي معناه أنشدوا

تطلب الراحة في دار العنا ٭ خاب من يطلب شيئا لا يكون

وقال بعض البلغاء ملتمس السلامة في دار المتالف والمعاطب كالمتمرغ على مزاحف الحيات ومداب العقارب وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه الدنيا كلها غموم

في هذه الدار فانها ما أبرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها) أي وصفها المستحق ونعتها الواجب أي اللازم من ضرورياتها وجود المكاره والمشاق فيها وسيأتي التنبيه على حكمة ذلك بقوله وانما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوقوع الاكدار تزهيدا لك فيها ومن كلام جعفر الصادق رضي الله عنه من طلب مالم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق قيل له وما ذاك قال الراحة في الدنيا فينبغي للمريد الصادق أن لا يلتفت لذلك ويجد في السير حتى تطلع عليه شمس المعرفة فينمحي عنه وجود الاغيار وتزول عنه الاكدار بمشاهدة العزيز الغفار ثم قال

فما كان منها في سرور فهو ربح وقال الامام الجنيد رضى الله تعالى عنه لست أستبشع ما يرد على من العالم لانى قد أصلت أصلا وهو ان الدنيا دار هم وغم وبلاء وفتنة وان العالم كله شر ومن حكمه أن يتلقانى بكل ما أكره فان تلقانى بكل ما أحب فهو فضل والا فالاصل هو الاول وقال أبو تراب رضى الله تعالى عنه يا أيها الناس أنتم تحبون ثلاثة أشياء وليس هى لكم تحبون النفس وهى لهواها وتحبون الروح والروح لله وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون اثنين ولا تجدونهما الراحة والفرح وهما فى الجنة فالواجب على العبد أن لا يوطن على الراحة فى الدنيا نفسا ولا يركن فيها الى ما يقتضى فرحا وأنسا وان يعمل على قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه الدنيا سجن المؤمن فتوطين العبد على المحن فى دنياه يهون عليه ما يلقاه ويجد السلوان عند فقدان ما يهواه كما قيل فى المعنى

يمثل ذو اللب فى لبه * شدائده قبل أن تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه * لما كان فى نفسه مثلا
رأى الامر يفضى الى آخر * فصير آخره أولا
وذو الجهل يأمن أيامه * وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان * ببعض مصائبه أعولا
ولو قدم الحزم فى نفسه * لعلمه الصبر عند البلا

فليتلق المريد ما يرد عليه من ذلك بالصبر والرضاء والاستسلام عند جريان القضاء فعن قريب ان شاء الله ينجلى الامر ويستوجب من الله تعالى جزيل الاجر والله تعالى ولى التوفيق قال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله تعالى عنه قال لى أبو سليمان الدارانى جوع قليل وعرى قليل وذل قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا واعلم أن ما ذكرناه من الصبر هو جماع كل فضيلة وملاك كل فائدة جزيلة ومكرمة نبيلة قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال عز من قائل انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وفى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما ان استطعت أن تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ما تكرهه خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل ان صبرت مضى أمر الله وكنت مأجورا وان جزعت مضى أمر الله وكنت مأزورا وقال على رضى الله عنه الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل العدة الصبر عند الشدة وفى بعض الاخبار انتظار الفرج بالصبر عبادة وقد قال الشاعر

(ماتوقف) أي تعسر (مطلب) من مطالب الدنيا والآخرة (أنت طالبه بربك) اى ملاحظا في حال
طلبه ربك حاضر القلب معه معتمدا عليه في تيسير ذلك المطلب (ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك)
بأن كنت غافلا عنه معتمدا على حولك وقوتك *(٣٦)* فمن انزل حوائجه بالله والتجأ اليه

ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبه * اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا

فمن جعل الصبر معتمده في نوازله واتخذه من أعظم عدده ووسائله فهو مصيب في
رأيه منجح في سعيه ومن جزع من المصائب واضطرب عند وقوع النوائب كان
عاملا فيما يزيده ضرا ويكسبه وزرا ويفوته أجرا وناهيك به خسرا كما قيل

واذا أتتك مصيبة فاصبر لها * عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

وكما قيل أيضا عوضت أجرا من فقيد فلا يكن * فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

(ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) من أنزل
حوائجه بالله تعالى والتجأ اليه وتوكل في أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل
بعيد ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على قوته وحوله وكله
الله الى نفسه وخذله وحرمه توفيقه وأهمله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه وهذا
معلوم على القطع من نصوص الشريعة وأنواع التجارب قلت وكلام المؤلف رحمه
الله تعالى في هذه المسئلة عام يتناول كل مطلب من المطالب الدينية والدنيوية التي
مآل أمرها الى الدين وأشرف تلك المطالب وأكثرها قواطع ومعاطب أخذ
المريد في سلوك سبيل التوحيد ففيه التعلق بالله تعالى أحق وأصوب وفي جميع
جزئياته الرجوع الى الله تعالى أولى وأوجب فلاجرم كان من الرأي السديد والامر
الاكيد أن يخصصه من ذلك العام وأن يفرده بتعقيب هذه المسئلة بمزيد من
الكلام فلذلك قال (من علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله تعالى
في البدايات) للمريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن
صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة به كما ذكرنا
أفلح وأنجح في نهايته وكان وصوله الى الله تعالى فأمن عليه من الرجوع
والانقطاع قال بعض المشايخ ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا
ما رجعوا ومن لم يصحح ذلك بما ذكرناه من تعلقه بالخلق وفراره اليهم من نفسه
والخلق انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العلماء من ظن انه يصل الى الله
تعالى بغير الله تقطع به ومن استعان على عبادة الله تعالى بنفسه وكل
الى نفسه فعلى العبد السالك أن يجعل معتمد أمره الاستعانة بالله

وتوكل في أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر له كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على حوله وقوته وكله الله تعالى الى نفسه وخذله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه ولما كان من أشرف المطالب وأقربها القواطع والمعاطب أخذ المريد في سلوك الطريق خصصه من العموم لزيادة الاعتناء به فقال (من علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله في البدايات) بداية المريد

حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله والتوكل عليه تعالى
والاستعانة به أن يوصله اليه لا على أعماله المعلومة نجح في نهايته أي حصل له الوصول وأمن عليه من
الرجوع من الطريق ومن لم يصحح ذلك بما ذكرناه انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العارفين من
ظن انه يصل الى الله بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله بنفسه وكل الى نفسه ثم قال

تعالى على ما هو بسبيله ولا يرى حول نفسه ولا قوتها في كثير من عمله ولا قليله فهذا
هو أساس السلوك الذي يبنى عليه قواعده (من أشرقت بدايته أشرقت نهايته)
هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما تقدم فاشراق بداية المريد برجوعه الى الله
تعالى في مهماته وثقته به في ملماته واشراق نهايته الوصول الى قربته والحصول
في حضرته (ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر) هذا بيان
علامة يعرف بها حال المريد السالك وما تعمر به باطنه من المزيد المتدارك لان
الظاهر مرآة الباطن كما قيل الاسرة تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجوه
يلوح أثره فما استودعه الله القلوب والاسرار من المعارف والانوار لابد وان
تظهر آثار ذلك على الجوارح فيستدل بشاهد العبد على غائبه من أراد صحبته
والوصلة به وما أشبه هذا من الاغراض والمقاصد قال أبو حفص رضي الله تعالى
عنه حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقيل لما ورد أبو حفص العراق جاء اليه
الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقوفا على رأسه يأتمرون أمره لا يخطئ أحد
منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن
حسن الادب في الظاهر عنوان أدب الباطن قلت وآكد من ذلك أن يعرف المريد
نفسه ويكون من أمرها على بصيرة ولا ينخدع بما يتوهمه من صلاح سريرته دون
علانيته فمن ادعى بقلبه معرفة الله تعالى ومحبته ولم تظهر على ظاهره ثمرات ذلك
وآثاره من اللهج بذكره والمسارعة الى اتباع أمره والاغتباط بوجوده والاستبشار
عند تقرير شهوده والفرار من القواطع الشاغلة عنه والاضراب عن الوسائط
المبعدة منه فهو كذاب في دعواه متخذ الهه هواه فان كان موصوفا باضداد هذه
الخصال منحرفا بظاهره عن جادة الاعتدال فهو في دعواه أكذب وحاله للنفاق
والشرك أقرب قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه قد جعل الله تعالى
وصف الكافرين أنهم اذا ذكر الله وحده في شئ انقبضت قلوبهم واذا ذكر
غيره في شئ فرحوا وجعل من نعوتهم أنهم اذا ذكر الله تعالى بتوحيده وافراده
بشئ غمطوا ذلك وكرهوه واذا أشرك غيره في ذلك صدقوا به فقال تعالى واذا
ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من
دونه اذا هم يستبشرون وقال أيضا ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان
يشرك به تؤمنوا والكفر التغطية والشرك الخلط أي انه يخلط بذكره ذكر
سواه ثم قال فالحكم لله العلي الكبير يعني لا يشركه خلق في حكمه لانه العلي في
عظمته الكبير في سلطانه لا شريك له في ملكه وعطائه ولا نصير له من عباده ففي

(من أشرقت بدايته) بان عمر أوقاته بانواع الطاعات والاوراد وثابر في ذلك كل
المثابرة (أشرقت نهايته) بافاضة الانوار والمعارف عليه وزوال كدورات النفس الحائلة بينه وبين مولاه على وجه أتم وعكسه بعكسه فمن كان قليل الاجتهاد في بدايته لم يحصل له اشراق في نهايته ولو فرض انه فتح عليه كان على وجه أضعف من غيره ويحتمل ان المعنى من أشرقت بدايته بالرجوع الى الله تعالى والالتجاء اليه أشرقت نهايته بحصول الوصول اليه فتكون هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما قبلها وما قلناه أولا أولى وأظهر (ما استودع في غيب السرائر) أي في القلوب الغائبة أي غير
المشاهدة بالابصار من المعارف وأنوار الالهية (ظهر في شهادة الظواهر) أي في الظواهر الشاهدة أي
الحاضرة فما استودعه الله تعالى في القلوب والسرائر من المعارف والانوار لابد ان يظهر أثره على الوجه
والجوارح وهذه علامة يعرف بها حال المريد السالك لان الظاهر مرآة الباطن فيستدل بذلك من

أراد صحبته والاجتماع به لينتفع به (شتان) ى بعد ما (بين من يستدل به) على الاشياء وهم المرادون المجذوبون اليه الذين هم من أهل الشهود اما ابتداء واما بعد السلوك وهم العارفون فانهم لا يشهدون غير مولاهم ويستدلون به على الاشياء (أو) بمعنى الواو (يستدل عليه) وهم المريدون السالكون الى الله تعالى فأهل الله تعالى على قسمين مرادين ومريدين وان شئت قلت مجذوبين وهم أهل الشهود وسالكين فالمريدون السالكون فى حال سلوكهم محجوبون عن ﴿٣٨﴾ ربهم برؤية الاغيار والآثار والاكوان وظاهرة لهم موجودة لديهم والحق غيب عنهم فلم يروه فهم يستدلون بها عليه فى حال ترقيهم والمرادون وهم المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم وتعرف اليهم فعرفوه واحتجبت عنهم الاغيار فهم يستدلون به عليها فى حال تدليهم ان جذبوا ابتداء وبعد سلوكهم ان كانوا من أهله وهم العارفون فانهم من أهل الجذب ايضا لكن شدة عقلهم ومبدأ فى أحوالهم لا يظهر عليهم ولذا قيل نهاية السالك بداية المجذوب وورد أعظم الناس جذبا الانبياء والمرسلون فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما أى بعد ما بينهما وذلك ان (المستدل به) على غيره (عرف الحق) وهو الوجود الواجب (لاهله) وهو الله تعالى أى لم يثبت الوجود الا له سبحانه وتعالى وأما الحوادث فهم عدم محض (فأثبت الامر) وهو الحوادث العدمية (من وجود أصله) وهو الله تعالى أى جعل وجودهم مستفادا من وجود الله تعالى الذى قابلهم وظهر فيهم فوجدوا والا فهم عدم محض فى نظر أرباب الشهود (والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه) فاستدل بغيره عليه على العكس مما ذكر لانه استدل بالمجهول على المعلوم وبالعدم على الوجود وبالامر الخفى على الظاهر الجلى وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب (والا) نقل انه من عدم الوصول (فمتى غاب) أى فلا يدم لانه متى غاب (حتى يستدل عليه) بالاشياء الحاضرة (ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه) أى يستدل بها عليه لانها الاوجود لها معه عند أهل الشهود حتى توصل اليه أما المحجوبون فهم

دليل هذا الكلام وفهمه من الخطاب أن المؤمنين اذا ذكر الله بالتوحيد والافراد فى شئ انشرحت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشر وابذكره وتوحيده واذا ذكرت الوسائط والاسباب التى دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم هذه علامة صحيحة فاعرفها من قلبك ومن قلب غيرك لتستدل بها على حقيقة التوحيد فى القلب أو وجود خفى الشرك فى السران كنت عارفا اه قلت وهذه المسئلة التى تضمنها كلام الشيخ أبى طالب المكى رضى الله عنه من أعظم المسائل على صدق الصادق وكذب الكاذب ومن أوضح الدلائل ولما كان قصدنا فى هذا التنبيه استغنام ذكر الفوائد العجيبة والحرص على رسم المقاصد الغريبة لغربة الدين فى هذا الزمان الرذل واستيلاء الغرة والجهل على المنسوبين الى العلم والفضل حسن منا ايراد هذه الكلمات على جهة ضرب المثل والاكتفاء بالنهل عن العلل ليعمل بمقتضى ذلك مريد سالك ولينتهى من مناصحة ربه فى دينه وقلبه أوضح المسالك واحمل على هذا الاسلوب كل كلام لم تظهر لك مطابقته ولم يتم فى نظرك مناسبته لتسلم بذلك من الاعتراض * وتعلو همتك عن تواطبه أصحاب القلوب المراض عافانا الله من ذلك بمنه وفضله (شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه المستدل به عرف الحق لاهله فاثبت الامر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه) بنو آدم فى أول نشأتهم

وبعد اخلاقهم وخروجهم من بطون أمهاتهم موسومون بالجهل وعدم العلم قال الله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ ثم ان الله تعالى اختص بعضهم بخصوصية عنايته واختارهم من أهله لولايته وماذاك الالحصول العلم الذي تضمنه قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الذي يحقق لهم النسبة ويوجب لهم الزلفى والقربة المشار الى ذلك بقوله تعالى لعلكم تشكرون وجعلهم على قسمين مرادين ومريدين وان شئت قلت مجذوبين وسالكين وكلاهما مرادو مجذوب على التحقيق قال الله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب فالمريدون السالكون الى الله تعالى فى حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الاغيار والآثار والاكوان ظاهرة لهم موجودة لديهم والحق تعالى غيب عنهم فلم يروه فهم يستدلون بها عليه فى حال ترقيهم والمرادون المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم الاكرم وتعرف اليهم فعرفوه به فلما عرفوه على هذا الوجه انحجبت الاغيار عنهم فلم يروها فهم يستدلون به عليها فى حال تدليهم فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما أى بعد ما بينهما وذلك أن المستدل به على غيره عرف الحق الذى هو الوجود الواجب لأهله وهو المختص بوصف القدم وأثبت الامر المشار به الى الآثار العدمية من وجود أصله المشار به الى المؤثر المتحقق وجوده والمستدل بغيره عليه على عكس ماذكرناه لانه استدل بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالامر الخفى على الظاهر الجلى وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب وعدم احتظائه بالوصول والاقتراب والافمتى غاب حتى يستدل عليه بالاشياء الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الآثار القريبة هى التى توصل اليه أوفقد حتى تكون الآثار الموجودة هى التى تدل عليه وأنشد

عجيب لمن يبغى عليك شهادة * وأنت الذى أشهدته كل مشهد

قال فى لطائف المنن واعلم ان الادلة انما تنصب لمن يطلب الحق لا لمن يشهده لان الشاهد غنى بوضوح الشهود عن أن يحتاج الى دليل فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسائل اليها كسبية ثم تعود الى نهايتها ضرورية واذا كان من الكائنات ماهو غنى بوضوحه عن اقامة دليل فالمكون أولى بغناه عن الدليل منها ثم قال ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة اليه فليت شعرى هل لها وجود معه حتى توصل اليه أوهل لها من الوضوح ماليس له حتى تكون هى المظهرة له وان كانت الكائنات موصلة اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذى ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل اليه غير الهيته ولكن الحكيم هو واضع

(حاشية) ٣ يرون الا الاكوان ويستدلون بها عليه وهم قسمان عامة وسالكون لم يصلوا الى مقام الشهود والمراد باستدلال المجذوب الذى حصلت له افاقة انه حينئذ يلاحظ الغير فيثبت وجوده بوجوده سبحانه وثبوته باثباته وليس المراد أنه يستدل حينئذ بالدليل العقلى والنظر الفكرى

ينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه) أى اشارة الى حال الواصلين اليه تعالى فانهم لما خرجوا من سجن
رؤية الاغيار الى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم وأفيض عليهم علوم وأسرار
الهية فصاروا يمدون الغير ويتصرفون فى عوالمهم *(٤٠)* الباطنية كيف شاؤا ومن قدر عليه
رزقه السائرون اليه) أى اشارة الى حال السائرين اليه فهم مقدور عليهم فى أرزاق العلوم والفهوم محبوسون فى مضيق الخيالات والرسوم ينفقون مما آتاهم الله من فضله من الرزق المقدر الضيق على غيرهم ويتصرفون فى عوالمهم على قدر ما أعطاهم الله عزوجل

الاسباب وهى لمن وقف عندها ولم تنفذ قدرته عين الحجاب * (لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السائرون اليه) هذه اشارة ملية الى حال الفريقين فالواصلون الى الله تعالى لما خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم وأنفقوا من سعتهم وتصرفوا فى عوالمهم كيف شاؤا والسالكون اليه مقدور عليهم فى أرزاق العلوم والفهوم محبوسون فى مضيق الخيالات والرسوم ينفقون مما آتاهم الله من الرزق المعلوم المقدر المضيق * (اهتدى الراحلون اليه بانوار التوجه والواصلون لهم أنوار المواجهة فالاولون للانوار وهؤلاء الانوار لهم لانهم لله لا لشئ دونه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) أنوار التوجه هى مصادرهم الى الله تعالى من عبادات ومعاملات ومكابدات ومجاهدات وأنوار المواجهة هى مصادر من الله لهم من تعرف وتقرب وتودد وتحبب فالاولون عبيد الانوار لوجود حاجتهم اليها فى الوصول الى مقصودهم والآخرون الانوار لهم لوجود غناهم عنها بربهم فهم لله لا لشئ دونه وسيأتى هذا المعنى عند قوله أنت مع الاكوان مالم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون افراد التوحيد بعدم ملاحظة الاغيار هو حق اليقين ورؤية ماسوى الله خوض ولعب وهما من صفات الكاذبين والمنافقين قال الله عزوجل اخبارا عنهم وكنا نخوض مع الخائضين وقال الله تعالى بل هم فى شك يلعبون وقال رضى الله تعالى عنه

* (تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب) حكم المريد أن يتشوف الى معرفة ما غاب عنه من معايب نفسه ويطلبها ويبحث

(اهتدى الراحلون) أى السائرون اليه بأنوار التوجه أى الانوار الحاصلة من العبادات والرياضات التى توجهوا بها الى حضرة الرب فان المجاهدة بحسب العادة يحصل منها أنوار فى القلوب يهتدون بها الى الله تعالى حتى يصلوا اليه (والواصلون لهم أنوار المواجهة) أى الانوار التى واجهتهم من حضرة الرب أى أفيضت عليهم حتى عرفوه سبحانه وتعالى (فالاولون للانوار) أى عبيد لها ومحتاجون اليها للتوصل بها الى مطلوبهم (وهؤلاء) أى الواصلون (الانوار لهم) أى ثابتة لهم من غير معاناة ومشقة مع غنائهم عنها بربهم (لانهم لله لا لشئ دونه) قال تعالى (قل الله) أى توجه اليه ولا تمل الى أنوار ولا غيرها (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) فافراد التوحيد بعد فناء الاغيار هو حق اليقين ورؤية ماسوى الله خوض ولعب وذلك من صفات الجهل وبين (تشوفك) أيها المريد (الى ما بطن فيك من العيوب) النفسانية كالرياء وسوء الخلق والمداهنة وحب الرياسة والجاه أى توجه همتك الى زوال ذلك بالرياضة والمجاهدة وطلب التخلص منه ولا يكون فى الغالب الا على يد شيخ كامل ناصح (خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب) من خفايا

ويبحث عنها فان ذلك هو حق الحق تعالى منه فينبغي أن يحرص عليه ويصرف عنها عنان اعتنائه اليه ليحصل له صفاء أعماله من الآفات ونقاء أحواله من الكدورات وينتفي عنه الجهل والغرور وتنقطع من باطنه مواد الشرور وقد ذكر الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه في كتابه رياضة النفس فصلا في الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه فلينظر فيه المريد وقد جعل حاصله أربعة أوجه أحدها أن يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب والآفات فيحكمه في نفسه ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثاني مصاحبة صديق صدوق يجعله رقيبا على أحواله وأعماله لينبهه على ما يخفى عليه من مذام خلاله والثالث أن يستفيد معرفة عيوبه من أعدائه اذ لابد من جريان ذلك على ألسنتهم عند تلبيثهم وغيبتهم والرابع أن يستفيد ذلك من مخالطة الناس اذ يطلع بذلك على مساويهم فاذا اطلع عليها منهم علم أنه لا ينفك هو عن شئ منها لان الطباع البشرية في ذلك متقاربة وقد يظهر له في نفسه ما هو أعظم مما يراه في غيره فيطالب نفسه حينئذ بالتطهر منها والتنزه عنها فهذا تلخيص ما ذكره ثم قال وهذه كلها حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده اه وأما طلبه للغيوب المحجوبة عنه من خفايا القدر ولطائف العبر فانه حظ نفسه لاحق عليه فيه للحق تعالى فليطب عنها نفسا ولا يشغل بها عقلا ولا حسا وما ظهر له منها لا يسكن اليه ولا يعول عليه فان ذلك من المعايب القادحة في عبوديته ولهذا قالوا كن طالبا للاستقامة ولا تكن طالبا للكرامة فان نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولأن تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون بحظ نفسك * ومن الحكايات في هذا المعنى الذي ذكرناه ما روي في الاسرائيليات عن وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل ستة أيام فسأل الله تبارك وتعالى أن يريه كيف تغوي الشياطين على الناس فلما طال ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فأرسل الله اليه ملكا فقال له ان الله تعالى أرسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به أحب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد أحاطت بالارض واذا ليس أحد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب فقال أي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين وسيأتي بيان ان الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا مغتبط بوجودها الذي كل عالم نبيل عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه

القدر ولطائف العبر والاسرار الالهية والمعارف اللدنية والكرامات الكونية لان ذلك حظ نفسك وليس لمولاك شئ منه فلا تقصدها بأعمالك ولا تشغل قلبك بها ولا تركن الى ما ظهر لك منها فان ذلك يقدح في عبوديتك ولذا قالوا كن طالب الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة فان نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولان تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون بحظ نفسك ثم قال

ثم قال (الحق) تعالى (ليس بمحجوب) أى ليس الحجاب وصفا له سبحانه (وانما المحجوب) أى المتصف بالحجاب (أنت) بصفاتك النفسانية (عن النظر اليه) فان

أردت الوصول اليه والدخول فى حضرته فابحث عن عيوب نفسك وعالجها تصل اليه وتشاهده ببصيرتك ثم لتستدل على نفى الحجاب عن الرب بقوله (اذ لوحجبه شئ لستره ماحجبه ودفع بذلك ماتوهم) من عدم استحالة الحجاب فى حقه تعالى لان الحجاب انما يتخذه العظماء والرؤساء فهو ينبئ عن الرفعة ويشعر بالعظمة فمن أين جاءه النقص وحاصل الدفع أنه لوحجبه شئ كما هو شأن العظماء لستره (ولو كان له ساتر لكان لوجوده) أى ذاته (حاصر) لاستلزام الستر انحصار المستور فيه (وكل حاصر لشئ فهو له قاهر) لانه يمنعه مما وراءه ويقصره على محله ويجعله فى أسر قبضته وتحت حكمه وذلك لا يصح فى حقه تعالى لقوله فى كتابه (وهو القاهر فوق عباده) فوقية مكانة وجلالة لا مكان ان قلت كيف جعل الحجب ملزوما والستر لازما مع ان الحجب هو الستر قلت معنى الحجب انما يشعر فى العرف بما تقدم من الرفعة والعظمة ولا يشعر بحصر المحجوب ومعنى الستر على العكس فهو الذى يلزمه مع انحصار المحجوب فجعل لازما فى الشرطية الاولى ليجعل ملزوما فى الثانية والمعنى انا لو نظرنا الى ماتقتضيه عظمته سبحانه من ثبوت الحجاب لكان له ساتر فتغاير المقدم والتالى بهذا التأويل (أخرج) بالرياضة والمجاهدة (من أوصاف بشريتك) المذمومة سواء كانت تلك الاوصاف ظاهرة وهى القائمة بالجوارح كغيبة ونميمة وقتل وسلب أو باطنة وهى القائمة بالقلب ككبر وعجب ورياء وسمعة وحقد وحسد وحب جاه ومال الى غير ذلك ولما كانت أوصاف البشرية شاملة للاوصاف المحمودة كالطاعة والايمان وهى غير مرادة أبدل منها قوله (عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا) لانك اذا خرجت عن تلك الاوصاف المذمومة اتصفت بمحاسن الصفات كالتواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده والخوف منه والاخلاص فى عبوديته فحينئذ يناديك نداء معنويا باسم العبد فيقول لك ياعبدى فتجيبه بقولك لبيك يارب وتكون صادقا فى اجابتك لفقد الصفات منك التى تنافى العبودية وتقتضى الربوبية (و) تكون أيضا (من حضرته قريبا) فتحفظ من الاوزار وتتيسر لك الاعمال وتتلذذ بها والفرق

(الحق ليس بمحجوب وانما المحجوب أنت عن النظر اليه اذ لوحجبه شئ لستره ماحجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشئ فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده) الحجاب على الحق تعالى محال واستدل المؤلف على ذلك بما ذكره هنا وهو بين لا اشكال فيه والحجاب على العبد واجب من حيث ذاته اذ هو عدم كما تقدم ولا نسبة بين العدم والوجود فان أراد الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن شاء كيف شاء متى شاء رأى من ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وهذا مما يجب اعتقاده *(اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا)* أوصاف البشرية المتعلقة بأمر الدين نوعان أحدهما مايتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهى الاعمال

والثانى ما يتعلق بباطنه وقلبه وهى العقود فأما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم قسمين أحدهما ما وافق الامر ويسمى طاعة والثانى ما خالفه ويسمى معصية وأما ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم أيضا الى قسمين أحدهما ما وافق الحقيقة ويسمى ايمانا وعلما والثانى ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا والنظر فيما يتعلق بظاهر العبد يسمى فى الاصطلاح تفقها والنظر فيما يتعلق بباطنه يسمى فى الاصطلاح تصوفا فهذان الامران هما كلية العبد وظاهره تبع لباطنه بالضرورة لان القلب هو الملك والجوارح جنوده ورعيته ومن شأن الرعية طاعة الملك فيما يأمر به وينهى عنه وقد نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب وصلاح القلب انما يكون بطهارته عن الصفات المذمومة كلها دقيقها وجليلها وهذه هى الصفات المناقضة للعبودية من أوصاف البشرية التى أشار اليها المؤلف رحمه الله تعالى وهى التى تسم صاحبها بسمة النفاق والفسوق وهى كثيرة مثل الكبر والعجب والرياء والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه والمال ويتفرع عن هذه الاصول فروع خبيثة من العداوة والبغضاء والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وترك الثقة بمجىء الرزق وخوف سقوط المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغل والغش والمباهاة والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة والجفاء والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة الحياء وترك القناعة وحب الرياسة وطلب العلو والانتصار للنفس اذا نالها الذل وذهاب ملك النفس اذا رد عليه قوله الى غير ذلك من النعوت الذميمة والاخلاق اللئيمة وأصل فروعها وعنصر ينابيعها انما هو رؤية النفس والرضا عنها وتعظيم قدرها وترفيع أمرها فبهذه الامور كفر من كفر ونافق من نافق وعصى من عصى وبها خلع من عنقه ربقة العبودية لربه عز وجل من خلع حسبما يقوله المؤلف رحمه الله تعالى باثر هذا وشأن الصوفى انما هو النظر فيما يطهرها ويزكيها من أنواع الرياضات والمجاهدات وقد بينوا طرق ذلك فى كتبهم قال الشيخ أبو طالب رضى الله تعالى عنه فلا يكون المريد بدلا حتى يبدل بمعانى صفات الربوبية صفات العبودية وأخلاق الشياطين بأوصاف المؤمنين وطبائع البهائم بأوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها يكون بدلا مقربا قال والطريق الى هذا بأن يملك نفسه فيملكها تسخرله ويسلط عليها فان أردت أن تملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها ملكتك وان لم تضيق عليها اتسعت عليك واذا أردت الظفر بها فلا تعرضها لهواها واحبسها عن معتاد ملاذها فان لم تمسكها انطلقت بك وان أردت

أن تقوى عليها فأضعفها بقطع أسبابها وحسم موادها والا قويت عليك فصرعتك اهـ فاذا اقام بذلك المريد على الوجه الذي رسموه له والتزم الوظائف التي أمروه بها طهر قلبه وتزكت نفسه واتصفت بمحاسن الصفات التي تزينه بين العباد وينال بها من قرب ربه غاية المراد فيظهر حينئذ عليه آثار حميدة من التواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده والهيبة له والخوف منه والتذلل لربوبيته والاخلاص في عبوديته والرضا بقضائه ورؤية المنة له عليه في منعه واعطائه ويتصف فيما بين خلقه بالرأفة والرحمة واللين والرفق وسعة الصدر والحلم والاحتمال والصيانة والنزاهة والامانة والثقة والعطف والتأني والوقار والسخاء والجود والحياء والبشاشة والنصيحة وسلامة الصدر الى غير ذلك من أخلاق الايمان التي بها ينال العبد غاية السعادة والحسنى والزيادة قلت وهذان المعنيان هما اللذان يعبر عنهما أئمة الصوفية رضي الله تعالى عنهم بالتخلي والتحلي أي التخلي عن الصفات المذمومة والتحلي بالصفات المحمودة ويعبرون عنهما أيضا بالتزكية والتحلية وهما حقيقة السلوك الذي يعبرون عنه أيضا وستأتي الاشارة الى كيفية ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين فاذا صح للمريد هذا السفر وانقلب منه الى أفضل مستقر تحققت عبوديته لربه عز وجل فلم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وارتقى في القرب من ربه الى أشرف محل فيكون هنالك منزله ومثواه فيكون حينئذ كما قال المؤلف رحمه الله تعالى لنداء الحق مجيبا لانه اذ ذاك مناديه باسم العبد فيقول له يا عبدي فيجيب حينئذ مولاه باسم الرب فيقول له لبيك يا رب فيكون صادقا في اجابته متحققا في نسبته ويكون أيضا من حضرته قريبا بالوجود بعده عن نفسه التي من شأنها النفور عنها والفرار منها فاذا أقامه الحق تعالى مقام العبودية وحاز مرتبة القرب من حضرة الربوبية كان محفوظا من اقتحام الاوزار ميسرا عليه أعمال الاخيار متحليا في الظاهر والباطن بأشرف الحلى محتظيا بفضيلة التشبه بالملا الاعلى قال الله عز وجل ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقد قال الله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال عز من قائل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فمرتبة العبودية انالتهم هذه الخصوصية وكذلك من تشبه بهم في محاسن صفاتهم من الصفوة الصوفية الا أن هؤلاء محفوظون لا معصومون على ما اصطلحوا عليه من الفرق بين الحفظ والعصمة والفرق بينهما هو ما قاله الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه ان المعصوم لا يلم بذنب البتة والمحفوظ قد تحصل منه هنات وقد يكون له في الندرة زلات ولكن لا يكون له اصرار أولئك الذين يتوبون الى الله

من

بين المحفوظ والمعصوم ان المعصوم لا يلم بذنب البتة والمحفوظ قد تحصل له زلات ولكن لا يكون منه اصرار بل يتوب من قريب واعلم أن التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل هو حقيقة السلوك عندهم ولا يتم ذلك الا لمن وفقه الله لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات لان من عرف ذلك منها لا يزال متهما لها مسيئا ظنه بها آخذا حذره منها والا وقع فيما يسخط مولاه من حيث لا يشعر ولذا قال (أصل كل معصية) أي مخالفة * (٤٥) * لما أمر الله به ونهى عنه (وغفلة) للقلب عن حضرة الرب (وشهوة) نفسانية وهي التعلق بما يشغل عن الله تعالى (الرضا عن النفس) باجماع العارفين وأرباب القلوب لان الرضا عنها يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت عليه الغفلة عن الله وبالغفلة يتصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور عليه حينئذ دواعي الشهوات وتغلبه اذ ليس عنده من المراقبة ما يدفعها ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة (وأصل كل طاعة) أي موافقة للامر والنهي (ويقظة) أي دخول في حضرة الرب وتذبه لما يرضيه (وعفة) أي علو الهمة عن الشهوات (عدم الرضا منك عنها) فان من لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متذبها متيقظا للطوارق والعوارض وبالتيقظ يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف حينئذ بالعفة واذا اتصف بذلك كان متجنبا لكل ما نهى الله عنه محافظا على جميع ما أمر الله به وذلك معنى طاعة الله سبحانه ولما كان الرضا عن النفس شأن من يتعاطى العلوم الظاهرية التي لا تدل على عيوب النفس نهى المصنف عن صحبتهم ومخالطتهم فقال

من قريب وقد وصف الله تعالى عباده ذوي التخصيص أولي التطهير والتمحيص في آيات كريمة بصفات جليلة عظيمة وأعد لهم على ذلك خيرات جسيمة فقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى قوله خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما وعليك انظر فيما قاله فيها أهل التفسير وما استنبطه منها أرباب الاشارات والتذكير وأما من عدا هؤلاء فهم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقو حظوظهم الدنيوية قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث وهؤلاء هم من عبيد العدد المعنيين بقوله عز وجل ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا واعلم أنه لا يتهيأ هذا السلوك الى حضرة ملك الملوك الا لمن وفقه الله تعالى لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات ومن عرف ذلك من نفسه لا يزال متهما لها مسيئا ظنه بها آخذا حذره منها والا وقع في المعاصي والذنوب من حيث لا يشعر وقد نبه المؤلف رحمه الله تعالى على هذا بقوله * (أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها) * الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضا عنها أصل الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب وذلك لان الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا كما قيل * وعين الرضا عن كل عيب كليلة * وعدم الرضا عن النفس على عكس

هذا لان العبد اذ ذاك يتهم نفسه و يتطلب عيوبها ولا يغتر بما يظهر من الطاعة والانقياد كما قيل في الشطر الاخير * كما أن عين السخط تبدي المساويا * فمن رضى عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت عليه الغفلة وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ دواعي الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكير ما يدفعها به ويقهرها فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متيقظا متنبها للطوارق والعوارض وبالتيقظ والتنبه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا صار عفيفا كان مجتنبا لكل ما نهاه الله عنه محافظا على جميع ما أمره به وهذا هو معنى الطاعة لله عز وجل وأصل هذا كله عدم رضاه عن نفسه فاذا لا شئ أوجب على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله ويعلو مقامه وقد ورد عن الكبار والائمة الاخيار من الكلمات المتضمنة لعيبهم لنفوسهم والتهمة منهم لها وعدم رضاهم عنها أكثر من أن يحصى ولذلك قال أبو حفص رضى الله تعالى عنه من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شئ منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقال أيضا أبو حفص رضى الله تعالى عنه منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر الى نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك وقال الجنيد رضى الله تعالى عنه لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها لك في طاعة ربك وقال أبو سليمان الداراني رضى الله تعالى عنه ما رضيت عن نفسي طرفة عين ويحكى عن سرى السقطي رضى الله تعالى عنه أنه قال اني لانظر الى وجهي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسود لما أخافه من العقوبة وقال أيضا رضى الله تعالى عنه من الناس ناس لو مات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر ولا أحسبني الا منهم الى غير هذا من العبارات الصادرة من المشايخ رضى الله تعالى عنهم في هذا المعنى وقد ألف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضى الله تعالى عنه جزأ صغير الحجم عظيم الفوائد في عيوب النفس وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد وكذلك ألف قبله الامام أبو عبد الله الحرث المحاسبي كتابا سماه النصائح جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة شافية ونبه فيه على سنن دارسة عافية مما كان

(ولان) أي والله لان (تصحب) أيها المريد (جاهلا) بالعلوم الظاهرية (لايرضى عن نفسه) بان يسخط عليها ويعتقد نقصها (خير لك من ان تصحب عالما) بذلك (يرضى عن نفسه) لان صحبة من يرضى عن نفسه وان كان عالما (٤٧) شر محض لك لان الصحبة تؤثر فتكتسب منه هذا الوصف الخبيث فصار علمه غير نافع لك في تهذيب نفسك وجهله الذي أوجب رضاه عن نفسه ضارا لك غاية الاضرار وكانه اذا فاته العلم بعيوب نفسه حتى لا يرضى عنها الاعلم عنده ولذا قال (فأي علم لعالم يرضى عن نفسه) وصحبة من لم يرض عن نفسه وان كان جاهلا خير محض وفيها كل الفائدة لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء بمن تستحسن حاله فصار جهله غير ضار لك وعلمه الذي أوجب عدم رضاه عن نفسه نافعا لك غاية النفع وكانه اذ علم بعيوب نفسه حتى لم يرض عنها لا جهل عنده ولذا قال (وأي جهل لجاهل لايرضى عن نفسه) لانه اذا حصل له هذا العلم صار لا جهل عنده حتى يتضرر به مخالطه فتكون صحبته خيرا محضا فالتنوين في قوله علم وجهل للتنويع أي فأي علم نافع وأي

عليه سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم من التفتيش والتفقد والنظر فيما تصلح به أعمالهم وأحوالهم وأنفسهم والمحافظة على تطهير الاسرار والقلوب والمبالغة في الحذر من محقرات الذنوب وقد نقل الامام أبو حامد الغزالي قدس الله روحه منه فصلا في كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه ونص خطابه بعد أن أثنى على مؤلفه بما هو أهله فبان للعاقل به علمه وفضله فقال في حقه والمحاسبي رحمه الله تعالى حبر الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين من عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه ثم ذكره وقد كان أوحد زمانه علما وعبادة ونخبة أوانه ورعا وزهادة سيدي الحاج أبو العباس بن عاشر رحمة الله تعالى عليه ورضوانه يكثر من التحريض على مطالعة ذلك الكتاب والعمل بما تضمنه من حق وصواب وأظنني سمعته ذات يوم يقول لا يعمل بما فيه الاولي أو كلاما هذا معناه فليتخذ المريد مطالعته وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله تعالى وسائلا منه توفيقا ورشدا لينصح اولا في مراعاة اصلاح باطنه والقيام على قدم الصدق في مواطنه وليجعل هجيراه مطالعة كتب التصوف وموالاة أهله بالتألف والتعرف فبذلك تتقوى أنوار ايمانه ويقينه وتنتفي عنه الغرة في عمله بوظائف دينه ولا يقدم على ذلك الا فرض العين وما يتعين به نفسه من مكابدة التعب والاين ولا يشغل نفسه بعلم يعسر على وجه مقصوده ويوجب له انتكاث مواثيقه وعهوده وهو ما أكب الناس عليه اليوم وحادوا به عن سنن القوم حتى أكبهم ذلك من رذائل الصفات وعظائم الآفات ما صار بهم الى الهلاك والشقاء وأدخل عليهم نفاقا في قلوبهم الى يوم اللقاء وسجل عليهم بالكذب في دعواهم انهم قاصدون بعلمهم رضا مولاهم فاياك واياهم وأنشد

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

ولذلك قال المؤلف *(ولان تصحب جاهلا لايرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه فأي علم لعالم يرضى عن نفسه وأي جهل لجاهل لايرضى عن نفسه) فائدة الصحبة انما هي الزيادة في الحال وعدم النقصان فيها حسبما يأتي الكلام عليه عند قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبة من يرضى عن نفسه وان كان عالما شر محض ولا فائدة فيها لان علمه غير نافع له وجهله الذي أوجب رضاه عن نفسه صار غاية الضرر وكانه اذ فاته هذا

جهل ضار ثم قال (شعاع البصيرة) ويعبر عنه بنور العقل وبعلم اليقين (يشهدك قربه منك وعين البصيرة) ويعبر عنه بنور العلم وبعين اليقين (يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة) ويعبر عنه بنور الحق وبحق اليقين (يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك) والحاصل أن السالك يهتف على قلبه أنوار الهية يعبر عنها بهذه العبارات ويترتب على كل واحد ثمرات وفوائد قال بعضهم ولا يبلغ العبد حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وتنطبع للحق وللخلاق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وبين المصنف أن الذي ينكشف بالنور الاول قرب الله منك وثمرة ذلك ونتيجة مراقبته تعالى والاستحياء منه حتى لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك والذي ينكشف بالثاني عدمية كل موجود في وجود الحق تعالى فيشهد الاكوان عدما فلا يعبأ بها ولا يلتفت اليها اذ وجودها عارية والوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى وثمرة ذلك أن لا يبقى في نظرك ما تستند اليه ولا ما تستأنس به فيتم لك التوكل والتفويض والرضا والاستسلام والذي ينكشف بالثالث الذات المقدسة الهمة
وثمرة ذلك الفناء الكامل الذي هو دهليز لبقاء فيفنى عن فنائه وعدمه استهلاكا في وجود سيده وناهيك بما يحصل له حينئذ من المواهب والاسرار الالهية فاذا ترقى عن ذلك حل في مقام البقاء قال صاحب العوارف والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق والفاني محجوب بالحق عن الخلق اهـ (كان الله ولا شئ معه) يعني أن هذا حال من هو متحقق بمقام الفناء وهو عدم رؤيته غير مولاه (وهو الآن على ما عليه كان) أي ان الامر الذي حصل لذلك المشاهد وهو أن الوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى وغيره لا وجود له هو الوصف المتحقق له سبحانه في الواقع وعدم ادراك ذلك له قبل ذلك انما هو لوجود الحجاب فقوله وهو الآن أي عند مشاهدة هذا السالك له على هذا الوصف (على ما عليه كان) أي هو متصف به في الواقع وقبل ادراك هذا المشاهد له لكن عدم ادراكه ذلك انما هو للحجاب القائم به ثم قال (لا تتعد نية همتك) أيها السالك (الى غيره) بأن تتوجه الى غيره لتحصيل حاجتك بل اطلب حوائجك منه فالكريم لا تتخطاه الامال) فالهمة

العلم الذي يريه عيبه حتى لا يرضى عن نفسه لا علم عنده وصحبة من لا يرضى عن نفسه وان كان جاهلا خير محض وفيه كل الفائدة لان جهله غير ضار وعلمه الذي أوجب له عدم رضاه عن نفسه نافع غاية النفع وكأنه اذ حصل له هذا العلم لا جهل عنده *(شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك) شعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة نور العلم وحق البصيرة نور الحق فالعقلاء بنور عقولهم شهدوا أنفسهم وشاهدوا ربهم قريبا منهم أي بالعلم والاحاطة والعلماء بنور علمهم شهدوا أنفسهم عدما في وجود ربهم والمحققون بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشاهدوا معه سواه *(كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان) الازمنة ههنا أمور وهمية لا وجود لها على التحقيق والمقصود ان الله تعالى لا شئ معه لثبوت أحديته

فلم يبق الا الحق لم يبق كائن * فما ثم موصول وما ثم بائن
بذا جاء برهان العيان فما أرى * بعيني الا عينه اذ أعاين

وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله تعالى الاكوان ثابتة باثباته ممحوة بأحدية ذاته وقال قدس الله سره *(لا تتعد نية همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال

العالية تأنف من رفع حوائجها الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة الا الله اذ الكريم هو الذى اذا
قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالى كم اعطى ولا لمن اعطى واذا جفى
عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجى * (٤٩) * ويغنيه عن الوسائل والشفعا وهذه الصفات

الهمة العلية تأنف من رفع حوائجها الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة سوى
الله تعالى قال الجنيد رضى الله تعالى عنه الكريم الذى لا يحوجك الى مسئلة
وقال الحرث المحاسبى رضى الله تعالى عنه الكريم الذى لا يبالى من أعطى وقيل
الكريم الذى لا يخيب رجاء المؤملين وأجمع العبارات فى معنى وصف الكريم
ما قيل الكريم الذى اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا أعطى زاد على منتهى الرجا
ولا يبالى كم أعطى ولا لمن أعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفى عاتب
وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسائل والشفعا فاذا كانت
هذه الصفات لا يستحقها أحد سوى الله تعالى فينبغى اذا أن لا تتخطاه آمال المؤملين
الى غيره كما قال بعضهم

حرام على من وحد الله ربه * وأفرده أن يجتدى أحدا رفدا
ويا صاحبى قف بى مع الحق وقفة * أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

*(لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا
من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها من غيره
رافعا) اذا أورد الله تعالى عليك حاجة أو أنزل بك نازلة فاعلم انه لا رافع لها سواه اذ
يستحيل ان يرفع غيره ما كان هو له واضعا لثبوت توحيده فى ان لا فاعل سواه واذ
هو غالب على أمر لا يغالبه أحد ويستحيل أيضا أن يرفعها عنك من لا يستطيع ان
يرفعها عن نفسه لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه ومن المحال تعلقك فى حاجتك بمن
هو محتاج مثلك قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو فى غرور مما لا يدوم ولا يدوم
شئ سواه وهو الدائم القديم الذى لم يزل ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد
الا على من يدوم عليك منه الفضل والعطاء فى كل نفس وحين وأوان وزمان قال

لا يستحقها حقيقة الا الله سبحانه وتعالى فينبغى أن لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره واعلم ان الطلب من الخلق المنافى للعبودية هو الطلب منهم على وجه الاعتماد عليهم والاستناد اليهم والغفلة فى حال الطلب عن الله تعالى أما الطلب منهم من حيث كونهم أسبابا ووسايط مع الاعتماد فى نيل المطلوب على الله ورؤية انه المعطى فليس منافيا للعبودية

ثم قال (لا ترفعن) أيها المريد (الى غيره حاجة) أى فاقة أو نازلة نزلت بك أى لا تتوجه فى زوالها
الى غيره وتطلب منه أن يرفعها عنك فان تلك الفاقة أو النازلة (هو موردها عليك) أى منزلها بك
(فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا) اذ هو الغالب الذى لا يغلبه شئ وأيضا (من لا يستطيع أن
يرفع حاجة عن نفسه) اذا نزلت به (فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره رافعا) أى فيستحيل
ذلك لثبوت عجزه وضعفه وحاصله ان المرفوع اليه حوايج لم يتوصل اليها ولو كان ملكا ولا شك ان
نفسه أحب اليه من غيره فلو كان له قدرة على نفع غيره لنفع نفسه فلزم عجزه عن نفع غيره اذ ما بعد العجز
عن نفع النفس عجز فيكون من قلة العقل تعلقك فى حاجتك بمن هو محتاج مثلك

عطاء الخراساني رضي الله تعالى عنه لقيت وهب بن منبه في الطريق فقلت حدثني حديثا أحفظه عنك في مقامي وأوجز قال أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود أما وعزتي وجلالي لا ينتصر بي عبد من عبادي دون خلقي أعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والارضون السبع ومن فيهن الاجعلت له منهن فرجا ومخرجا أما وعزتي وجلالي وعظمتي لا يستعصم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعلم ذلك من نيته الاقطعت أسباب السموات السبع من دونه واسخت الارض من تحته ولا أبالي في أي واد هلك *قال محمد بن الحسين بن حمدان كنت في مجلس يزيد بن هرون وكان الى جانبي رجل قلت له ما اسمك فقال سعيد فقلت ما كنيتك قال أبو عثمان فسألته عن قصته وخبره فقال نفدت نفقتي فقلت ومن تؤمل لما قد نزل بك فقال يزيد فقلت اذا لا يسعفك بحاجتك ولا ينجح طلبك ولا يبلغك املك فقال وما علمك بهذا رحمك الله قلت اني قرأت في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي وجودي وكرمي وارتفاعي فوق عرشي في علو مكاني لاقطعن أمل كل مؤمل لغيري بالاياس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربي ولاقطعنه من وصلي أيؤمل غيري في النوائب والشدائد بيدي وأنا الحي ويرجى غيري وتطرق الفكر أبواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني من ذا الذي أملني لنائبة فقطعت به دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيم جرمه فقطعت رجاءه مني أم من ذا الذي قرع بابي فلم افتحه له جعلت آمال خلقي بيني وبينهم متصلة فتعلقت بغيري وجعلت رجاءهم مذخورا لهم عندي فلم يرضوا بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يملون تسبيحي من ملائكتي وأمرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري فمالي أراه بآماله معرضا عني ومالي أراه لاهيا بسوى أعطيته بجودي مالم يسألني ثم انتزعته منه فلم يسألني رده وسأله غيري أفتراني أبدأ بالعطية قبل المسئلة ثم أسئل فلا أجيب سائلي أبخيل أنا فيبخلني عبدي أليس الدنيا والآخرة لي أوليس الرحمة والفضل بيدي أوليس الجود والكرم لي أوليس أنا محل الآمال فمن ذا الذي يقطعها دوني وما عسى أن يؤمل المؤملون لو قلت لاهل سمواتي وأهل أرضي أملوني ثم أعطيت كل واحد منهم من الفكر مثل ما أعطيت الجميع مانقص ذلك من ملكي عضو ذرة كيف ينقص ملك كامل انا قيمه فيابؤس القانطين من رحمتي ويابؤس من عصاني ولم يراقبني وثبت على محارمي ولم يستحي مني قال رحمك الله أمل هذا الحديث علي فكتبه ثم قال والله لا أكتب حديثا بعده قلت والاصل الذي ينبني عليه هذا المعنى هو تحقق العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى ولذلك

(ان لم تحسن ظنك به لاجل وصفه) أى لاجل ماهو عليه من النعوت السنية والصفات العلية فان من كان متصفا باسنى الصفات لا يصدر منه الا الجميل سيما لمن ظن به الجميل (فحسن ظنك به لاجل معاملته معك) من اسباغ النعم وشمول الفضل والكرم * (٥١) * (فهل عودك الا احسنا وهل أسدى اليك الا مننا) أى نعما اشار بذلك الى ان الناس فى حسن الظن على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر فكأنه قال ينبغى لك أيها المريد ان تحسن ظنك به مطلقا فى ايصال المنافع ودفع المضار وعدم الالتفات لغيره فان لم تقدر على حسن الظن الذى هو مقام الخاصة فتلبس بمقام العامة

أخذ المؤلف رحمه الله تعالى فى ذكره باثره فقال * ان لم تحسن ظنك به لاجل حسن وصفه فحسن ظنك به لوجود معاملته معك فهل عودك الا احسنا وهل أسدى اليك الا مننا) حسن الظن بالله تعالى احد مقامات اليقين والناس فيه على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر ولذلك لا يخاف من التغير والانقلاب فى أحدهما ما يخاف فى الآخر لان أرباب المقام الاول لما تحققوا فى المعرفة بالله تعالى واحتظوا بأنوار اليقين به اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء ظن وأرباب المقام الثانى لم يرتقوا عن نظرهم الى الافعال وهى متلونة عليهم فى كل حال وعند وقوع بعض ما لا يلائمهم منها بهم ربما تضعف عن تحمل مكارهها قوى قلوبهم فلا تحصل لهم البراءة من خواطر سوء الظن بالله وتحدث النفس بما يقتضى وجود هلع وجزع فليكن العبد عند ذلك مشاهدا معنى قوله عز وجل وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وما أشبهه وليقس النادر على الغالب * قال أبو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله تعالى عنه حسن الظن عبارة عن قطع الوهم ان يكون أولا يكون لان الوهم قاتل وهو لوقت ثان فى أعطيت أذنك للوهم هلكت وحدك وكذلك الاصغاء بالأذن الى الشيطان والنفس جنس واحد اه قلت وحسن الظن يطلب من العبد فى أمر دنياه وفى أمر آخرته أما أمر دنياه فأن يكون واثقا بالله تعالى فى ايصال المنافع والمرافق اليه من غير كد ولا سعى فيها أو سعى خفيف مأذون فيه ومأجور عليه بحيث لا يفوته ذلك شيأ من نفل ولا فرض فيوجب له ذلك سكونا وراحة فى قلبه وبدنه فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب وأما أمر آخرته فأن يكون قوى الرجاء فى قبول أعماله الصالحة وتوفية أجورها عليها فى دار الثواب والجزاء فيوجب له ذلك المبادرة لامتثال الامر والتكثير من أعمال البر بوجود حلاوة واغتباط ولذاذة ونشاط وقد قال يحيى بن معاذ أوثق الرجاء رجاء العبد لربه وأصدق الظنون حسن الظن بالله تعالى ومن مواطن حسن الظن بالله تعالى التى لا ينبغى للعبد أن يفارقه فيها أوقات الشدائد والمحن وحلول المصائب فى الاهل والمال والبدن لئلا يقع بسبب عدم ذلك فى الجزع والسخط وسيأتى هذا المعنى فى كلام المؤلف رحمه الله وهو قوله من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ومن أعظم

وحسن الظن به لوصفه ينتج لك محبته وصحة الاعتماد والتوكل عليه وحسن الظن به بوجود معاملته معك ينتج لك شكر نعمته والتشوف لورود فضله ورحمته

(العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه) وهو الله تعالى بان لا يفعل ما يقربه اليه (ويطلب ما لا بقاء له معه) وهو الدنيا وكل شئ سوى المولى بأن يقبل على شهواته ويتبع هواه (فانها لا تعمى الابصار الآية) أى أن ذلك ناشئ من عمى قلبه ووجود جهله بربه لانه استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير وآثر الفانى الذى لا بقاء له على الباقى الذى لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لعكس الامر ثم قال

مواطن حسن الظن بالله تعالى حالة الموت وقد جاء فى الخبر لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وفى حديث جابر من استطاع منكم ان لا يموت الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فليفعل ثم تلا هذه الآية وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم ولانه تعالى قال فيما روى عنه أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء * قال أبو طالب المكى رضى الله تعالى عنه وكان ابن مسعود يحلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله تعالى الا أعطاه الله عز وجل ذلك لان الخير كله بيده فاذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه لان الذى حسن ظنه به هو الذى أراد أن يحققه له اه وقد روى عن أبى النضر بن حيان قال خرجت عائدا ليزيد بن الاسود فلقيت واثلة بن الاسقع وهو يريد عيادته قال فدخلنا عليه وهو فى فراشه فلما رأى واثلة بسط يده وطفق يشير اليه فاقبل واثلة حتى جلس على الفراش وأخذ يزيد بن الاسود بكفى واثلة حتى جعلهما على وجهه فقال له واثلة أسألك عن شئ تخبرنيه قال لا تسألنى عن شئ أعلمه الا أخبرتك به قال له واثلة كيف ظنك بالله عز وجل قال ظنى والله بالله حسن قال فابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا عند ظن عبدى بى ان ظن خيرا وان ظن شرا وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بربك قال يا رسول الله حسن الظن قال فظن به ما شئت فان الله تبارك وتعالى عند ظن المؤمن به وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله قلت والاخبار والآثار فى الرجاء وحسن الظن بالله وسعة رحمته أكثر من أن تحصى ومطالعتها مما يزيد المريد قوة فى هذا المقام فمن أراد الشفاء فى ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجاء من قوت القلوب وكتاب الاحياء قال بعضهم

وما زلت أرجو الله حتى كأننى * أرى بجميل الصنع ما هو صانع

ثم بين رحمه الله تعالى الحالة التى بمنازلتها يتحقق العبد فى مقام حسن الظن بالله تعالى وهو عكوف العبد بباب الله وتعلق قلبه بوحدانيته وأشار الى أن ذلك هو غاية النعيم ومنتهى الامانى لا ما تتوهمه النفس وتطلبه من النعيم المعقول والامنيات التى تفنى وتزول وحكم بان خلاف هذا من عمى القلب ومما يستحق أن يتعجب منه كل ذى لب فقال *(العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى الابصار الآية)* هرب العبد من مولاه باقباله على شهواته ومتابعته هواه وذلك نتيجة عمى قلبه وجهله بربه لانه استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير وآثر الفانى الذى لا بقاء له على الباقى الذى لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لآثر الباقى على الفانى ولفعل ما فعله سحرة فرعون لما آمنوا

(لا ترحل من كون الى كون) يعني ان العمل المصاحب للرياء ونحوه مذموم غير معتد به شرعا فاذا
جاهد المريد نفسه حتى خلص من ذلك ولكن قصد به الجزاء والدرجات أو نيل الرتب العلية والمقامات
لم يزل مذموما أيضا عند العارفين والمحمود أن يقصد به وجه الله تعالى ثم شبه المصنف الرحيل من
كون الى كون بقوله (فتكون كحمار الرحا) أي الطاحون (يسير والمكان الذي ارتحل اليه هو
الذي ارتحل منه) وكذلك العمل لطلب الجزاء فيه رحيل من كون وهو الرياء ونحوه الى كون وهو
ما ذكر من طلب الجزاء وسببه بقايا النفوس فتطالب بعملها رتبة عند الله وكل ذلك من الاكوان
والاكوان كلها متساوية في كونها أغيارا (ولكن ارحل من الاكوان الى المكون) بأن تخلص
عملك لمولاك وحده دون حظ عاجل أو آجل فمن عمل لاجل الدرجات *(٥٣)* أو المقامات فهو عبد
لها ومن عمل لله فهو عبد الله وهو راحل من الاكوان الى المكون (وأن الى ربك المنتهى) أي فقد انتهى سيره الى الله وصار متحققا بمعنى هذه الآية بخلاف المرتحل من كون الى كون فانه غير منته له ولا واصل اليه (وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله) أي بالقصد والنية
(فهجرته الى الله ورسوله) في الواقع ونفس الامر فهي مجردة معتد بها (ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل هذا الامر ان
كنت ذا فهم) يعني ان في هذا الحديث تنبيها على المعنى المذكور وموضع الاعتبار والتأمل هو الشق
الثاني أعني فهجرته الى ما هاجر اليه فان معناه أنه لا نصيب له من الوصول والقرب الذي حظي به من
هاجر الى الله ورسوله وكأنه صلى الله عليه وسلم نبه بالدنيا والمرأة على حظوظ النفس بالوقوف معها
كائنة ما كانت فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال من الاكوان الى المكون الذي هو

بربهم اذ لم يحفلوا بما وعدهم به فرعون من الاحسان والانعام والتقريب
والاكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به من العذاب والقتل والصلب على جذوع
النخل بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا الآية ثم قالوا
والله خير وأبقى فهؤلاء استنارت قلوبهم وشاهدوا محبوبهم فكان منهم ما كان

(لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحا يسير والمكان الذي ارتحل اليه
هو الذي ارتحل منه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وأن الى ربك المنتهى)

العمل على طلب الجزاء والدرجات أو نيل الرتب العلية والمقامات نقصان في الحال
وشوب في اخلاص الاعمال وهو معنى الرحيل من كون الى كون وسبب ذلك بقاء
اعتبار النفس في أن تحصل لها رتبة أو تنال بسعيها وجهة وهذه كلها من
الاكوان والاكوان كلها متساوية في كونها اغيارا وان كان بعضها أنوارا وتمثيله
بحمار الرحا مبالغة في تقبيح حال العاملين على رؤية الاغيار وتلطف في دعائهم الى
حسن الأدب بين يدي الواحد القهار حتى يتحققوا بمعنى قوله تعالى وأن الى ربك
المنتهى فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون أعمالهم اذ ذاك
وفاء بمقتضى العبودية وقياما بحقوق الربوبية فقط من غير التفات الى النفس على
أي حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكائن عن مشاهدة التوحيد الخاص
جعلنا الله من أهله بمنه وفضله انه على كل شئ قدير (وانظر الى قوله صلى الله عليه
وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته
الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة
والسلام وتأمل هذا الامر ان كنت ذا فهم) في هذا الحديث النبوي تنبيه على

الحكماء يقول لا تؤاخ من الناس من يتغير عليك فى أربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعانى تتغير لها الطباع لدخول الضرر منها على النفس وفقد الانتفاع وقال فى موضع آخر من كان ناظرا فى اخوة أخيه أو فى صحبته لكثرة أعماله أو وافقها مع أكمل أحواله دل على جهله بهذه الطريق التى تنفذ الى التحقيق لانه يتحول وانما العمل على حقائق القلوب لانها ثابتة فى الاصول فان اقترن الى جهله نقص معرفة الاخوة دخل عليه التزين له والتصنع عنده لتعلو منزلته ويحسن عنده أثره فيدخله ذلك فى الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها ويسقط من عين مولاه فلا يتولاه لان النفس مبتلاة بحب الثناء والمدح واثبات المنزلة باظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينئذ من أشأم الناس عليه وأضرهم له ويصير أحدهما بلاء على صاحبه فليفارقه حينئذ لانه جاهل فلا يصحبه لانه يجد النقصان بصحبته وتدخل عليه الآفات بمقاربته ولينفرد بنفسه ويصدق فى حالة عالية كانت أو دنيئة وضيعة كانت أو رفيعة من غير مقاربة أحد ولا مباينته فهو خير له وأحمد عاقبة اهـ ويدل على ارادة صاحب الكتاب لهذا المعنى الذى ذكرناه فى التنبيه على قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ما أعقبه به من قوله ولا يدلك على الله مقاله فيكون الحال والمقال متناسبين فى كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى عبودية ودلالة * قال سهل ابن عبد الله رضى الله تعالى عنه احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال يوسف بن الحسين الرازى رحمه الله تعالى قلت لذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه من أصحب فقال من لا تكتمه شيأ مما يعلمه الله منك وقال حمدون القصار رضى الله تعالى عنه أصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به اشارة الى أن العجب بالعمل منفى عندهم فى صحبتهم وقال الجنيد رضى الله تعالى عنه اذا أراد الله بالمريد خيرا أرفقه الى الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال على رضى الله تعالى عنه شر الاصدقاء من أحوجك الى المداراة والجأك الى الاعتذار وقال مرة شر الاصدقاء من تكلف له وأنشدوا ليوسف بن الحسين الرازى رضى الله تعالى عنه

أحب من الاخوان كل مواتى * وكل غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أحبه * ويحفظنى حيا وبعد مماتى
فمن لى بهذا ليتنى قد وجدته * فقاسمته مالى من الحسنات

والحاصل من هذا ان صحبة الصوفية هى التى يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عداهم من المنسوبين الى الدين والعلم لانهم خصوا من حقائق التوحيد

(ربما كنت مسيئا فأراك الاحسان منك صحبتك الى من هو أسوأ حالا منك) يعنى ان صحبة من هو دونك ضرر محض لانها تغطى عنك عيوبك وتبين لك كمالك فتوجب لك حسن الظن بنفسك فتعجب بأعمالك وتقنع بأحوالك والرضا عن النفس ورؤية احسانها أصل كل شر فان أردت ولا بد أن تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله *(٥٧)* فاصحب مثلك حتى تكون فى صحبته لا لك ولا عليك ثم اعلم ان صحبة العارفين على قسمين صحبة ارادة وصحبة تبرك فصحبة الارادة هى التى يشترط لها الشروط المعروفة التى حاصلها ان يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدى الغاسل وصحبة التبرك هى التى يكون القصد بها الدخول مع القوم والتزيى بزيهم والانتظام فى سلك عقدهم وهذا لا يلزم بشروط الصحبة وانما يؤمر بلزوم حدود الشرع والمخالطة لهذه الطائفة تعود عليه بركتهم

والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها غيرهم وسريان ذلك من الصاحب الى المصحوب هو غاية الأمل والمطلوب فقد قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها فمن جلس على دكان العطار لم يفقد الرائحة الطيبة هذا فى الحضور والمجالسة فما ظنك فى الصحبة والمؤانسة وقد وصفهم بعض العلماء فقال الصوفى من لا يعرف فى الدارين أحدا غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله قد سخر له كل شئ ولم يسخر هو لشئ وسلط على كل شئ ولم يسلط عليه شئ يأخذ النصيب من كل شئ ولا يأخذ النصيب منه شئ يصفو به كدر كل شئ ولا يكدر صفوه شئ قد شغله واحد عن كل شئ وكفاه واحد من كل شئ فانظر رحمك الله هذه الصفات ما أعظمها وأجلها وما أشرف حال من اتصف بها وما أعزه فى هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من بركاتهم وفى صحبة أمثال هؤلاء يحصل للمريد من المزيد ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات وأنواع المكابدات حتى يبلغوا من ذلك الى أمر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به علم عالم ناقل * قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه ماذا أصنع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر رمانا للوقت فمن صحب مثل هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وقال أيضا رضى الله تعالى عنه والله ما سار الاولياء والابدال من قاف الى قاف الا حتى يلقوا واحدا مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم وقال أيضا رضى الله تعالى عنه المولى اذا أراد أغنى وقال أيضا رضى الله تعالى عنه والله ما بينى وبين الرجل الا أن أنظر اليه نظرة فقد أغنيته وقال فيه شيخه أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه أبو العباس هو الرجل الكامل والله انه ليأتيه البدوى يبول على ساقيه فلا يمسى عليه المساء الا وقد وصله الى الله وسيأتى طرف من ذكر حال المؤلف رحمه الله تعالى فى صحبته وما أوصله اليه ببركة رؤيته عند قوله كل كلام يبرز عليه كسوة القلب الذى منه برز (ربما كنت مسيئا فأراك الاحسان منك صحبتك الى من هو أسوأ حالا منك) هذه أعظم آفة تدخل على من خالف ما ذكره وصحب من هو دونه فى الحال وهى استحسانه لما هو عليه فيؤديه ذلك الى رضاه عن نفسه ورؤيته لاحسانها وهو أصل كل شر كما تقدم (ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب)

٨ عبا ل و يصل الى ما وصلوا اليه (ما قل عمل برز من قلب زاهد) أى غير متعلق بالدنيا بل هو وان كان قليلا فى الحس كثير فى المعنى لسلامته من الآ... فات القادحة فى قبول الاعمال من الرياء والتصنع للناس وطلب الاعراض الدنيوية وعدم حضور القلب مع المولى فى حال فعله لقلة الوساوس الشيطا...ة الناشئة من حب الدنيا (ولا كثر عمل برز من قلب راغب) فى الدنيا بل هو وان كان كثيرا فى الحس قليل فى المعنى لعدم سلامته مما ذكر وقد روى عن ابن مسعود انه قال

وركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا (حسن الاعمال)

بخلوها عما يعوقها عن القبول من الرياء وغيره وحضور القلب مع الله في حال

فعلها وعدم اشتغاله بغيره من الوساوس الشيطانية (نتائج حسن الاحوال) القائمة بالقلوب من الزهد في الدنيا والاخلاص لله بأن يقصد بعمله عبودية الله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل (وحسن الاحوال) ناشئ (من التحقق) أي التمكن (في مقامات الانزال) أي في المقامات التي تنزل في قلوب العارفين وهي معارف الهية يوردها الله تعالى على القلوب تكون سببا في ترك الدعوى وعدم الالتفات الى جنة أو هرب من نار

فان المريد اذا حصل له ذلك راقب مولاه بقلبه فلا يقصد بعمله غيره واذا حصل ذلك لا تخلص العمل عما يعوقه عن القبول وهذه الحكمة كالدليل لما قبلها [ا] كانت الخصال المحمودة لا تنشأ غالبا الا من كثرة الذكر والمداومة عليه ذكره بقوله

مقادير الاعمال على حسب قلوب العمال فما صدر عن الزاهدين في الدنيا من عمل طاعة وان كان قليلا في الحس فهو كثير على التحقيق وما صدر عن الراغبين فيها من عمل بر وان كان كثيرا في الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لان الزاهدين سلموا من الآفات التي تقدح في اخلاص اعمالهم من مرا آت الناس والتصنع لهم وطلب الاعواض الدنيوية عليها منهم لانهم زهدوا فيها فيحصل لهم قبول أعمالهم فيتوفر لهم قليلها بحسب ذلك ويكثر والراغبون تعتريهم الآفات المبطلة لاعمالهم القادحة في اخلاصهم بسبب رغبتهم في الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير من أعمالهم لوجود النقصان فيها وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فانه لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر المؤمنين بالكثرة لما تضمنه من وجود الاخلاص وعدم رياء الناس فقيل في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قيل يعني خالصا فسمى الخالص كثيرا وهو ما أخلصت فيه النية لوجه الله العظيم ووصف ذكر المنافقين بالقلة لما اشتمل عليه من عدم الاخلاص ووجود رياء الناس فقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعني غير خالص وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد منكم في الدنيا وعن بعض الصحابة أيضا قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر في أمر الدنيا والآخرة أبلغ من الزهد في الدنيا وقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه سألت معروفا الكرخي رضي الله تعالى عنه عن الطائعين لله بأي شئ قدروا على الطاعة فقال باخراج الدنيا من قلوبهم ولو كان شئ منها في قلوبهم ما صحت لهم سجدة وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله تعالى عنه شكا بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل أعمال البر ولا يجد حلاوة في قلبه فقال لان عندك بنت ابليس وهي الدنيا ولا بد للاب ان يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله الا فسادا وكان أبو محمد ابن سهل رضي الله تعالى عنه يقول يعطى الزاهد ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعماله قال ولا يرى في القيامة أحد أفضل من ذي زهد عالم ورع

*(حسن الاعمال نتائج حسن الاحوال وحسن الاحوال من التحقق في مقامات الانزال) حسن الاعمال توفيتها بما يجب لها من شروط وآداب عبودية لله تعالى

(لاتترك) أيها المريد (الذكر) بل لازمه وداوم عليه فانه أقرب الطرق الى الله تعالى وعلامة على وجود ولايته فمن وفق للذكر فقد أعطى منشور الولاية فلا تتركه (لعدم حضورك) أى حضور قلبك (مع الله فيه) بأن كان مشتغلا بالوساوس الشيطانية والاغراض الدنيوية (لان غفلتك عن وجود ذكره) بأن تتركه (أشد من غفلتك) *(٥٩)* الحاصلة (فى وجود ذكره) لان ترك الذكر فيه بعد عن الله تعالى بالقلب واللسان بخلاف الذكر فانك ان بعدت عنه بقلبك فأنت قريب بلسانك فعليك أن تذكر الله به وان كان قلبك غافلا حال الذكر (فعسى أن يرفعك) أى يرقيك (من ذكر مع وجود غفلة) عن المولى (الى ذكر مع وجود يقظة) أى تيقظ لما يناسب حضرته سبحانه من الادب وعدم الاشتغال عنه بغيره (ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور) بأن يدخل القلب حضرة الرب فيراقبه حال ذكره ولا يغفل عنه (ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور) وهو الله بأن يفنى حتى عن الذكر فيصير يخرج منه الذكر من غير قصد وحينئذ يكون الحق لسانه الذى ينطق به فان بطش فهذا الذاكر كان يده التى يبطش بها وان سمع كان سمعه الذى يسمع به وهذه المعالم والمراقى لا يعرف حقيقتها الا السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بشئ من ذلك فتهلك مع الهالكين ولما كان المريد ربما يستبعد الوصول الى ذلك نهاه بقوله (وما ذلك على الله بعزيز) لانه قادر على كل شئ فعلى المريد القيام بالاسباب ومن الله الوصول ورفع الحجاب

لا لطالب حظ عاجل ولا ثواب آجل وحسن الاحوال ان تكون سالمة من العلل والدعاوى موسومة بسمة الصدق والتحقق فى مقامات الانزال هوارتواء القلب بما ينزله الحق تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف بحيث ينتفى عنه كل شك وريب هذه الثلاثة المذكورة مرتب بعضها على بعض وهو معنى ما يقوله الامام أبو حامد رضى الله تعالى عنه لابد فى كل مقام من مقامات اليقين من علم وحال وعمل فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا الكلام الذى ذكره المؤلف رحمه الله تعالى نوع استدلال على ما قاله فى الزاهد والراغب (لاتترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز) الذكر أقرب الطرق الى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته كما قيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل قال الشاعر

والذكر أعظم باب أنت داخله * لله فاجعل له الانفاس حراسا

قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شئ وجميع الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشؤها عن الذكر وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله تعالى فى كتابه العزيز فاذكرونى أذكركم وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا

وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة لكان فى ذلك اكتفاء وغنية وهذا الحديث متفق على صحته قالوا ومن خصائصه أنه غير مؤقت بوقت فما من وقت الا والعبد مطالب به اما وجوبا واما ندبا بخلاف غيره من الطاعات قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا فى تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم بذكره فى الاحوال كلها فقال عز من قائل فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا أى بالليل والنهار وفى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر وفى الصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقال مجاهد رضى الله تعالى عنه الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون فينبغى للعبد أن يستكثر منه فى كل حالاته ويستغرق فيه جميع أوقاته ولا يغفل عنه وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه فان تركه له وغفلته عنه أشد من غفلته فيه فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة وهذا نعت العقلاء ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور وهذه صفة العلماء ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور وهى مرتبة العارفين المحققين من الاولياء قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت أى اذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكر الله وفى هذا المقام ينقطع ذكر اللسان و يكون العبد محوا فى وجود العيان وفى هذا المعنى أنشدوا

ما ان ذكرتك الا همّ يقلقنى * سرى وقلبى وروحى عند ذكراك
حتى كأنّ رقيبا منك يهتف بى * اياك ويحك والتذكار اياك
أما ترى الحق قد لاحت شواهده * وواصل الكل من معناه معناك

وقال الواسطى مشيرا الى هذا المقام الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لانّ ذكره سواه وقال أبو العباس بن البناء فى كلام ذكره على مقدمة كتاب أبى العز تقى الدين بن المظفر الشافعى وهو كتاب الاسرار العقلية فى الكلمات النبوية ورأيت هذا الكلام بخطه رحمه الله ومن أحسن الذكر ما هاج عن خاطر وارد من المذكور جل ذكره وهذا هو الذكر الخفى عند المتصوفة على الاستمرار والتمكن فى الاسرار وأما قولهم حتى يتمكن الذاكر الى حالة يستغرق بها عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز حكيم وبيان ذلك أن يكون القلب عند الذكر فى الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل

ذكره فيصير القلب بيت الحق ويمتلئ منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير وحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي يسمع به قد استولى المذكور العلي على الفؤاد فامتلكه وعلى الجوارح فصرفها فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها كيف شاء في مرضاته فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف وتنبعث الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله قلب أم موسى عليه السلام بمعنى ذلك في قوله الحق وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أي فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى فكادت أن تبدي به من غير قصد منها الذكره ولا تدبير بل كان تركها التصريح بذكره صبرا لما ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين بما أوحى اليها من قبل في شأن موسى وبأنه من المرسلين وبذلك يندفع الاشكال الذي ذكره أبو العز ووصفه بالعظم وهو اجتماع الضدين في بادي الرأي وهما الذكر والغفلة عن الذكر وهذه المعالم والمراقي لا يعرف حقائقها الا السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بآيات الله فتكون من الصم البكم في الظلمات ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف الفقد والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغيبة بوجه ولا يتصف بحوادث المحدثين ولا يجري عليه صفات المخلوقين فهو حاضر عينا ومعنى وشاهد سر او نجوى اذ هو القريب من كل شئ وأقرب الى الذاكر له من نفسه من حيث الايجاد له والعلم به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه خلق الخليقة فلا تلحقه أوصافها وأوجد الاعداد فلا تحصره معانيها سبحانه هو العلي الكبير انتهى كلام الشيخ أبي العباس رحمه الله في معنى المقام الثالث من مقامات الذكر وهو في غاية الحسن والتحقيق مشيرا الى توحيد الخواص من أهل هذا الطريق فلا ينبغي أن يستبعد العبد الوصول الى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز على الفتاح العليم فعلى العبد القيام بحق الاسباب ومن الله تعالى رفع الحجاب وقال رضي الله عنه

من علامات موت القلب عدم الحزن على مافاتك من الموافقات وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات القلب اذا كان حيا بالايمان حزن على مافاته من الطاعات وندم على ما فعله من الزلات ومقتضى هذا وجود الفرح بما يستعمل فيه من الطاعات ويوفق له من اجتناب المعاصي والسيئات وقد جاء في الخبر من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن فان لم يكن العبد بهذا الوصف وعدم الحزن على مافاته والندم على ما أتاه فهو ميت القلب وانما كان ذلك من قبل أن أعمال العبد الحسنة والسيئة علامات على وجود رضا الله تعالى عن العبد وسخطه عليه فاذا وفق الله

(من علامات موت القلب) أي قلب المريد (عدم الحزن على مافاتك من الموافقات) أي الطاعات (وترك الندم على مافعلت من وجود الزلات) أي من الزلات التي توجد منك وعلامة حياته بالانوار الالهية وان لم تدركها لغلظ حجابك وحزنك على مافاتك من الطاعات وندمك على مافعلت من الزلات فتفرح بصدور الاعمال منك فرحا شديدا وتغتم على صدور المخالفات وذلك دليل على أنك من أهل الارادة المحبوبين لله فجد في السير ولا تكسل

تعالى عبده للصالحات سره ذلك لانه علامة على رضاه عنه وغلب حينئذ رجاؤه واذا خذله ولم يعصمه فعل بالمعاصي ساءه ذلك وأحزنه لانه علامة على سخطه عليه وغلب حينئذ خوفه والرجاء يبعث على الاجتهاد في الطاعات وليس من مقتضاه تركها وعدم الحزن على مافاته منها أمنا واغترارا والخوف يبعث على المبالغة في اجتناب المعاصي والسيئات وليس من مقتضاه فعلها وترك الندم عليها يأسا وقنوطا وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه آت فلما حاذانا ورأى جماعتنا أناخ راحلته ثم مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أوضعت راحلتي من مسيرة تسع فسيرتها الليل ستا وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وأنضيت راحلتي لأسألك عن اثنتين أسهرتاني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال زيد الخيل قال بل أنت زيد الخير سل فرب معضلة قد سئلت عنها قال جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف أصبحت يازيد قال أصبحت أحب الخير وأهله وأحب أن يعمل به واذا فاتني حننت اليه واذا عملت عملا قل أو كثر أيقنت بثوابه قال هي هي بعينها يازيد ولو أرادك الله للأخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي واد هلكت فقال زيد حسبي حسبي ثم ارتحل ولم يلبث ✻ لا يعظم

الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه ✻ عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين أحدهما أن يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على أن لا يعود الى مثله فهذه عظمة محمودة وهي من علامات ايمان العبد كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فطاره و يقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى والثاني أن يعظم عنده عظمة توقعه في اليأس والقنوط وتؤديه الى سوء الظن بالله تعالى فهذه عظمة مذمومة قادحة في الايمان وهي شر عليه من ذنوبه وسبب ذلك جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه ولو كان عارفا بالله حق المعرفة لاستحقر ذنوبه في جنب كرمه وفضله فأي قدر للعبد أو قيمة حتى يقع في ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه أن يغفره قال في التنوير واعلم أنه لا بد في مملكته من عباد هم نصب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وفهم قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي

فهذه عظمة مذمومة قادحة في الايمان وهي شر عليك من ذنوبك وسببها جهلك بصفات مولاك ووقوفك مع نفسك (فانه من عرف ربه) معرفة حقيقية (استصغر في جنب كرمه ذنبه) فاي ذنب لا يسعه عفوه سبحانه أما عظمة الذنب التي تحمل مرتكبه على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على أن لا يعود الى مثله فهي عظمة محمودة وهي من علامات ايمان العبد قال ابن مسعود ان المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فطاره و يقال إن الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله

لاهل

(لا صغيرة) من ذنوبك بل كلها كبائر (اذا قابلك عدله) وهو تصرفه في ملكه من غير حجر عليه فاذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه الله تعالى ومقته * (٦٣) * بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر (ولا كبيرة اذا واجهك فضله) وهو اعطاء الشئ بغير عوض بل جميع ذنوبك حينئذ صغائر فاذا ظهرت صفة الفضل لمن أحبه اضمحلت سيئاته ورجعت كبائره صغائر ولذا قال الشاذلي قدس الله سره واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت (لا عمل أرجى للقبول) أى لقبول الله له (من عمل يغيب عنك شهوده) بان تشهد أن الذى وفقك له هو الله تعالى ولولاه ما صدر منك ذلك العمل (ويحتقر عندك وجوده) بان لا تعتمد عليه في تحصيل أمر من الامور كالوصول الى الله تعالى والقرب منه ونيل الدرجات والمقامات لرؤيتك التقصير فيه وعدم سلامته من الآفات المانعة من قبوله وفي بعض النسخ أرجى للقلوب أى لصلاحها

لاهل الكبائر من أمتي وجاء رجل الى الاستاذ أبي الحسن قدس الله سره العزيز فقال يا سيدي كان البارحة بجوارنا من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب أن يكون هذا فقال يا هذا كأنك تريد أن لا يعصى الله تعالى في مملكته من أحب أن لا يعصى الله تعالى في مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته وان لا تكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم له وكم من مذنب كثرت اساءته ومخالفته وجبت له الرحمة من ربه فكان له راحما وبقدر ايمانه وان عصى عالما اه فلا ينبغي للعبد أن يستعظم ذنبه استعظاما يؤديه الى أن يلقي بيديه ايا سا من روحه وقنوطا من رحمته وسوء ظن به بل عليه أن يتوب الى ربه منه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة الله تعالى في تسليطه عليه وقضايته بينه وبينه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ماخلى الله تعالى بين مؤمن وبين ذنب أبدا فنبهك بهذا على أن الذنب مانع من وجود العجب الذى هو أعظم حجاب بين العبد وبين مولاه لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لطاعته وعبادته ملاحظ لذلك ومساكن له بخلاف ذلك الذنب لانه يوجب له الخوف والحذر والالتجا الى الله تعالى والفرار اليه من نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب يؤديه الى الاستغناء والذنب يؤديه الى الافتقار وأحب أوصاف العبد الى الله عز وجل افتقاره الى مولاه وأشرف أحوال المؤمن ماردّه اليه ويقبل به عليه

(لا صغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله) اذا ظهرت الصفات العلية بطلت أعمال العاملين فاذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر واذا ظهر وصف الكرم والفضل لمن أحبه اضمحلت سيآته ورجعت كبائره صغائر قال يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه ان وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة وان نالهم فضله لم تبق لهم سيئة ومن دعائه رضي الله تعالى عنه الهي ان أحببتني غفرت سيآتي وان مقتني لم تقبل حسناتي وما أحسن قول سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه في دعائه ومناجاته واجعل سيآتنا سيآت من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك وسيأتي من مناجات المؤلف رحمه الله في مثل هذا المعنى قوله الهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقالني منها فضلك

(لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده)

العلوم الوهبية والانوار العرفانية التي ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه فيرى الحق حقا والباطل باطلا ويطلق على تحول المعنى يرد على القلب وان لم يشعر به العبد لغلظ بشريته وقد يعبر عنه بالحال وهذا هو المراد هنا (لتكون به عليه واردا) أي مقبلا على الدخول في حضرته ومعلوم أن الدخول في تلك الحضرة لا يكون الا للقلب الخالص عما يكدره ولذا قال (أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الاغيار ويحررك من رق الآثار) الاغيار والآثار هي الاغراض الدنيوية وشهوات النفوس فهي غاصبة لك لحبك لها وسكونك اليها واعتمادك عليها مخلوق

في النسخ الموجودة بايدينا لا عمل أرجى للقلوب ومعناه على هذا الوجه أن العمل الموصوف بهذه الصفة لا يلتفت اليه القلب ولا يعتبره وفي عدم التفاته واعتباره صلاحه وتحرره من رق رؤيته فيبقى حينئذ مع ربه لا مع عمله ويكون ذلك على حذف مضاف تقديره لا عمل أرجى لصلاح القلوب أوما في معناه وسيأتي من كلام المؤلف ما يناسب هذا المعنى وهو قوله قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم الى آخره والغالب على الظن أن الذي قصده المؤلف رحمه الله وذكره انما هو لفظ القبول فغلط الناسخ فقلب حروفه ولا يحتاج في هذا الى حذف وتقريره على هذا الوجه أن تقول سلامة العمل من الآفات شرط في قبوله لان صاحبه متق لله تعالى وقد قال عز من قائل انما يتقبل الله من المتقين وانما يسلم العمل من الآفات باتهام النفس في القيام بحقه ورؤية تقصيره فيه فيغيب عنه اذذاك شهوده ويحتقر عنده وجوده فلا يساكنه ولا يعتمد عليه فان لم يكن على هذا الوصف بل كان ناظرا اليه ومستعظما له غائبا عن شهود منة الله تعالى عليه في توفيقه له أوقعه ذلك في العجب فحبط لذلك عمله وخاب سعيه قال أبو سليمان رضي الله تعالى عنه ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته وقال علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه كل شيء من أفعالك اذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لا يقبل منك لان القبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول وقد سئل بعض العارفين ما علامة قبول العمل قال نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل أن لا يبقى عندك منه شيء فانه اذا بقي في نظرك منه شيء لم يرتفع اليه لبينونة بين عنديتك وعنديته فينبغي للعبد اذا عمل عملا أن يكون عنده نسيا منسيا بما ذكرناه من اتهام

النفس ورؤية التقصير حتى يحصل له قبوله (انما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا) الوارد عبارة عما يرد على القلب من المعارف الربانية واللطائف الروحانية ليطهره بذلك ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول الى حضرته لان الحضرة منزهة عن كل قلب متكدر بالآثار متلوث باقذار الاغيار فاذا انما أورده

عليك لتكون به عليه واردا (أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الاغيار ويحررك من رق الآثار) الآثار والاغيار غاصبة ومسترقة لك وذلك لوجود حبك لها وسكونك اليها واعتمادك عليها فانما أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك ويحررك من ملكية من استرقك والاشارة الى هذا المعنى بما ضرب الله تعالى من المثل للكافر في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا فمن سلم من يد الاغيار وحرر من رق الآثار لا يكون

فاورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من عصبك و يحررك من [illegible]
فيك نصيب ولا شركة وتكون سالما لله عز وجل فتصلح للحضور معه ولذا قال (أورد عليك الوارد
ليخرجك من سجن وجودك) أى صفاتك القائمة بك المانعة لك من شهود مولاك كالسجن المانع
للمسجون من الخروج (الى فضاء شهودك) أى لشهودك للمولى الشبيه بالفضاء لعدم وجود شئ
يحولك عن الرؤية قال بعضهم سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت فى راحة الابد ومقتضى هذا
التقرير أن الوارد واحد وثمرته واحدة وهى الدخول فى حضرة الرب ويصح أن يكون المعنى أورد
عليك الوارد لتكون به عليه واردا أى مقبلا عليه بالاشتغال بالطاعات وأنواع المجاهدات فتشتغل
بذلك مع قيامك بأوصاف نفسك وشهواتها المقتضية عدم الاخلاص فى العبادة
فيرد عليك وارد آخر ليخلصك من ذلك ويحصل لك الاخلاص فاذا حصل لك ربما تركن اليه وتعتمد عليه فى قبول أعمالك ووصولك بها الى حضرة قربه وذلك باطل فيرد عليك
وارد ثالث تغيب به عن رؤية نفسك وتشاهد به مولاك بسرك
ثم قال (الانوار) الالهية التى ترد على قلب المريد من حضرة الرب وتحصل غالبا من الاذكار والرياضات
(مطايا القلوب) توصلها الى مطلوبها التى هى متوجهة له وهو دخولها حضرة الرب والقرب منه
كتوصيل المطية راكبها الى مطلوبه (والاسرار) أى ومطايا الاسرار أيضا جمع سر وهو باطن
القلب عند الصوفية ولا التفات لمن جعله عين القلب لانه خلاف اصطلاحهم (النور جند القلب)
أى يتوصل به الى ما يقصده و يتوجه اليه وهو حضرة الرب كما يتوصل الامير بجنده الى ما يقصده
من غلبة عدوه وهذا مستفاد مما قبله وانما أتى به توطئة لقوله (كما أن الظلمة) وهى طبيعة العبد
(جند النفس) تتوصل بها الى مقصودها وهو الشهوات والاغراض العاجلة ومازال الحرب واقعا
بين القلب والنفس (فاذا أراد الله أن ينصر عبده) أى يعينه على نفسه وقمع شهواتها (أمده) أى أمد
قلبه (بجنود الانوار) أى بجنود هى الانوار أو بالانوار الشبيهة بالجنود فانها اذا حصلت له أدرك بها
قبح الشهوات العائقة عن الوصول الى الله تعالى (وقطع عنه مدد الظلم والاغيار) أى مددا هو الظلم
والاغيار وهما بمعنى واحد واذا أراد خذلانه فعلى العكس من ذلك فاذا مال القلب الى عمل صالح
كصوم غد ومالت النفس الى شهوة كالفطر وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذى هو من الله تعالى
ورحمته الى نصرة القلب والظلمة الى نصرة النفس وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين الجندين
لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله وتوكله عليه وهكذا فى كل عمل صالح الى أن يصل الى الله تعالى
فينقطع حينئذ حكم النفس وتصير مقهورة مغلوبة ثم قال

المخلوق فيه نصيب ولا شركة وكان سلما لله عز وجل (أورد عليك الوارد
ليخرجك من سجن وجودك الى فضاء شهودك) سجن وجوده هو شهوده لنفسه
ومراعاته لحظه وفضاء شهوده أن يغيب عن ذلك بشهود عظمة الله تعالى وجلاله
ورؤية قيام حركاته وسكناته قال أبو القاسم النصراباذى رضى الله تعالى عنه سجنك
نفسك اذا خرجت منها وقعت فى راحة الابد وسيأتى من كلام المؤلف فى معنى قوله
سجن وجودك الكائن فى الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته
ومحصور فى هيكل ذاته ❀ (الانوار مطايا القلوب والاسرار) أنوار الايمان واليقين
مطايا حاملة الاسرار والقلوب الى حضرة علام الغيوب وتلك هى الواردات
المذكورات (النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فاذا أراد الله أن ينصر
عبده أمده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم والاغيار) نور التوحيد واليقين

(النور) الذي يفيضه الله على قلب المريد (له الكشف) أي كشف المعاني والمغيبات لحسن الطاعة وقبح المعصية (والبصيرة) التي هي ناظر القلب (لها الحكم) أي ادراك ذلك ومشاهدته فكما لا يمكن ادراك البصر للمحسوسات الا بالانوار الظاهرية كسراج وشمس لا يمكن ادراك البصيرة لشئ من المعاني الا بالانوار الباطنية (والقلب له الاقبال والادبار) على ما كشف للبصيرة فاذا كشف لها عن حسن الطاعة وقبح المعصية أقبل القلب على الطاعة وأحبها فتتبعه الجوارح وادبر عن المعصية فلا تتلبس بها الجوارح هذا ويحتمل أن المعنى أن النور له الكشف عن المغيبات كاسرار القدر وأنه يحصل في العالم كذا والبصيرة لها الحكم أي ادراك ذلك ثم هذا الكشف والادراك قد لا يكونان تامين فينبغي للكاشف أن يتثبت في كشفه ولا يعمل بمقتضى ما كشف له فلا يخبر بشئ الفرح حتى يستفتي قلبه اما أن يقبل واما أن يدبر ولذا تجد بعض الاولياء يخبر عن أمور لا تقع وذلك لعدم تثبته في كشفه (لا تفرحك الطاعة لانها برزت منك) أي من حيث صدورها عنك باختيارك وحولك وقوتك فهذا فرح مذموم منهي عنه محبط لها (و) لكن (افرح بها لانها برزت من الله اليك) أي من حيث شهودها من الله نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود المطلوب من العبد وهو ومقتضى شكرها ثم استدل على ذلك بقوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فايصال تلك الطاعة اليه واظهارها على يده اعتناء من الله سبحانه وتعالى به فينبغي أن يفرح بها من تلك الحيثية لا من حيثية صدورها منه وفعله لها

وظلمة الشرك والشك جندان للقلب والنفس والحرب بينهما سجال فاذا أراد الله نصرة عبده أمد قلبه بجنوده وقطع عن نفسه مدد جنودها واذا أراد خذلان عبده فعلى العكس فاذا مال القلب الى العمل بأمر محمود مؤلم في الحال ملتذ به في المآل ومالت النفس الى العمل بامر مذموم ملتذ به في الحال مؤلم في المآل وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذي هو من أمر الله تعالى ورحمته الى نصرة القلب وبادرت الظلمة التي هي من وساوس الشيطان ولمته الى نصرة النفس وقام صف القتال بينهما فان سبقت للعبد من الله تعالى سابقة السعادة اهتدى القلب بنور الله تعالى واستهان بالعاجلة ورغب في الآجلة وعمل القلب بما مال اليه وان آلمه في الحال لما يرجوه من التنعم به في المآل وان سبقت له من الله الشقاوة والعياذ بالله ذهل القلب عن النور وأعمته الظلمة عن منفعة الآجل واغتر بلذة العاجل وعمل بما مالت اليه نفسه وان آلمه في المآل لما يحصل لها من لذة الحال وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين الجندين لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله تعالى ولياذه به وكثرة ذكره وصدق توكله عليه واستعاذته من الشيطان الرجيم وهذه العبارات الخمس من قوله انما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الى هنا تفنن فيها صاحب الكتاب وكررها بالفاظ مختلفة والمعاني فيها متقاربة وهذه عادته في مواضع كثيرة من هذا الكتاب رضي الله تعالى عنه (النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار) هذه ألفاظ مختلفة لمعان متغايرة فالنور يفيد كشف المعاني المغيبات حتى تتضح وتشاهد والبصيرة التي هي ناظر القلب تفيد الحكم وهو صحة ما شاهدته والقلب له الاقبال عملا بمقتضى ما شاهدته البصيرة وله أيضا الادبار تركا للعمل بمقتضى ما شاهدته البصيرة

(لا تفرحك الطاعة لانها برزت منك وافرح بها لانها برزت من الله اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

(قطع) أى حجب ومنع (السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم) الظاهرية (وشهود أحوالهم) القلبية لكن السبب فى انقطاع الطائفتين عن ذلك مختلف (أما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها) وذلك لرؤيتهم نقصها بعدم حضور قلوبهم مع الله حال فعلها فهم دائما متهمون نفوسهم فى توفية أعمالهم حقها وفى صفاء أحوال قلوبهم فكان ذلك سببا فى البراءة من رؤيتها وشهودها (وأما الواصلون فلانه غيبهم بشهوده عنها) أى انهم نسبوها اليه تبريا من حولهم وقوتهم فقطعهم عن ذلك شهودهم له فى حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره وقد أسبغ الله النعمة على الفريقين حيث عافاهم من التعلق بأعمالهم وأحوالهم الا أنه فعل ذلك بالسالكين كرها وبالواصلين طوعا ولاشك أن هذا المقام أرقى من الاول ولهذا لما سأل الواسطى أصحاب أبى عثمان بماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها قال لهم أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود منشئها ومجريها يريد بذلك ترقى همتهم الى مقام العرفان لا لتحقير ماهم عليه فانه من الاحسان

الفرح بالطاعة على وجهين فرح بها من حيث شهودها من الله تعالى نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود وهو الذى طلب من العبد وذلك هو مقتضى شكرها وفرح بها من حيث ظهورها من العبد باختياره وارادته وحوله وقوته فهذا هو فرح مذموم منهى عنه وهو كفران النعمة وهو من العجب المحبط للعمل فالفرح بها على هذا الوجه فرح بلاشئ وسيأتى فى آخر الكتاب أنواع الفرح النعم وما يحمد منها وما يذم تامة مستوفاة

(قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها) لقد أسبغ الله نعمته على الفريقين حيث فعل معهم ذلك لانه أبقاهم معه ولم يدعهم لسواه فالواصلون فعل ذلك بهم طوعا منهم والسالكون فعل ذلك بهم كرها ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها فالواصلون قطعهم عن ذلك لشهودهم له فى حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره اذ محال أن يراه ويشهد معه سواه والسالكون قطعهم عن ذلك عدم تحققهم بالصدق والبراءة من الدعوى فهم أبدا متهمون لانفسهم فى توفية أعمالهم وتصفية أحوالهم قال النهرجورى رضى الله تعالى عنه من علامات من تولاه الله فى أحواله أن يشهد التقصير فى اخلاصه والغفلة فى أذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مجاهداته وقلة المراعاة فى فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله فى قصده وسيره حتى يفنى عن كل مادونه وقال أبو عمرو اسماعيل ابن نجيد رضى الله تعالى عنه لا يصفو لاحد قدم فى العبودية حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء وأحواله كلها عنده دعاوى وقال أبو يزيد رضى الله تعالى عنه لو صفت لى تهليلة واحدة ما باليت بعدها بشئ والى هذين المقامين تشير الحكاية التى تروى عن الواسطى رضى الله تعالى عنه وذلك انه لما دخل نيسابور سأل أصحاب أبى عثمان رضى الله تعالى عنه بماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشئها قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه وانما أراد الواسطى بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا فى أوطان التقصير أو تجويزا

(ماسقت) يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت أي ما طالت (أغصان ذل الاعلى بذر طمع) شبه الذل بشجرة ذات أغصان وفروع استعارة بالكناية والاغصان تخييل باق على حقيقته أو مستعار لانواع الذل وبسقت ترشيح باق على حقيقته أو بمعنى وجدت وحصلت وشبه الطمع بالنواة التى تنشأ منها الشجرة فاضافه بذر له من اضافة المشبه به للمشبه أى طمع شبيه بالبذر أى المبذور الذى تنشأ منه الشجرة ذات الاغصان فكانه يقول لاتغرس بذر الطمع فى قلبك فتخرج منه شجرة الذل وتتشعب أغصانها وفروعها ولو قال ماسقت شجرة الذل لكان أولى لان الذى يتصف بالطول وينشأ عن البذر هو اصل الشجرة ووصف الاغصان بذلك بطريق التبع فالطمع من أعظم العيوب القادحة فى العبودية بل هو أصل جميع *(٦٨)* الآفات لانه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفى ذلك من المذلة والاهانة مالامزيد عليه وبسببه الشك فى المقدور ولذا قال بعضهم لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك فى المقدور لوقيل ماحرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ماغايتك قال الحرمان فالطامع لامحالة فاسد الدين ولذا

الاخلال بأدب من الآداب وقال رضى الله تعالى عنه (ماسقت أغصان ذل الاعلى بذر طمع) البسوق الطول يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت قال الله تعالى والنخل باسقات والاغصان جمع غصن وهو ماتشعب عن سوق الشجر ويجمع أيضا على غصون والبذر الحب الذى يزرع وهذه كلها استعارات مليحة والطمع من أعظم آفات النفوس وعيوبها القادحة فى عبوديتها بل هو أصل جميع الآفات لانه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفى ذلك من المذلة والمهانة مالامزيد عليه ولايحل للمؤمن أن يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذى يقتضى وجود العزة والعزة التى اتصف بها المؤمنون انما تكون برفع هممهم الى مولاه وطمأنينة قلوبهم اليه وثقتهم به دون من سواه فهذه هى العزة التى منحها الله عبده المؤمن قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وكما أن العزة من صفات المؤمنين كذلك المذلة من أخلاق الكافرين والمنافقين قال الله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين قال أبو بكر الوراق الحكيم رضى الله تعالى عنه لوقيل للطمع من أبوك قال الشك فى المقدور ولوقيل له ماحرفتك قال اكتساب الذل ولوقيل ماغايتك قال الحرمان وقال أبو الحسن الوراق النيسابورى رضى الله تعالى عنه من أشعر فى نفسه محبة شئ من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع فى شئ ذل وبذله هلك وقد قيل فى ذلك (مفرد)

أتطمع فى ليلى وتعلم أنما * تقطع أعناق الرجال المطامع

فالطامع لامحالة فاسد الدين مفلس من أنوار اليقين قال فى التنوير وتفقد وجود الورع

دخل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه جامع البصرة فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جاء الى الحسن البصرى فقال يافتى انى سائلك عن أمر فان أجبتنى فيه ابقيتك والا أقمتك كما أقمت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت قال ماملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس والورع الذى يقابل الطمع هو ورع الخاصة وهو صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وطمأنينة القلب به لاورع العامة وهو ترك الشبهات وعلى هذا فيقال قياسا على ماقاله المصنف ماسقت أغصان عز الاعلى بذر ورع

الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ما سواه وتطهر من الطمع فى الخلق فلو تطهر
الطامع فيهم بسبعة أبحر ما طهره الا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم قال وقدم على
ابن أبى طالب رضى الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون
فأقامهم حتى جاء الى الحسن البصرى رضى الله عنه فقال يافتى انى سائلك عن أمر
فان أجبتنى عنه أبقيتك والا أقمتك كما أقمت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتا
وهديا فقال الحسن سل عما شئت قال ماملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين
قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا رضى الله
عنه يقول كنت فى ابتداء امرى بثغر الاسكندرية فجئت الى بعض من يعرفنى
فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت فى نفسى لعله لايأخذه منى فهتف بى
هاتف السلامة فى الدين بترك الطمع فى المخلوقين قال وسمعته يقول صاحب الطمع
لايشبع أبدا ألا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين ثم قال بعد هذا
فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم فقد سبقت قسمته وجودك
وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قاله بعض المشايخ أيها الرجل ماقدر لماضغيك أن
يمضغاه فلابد أن يمضغاه فكله ويحك بعزولا تأكله بذل قلت تقدم الآن من
كلامه فى التنوير ذكر الورع فى مقابلة الطمع وكذلك فى جواب الحسن لعلى رضى
الله عنهما لما سأله مستخبرا له عن صلاح الدين وفساده فى الكلام الذى حكاه
عنهما ولا شك ان الورع الظاهر لعامة الناس وهو ترك الشبهات والتحرج من
اقتحام المشكلات لايقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع ماهو وانما يقابله
ورع الخاصة وهو عندهم صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون
اليه وعكوف الهمم عليه وطمأنينة القلب به ولا يكون له ركون الى غيره ولا
انتساب الى خلق ولا كون فهذا هو الورع الذى يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل
عمل مقرب وحال مسعد كما نبه عليه الحسن رضى الله عنه فى جوابه المذكور وقال
يحيى بن معاذ رضى الله عنه الورع على وجهين ورع فى الظاهر أن لايتحرك الا لله
وورع فى الباطن وهو أن لايدخل قلبك الا الله ذكر ان بعضهم كان حريصا على أن
يرى أحدا ممن هذه صفته فجعل يجتهد فى طلبه ويحتال على التوصل اليه بان
يأخذ الشئ بعد الشئ من ماله ويقصد به الفقراء والمساكين ويقول لمن يعطيه
منهم حين المناولة خذ لالك فكانوا يأخذون ولا يسمع من أحد منهم جوابا مطابقا
لما أراده بكلامه الى أن ظفر ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته وذلك
انه قال لاحدهم خذ لالك فقال له آخذه لامنك فان كان للعبد استشراف الى خلق
أو سبقية نظرا اليهم قبل مجئ الرزق أو بعده فمقتضى هذا الورع والواجب فى حق
الادب ان لايذيل نفسه شيأ مما يأتيه على هذه الحال عقوبة لنفسه فى نظره الى ابناء

جنسه كقصة أيوب الجمال مع أحمد بن حنبل رضي الله عنهما وهي معروفة وكما روى
عن الشيخ أبي مدين رضي الله عنه انه اتاه جمال بقمح فنازعته نفسه وقالت له
ماترى من أين هذا فقال لها أنا أعرف من أين هو ياعدوة الله وأمر بعض أصحابه أن
يدفعه لبعض الفقراء عقوبة لها لكونها رأت الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل
أحل الحلال مالم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال وقد
صرح بهذا المعنى الذي ذكرناه وأوضح الغرض الذي قصدناه شيخ الطريقة وامام
أهل الحقيقة من المتأخرين أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه فانه قال اعلم
ان الورع أن لا يكون بينك وبين الخلق نسبة في أخذ وعطاء أو قبول أورد وأن
يكون السبق لله تعالى وهو أن يأتي اليه طاهرا من جميع الاشياء والعلم والعمل كما
قال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقال أيضا الورع أن لا يخطر الرزق
بالبال ولا يكون بينه وبينه نسبة لا في التحصيل ولا عند المباشرة لانه لا يدرى
أيأكله أم لا وقال أيضا الورع أن لا تتحرك ولا تسكن الا وترى الله في الحركة
والسكون فاذا رأى الله ذهبت الحركة والسكون وبقي مع الله فالحركة ظرف لما
فيها كما قال بعضهم مارأيت شيأ الا رأيت الله فيه فاذا رأى الله ذهبت الاشياء
وقال أيضا أجمع العلماء على أن الحلال المطلق ما أخذ من يد الله بسقوط الوسائط
وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذي لا ينسى الله فيه الى غير هذا
من العبارات التي عبر بها في هذا المعنى وقال بعض هذه الطائفة العبيد كلهم
يأكلون أرزاقهم ثم يفترقون في المشاهدات فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من
يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من يأكل رزقه بعز بلا
مهنة ولا انتظار ولا ذلة فأما الذين يأكلون أرزاقهم بذل فالسؤال يشهدون أيدى
الخلق فيبذلون لهم وأما الذين يأكلون أرزاقهم بامتهان فالصناع يأكل أحدهم
رزقه بمهنة وكد وأما الذين يأكلون أرزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر أحدهم
نفاق سلعته فهو متعذب القلب معذب بانتظاره وأما الذين يأكلون أرزاقهم
بعز من غير مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون
قسمتهم من يده بعزة قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ليس مع الايمان
أسباب انما الاسباب في الاسلام قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه معناه ليس
في حقيقة الايمان رؤية الاسباب والسكون اليها اغا رؤيتها والطمع في الخلق
يوجد في مقام الاسلام وقد عقد المؤلف رحمه الله تعالى في لطائف المنن فصلا في هذا
المعنى وجعله لجميع وظائف الآداب الدينية اصلا ومبنى فرأينا نقله في هذا الموضع
من صواب العمل المتكفل ان شاء الله بنجاح الامل قال رضي الله عنه اعلم رحمك الله
ان ورع الخصوص لا يفهمه الا قليل فان من جملة ورعهم تورعهم عن أن يسكنوا

لغيره أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد اطماعهم فى غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسايط والاسباب وخلع الانداد والأرباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون الى أنوار التجليات ومن ورعهم ورعهم عن أن تفتنهم الدنيا وترفعهم الآخرة تورعوا عن الدنيا رفاء وعن الوقوف مع الآخرة صفاء قال الشيخ عثمان بن عاشوراء خرجت من بغداد أريد الموصل فأنا أسير واذا أنا بالدنيا قد عرضت على بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها وزينتها ومشتهياتها فأعرضت عنها فعرضت على الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها فقيل لى يا عثمان لو وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك وقال الشيخ عبد الرحمن المغربى وكان مقيما بشرقى الاسكندرية جاورت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية فاذا على يقول لى انك فى العام القابل عندنا فقلت فى نفسى اذا كنت العام القابل ههنا فلا أعود الى الاسكندرية فخطر لى الذهاب الى اليمن فأتيت الى عدن فأنا يوما على ساحلها واذا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل فرش سجادته على البحر ومشى على الماء فقلت فى نفسى لم أصلح للدنيا ولا للآخرة فاذا على يقول لى من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله تعالى عنه الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه وأجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم فى عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الامر فهم مجموعون فى عين الجمع لا يتفرقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى وأما أدنى الأدنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميزان فهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدلالة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله احتقارا لنفسه وافتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال فانظر فهمك الله سبيل أوليائه ومن عليك بمتابعة أحبائه هذا الورع الذى ذكره الشيخ رضى الله عنه هل كان يصل فهمك الى مثل هذا النوع من الورع الاترى

(ما قادك شئ مثل الوهم) يعني ان الوهم هو السبب في الطمع في الناس وذلك كاف في وجه لان الوهم الذي هو أصله أمر عدمي اذ هو عبارة عن التخيل والحسبان التقديري لكن النفوس منقادة له أتم من انقيادها الى العقل الاترى ❋(٧٢)❋ ان الطبع ينفر من الحية لتوهمه الضرر فيها بل

من الحبل الابرقش لكونه على صورتها ولو انقادت للعقل لم تنفر لان ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن فلا يسلم من طمع في الخلق والرغبة فيما بأيديهم الا أهل الورع الخاص وهم أهل القناعة والتوكل الذين سقط من قلوبهم علاقات الخلائق فلا يهتمون للرزق (أنت حر مما أنت عنه آيس) أي من كل ما أنت آيس منه (وعبد لما أنت له طامع) أي لكل ما أنت طامع فيه فمن يعني من ولام له يعني في وهذا دليل آخر لقبح الطمع ومدح

قوله قد انتهى بهم الورع الى لا اخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة لفائقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المنقطعين الذي نشأ عن سوء الظن وغاية لوهم انتهى وانما أوردنا هذه المعاني ههنا تتميما للفائدة المتعلقة بكلام صاحب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسيأتي مزيد بيان فيها في موضع أنسب من هذا عند قوله لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلائق الى آخره فانظره فيه (ماقادك شئ مثل الوهم) الوهم أمر عدمي وهو ضد الحقيقة الوجودية والنفس الناقصة انقيادها الى الامور الوهمية الباطلة أشد من انقيادها الى الحقائق الثابتة لوجود المناسبة بينهما والطمع في الناس انقياد الى الاوهام الباطلة لان الطمع تصديق الظن الكاذب والطمع فيهم طمع في غير مطمع وأرباب الحقائق بمعزل عن هذا فلا تتعلق هممهم الا بالله ولا يتوكلون الا عليه ولا يثقون الا به قد سقط اعتبار الاوهام والخيالات التي هي متعلقة بالاغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع فتصفوا بصفة القناعة والورع فكانت لهم الحياة الطيبة والعيشة الراضية والقناعة مقام عظيم من مقامات اليقين وهي من بدايات أحوال الراضين قال بعض العارفين لا يكون العبد قانعا حتى لو جاء الى باب منزله جميع ما رغب فيه أهل الدنيا من الاتساع والنعمة فعرض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال هي القناعة (أنت حر مما أنت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع) الطمع في الشئ دليل على الحب له وفرط الاحتياج الى دليله وذلك عبودية له كما ان اليأس من الشئ دليل على فراغ القلب منه وغناء عنه وذلك حرية منه فالطامع عبد واليائس حر ولهذا قيل

العبد حر ما قنع ❋ والحر عبد ما طمع
فاقنع ولا تطمع فما ❋ شئ يشين سوى الطمع

وقيل لولا الاطماع الكاذبة لما استعبد الاحرار بكل شئ لا خطر له وقيل ان العقاب يطير في فضاء عزه بحيث لا يرتقي طرف الى مطاره ولا تسمو همة الى الوصول اليه فيرى قطعة لحم معلقة على شبكة فينزله الطمع من مطاره فيعلق بالشبكة جناحه فيصيده صبي يلعب به وقيل ان فتحا الموصلي رضي الله عنه كان قاعدا فسئل عمن تابع الشهوات كيف صفته وكان بقربه صبيان مع أحدهما خبز بلا أدم ومع الآخر خبز مع كامخ فقال الذي لم يكن معه كامخ لصاحبه أطعمني من الكامخ فقال له

الاياس من الخلق والقناعة بالرزق المقسوم وبيانه ان الطمع في الشئ عبودية له كما ان بشرط اليأس من الشئ حرية منه لانه يدل على فراغ القلب منه وغناه عنه فالطامع عبد واليائس حر ولذلك قيل العبد حر ما قنع ❋ والحر عبد ما طمع والقناعة هي السكون عند عدم المألوفات وهي أول الزهد

بشرط أن تكون كلبي فقال نعم فجعل في رقبته خيطا وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال فتح للسائل أما انه لو رضي بخبزه ولم يطمع في كامخ صاحبه لم يصر كلبا لصاحبه وحكي عن بعضهم انه دخل على تلميذ له فقدم التلميذ اليه خبزا قفارا ولم يكن له ادم فاخذ يتمنى بقلبه أن ليت كان له ادم يقدمه الى أستاذه فقام الاستاذ وقال تعال معي فحمله الى باب السجن فرأى الناس يضرب واحد ويقطع آخر ويعذب كل واحد بأنواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ ترى هؤلاء هم الذين لم يصبروا على الخبز القفار وقيل ان رجلا أخرج من السجن وفي رجله قيد يسأل الناس فقال لانسان أعطني كسرة فقال لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد في رجلك ورأى رجل رجلا من الحكماء يأكل ما تساقط من البقل على رأس الماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الى أكل هذا فقال الحكيم وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد أردت أن أذكر هنا حكاية مناسبة لما نحن فيه لتعرف بها كيف تكون الهمة السفية والآداب المرضية في أخذ البلاغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشياء ورؤية منة الله تعالى في تيسير القليل والشكر له على ذلك قال بعضهم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالزاوية نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة وله منظر وهيئة وصورة حسنة ومروأة فقال من يبغي خادما من يبغي ساقيا فقلت دونك هذه القربة فاخذها وانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا وأثرت القربة في كتفيه فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال ألكم غيرها قلنا لا وأطعمناه قرصا باردا فاخذه وحمد الله سبحانه وشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد يأكل أكل جائع فادركتني عليه الشفقة فقمت اليه بطعام طيب كان معنا وأكثرت له منه فقلت قد علمت انه لم يقع منك القرص بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال يا عبد الله انما هي فورة جوع فلا أبالي بأي شيء رددتها عني فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبي أتعرفه قلت لا قال انه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب هذا من ولد سليمان بن أبي جعفر المنصور وكان يسكن البصرة فتاب فخرج منها ففقد فما عرف له أثر فاعجبني قوله ثم اجتمعت به وآنسته وقلت له يا فتى أنا رجل من اخوانك وقد بلغني موضعك فاحببت الاتصال بك فهل لك أن تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو أردت هذا لكان لي معدا ثم أنس الي وجعل يحدثني فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وتجبر وبذخ واني أمرت خادما لي أن يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير فبينما أنا نائم اذا بقمع ورد قد غفلت عنه الخادمة فقمت اليها فاوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فاتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال لي أفق من غشيتك وأبصر من حيرتك ثم أنشأ يقول

(من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان) أى بملاطفاته اياه بأنواع الاحسان (قيد اليه بسلاسل الامتحان) أى بالامتحانات والمصائب الشبيهة بالسلاسل يعنى ان المقتضى لاقبال المريد وغيره على الرب بأنواع الطاعات والتضرع اليه وجعية القلب عليه أمران الاوّل ايراد النعم عليه فيشكر الله عليها ويقبل على خدمته والثانى انزال المصائب فى بدنه أو ماله فيرجع الى الرب ويتضرع اليه برفعها وربما كان ذلك سببا فى ترك الاشتغال بالدنيا والتعلق به سبحانه ومراد الرب من العبد رجوعه اليه طوعا أوكرها (من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها) يعنى ان شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أى اذا غيروا ما بأنفسهم من الطاعات وهى شكر النعم غير الله ما منه من الاحسان والكرم والشكر اما بالقلب بأن تعلم أن النعم كلها من الله تعالى قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله واما باللسان بأن تتحدث بنعمة الله قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث واما الجوارح بان تصرفها فى طاعة الله وتكفها عما لا يرضيه

يا خذ انك ان توسد لينا * وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

قال فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتى الى ربى هاربا فهذا خبرى قال الراوى فلما قضى حديثه هذا الخنس عنى ومضى (من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان) النفوس الكريمة تقبل على الله تعالى بملاطفات احسانه وموالاة فضله وامتنانه والنفوس اللئيمة لا تنقاد الا بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب فى الاموال والابدان والقود بالسلاسل استعارة حسنة قال سيدى أبو مدين رضى الله عنه سنة الله عزوجل استدعاء العباد لعبادته بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده عزوجل رجوع العبد اليه طوعا أوكرها (من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها) شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها وانفصالها قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أى اذا غيروا ما بأنفسهم من الطاعات وهى شكر النعم غير الله تعالى ما منه اليهم من الاحسان والكرم واجتمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد للموجود وصيد للمفقود وكان يقال النعم اذا روعيت بالشكر فهى أطواق واذا روعيت بالكفر فهى أغلال والشكر على ثلاثة أوجه شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فشكر القلب أن يعلم ان النعم كلها من الله تعالى قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وشكر اللسان الثناء على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح له ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها ونشرها قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تذكروا النعم فان تذكرها شكر ومن شكر اللسان أيضا شكر الوسائط بالثناء عليهم والدعاء لهم وفى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكر الناس لله أشكرهم للناس وسيأتى الكلام على هذا المعنى فى آخر الكتاب ان شاء الله تعالى عند كلام المؤلف عليه وشكر سائر الجوارح أن يعمل بها

بهما العمل الصالح قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا فجعل العمل شكرا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا وسأل رجل أبا حازم رضي الله عنه فقال له ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا أعلنته واذا رأيت بهما شرا استرته قال فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعلاه علما قال فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال ان رأيت شيأ غبطته استعملتهما فيه وان رأيت شيأ مقته كففتهما عن عمله وأنت شاكر لله تعالى فأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذه بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر واجمع العبارات للشكر قول من قال الشكر معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل بالاركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قاله الجنيد رضي الله عنه حين سأله السرى رضي الله عنه قال الجنيد رضي الله عنه كنت بين يدى السرى رضي الله عنه وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله بنعمه فقال يوشك أن يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكى على هذه الكلمة

(خف من وجود احسانه اليك ودوام اساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الخوف من الاستدراج بالنعم من صفات المؤمنين وعدم الخوف منه مع الدوام على الاساءة من صفات الكافرين يقال من امارات الاستدراج ركوب السيئة والاغترار بزمن المهلة وحمل تأخير العقوبة على استحقاق الوصلة وهذا من المكر الخفى قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون أى لا يشعرون بذلك وهو أن يلقى فى أوهامهم انهم على شئ وليسوا كذلك يستدرجهم فى ذلك شيأ فشيأ حتى يأخذهم بغتة كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى مخالفتهم وعصيانهم فتحنا عليهم أبواب كل شئ أى فتحنا عليهم أسباب العافية وأبواب الرفاهية حتى اذا فرحوا بما أوتوا من الحظوظ الدنيوية ولم يشكروا عليها ولم يرجعوا بها الينا أخذناهم بغتة أى فجأة فاذا هم مبلسون أى آيسون قانطون من الرحمة قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه فى قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا وقال ابن عطاء الله كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة

فاذا ركنوا الى النعم وحجبوا عن المنعم أخذوا وقيل كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ومن أنواع الاستدراج ما ذكره بقوله

(ان يكون ذلك استدراجا) أى تدريجا لك شيأ فشيأ حتى يأخذك بغتة وهذا جواب سؤال ناشئ مما قبله حاصله انا نرى كثيرا من الناس لا يشكر النعم ولا تزول عنه فأجاب بأن ذلك ربما كان استدراجا ومكرا من الله به قال تعالى (سنستدرجهم) أى ندرجهم فى ذلك شيأ فشيأ حتى نأخذهم بغتة (من حيث لا يعلمون) انه استدراج ومكر أى لا يشعرون بذلك لانه يأخذهم بغتة وقيل نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها

(من جهل المريد ان يسيء الادب) اما مع الله تعالى كالاعتراض عليه وتعاطى التدبير معه والتضجر
باحكامه المؤلمة له فى نفسه أو غيره وتصريح لسانه بالشكوى الى الخلق أو مع المشايخ كالاعتراض
عليهم وعدم قبول اشاراتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لاتوبة له وقالوا أيضا من
قال لاستاذه لم فانه لا يفلح وقال القشيرى من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض
عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقى من أهل السلوك قاصدا لم يصل الى مقصوده فليعلم ان
موجب حجبه اعتراض خامر قلبه على بعض *(٧٦)* شيوخه فى بعض أوقاته فان الشيوخ بمنزلة

وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة * من جهل المريد أن يسيء الادب فتؤخر
العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد وأوجب الابعاد فقد
يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن الا منع المزيد وقد يقام مقام البعد
وهو لا يدرى ولو لم يكن الا أن يخليك وما تريد * هذا نوع من الاستدراج الذى
تقدم ذكره وسوء أدب المريد موجب لعقوبته ولكن العقوبات مختلفة فمنها معجلة
ومنها مؤجلة ومنها جلية ومنها خفية فالعقوبة الجلية العقوبة بالعذاب والعقوبة
الخفية العقوبة بوجود الحجاب فالعقوبة بالعذاب لاهل الخطايا والذنوب والعقوبة
بالحجاب لاهل اساءة الادب بين يدى علام الغيوب وقد تكون العقوبة الخفية
والمؤجلة أشد على المريد من العقوبة الجلية والمعجلة ومثال العقوبة الخفية
ماذكره من قطع المدد عنه واقامته مقام البعد منه وهذا هو مبدأ وقوع الحجاب
الذى ذكرناه فاذا ابتلى به المريد ولم تتداركه رحمة من الله تعالى فى الحال العتيد كان
ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة
وانتساخ الضياء بالظلمة ولم يمكنه بعد ذلك معاودة الحال الاولى لانه اذ ذاك تنقطع
عنه الامدادات المتصلة والواردات المتصلة فتنكسف عنه حينئذ شمس العرفان
وتستتر عنه المكشوفات والبيان وهذه جنود الله تعالى فى قلب العبد فاذا فقد

النصرة

اسفراء للمريدين اه واما مع بعض الناس فبالاعتراض عليهم كما وقع للجنيد انه رأى فقيرا يسأل الناس فقال فى نفسه لو عمل هذا عملا يصون به نفسه لكان أجمل به فنقلت عليه أوراده فى تلك الليلة ورأى جماعة أتوا له بذلك
الفقير على خوان وقالوا له كل من لحمه فقد اغتبته فاصبح يفتش عليه حتى
وجده فسلم عليه فقال له تعود يا أبا القاسم فقال لا فقال غفر الله لك واما مع نفسه كأن يتعاطى
شهواتها المباحة ولا ينهض الى ما يقربها من مولاها (فتؤخر العقوبة عنه) بأن لا يعاقب فى ظاهره
بالبلايا والاسقام ولا فى باطنه بحسب زعمه (فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد) الوارد على من
حضرة الحق سبحانه (وأوجب الابعاد) أى بعدى عنه بعدم حضورى معه وهذا لازم لما قبله (فقد)
أى انما كان ذلك من الجهل لانه قد (يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن) من قطع المدد
عنه (الا منع المزيد) أى الزيادة من المدد لكان ذلك كافيا فى قطع الامداد وقطعه مبدأ الحجاب فاذا
ابتدأ به المريد ولم تتداركه رحمة الله تعالى فى الحال كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع
الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة (وقد يقام مقام) أى فى مقام (البعد وهو لا يدرى ولو لم يكن)
من اقامته مقام البعد (الا أن يخليك وما تريد) بأن يسلط نفسك عليك ويمنع نصرتك عليها لكان
ذلك كافيا فى البعد فان ذلك مبدأ الحجاب ومانع للقلب عن الدخول فى حضرة الرب سبحانه ومن
اساءة الادب مع بعض الناس ماذكره بقوله

النصرة من الله تعالى بذلك وقع فى الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فأنساه الذكر وحاق به سيئ المكر ورجع الى متابعة هوى نفسه الامّارة وخرج من دائرة الصفوة المختارة فنعوذ بالله من سوء المقدور وعدم التوفيق الى مراعاة أوائل الامور وما احتج به المريد لنفسه من الكلام الذى ذكره المؤلف رحمه الله يقتضى توجه هذه العقوبة اليه ضربة لازب لان قوله لو كان هذا سوء أدب الى آخره دليل على رضاه بحاله واستحسانه لاعماله وهذا هو الموجب له عدم المزيد الذى اقتضاه قطع المدد عنه ولو كان المدد متواصلا اليه لازداد عند ما يقع منه سوء الادب تواضعا لربه وافتقارا اليه وخوفا من مكره ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها قال سيدى أبو العباس رضى الله عنه كل سوء أدب يثمر لك أدبا مع الله تعالى فهو أدب وهو الذى أوجب له أيضا التخلية بينه وبين ما يريد الذى اقتضى له اقامته مقام العبد اذ لو كان مقاما فى القرب لبعد عن رؤية نفسه وكان متهما لها فى ارادتها وكان واقفا مع مراد الله به فان أقدم على أمر بارادته وشهوته تداركه الله تعالى بالعصمة وعوق عليه ما أراده وسد عليه مسالكه ولم يخله وما أراد من ذلك ويقال من علامة التوفيق ثلاث دخول أعمال البر عليك من غير قصد منك اليها وصرف المعاصى عنك مع السعى فيها وفتح باب اللجا والافتقار الى الله تعالى فى كل الاحوال ومن علامة الخذلان ثلاث تعسر الطاعات عليك مع السعى فيها ودخول المعاصى عليك مع الهرب منها وغلق باب اللجا الى الله تعالى وترك الدعاء فى الاحوال والادب له موقع عظيم فى التصوف ولذلك قال أبو حفص رضى الله عنه التصوف كله أدب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول وقال أبو عبد الله بن خفيف قال لى رويم يا بنى اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الادب ظاهرا الا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الادب باطنا الا عوقب باطنا وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه اذا خرج المريد عن حد الادب فانه يرجع من حيث جاء وقال الثورى رضى الله عنه من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ابن المبارك رضى الله عنه نحن الى قليل من الادب أحوج منا الى كثير من العلم وقيل لبعضهم يا سيئ الادب فقال لست بسيئ الادب فقيل له ومن أدبك فقال الصوفية والآداب اللازمة للمريد عامة فى ظاهره وباطنه وآداب الظاهر تبع لآداب الباطن وآداب الباطن هى التحلى بمحاسن الاخلاق كلها وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أدبنى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ولا يحصل لك ذلك بعد توفيق الله تعالى وتأييده الا بالرياضة والمجاهدة قال ابن عطاء الله

رضي الله عنه النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مامور بملازمة الادب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها في فسادها ويختلف ماذكرناه من المجاهدة والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص زكي الفطرة كريم السجية سهل المقادة لايحتاج في ذلك الى كثير معاناة ولاتعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا فلاجرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسة وشدة مجاهدة لرداءة فطرته ونقصان غريزته وبين هذين درجات لاتحصى ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتأدب بآدابهم واتباع أوامرهم ونواهيهم لانه ان لم تجر افعاله على مراد غيره لايصح له الانتقال عن الهوى ولو بالغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة حجاب نفسه وقد سئل الدقاق رضي الله عنه بماذا يقوم الرجل اعوجاجه فقال بالتأدب بامام فان من لم يتأدب بامام بقي بطالا فاذا دام العبد على ذلك تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت أخلاقه وظهر على ظاهره أنوار ذلك فتكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الادب حتى تنتهي به الى المحافظة على اجتناب أمور غير مستنكرة في ظاهر العلم ويكون ترك محافظته عليها ذنبا من مثله وقد يعاقب عليه وقد يعاقب من أجله قال السري رضي الله عنه صليت العشاء واشتغلت بوردي ليلة من الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت ياسري هكذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك وجلالك لامددت رجلي أبدا قال الجنيد رضي الله عنه فبقي ستين سنة مامد رجله ليلا ولانهارا (وقال) أبو القاسم القشيري رضي الله عنه كان الاستاذ أبو علي الدقاق رضي الله تعالى عنه لايستند الى شئ فكان يوما في مجمع فاردت أن أضع وسادة خلف ظهره لاني رأيته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة ولاسجادة فقال لاأريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لايستند الى شئ أبدا وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه كنت جالسا في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلي عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت في نفسي لوعمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به فلما انصرفت الى منزلي وكان لي شئ من الورد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك ثقل على جميع أورادي فسهرت وأنا قاعد فغلبتني عيني فرأيت ذلك الفقير جاؤابه على خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن الحال فقلت ما اغتبته وانما قلت في نفسي شيأ فقيل لي ماأنت ممن يرضى منك بمثله اذهب واستحله فاصبحت ولم ازل اتردد حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء عند ترداد الماء أوراقا من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال أتعود ياأبا القاسم فقلت لا فقال

غفر الله لنا ولك الى غير ذلك من آدابهم رضى الله عنهم أجمعين والظاهر ان مراد المؤلف رحمه الله باساءة الادب ما كان فيه نوع من الرعونة واظهار الدعوى واتصاف العبد بصفة المولى وانبساطه وادلاله فى موقف الهيبة والحياء وما أشبه ذلك مما يخاف على صاحبه وقوع الاستدراج والمكر به ولكن ينبغى للمريد أن لا يتهاون بشىء من الآداب ولا يستحقرها فان التهاون بذلك والاستحقار له من مخامرة الجهل وعدم المعرفة بالله تعالى وهذا أقبح أنواع سوء الادب فان وقعت منه اساءة أدب فليكن خائفا من ذلك مستعظما للامر فيه وليبادر الى التوبة والاعتذار والتنصل منها خشية أن توجه اليه العقوبة من حيث لا يشعر وآكد ما ينبغى أن يجتنبه المريد من مقتضيات هذه الجملة التى ظهر لنا انها مراد المؤلف رحمه الله تعالى من أنواع سوء الادب أن يوطن خاطره على شئ من الاعتراض على الله تعالى وتعاطى التدبير معه والتبرم باحكامه المؤلمة فى نفسه أو غيره وأن يسرح لسانه بالشكوى الى الخلق والعيب لما لا يوافق هواه أو نقص فى نظره مما يراه من الحق فان خطر بباله أو جرى على لسانه شئ من ذلك فليبادر الى الاستغفار منه والتفصى عنه وليعلم ان تشاغله بذلك من أعظم الحسنات وأفضل القربات وذلك يدخله فى مقامات الرضا ويوصله الى غاية النعيم والعطا كما ان توطينه عليه وتهاونه به من أعظم خطاياه وأكبر ذنوبه ويؤديه ذلك الى تسخط الاقدار والوقوع فى دركات النار نعوذ بالله من ذلك * ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فلم يعرف له خبر ثلاثة أيام فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضى عليه فيما قضى أشد على من ذهاب ولدى وقال بعض السادة أذنبت ذنبا فانا أبكى عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد فى العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما ذلك الذنب قال قلت مرة لشئ ليته كان وقال بعض السلف لو قرض جسمى بالمقاريض كان أحب الى من أن أقول لشئ قضاه الله ليته لم يقضه وقال بعضهم مرض الجنيد رضى الله عنه فقال اللهم عافنى فسمع هاتفا يقول مالك والدخول بينى وبين ملكى ومن مقتضياتها أيضا أن يعلق بقلبه شئ من الاعتراض على المشايخ والاولياء وأن يترك تعظيمهم واحترامهم وأن لا يقبل اشارتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لا توبة له وقالوا أيضا من قال لاستاذه لا يفلح وقال أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقى من أهل السلوك قاصدا لم يصل الى مقصوده فليعلم ان موجب حجبه اعتراض خامر قلبه على بعض شيوخه فى بعض أوقاته فان الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين قال وفى الخبر ان الشيخ فى أهله كالنبى فى أمته وكذلك من سوء أدبه تصدره للتعليم والهداية وتصديه للامر والولاية

ومحبته للاستتباع والرياسة وتربيته للجاه والحشمة والقبول بين الناس
واستدعاؤه بسره أن يكرم ويعظم ويتبرك به وتقبل يده ويسارع فى قضاء حوائجه
وذلك من أضر الاشياء به وهو نتيجة استحسانه لما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه
واتهام نفسه فى كل حال من أحواله وذلك مذموم منه وقال أبو عثمان رضى الله عنه
لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيأ وانما يرى عيوب نفسه من
يتهمها فى جميع الاحوال وقال أبو عبد الله السجزى رضى الله عنه من استحسن شيأ
من أحواله فى حال ارادته فسدت عليه ارادته الا أن يرجع الى ابتدائه ويروض
نفسه ثانيا وقال أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه سمعت جدى يقول آفة
العبد رضاه من نفسه بما هو فيه فان استشعر المريد من نفسه شيأ مما ذكرناه فليبادر
الى قطع مواده واستئصال عروقه من قبل أن يستحكم ذلك فيه ويرسخ فيه
فمدايات الامور هى التى ينبغى أن تراعى كثيرا * ومن أنواع سوء أدب المريد
المفضى الى عطبه نزوله عن مقتضيات الحقيقة الى رخص الشريعة فقد عدوا هذا
من الجنايات العظيمة الموجبة لانحطاط الرتبة والبعد عن محل القرب ولهذا قالوا
اذا رأيت المريد انحط عن رتبة الحقيقة الى رخص الشريعة فاعلم انه قد نقض
عهده مع الله وفسخ عقده بينه وبين الله وقال ابن خفيف رضى الله عنه الارادة
استدامة الكد وترك الراحة وليس شئ أضر على المريدين من مسامحة النفس
فى قبول الرخص والتأويلات وقال يوسف بن الحسين رضى الله عنه اذا رأيت
المريد يشتغل بالرخص فاعلم انه لا يجيء منه شئ وقال أبو اسحق ابراهيم بن شيبان
من أراد أن يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص ويعنى بالرخصة ههنا ما كان مضادا
لحال المريد من تناول الشهوات واللذات والميل الى المألوفات والمعتادات
والركون الى الدعة والراحات وارتكاب الشبهات والتأويلات فان حال المريد
يقتضى مباينته لهذا كله وان كان بعض ذلك مباحا فى رخص الشرع لعامة
الناس وكان ابراهيم الخواص رضى الله عنه يقول ألا ان هذه الشهوات التى
أظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاء نورها وفترت أبدانهم بعد اجتهادها وحجبت
قلوبهم بعد قربها وأطالت آمالهم بعد قصرها وأنسوا بالمخلوقين بعد الهرب
منهم وتوطؤا الفرش بعد الترك فسقتهم الدنيا بكأس سمها فنظروا الى ظاهرها
بعد باطنها فناموا بعد السهر وشبعوا بعد الجوع واكتسوا بعد العرى * وقال
أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام
انى انما خلقت الشهوات لضعفاء خلقى فاياك أن تعلق قلبك منها بشئ فأيسر
ما أعاقبك به ان أنزع حلاوة حبى من قلبك * وفى أخبار داود عليه السلام يا داود
تمسك بكلامى وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب محبتى عنك اقطع

شهوتك الى فانى انما أبحت الشهوات لضعفة خلقى ما بال الاقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتى فانى لم أرض الدنيا لحبيبى ونزهته عنها يا داود لاتجعل بينى و بينك عالما سكران بحبها يحجبك بسكره عن محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم ياداود تحبب الى بعاداة نفسك وامنعها الشهوات أنظر اليك وترى الحجب بينى و بينك مرفوعة وقال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات أولاها أن يغلق باب العز و يفتح باب الذل والثانية أن يغلق باب النعمة و يفتح باب الشدة والثالثة أن يغلق باب الراحة و يفتح باب الجهد والرابعة أن يغلق باب النوم و يفتح باب السهر والخامسة أن يغلق باب الغنى و يفتح باب الفقر والسادسة أن يغلق باب الامل و يفتح باب الاستعداد للموت وقال ابراهيم الخواص رضى الله عنه كنت فى جبل لبنان فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت منه فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله تعالى لم يخف عليه شئ فقلت أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك و يقيك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك و يقيك من شهوة الرمان فان لذع الرمان يجد الانسان ألمه فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا وقال السرى رضى الله عنه ان نفسى تطالبنى منذ ثلاثين سنة أو أربعين ان أغمس جزرة فى دبس فما أطعمتها فلما كان ترك الشهوات والتنعمات من شأن المريد ومن مقتضى حاله لزمه الوفاء به وكان عمله على خلافه نقضا وفسخا كما تقدم قال جعفر بن نصير رضى الله عنه دفع الى الجنيد درهما وقال اشتر به التين الوزيرى فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة و وضعها فى فيه ثم ألقاها و بكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف بى هاتف أما تستحى شهوة تركتها من أجلى ثم تعود اليها وعن شقيق بن ابراهيم قال لقيت ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه بمكة فى سوق الليل عند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق يبكى فعدلت اليه وجلست عنده وقلت له أى شئ هذا البكاء يا أبا اسحق فقال خير وعافية فعاودته مرة واثنتين وثلاثة فلما أكثرت عليه قال يا شقيق استر على فقلت يا أخى قل ماشئت قال لى اشتهت نفسى سكباجا فمنعتها جهدى فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبنى النعاس فاذا أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار و رائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتى عليه فقرب منى وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل شيأ قد تركته لله تعالى فقال لى فاذا أطعمك الله تأكل فما كان لى جواب الا أن بكيت فقال لى يرحمك الله كل قال

ابراهيم فقلت له قد أمرنا أن لا نطرح فى وعائنا الا من حيث نعلم فقال لى كل يرحمك الله فانما أعطيته وقد قيل لى ياخضر اذهب بهذا وأطعم نفس ابراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم انى سمعت الملائكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت فان كان كذلك فها أنا بين يديك لا أحل العقد مع الله عز وجل ثم التفت فاذا أنا بفتى آخر ناوله شيأ وقال له ياخضر لقمه أنت فلم يزل يلقمنى حتى شبعت فانتبهت وحلاوته فى فى قال شقيق رضى الله عنه فقلت أرنى كفك فاخذت كفه بكفى فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح فى الضمير اليقين يا من سقى قلوبهم من محبته أترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد ابراهيم الى السماء فقلت الهى بقدر هذه الكف وبقدر صاحبها وبالجود الذى وجد منك جد على عبدك الفقير بفضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم رضى الله عنه ومشى حتى دخل المسجد الحرام وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد رضى الله عنهما ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما أعرفها قال لانك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيأ فقلت ان تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكى فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينيك أعلى التمر تبكى فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه فى الترك هو اذا ترك شيأ لم يعاود فيه أبدا وقال أحمد بن أبى الحوارى اشتهى أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت لى شهوتى بعد اطالة جهدى وشقوتى قد عزمت على التوبة فاقبلنى قال أحمد فما لقيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى وقال أبو بكر بن الجلاء رضى الله عنه أعرف انسانا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طى عشرة أيام واطعمنى بعد ذلك شهوة أشتهيها فيقول لها لا أريد ان أطوى عشرة أيام ولكن اتركى هذه الشهوة وقال أبو سليمان رضى الله عنه ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقال أبو حامد الغزالى رضى الله عنه وقد اشتد خوف السلف رضى الله عنهم من تناول لذائذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا أن منع الله منه غاية السعادة حتى روى ان وهب بن منبه رضى الله عنه قال التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين فقال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وقال وهذا تنبيه على ان تيسير الشهوات ليس من علامات الخير قال الشيخ أبو حامد الغزالى رضى الله عنه والاصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسباب ذلك ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغى أن يصبر ويستمر فانه ان عود

نفسه كسر العزم الفت ذلك وفسدت ولذا اتفق منه كسر عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المراقبة فاذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد الرياضة عليه بالكلية هذا كلام أبي حامد وهو حسن ومعناه صحيح مجرب فلتعتمد عليه أيها المريد وقد يجعل الله تعالى لبعض هؤلاء العقوبة رحمة له ومنه عليه قال أبو تراب النخشبي رضي الله عنه ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات الا مرة واحدة تمنيت خبزا وبيضا وأنا في سفر فعدلت الى قرية فقام واحد وتعلق بي وقال هذا كان مع اللصوص فضربوني سبعين درة ثم عرفني رجل منهم فقال هذا أبو تراب النخشبي فاعتذروا الى فحملني رجل منهم الى منزله وقدم الي خبزا وبيضا فقلت في نفسي كلي بعد سبعين درة وقال بعضهم اشتهى أبو الخير العسقلاني رضي الله عنه السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال فلما مد يده اليه ليأكل دخلت شوكة من عظامه اصبعه فذهبت في ذلك يده فقال يارب هذا لمن مد يده بشهوة الى حلال فكيف بمن مد يده بشهوة الى حرام وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت جائعا في الطريق فوافيت الري فخطر ببالي أن لي بها معارف فاذا دخلتها أضافوني وأطعموني فلما دخلت البلد رأيت فيه منكرا احتجت أن آمر فيه بالمعروف فاخذوني وضربوني فقلت في نفسي من أين أصابني هذا الضرب على جوعي فنوديت في سري انما أصابك ذلك لانك سكنت الى معارفك بقلبك قلت انهم يطعموني اذا دخلت البلد وحكي عن ابراهيم ابن سفيان رضي الله عنه أنه قال كنت بحلب واشتهيت شبعة من الخبز والعدس فاتفق ذلك فاكلت حتى شبعت فرأيت على باب المسجد قوارير معلقة شبه نموذجات فتوهمتها خلا فقال لي قائل أما تنظر اليها انها خمر فقلت لزمني فرض فدخلت الحانوت فلم أزل اصب دنا دنا حتى أتيت على الجميع فاخذوني وضربوني مائتي خشبة وطرحوني في السجن أربعة أشهر حتى دخل استاذي أبو عبد الله المغربي البلد فسمع بحالي فشفع لي فلما وقع بصره علي قال ماشأنك قلت شبعة خبز وعدس وضربت مائتي خشبة وسجنت أربعة أشهر فقال لي نجوت مجانا أي وردت عقوبة هذه الاكلة على ظاهرك ولم تقدح فيما كنت فيه من سرائرك فكان ذلك رفقا من الله بك قال الامام أبو القاسم القشيري وما أصدق ما قال فان من أدب في دنياه فيما يتعاطاه من متابعة هواه فقد خفف عنه في عقباه بل ظهر لتأدب جوهره ومعناه وحكاية خير النساج رضي الله عنه المشهورة من معنى ما ذكرناه فانظرها ففيها عبرة للمعتبرين قال الحافظ أبو نعيم رضي الله عنه حدثني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه قال سألت خير النساج أكان النسج حرفتك قال لا قلت فمن أين سميت به قال عاهدت الله واعتقدت

انى لا آكل الرطب أبدا فغلبتنى نفسى يوما فأخذت نصف رطل فلما أكلت واحدة اذا برجل نظر الىّ وقال يا خير أين هربت منى وكان له غلام اسمه خير فوقع علىّ شبهه وصورته فخنقنى واجتمع الناس فقالوا والله هذا غلامك خير فبقيت متحيرا وعلمت بماذا أخذت وعرفت جنايتى فحملنى الى حانوته الذى كان ينسج فيه صناعه فقالوا يا عبد السوء تهرب من مولاك ادخل واعمل عملك الذى كنت تعمل وأمرنى بعمل الكرباس فدليت رجلى على ان أعمل فاخذت بيدى آلته فكأنى كنت أعمل من سنين فبقيت معه شهرا أنسج له فقمت ليلة فمسحت وقت الى صلاة الغداة فسجدت وقلت فى سجودى الهى لا أعود الى ما فعلت فأصبحت فاذا الشبه قد ذهب عنى وعدت الى صورتى التى كنت عليها فأطلقت فثبت على هذا الاسم فكان سبب النسج اتباعى شهوة عاهدت الله تعالى ان لا آكلها فعاقبنى بما سمعت وفى بعض الاخبار عن الله تعالى ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتى ان أحرمه لذيذ مناجاتى وستأتى ان شاء الله تعالى كيفية مجاهدة النفس عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ولهذا المعنى كرهوا له التزويج من غير ضرورة محققة لانه انما يقصد بذلك قضاء شهوته وبلوغ نهمته وذلك فى الضرر به بمنزلة السم القاتل وقد قالوا من وافق شهوته عدم صفوته وقال بعضهم من همّ بشئ مما أباحه العلم تلذذا عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب الهم بالدنيا وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه ثلاث من طلبهنّ فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا أو تزوّج امرأة أو كتب الحديث وقال ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته وكان ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه يقول من تعود أفخاذ النساء لا يفلح وقيل لبعضهم لم لا تتزوج فقال المرأة لا تصلح الا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ الرجال ثم فيه من مكابدة أمر غيره ومن مراعاة توفية حقوقه ومعاناة أخلاقه واتباع مرضاته ما يشوّش على المريد حاله ويكدّر عليه وقته وقد كان له فى معاناة أمر نفسه أعظم شاغل من أن تنضاف الى نفسه نفس أخرى مع ما يتسلط على باطنه من خوف الفقر ومحبة الجمع والمنع وما يرتكبه بسبب ذلك من التأويلات والرخص وذلك كله مضادّ لحال المريد وقد قالوا اذا تزوّج الصوفى فقد ركب السفينة فاذا ولد له فقد غرقت السفينة وكان بشر الحافى رضى الله عنه يقول لو كنت أعول دجاجة خفت أن أكون جلوازا على الجسر وفى الخبر فى فتن آخر الزمان قال وفى ذلك الوقت حلت العزبة وقيل وكيف قال يعيرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد الهلكة وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذى لا أهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اياكم

والاستماع الى النساء والميل اليهنّ فان النساء مبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان وهنّ مصايده وحظه من بني آدم فمن عطف اليهن بكليته فقد عطف على حظ الشيطان ومن حاد عنهنّ يئس منه وما مال الشيطان الى أحد كميله الى من استرق بالنساء وان الشر معهنّ حيث كنّ فاذا رأيتم في وقتكم من قد ركن اليهنّ فايأسوا منه قيل له فحديث النبي صلى الله عليه وسلم حبب الىّ من دنياكم ثلاث فذكر النساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم معصوم وقد بلغكم ما كان فيه معهنّ هي عدوّة الرجل ظاهرا او باطنا ان أظهرت له المحبة أهلكته وان أضمرتها له أغوته وانّ الله عزوجل جعلهنّ فتنة فنعوذ بالله من فتنتهنّ انتهى كلام سهل رضي الله عنه وقال حذيفة المرعشي رضي الله عنه كان ينبغي للرجل لو خير بين ان يضرب عنقه و بين ان يتزوج امرأة في الفتنة لاختار ضرب العنق على تزويج امرأة في الفتنة وانما قال ذلك لما يؤل اليه أمر المتزوج من اكتساب الحرام وارتكاب الآثام في زمان الفتنة وضرب العنق أحسن حالا وأحمد عاقبة من التعرض لارتكاب شيء من معاصي الله عزوجل فان قارب شيأ من ذلك المريد فهو داء عضال في حقه فقد قالوا زلة بعد الارادة أقبح من سبعين زلة قبل الارادة وفي المثل من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه في الامانة وقال بعض الانبياء في مناجاته لربه لو عفوت عن فلان ذنوبه بعد عظيم نعمك فأوحى الله اليه ليس الذنب في القرب كالذنب في البعد وسئل بعضهم هل يجد العاصي حلاوة الطاعة فقال لا ولا من هم بالمعصية ومن عظيم سوء أدب المريد ان يميل الى أهل الدنيا وان يتقرب منهم أو أن يصاحبهم قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا فان صحبتهم سم مجرب لانهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم قال الله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله لا تصحب من لا ينهضك حاله ومن ذلك أيضا معاشرته للاحداث والشبان وقبول ارفاق النسوان فان تعرض لاستجلاب ذلك منهن فهو أشد قال يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه رأيت آفات الصوفية في صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد ورفق النسوان قال الامام أبو القاسم ومن أصعب الآفات في هذه الطريق صحبة الاحداث ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فباجماع من الشيوخ ان ذلك عبد أهانه الله عزوجل وخذله بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهله ثم قال بعد كلام كثير فليحذر المريد من مجالسة الاحداث ومخالطتهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء وآداب المريد كثيرة وانما نبهنا ههنا على بعض ما يعظم فيه الخطر ويضر مما حذر منه أئمتنا رضي الله عنهم وبالعوافي الموصية به والنهي

(اذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى) أي جعله قائما (بوجود الاوراد) بأن أظهرها منه (وأدامه عليها) أي جعله مداوما عليها (مع طول الامداد) أي المعونة والتيسير وصرف الشواغل التي تشغله عن القيام بها والمراد بطول ذلك تواليه عليه مع طول الزمان فطوله بطول الزمان الذي يحصل فيه وهذه صفة العباد والزهاد (فلا تستحقرن ما منحه) أي أعطاه (مولاه) وعلل الاستحقار بقوله (لانك) أي لكونك (لم تر عليه سيما العارفين) أي علامتهم من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات ودوام الحضور بين يدي الله (ولا بهجة المحبين) وهي ما يعلوهم من شواهد المحبة وآثارها فان محبة الله اذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على *(٨٦)* الجوارح كدوام ذكره والمسارعة لامتثال أمره والنهي عن غيره فيجتهد في خدمته ويتلذذ بمناجاته ويؤثره على كل ما سواه ثم علل عدم الاستحقار بقوله (فلولا وارد) الهي أورده الله على قلبه أي تجل الهي (ما كان ورد) وهو ما يقع بكسب العبد من أنواع العبادات كصلاة وصيام وذكر الى غير ذلك أي فيكون استحقارك له قلة الادب معه والحاصل ان عباد الله المخصوصين ينقسمون قسمين مقربين وابرارا فالمقربون هم الذين أخذوا عن حظوظهم واراداتهم وقاموا بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون والمحبون والابرار هم الباقون مع حظوظهم وارادتهم وقاموا بعبادة ربهم طمعا في جنته وهربا من ناره وكل واحد منهم ممدود في مقامه الذي هو فيه بمدد الهي اقتضى منه القيام بحقوق ذلك المقام والى ذلك أشار بقوله (قوم أقامهم الحق) أي اختارهم (لخدمته) بطاعته الظاهرة حتى صلحوا للجنة وهم الزاهدون والعابدون كما مر (وقوم اختصهم بمحبته) حتى صلحوا للقرب والدخول في حضرته وهم المحبون والعارفون والكل مشتركون في الانتساب اليه وخدمته لكن خدمة الاولين أكثرها بالجوارح والآخرين أكثرها بالقلب

عنه وجميع ذلك محتمل لان يكون مراد المؤلف رحمه الله تعالى في قوله من جهل المريد ان يسيء الادب فرأينا أن لا نخلو هذا الموضع من هذا التنبيه لان ذلك يقع للمريدين كثيرا والله ولي التوفيق (اذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الاوراد وأدامه عليها مع طول الامداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لانك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد) عباد الله المخصوصون ينقسمون الى قسمين مقربين وأبرار فالمقربون هم الذين أخذوا عن حظوظهم وارادتهم واستعملوا في القيام بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون والمحبون والابرار هم الذين بقوا مع حظوظهم وارادتهم وأقيموا في الاعمال والطاعات ليجزون عليها برفيع الدرجات في الجنات وهؤلاء هم الزاهدون والعابدون وكل واحد منهم ممدود في مقامه الذي هو فيه بمدد الهي اقتضى منهم القيام بحقوق مقاماتهم على اختلافها فاذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى في أعمال البر الظاهرة ومواصلة الاوراد المتواترة وأمده في ذلك بالمعونة والتيسير فذلك من اختيار الله تعالى له فلا تحتقرن ذلك لاجل انك لم تر عليه سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات بين يدي المريد المختار ولا بهجة المحبين من الشغف بمرضاة محبوبهم والانبساط والاذلال بين يدي حبيبهم فلولا الوارد الالهي الذي أورده الله تعالى عليه ما استقام على عمله وورده فهو لم يخرج عن دائرة عنايته وحفظه ورعايته فلا تستحقر خطير ما منحه وتستقل كثير ما ربحه وهل ذلك الا من وجود جهلك ونقصان عقلك وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله لا يستحقر الوارد الا جهول (قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته

(كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) أي ممنوعا فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك مما ذكر من الاحتقار قال أبو يزيد اطلع الله تعالى على قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة (قلما تكون الواردات الالهية) أي قل حصولها (الا بغتة) أي غير بغتة والمراد بها العلوم الوهبية والاسرار العرفانية التي يتحف الله بها عباده ولا تكون في الغالب الا بغتة أي فجأة من غير استعداد لها بعبادة من صلاة وصيام وغيرهما (لئلا يدعيها العباد) أي يرون أنهم أهل لها (بوجود الاستعداد) لها بالاجتهاد في الاوراد والعبادات تمسكا بنحو قوله صلى الله عليه وسلم ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فيغفلوا عن كون هممهم متعلقة بالدار الآخرة لانه فلا تحصل لهم معرفته الخاصة ولا واردات الهية وحاصله أن الواردات هدايا من الله تعالى ومنح منه فلا تحصل عقب العبادات الصادقة وبفورها بل تحصل بعد ذلك بغتة وحصولها عقب العبادات نادر قليل (من رأيته) من المريدين أو العارفين (مجيبا عن كل ما سئل) أي سئل عنه من العلوم التي يفيضها الله على قلوب السالكين والمواهب اللدنية التي يختص بها العارفين (ومعبرا عن كل ما شهد) أي شهده وذاقه بباطنه وهي تلك العلوم والمواهب (وذاكرا كل ما علم) من تلك العلوم (فاستدل بذلك على وجود جهله) لان اجابته عن كل سؤال تقتضي احاطته بكل المعلومات وذلك محال في حقه قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولانه يجب مراعاة حال السائل فقد لا يكون في بعض السائلين أهلية للمسئول عنه فتكون اجابته مثله من الجهل وتعبيره عن

كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) الحق تعالى له الاختيار التام والمشيئة النافذة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فطائفة أقامهم الحق تعالى لخدمته حتى صلحوا لجنته وهم الزاهدون والعابدون كما تقدم وطائفة اختصهم بمحبته حتى صلحوا للقربة والدخول الى حضرته وهم العارفون والعلماء قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك مما ذكرناه من الاستحقار وسلم الامر لمن بيده التدبير والاختيار قال أبو يزيد رضي الله عنه اطلع الله تعالى على قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة وذكر الحافظ أبو نعيم في كتابه حلية الاولياء عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى يطلع على أهل قرية أو بلدة فيريد أن يقسم لهم من نفسه قسما فلا يجد في قلوب العباد ولا قلوب الزهاد موضعا لتلك القسمة من نفسه فيمن عليهم ان يشغلهم بالتعبد عن نفسه وقال أبو العباس الدينوري رضي الله عنه ان لله عبادا لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته ولله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهلهم لمعرفته والاشارة بالآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله بينة في هذا المعنى وقال رضي الله عنه (قلما تكون الواردات الالهية الا بغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد) الواردات الالهية هدايا من الله تعالى وتحف وكرامات يكرم بها عباده فلا تكن في الغالب الا بغتة أي فجأة لئلا يدعوها ويرون أنفسهم أهلا لها بوجود استعدادهم وتهيئهم وتحف الله تعالى وهداياه مقدسة عن أن تعلل بأمر ومنزهة عن أن تقابل بأعمال بل هي محض كرم وفضل من الكريم المتفضل (من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله)

كل مشهود له فيه نوع من افشاء السر الذي يجب كتمانه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر أمانة الله تعالى عند العبد فافشاؤه بالتعبير عنه خيانة وأيضا فالامور المشهودة لا يستعمل فيها الا الاشارة والايماء واستعمال العبارة فيها اشهارها وفيه ابتذالها ثم ان العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا لان الامور الذوقية يستحيل ادراكها بالعبارات النطقية وذكره لكل معلوم له دليل على عدم تفرقته بين المعلومات وقد يكون فيها ما لا يصح ذكره لما يلزم عليه من الضرر والفساد وانكار الناس له قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون * (٨٨) * لا يعرفه الا العلماء بالله فاذا أظهروه أنكره

أهل الغرة بالله * وقال علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه

يارب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي * يرون أقبح ما يأتونه حسنا
اني لأكتم من علمي جواهره * كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

وقال أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين من العلم أما أحدهما

الاجابة عن كل سؤال والتعبير بكل مشهود والذكر لكل معلوم أمارات على وجود جهل من اتصف بها كما قال أما الاجابة عن كل سؤال فلاقتضائها منه الاحاطة بجميع المعلومات وذلك محال في حقه قال الله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فكيف يتصور منه مع هذا الاجابة عن كل سؤال لولا وجود جهله وأيضا فانه يجب عليه أن يراعي حال السائل من وجود الاهلية لما سأل عنه فيمتنع عن اجابة من لا أهلية فيه لذلك ويفعل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه مع السائل الذي جاء يسأله أن يعلمه من غرائب العلم فانه استفصله وقال له ما فعلت في رأس العلم وفي كذا وفي كذا فاجابه السائل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال حتى أعلمك من غرائب العلم وكما أخذ الله تعالى على العلماء أن لا يكتموا العلم عن أهله كذلك أخذ عليهم أن يصونوه عن غير أهله فمن لا يسلك هذا المسلك فهو جاهل وأما التعبير بكل مشهود فلان فيه نوعا من افشاء السر الذي يجب كتمه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر أمانة الله تعالى عند العبد فافشاؤه بالتعبير عنه خيانة والله تعالى لا يحب الخائنين وأيضا فان الامور المشهودة لا يستعمل فيها الا الاشارة والايماء واستعمال العبارة فيها افصاح بها واشهارها وفي ذلك ابتذالها واذاعتها ثم ان العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا لان الامور الذوقية يستحيل ادراك حقائقها بالعبارات النطقية فيؤدي ذلك الى الانكار والقدح في علوم السادة الاخيار قال أبو علي الروذباري رضي الله تعالى عنه علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي وأما الذكر لكل معلوم فلعدم تفريقه بين المعلومات وقد يكون له علم يختص به فاذا ذكره لغيره استغربه وان كان ينتفع به هو فعدم تفريقه بين المعلومات في ذكرها من وجود جهله (انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم

فبثثته للناس وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم مني هذا الحلقوم ولان

ولذا قتل الحلاج بافشاء شيء من ذلك حيث قال ما في الجبة الا الله وذلك أن أهل الله يدركون وجود الله في الاشياء أي قيامه بها وظهوره فيها وهذا غاية ما يمكن أن يعبر به عن مقصوده والا فهو أمر لا يدرك الا بالذوق وقد ذقناه بحمد الله فصدوق ما مثل وما شهد وما علم واحد وانما يختلف باعتبار السؤال عنه وافشائه بالعبارة وعموم ذكره (انما جعل) تعالى (الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم) من أنواع النعيم حسا ولا معنى أما الاول فلانها ضيقة الاقطار و يعطي الله الآحاد المؤمنين في الدار الآخرة في ملك واحد منهم مسيرة سبعمائة عام كما ورد في الخبر

فما ظنك بخواصهم فتضيق لامحالة مسافة الدنيا عن كلية جزائهم وأما الثاني فلان الدنيا موسومة بالدناءة والنقص والاشياء التي يتنعم بها أهل الجنة أمور شريفة رفيعة كما جاء في الاخبار ان موضع سوط في الجنة خير من الدنيا ومافيها وان نور سوار حوراء يطمس نور الشمس وما أشبه هذا (ولانه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها) لان كل ما يفنى وان طالت مدته كلاشئ بل أعطاهم الخلود في النعيم والبقاء الدائم في الملك *(٨٩)* المقيم (من وجد) من المريدين (ثمرة عمله) أي من الحلاوة فيه والنعيم (عاجلا) أي في الدنيا (فهو دليل على وجود القبول آجلا) أي قبول الله له قال أبو تراب اذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله واذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والأعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به هو ثوابه المعجل وذلك علامة على وجود الجزاء عليه في الدار الآخرة كما سيأتي واذا وجد تلك الحلاوة لا ينبغي أن يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها وكذا لا ينبغي أن يقصد بعمله حصولها لما فيها من اللذة والحظ فان ذلك مما يقدح في اخلاص عبادته وصدق ارادته ولكن اعتناؤهم بها لتكون ميزانا لاعماله وتصحيحا لاحواله نقل

ولانه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها) انما جعل ثواب المؤمنين في الدار الآخرة لما ظهر لنا لوجهين أحدهما ان الدنيا لا تسع ما يريد أن يعطيهم من أنواع النعيم حسا ولا معنى أما الحس فلان الدنيا متدانية المسافات ضيقة الاقطار ويعطي الله تعالى لآحاد المؤمنين في الدار الآخرة في ملك واحد منهم كما ورد في الخبر مسيرة خمسمائة عام فما ظنك بخواصهم فتضيق لامحالة مسافة الدنيا عن كلية جزائهم وأما المعنى فلان الدنيا موسومة بالدناءة والنقص والخساسة والحقارة والاشياء التي يتنعم بها أهل الجنة أمور شريفة رفيعة كما جاء في الاخبار ان موضع سوط في الجنة خير من الدنيا ومافيها وان نور سوار حوراء يطمس نور الشمس وما أشبه هذا ويكفي في ذلك قوله عز من قائل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والثاني ان الله تعالى أجل اقدار عباده المؤمنين فلم يجعل لهم الجزاء على طاعاتهم في دار فانية منقضية متصرمة لان كل ما يفنى وان طالت مدته كلاشئ بل أعطاهم الخلود في النعيم والبقاء الدائم في الملك المقيم وناهيك به شرفا تسميته اياهم باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت * جاء في تفسير قوله تعالى وملكا كبيرا أنه يرسل الله تعالى الملك الى وليه ويقول له استأذن على عبدي فان أذن لك فادخل والا فارجع فيستأذن عليه من سبعين حجابا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله عز وجل عنوانه من الحي الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت فاذا افتتح الكتاب وجد مكتوبا فيه عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول هل جئت بالبراق فيقول نعم فيركب البراق فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقى البراق الى أن يصل الى بساط اللقاء

(من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا) ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والنعيم به ويتصور ذلك في أكثر الاعمال بالمواظبة عليه على حال تكره واستثقال له هذا هو غالب الامر قال بعض العارفين ليس شئ من البر الا ودونه عقبة يحتاج الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها أفضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وقال

عتبة الغلام رضى الله تعالى عنه كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة
وقال ثابت البناني رضى الله تعالى عنه كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به
عشرين سنة وقال بعض العلماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته
كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه رضى الله عنهم
ثم رفعت الى مقام فوقه وكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تصدق الله تعالى بمنزلة أخرى فأنا الآن كأني
أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وماذكرناه من الحلاوة
والنعيم انما هو ثمرة الاعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من الرياء والدعوى قال أبو
تراب رضى الله تعالى عنه اذا صدق العبد فى العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله واذا
أخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والاعمال الموصوفة بهذه الصفات
مقبولة بفضل الله تعالى ورد فى الخبر لا يقبل الله تعالى من مسمع ولا مراء دليل خطابه
أن العمل السالم من الرياء والسمعة مقبول من قوله عز من قائل انما يتقبل الله من
المتقين وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به هو ثوابه المعجل كما يقول المؤلف بعد
هذا وذلك علامة على وجود الجزاء عليه فى الدار الاخرة حسبما يأتى فى قوله وجدان
ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا وقال أبو سليمان
الداراني رضى الله تعالى عنه كل عمل ليس له ثواب فى الدنيا ليس له جزاء فى الآخرة
فحصل من هذا ان وجدان الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضى لوجود الرضا
والجزاء ولذلك قال الحسن رضى الله تعالى عنه تفقدون الحلاوة فى ثلاث فان
وجدتموها فأبشروا وامضوا القصد كم وان لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق عند
تلاوة القرآن وعند الذكر وعند السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار
وقيل فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهى حلاوة
الطاعات ولذاذة المناجاة والاستئناس بفنون المكاشفات وجنة مؤجلة وهى فنون
المثوبات وعلو الدرجات قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا فى مقام المعرفة
الخاصة وهى التى تنافيها المعصية قيل لبعضهم هل تعرف الله تعالى فغضب على
السائل وقال أتراني أعبد من لا أعرفه فقال له أو تعصى من تعرفه وقيل لبعضهم بم
تعرف أنك عرفته فقال لم أقصد مخالفته الا ورد على قلبي استحياء منه وقال
اسمعيل بن نجيد رضى الله تعالى عنه التهاون بالامر من قلة المعرفة بالآمر فان
العصيان فى حال العرفان بعيد فان وقعت منه زلة أو هفوة بحكم وكان أمر الله قدرا
مقدورا وجد لا محالة لذلك مرارة وألما فى قلبه فوجدان هذه المرارة والالم فى
المعصية علامة على صحة ما وجد من الحلاوة والنعيم فى الطاعة فهذه هى الحلاوة
التى هى الميزان للاعمال المقبولة وغير المقبولة كما ذكرناه وأما الحلاوة التى يجدها

من

(اذا أردت أن تعرف قدرك عنده) هل أنت من المقبولين السعداء أومن المردودين الاشقياء (فانظر فيماذا يقيمك) من طاعة أوضدها فمن كان من أهل السعادة والقبول استعمله مولاه فيما يرضيه عنه من أنواع الطاعات ومن كان من أهل *(٩١)* الشقاوة استعمله فيما يسخطه عليه من أنواع المخالفات وهذا يناسب العامة وأما الخاصة فيقال فيه ان أردت أن تعرف قدرك أى منزلتك عنده هل أنت من المقربين أولا فانظر فيماذا يقيمك أى يورده على قلبك من ادراك جلالته وعظمته قال عليه الصلاة والسلام من أراد أن يعلم منزلته عند الله فليعلم منزلة الله من قلبه (متى رزقك الطاعة) أى امتثال الاوامر واجتناب النواهى فى ظاهرك (والغنى به عنها) بانه لا تركن اليها فى نيل مطلوبك بل تعلق قلبك بمولاك وتغيب عن كل شئ سواه (فاعلم انه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة) وهى تلك الطاعة (وباطنة) وهى معرفتك التى أوجبت تلك الغيبة عنها وعدم رؤيتها

من دون أهل هذا المقام فى بعض العبادات فدخولة معلولة الا انهما من تنشيط العباد للمواظبة على العبادة والحلاوة على الاطلاق اذا وجدها العامل فى العمل لا ينبغى له أن يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها وكذلك أيضا لا ينبغى له أن يقصد بعمله الى نيلها لماله فيها من اللذة والحظ فان ذلك مما يقدح فى اخلاص عبادته وصدق ارادته وليكن اعتناؤه بحصولها لتكون ميزانا لاعماله ومحكا لاحواله فقط * قال الواسطى رضى الله تعالى عنه استحلاء الطاعات سموم قاتلة قال فى لطائف المنن وصدق الواسطى قال ما فى ذلك انك اذا فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير قائما فيها متطلبا لحلاوتها فيفوتك صدق الاخلاص فى نهوضك لها وتحب دوامها لا قياما بالوفاء ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فتكون فى الظاهر قائما لله وفى الباطن انما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته فى الدنيا فتأتى يوم القيامة ولا جزاء لك ﴿اذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيماذا يقيمك﴾ هذا ميزان صحيح وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان الله عز وجل ينزل العبد عنده حيث أنزله العبد من نفسه وهذا الانزال المذكور المنسوب الى العبد هو معنى الاقامة المذكورة اذ العبد لا فعل له على التحقيق قال الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه انما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه وقال الشيخ أبو طالب المكى رضى الله تعالى عنه فاذا كان العبد الى نظر مولاه مكرما ولحرماته معظما والى محبوبه ومرضاته مسارعا كان الله عز وجل له فى الآخرة لوجهه مكرما ولشأنه معظما والى مسرته من النعيم المقيم مسارعا واذا كان العبد يحق مولاه متهاونا وبامره مستخفا ولشعائره مستصغرا كان الله عز وجل له مهينا وبشأنه متهاونا والى ما يكره من العذاب الاليم له مسارعا والعياذ بالله من ذلك وقال وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه قرأت فى بعض الكتب يا ابن آدم أطعنى فيما أمرتك ولا تعلمنى بما يصلحك انى عالم بخلقى انما أكرم من أكرمنى وأهين من هان عليه أمرى لست بناظر فى حق عبدى حتى ينظر عبدى فى حقى ﴿متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فاعلم انه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة﴾ المطلوب من العبد شيا أن اقامة الامر فى الظاهر والتعلق بالله فى الباطن وهو الاستغناء به عن غيره فاذا رزق الله تعالى العبد هذين الامرين فقد أسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة وأوصله الى

(خير ما تطلبه منه) أي أفضل الاشياء التي تطلبها منه (ما هو طالبه منك) من الاستقامة على سبيل العبودية له فهذا خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك دنيوية كانت أو أخروية فان في ذلك حظا لنفسك (الحزن على فقدان الطاعة) *(٩٢)* بضم الفاء وكسرها أي عدم وجودها في الحال (مع عدم النهوض اليها) في المستقبل (من علامات الاغترار) أي التعويل على ما لا حقيقة له وهذا هو الحزن الكاذب الذي يكون معه البكاء الكاذب كما قيل كم من عين جارية وقلب قاس وهو آمن مكر الله الخفي حيث منعه ما ينفعه وأعطاه ما يغتر به من الحزن والبكاء فانه قد يستحسن بذلك حاله ويعد نفسه شيأ أما الحزن الصادق وهو الذي يبعث على الطاعات ويكون معه البكاء الصادق فهو من مقامات السالكين قال أبو علي الدقاق صاحب الحزن يقطع من طريق الله في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين

غاية الامل في الدنيا والآخرة سبحانه جل وعلا وقال رضي الله تعالى عنه (خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك) ان كان لابد من الطلب منه فاطلب ما هو طالبه منك من الاستقامة على سبيل العبودية له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك لانك حينئذ تكون به وله ويسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تأخير وأما ان طلبت منه حظ نفسك ونيل مرادك فقد يحصل في ذلك تأخير ومنع مع ما يفوتك حينئذ من حسن الادب في الطلب * يحكى عن أبي الحسين الديلمي رضي الله تعالى عنه أنه قال وصف لي بأنطاكية انسان أسود يتكلم على القلوب قال فقصدته فلما رأيته رأيت معه شيأ من المباحات يريد ان يبيعه فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي ثم قال اقعد فانك جائع منذ يومين حتى اذا بعناه نعطيك من ثمنه شيأ قال فمضيت الى غيره وتغافلت كأني لم أسمع ما قال وساومت غيره ما كان بين يديه ثم رجعت اليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي وقال اقعد فانك جائع منذ يومين حتى اذا بعناه نعطيك من ثمنه شيأ قال فوقع في قلبي منه هيبة فلما باع ذلك أعطاني شيأ ومضى قال فمضيت خلفه لعلي أستفيد منه شيأ قال فالتفت الي وقال اذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله الا أن يكون لك فيها حظ فتحجب بها عن الله تعالى ومن دعاء أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه اللهم وكل سؤال سألتك فعن أمرك لي بالسؤال فاجعل سؤالي اليك سؤال محابك ولا تجعلني ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل يسأل القيام بواجب حقك ومن دعائه أيضا اللهم اني أسألك منك ما هو لك واستعيذك من كل أمر يسخطك اللهم ولا تشغلني بشغل من شغله عنك ما أراده منك الا أن يكون لك اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذكره منك الا ما هو لك اللهم اجعل غاية قصدي اليك ما هو لك ولا تجعل قصدي اليك ما أطلبه منك (الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها من علامات الاغترار) هذا هو الحزن الكاذب الذي يكون معه البكاء الكاذب كما قالوا كم من عين جارية وقلب قاس وهو آمن مكر الله تعالى الخفي حيث منعه ما ينفعه وأعطاه ما يغتر به من الحزن والبكاء سمعت رابعة رضي الله تعالى عنها رجلا يقول واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس وأما الحزن الصادق فبخلاف هذا وهو مقام من مقامات السالكين وهو يبعث على الانكماش في الاعمال والنهوض الى الطاعات على كل حال قال الشيخ أبو علي الدقاق رضي الله تعالى عنه صاحب الحزن يقطع من طريق الله عز وجل في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه

في

(ما العارف من اذا أشار) الى شئ من أسرار الحق سبحانه (وجد الحق أقرب اليه من اشارته) بأن كان حاضرا معه لم يغب عنه بل هو ملاحظه فى حال اشارته وأقرب اليه منها نهذا ليس بعارف حقيقة لبقائه مع نفسه لانه حينئذ ملاحظ ان هناك مشيرا ومشارا اليه ومشارا به وما دام يتعقل انه مشير والحق مشار اليه وذلك الكلام الذي صدر منه اشارة فهو الى الآن لم يفن عن نفسه ولم يخرج عن دائرة حسه والاشارة ألطف من العبارة لانها ايماء فقط وتلويح لا تصريح وهى التى يستعملها أهل الطريق رضى الله تعالى عنهم فيما بينهم عند ذكرهم لما يفتح الله به عليهم من الاسرار التوحيدية والعلوم اللدنية والمواجيد والاذواق فالمشير الى شئ من ذلك الملاحظ لاشارته وان وجد الله تعالى

(٩٣)

فى سنين وفى الخبر ان الله يحب كل قلب حزين وفى التوراة ان الله اذا أحب عبدا نصب فى قلبه نائحة واذا ابغض عبدا نصب فى قلبه مزمارا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكر وقيل الحزن اذا فقد من القلب خرب ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة فاذا الحزن الذى يجده العبد من نفسه ان لم يبعثه على النهوض والانكماش والاجتهاد فذلك من علامات الاغترار وليس بمقام

السالكين الابرار (ما العارف من اذا اشار وجد الحق اقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارة له لفنائه فى وجوده وانطوائه فى شهوده) الاشارة ألطف من العبارة وهى كناية وتلويح وايماء لا تصريح وهى التى يستعملها أهل هذه الطريقة فيما بينهم عند ذكرهم لاسرار التوحيد كما تقدم عند قوله من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد فالمشير الى الله تعالى الملاحظ لاشارته وان وجد الله تعالى أقرب اليه من اشارته غير عارف على التحقيق لانه يوصف التفرقة بشهوده للاغيار بل العارف الفانى فى وجوده المنطوى فى شهوده الذى غاب عن الاشارة والمشير والمشار به * سئل الشيخ أبو على الدقاق رضى الله تعالى عنه عن المريد فقال حقيقة المريد ان يشير الى الله تعالى فيجد الله مع نفس الاشارة قيل له فالذى يستوعب حاله قال هو الذى يجد الله باسقاط الاشارة وسئل أبو على الروذبارى رضى الله تعالى عنه عن الاشارة فقال الاشارة الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار اليه لا غير وفى الحقيقة ان الاشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من عين الحقائق وقال الشبلى رضى الله تعالى عنه وكل اشارة أشار بها الخلق الى الحق فهى مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق وليس لهم الى ذلك طريق وقال أبو يزيد رضى الله تعالى

أقرب اليه منها بأن لم يغب عنه فى حال الاشارة غير عارف على التحقيق لانه يوصف التفرقة بشهوده للاغيار (بل العارف) حقيقة (من لا اشارة له) أى من لا يشهد أن له اشارة وان وقعت منه (لفنائه فى وجوده وانطوائه فى شهوده) الضمير لذلك العارف وفى بمعنى عن أى لفنائه عن وجود نفسه وانطوائه عن شهودها

وبحلول عوده للحق سبحانه وتعالى اى ان العارف حقيقة هو الذى غاب عن الاشارة والمشير والمشار به فاذا وقعت منه اشارة لا يشهدها ولا يشعر بها لكون المشير والمشار اليه حينئذ هو الله تعالى لان العارف حينئذ فى مقام الجمع ومن كان كذلك فهو غائب عن رؤية نفسه وقال الشيخ يوسف العجمى قدس الله سره من تكلم فى مقام الجمع فليس بمتكلم وانما المتكلم الحق سبحانه على لسان عبده وهو قوله فى الخبر القدسى فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق اه وسئل بعضهم عن الفناء فقال هو أن تبدو العظمة والاجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والدرجات والاحوال والمقامات والاذكار وتفنيه عن كل شئ وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء فيغرق فى التعظيم اه

(الرجاء) أي الحقيقي (ماقارنه عمل) أي ما كان باعثا على الاجتهاد في الاعمال كما مر في الحزن لان من رجا شيأ طلبه ومن خاف من شئ هرب منه (والا) يقارنه عمل بل كان يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصي والذنوب (فهو امنية) أي فليس برجاء حقيقة عند العلماء بل هو أمنية واغترار بالله تعالى ويقال له أيضا رجاء كاذب قال تعالى فخلف من بعدهم *(٩٤)* خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا والخلف الردىء من الناس وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني (مطلب العارفين من الله تعالى) أعلى من مطلب غيرهم سواء كان عابدا أو زاهدا أو عالما لان مطلبهم انما هو (الصدق في العبودية) وهو التزام آدابها والتخلق بأخلاقها

عنه أبعدهم من الله أكثرهم اشارة اليه (الرجاء ماقارنه عمل والا فهو أمنية) الرجاء مقام شريف من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد في الاعمال كما ذكرناه في الحزن لان من رجا شيأ طلبه ومن خاف من شئ هرب منه وأما الرجاء الكاذب الذي يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصي والذنوب فليس هذا برجاء عند العلماء ولكنه أمنية واغترار بالله تعالى وقد ذم الله قوما ظنوا مثل هذا وأصروا على حب الدنيا والرضا بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلفا والخلف الردىء من الناس فقال عز من قائل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا قال معروف الكرخي رضي الله تعالى عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقال معروف الكرخي أيضا رضي الله عنه رجاؤك الرحمة ممن لا تطيعه خذلان وحمق واعلم انه ليس في أفعال الحق سبحانه مايوجب أن يؤمن عقابه انما في أفعاله مايمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن أن لا يظهر من لطفه في خلقه لا يحسن الطمع في جانبه ويؤمن أخذه وانتقامه فان من قطع أشرف عضو بربع الدينار لا يؤمن ان يكون عذابه غدا هكذا وقد قالوا من زعم ان الرجاء مع الاصرار صحيح فليزعم ان طلب الربح في القبر وقدح النار في البحر صحيح وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الاماني وقال الحسن رضي الله تعالى عنه ان قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة يقول أحدهم أحسن الظن بربي وهو يكذب لو أحسن الظن بربه لاحسن العمل وتلا قول الله عز وجل وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وكان يقول رضي الله تعالى عنه عباد الله اتقوا هذه الاماني فانها أودية الهلكة تحلون فيها والله ما آتى الله عبدا بأمانيه خيرا في الدنيا ولا في الآخرة وكتب أبو عمير المنصوري الى بعض اخوانه أما بعد فانك قد أصبحت تؤمل بطول عمرك وتتمنى على الله الاماني بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا (مطلب العارفين من الله تعالى الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية) مطلب العارفين

والقيام بحقوق الله فيها كالشكر على ما أولاه والصبر على ما ابتلاه ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه وترك الاختيار عليه ولتدبيره ودوام المراقبة له والوقوف ببابه لا بسائر التواضع والذلة باسطا يد الفقر ماسكا حبل الرجاء مرتديا برداء الخشية الى غير ذلك من أوصاف العبودية وأخلاقها فمن صدق في ذلك كان موفيا بما عاهد الله عليه (والقيام بحقوق الربوبية) في ظاهرهم

بالطاعة وفي باطنهم بالمراقبة له ودوام الحضور معه أي أنهم لا يطلبون منه الا هذين الامرين من غير مراعاة حظ ولا بقاء مع نفس بخلاف من عداهم فانه لم يفارق الحظوظ والاغراض في مطالبه فلذا كان مطالبهم أعلى المطالب قال أبو مدين قدس الله سره شتان بين من همته الحور والقصور و بين من همته رفع الستور ودوام الحضور (بسطك) أيها العارف (كي لا يبقيك مع القبض) الذي فيه قهر لنفسك وان كان فيه نفع لك كما سيأتي (وقبضك كي لا يتركك مع البسط) الذي فيه حظ لها (وأخرجك عنهما) بفنائك عن نفسك و بقائك به (كي لا تكون لشئ دونه) فلا تكون باقيا مع شئ من أوصافك المؤلمة ولا المؤنسة فان ذلك حجاب لك عن ربك ويسمى حالك حينئذ اعتدالا لا قبضا ولا بسطا والمعنى لون عليك الاحوال لتتمكن وتفنى عنهما فالقبض لاهل البدايات من العارفين ولولاه لما انجمعت حقائقهم وانكفت عن العوائد والشهوات والبسط لاهل الاشراق على مبادي الفتح كي تسترسل قواهم وتستعين عوالمهم بما ترتاح اليه من نسمات الحق وشواهد رضاه والاعتدال *(٩٥)* لاهل النهايات كي تستقيم أحوالهم وتصفو أعمالهم ويدوموا بين يدي مولاهم بلا علة و يؤخذ من ذلك ان القبض والبسط وصفان ناقصان بالنسبة الى ما فوقهما لانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده لكنهما يتوصل بهما الى التمكن فمن لطف الله تعالى بعبده تلوينه فيهما ثم اخراجه عنهما بفنائه عن نفسه و بقائه بربه فهما من أحوال المبتدئين من العارفين يتلونون فيهما كما يتلون المبتدئون من المريدين في الرجاء والخوف و يفترقان بأن الرجاء والخوف مختص بمن يتوقع أمرا يحصل في المستقبل فما معه توقع أمر محذور مخوف أو محبوب فرجاء وما لا توقع معه فقبض في الاول و بسط في الثاني وسببهما الواردات التي ترد على باطن العارف وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الوارد وضعفه فاذا تجلى للقلب وارد الجلال حصل فيه القبض واذا تجلى فيه وارد الجمال حصل فيه البسط فالقبض بوارد حاصل في

من ربهم أعلى من مطالب غيرهم سواء كانوا عبادا أو زهادا أو علماء لان مطالب العارفين من ربهم انما هو الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية فقط من غير مراعاة حظ ولا بقاء مع نفس وكل من عداهم لم يفارقوا الحظوظ والاغراض في مطالبهم وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك قال سيدي أبو مدين رضي الله تعالى عنه شتان بين من همته الحور والقصور و بين من همته رفع الستور ودوام الحضور (بسطك كي لا يبقيك مع القبض وقبضك كي لا يتركك مع البسط وأخرجك عنهما كي لا تكون لشئ دونه)

القبض والبسط من الحالات التي يتلون بها العارفون وهما بمنزلة الخوف والرجاء للمريدين المبتدئين وسببهما الواردات التي ترد على باطن العبد وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الواردات وضعفها والمقصود ههنا انهما وصفان ناقصان بالنسبة الى ما فوقهما فانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده فمن لطف الله بعبده تلوينه فيهما ثم اخراجه عنهما بفنائه عن نفسه و بقائه بربه قال فارس رضي الله تعالى عنه القبض أولا ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض والبسط يقعان في الوجود وأما مع الفناء والبقاء فلا وكان الجنيد رضي الله تعالى عنه يقول الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني اذا قبضني بالخوف أفناني عني واذا بسطني بالرجاء ردني علي واذا جمعني بالحقيقة أحضرني واذا فرقني بالحق أشهدني غيري فغطاني عنه فهو في ذلك كله محركي غير مسكني وموحشي غير مؤنسي

الوقت وكذلك البسط لان العارف لا يهتم لنفسه حتى يراعي مستقبلات الامور (العارفون اذا بسطوا أخوف منهم) أي أكثر خوفا من أنفسهم (اذا قبضوا) وذلك لملازمة البسط لهوى أنفسهم فيخافون حينئذ من الوقوع فيما لا تحمد عواقبه (٩٦) * من التحدث بالاحوال والكرامات وغيرها وربما كان في ذلك الطرد والبعد وأيضا قد يصدر منه في ذلك الوقت كلام لا يليق بحضرة الرب جل جلاله وحينئذ يتأكد عليهم في ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار وذلك أمر عسير في هذا الحال ولذا قال (ولا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل) قال في لطائف المنن البسط مزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم والقبض أقرب الى وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو في أسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة به (البسط

ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هي وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى اه

فحضوري لذوق طعم وجودي فاميته أفناني عني فمتعني أوغيبني عني فروحني وقد تكلم صاحب كتاب عوارف المعارف في القبض والبسط بكلام بديع طويل تركت نقله ههنا اختصارا فمن أراده فلينظره هناك (العارفون اذا بسطوا أخوف منهم اذا قبضوا ولا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل) انما اشتد خوف العارفين في البسط ما لم يشتد في القبض من قبل ملازمته لهوى أنفسهم بخلاف القبض كما سيقوله المؤلف الآن فيخافون حينئذ من رجوعهم اليه وذوقهم لطعم نفوسهم وفي ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف بن الحسين الرازي الى الجنيد رضي الله تعالى عنهما لا أذاقك الله طعم نفسك فانك ان ذقتها لا تذوق بعدها خيرا أبدا ومن ثم يتأكد عليهم في ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار وذلك أمر عسير في هذا الحال ولذلك لا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل كما قال المؤلف رحمه الله تعالى وقد قيل قف على البساط واياك والانبساط وقال رجل لابي محمد الجريري رضي الله تعالى عنه كنت على بساط الانس وفتح علي طريق البسط فزلت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل اليه دلني على الوصول الى ما كنت عليه فبكى أبو محمد وقال يا أخي الكل في قهر هذه الخطة لكني أنشدك أبياتا لبعضهم وأنشأ يقول

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الاحبة حسرة وتشوقا

كم قد وقفت بربعها مستخبرا * عن أهلها أو سائلا أو مشفقا

فاجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى فعز الملتقى

وسئل بعض المشايخ عن هذه الزلة فقال انبساط مع الحق بغير أدب قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه ومن هذا خشي الاكابر والسادة قال في لطائف المنن البسط مزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم والقبض أقرب الى وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو في أسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة به ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هي وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى قال وأخبرني بعض الصوفية قال رأى شيخنا شيخه في المنام بعد موته مقبوضا فقال له يا أستاذ ما لك مقبوضا فقال له يا بني القبض والبسط مقامات من لم يوفهما في الدنيا وفاهما في الآخرة قال وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط انتهى

اشارة لما تقدم من أن مراعاة الادب في البسط من الامر العسير فلذا كان لا يقف عند حدود الادب فيه الا القليل بخلاف القبض فكأنه يقول انما كان كذلك لان النفس تأخذ منه حظها ومن شأن النفس اذا وجدت حظها الغفلة ونسيان الحقوق والدعوى باطلها وما عندها من العلوم والفهوم والاحوال والاسرار والتحدث بالخصوصية والتلذذ بنسبة الخوارق والاشارة الى الكرامات وادراك المقامات كل على حسب حاله وكل ذلك

(البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لاحظ للنفس فيه)

في هذه الاشارة لما تقدم من أن مراعاة الادب في البسط أمر عسير وذلك أن في البسط وجود حظ النفس فيستولي عليها الفرح بذلك فلا يتمالك حتى يقع في سوء الادب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك كان أسلم وكان الاستاذ أبو علي الدقاق رضي الله تعالى عنه يقول القبض حق الحق منك والبسط حق العبد منه ولان يكون بحقه منك أتم من أن يكون بحظك منه وأما آداب القبض والبسط فلا أعلم الآن من استوفى الكلام فيهما من علماء الصوفية ومصنفيهم وانما وجدنا لهم من ذلك اشارات الى أمور جميلة كقول الامام أبي القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه بعد أن تكلم على لفظي القبض والبسط وتبيين معانيهما الى أن قال وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه يجد في قلبه قبضا لا يدري ما موجبه وسببه وسبيل صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لانه لو تكلف نفيه أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد في قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء أدب واذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فان الحق سبحانه قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الادب فان في هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر صاحبه مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح على باب من البسط فزلت زلة فحجبت عن مقامي اه كلام الامام أبي القاسم وقد رأيت كلاما مبسوطا مستوفى في آداب القبض والبسط لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه فاحببت أن أذكره ههنا لتتم به الفائدة التي تعرض لها المؤلف رحمه الله تعالى وان كان كلام الشيخ أبي الحسن في ذلك أعم مما هو عند غيره من أئمة الصوفية قال رضي الله تعالى عنه القبض والبسط قلما يخلو العبد منهما وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار والحق سبحانه يرتضي منك العبودية فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلو من أن يعلم سببه أو لا يعلم وأسباب القبض ثلاث ذنب أحدثته أو دنيا ذهبت عنك أو نقصت لك أو ظالم يؤذيك في نفسك أو في عرضك أو ينسبك لغير دين أو غير ذلك فاذا ورد عليك القبض من أحد هذه الاسباب فالعبودية تقتضي أن ترجع الى العلم مستعملا له كما أمرك الله تعالى أما في الذنب فبالتوبة والانابة وطلب الاقالة وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص فبالتسليم والرضا والاحتساب وأما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر والاحتمال واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك فان فعلت ما التزمت به من الصبر والاحتمال أثابك سعة

منافر للعبودية بخلاف القبض فانه لاحظ للنفس فيه فلا تتمالك أن تظهر شيأ من ذلك فهو أقرب للسلامة ووجود القهر والقدرة على الوفاء بآداب العبودية ولذا آثره العارفون على البسط

الصدر حتى تعفو وتصفح وربما أتاك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب فيه دعوتك وما أحسن ذلك اذا رحم الله بك من ظلمك فتلك درجات الصديقين الرحماء وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين وأما اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان ليل ونهار فالقبض أشبه شئ بالليل والبسط أشبه شئ بالنهار فاذا ورد القبض بغير سبب تعلمه فالواجب عليك السكون والسكون على ثلاثة أشياء عن الاقوال والحركات والارادات فان فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع شمس نهارك أو يبدو نجم تهتدي به أو قمر تستضيء به أو شمس تتبصر بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس المعرفة وان تحركت في ظلمة ليلك فقلما تسلم من الهلاك واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فهذا حكم العبودية في القبضين جميعا وأما من كان وقته البسط فلا يخلو من أن يعلم له سببا أولا والاسباب ثلاثة الاول زيادة في الطاعة أو نوال في المطاع كالعلم والمعرفة والسبب الثاني زيادة من دنيا بكسب أو كرامة أو هبة أو صلة والسبب الثالث بالمدح والثناء من الناس واقبالهم عليك بطلب الدعاء منك وتقبيل يديك فاذا ورد عليك البسط من أحد هذه الاسباب فالعبودية تقتضي أن ترى النعمة والمنة من الله عليك واحذر أن ترى شيأ من ذلك لنفسك وحصنها أن لا يلازمها خوف السلب مما به أنعم عليك فتكون ممقوتا هذا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى وأما الزيادة من الدنيا فهي نعمة أيضا كالاولى وخف مما بطن من آفاتها وأما مدح الناس لك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستره عليك وخف من الله تعالى أن يظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك أقرب الناس اليك فهذه آداب القبض والبسط في العبودية وأما البسط الذي لا تعلم له سببا فحق العبودية فيه ترك السؤال والادلال والصولة على النساء والرجال اللهم الا أن تقول سلم سلم الى الممات فهذه آداب القبض والبسط في العبودية جميعا ان عقلت والسلام انتهى ماذكره الشيخ أبو الحسن وكلامه في ذلك حسن والحمد لله الذي بيده سوابغ المنن

(ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك) منع الله تعالى عبده من نيل شهواته ولذاته والسكون مع شئ من عاداته عطاء جزيل منه لانه أبقاه معه واقتطعه من حظوظه وأغراضه وجرده منها وعكس هذا هو المنع على التحقيق وان كان عطاء في الظاهر قال الشيخ محيي الدين بن العربي اذا منعت فذلك عطاؤه واذا أعطيت فذلك منعه فاختر الترك على الاخذ فالواجب على العبد أن يترك التدبير والاختيار

(ربما أعطاك) شيأ من الدنيا ولذتها (فمنعك) التوفيق لطاعته والاقبال عليه والفهم منه (وربما منعك) من الاول (فأعطاك) الثاني فمنع الله لك من نيل شهواتك ولذاتك والسكون مع شئ من عاداتك عطاء جزيل منه لانه أبقاك معه واقتطعك من حظوظك وأغراضك وعكس ذلك هو المنع على التحقيق وان كان عطاء في الظاهر فلا تنظر لظاهر العطاء والمنع بل لحقيقة الامر وحينئذ فيجب على العبد أن يترك التدبير والاختيار لمولاه

(ومتى فتح لك باب الفهم فى المنع) بان فهمت أن ذلك المنع رحمة منه بك ولولا انه يعلم انه خير لك من العطاء ما أنزله بك (عاد المنع) أى صار (عين العطاء) ومن الفهم فى المنع ما سيأتى فى قوله ومتى منعك أشهدك قهره الخ (الاكوان) أى المكونات التى للنفس فيها حظ من متاع الدنيا وزهرتها (ظاهرها غرة) بكسر الغين أى سبب فى الاغترار بها لحسنها وبهجتها (وباطنها عبرة) بكسر العين أى سبب فى الاعتبار بها والانكفاف عنها لقبحها وخستها والنظر الى *(٩٩)* عاقبتها وهى الفناء فهى حسنة الظاهر قبيحة الباطن فمن نظر الى ظاهرها وجدها حلوة نضرة فيغتر بها ويميل اليها ومن نظر الى باطنها وجدها جيفة قذرة فيعتبر بها وينكف عنها (فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها) أى زينتها الظاهرة فتغتر بها وتهلك صاحبها (والقلب ينظر الى باطن عبرتها) أى الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها ويسلم من شرها (ان أردت أن يكون لك عز لا يفنى) بأن تستغنى عن جميع الاسباب بوجود مسببها لانه باق فيكون تعلقك به عزا لا يفنى (فلا تستعزن بعز يفنى) بأن تستغنى بها مع الغيبة عن مسببها لانها فانية فيكون تعلقك بها عزا لا يبقى بل يزول بزوالها فان اعتززت بالله دام عزك ولم يقدر أحد أن يذلك وان اعتززت

لمن بيده ذلك فلن يعدم منه خيرا (متى فتح لك باب الفهم فى المنع عاد المنع عين العطاء) سيأتى بيان هذا من كلام المؤلف رحمه الله فى قوله متى أعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره الى آخره (الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها) الاكوان ههنا كل ما يمكن أن يكون للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها وهى رائقة الظاهر قبيحة الباطن كما قيل

على وجه مى مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فهى من حيث ظاهرها محبوبة حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة قذرة فالنفس تنظر الى زينتها الظاهرة فتغتر بها فتهلك صاحبها والقلب ينظر الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها فيسلم من شرها وقد روى فى الكتب السالفة أن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله صف لنا أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام هم الذين بهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم فصار ذكرهم فيها فوتا وفرحهم فيها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما أشرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت فى صدورهم فلم يحيوها بعد موتها وبنوا بها آخرتهم أحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم الخبر العجيب وكان بعض الاولياء يقول ما سطع لى زينة من زخرف الدنيا الا كشف لى باطنه فظهر لى غرور عنها قال أبو طالب المكى فهذه عناية من الله تعالى لمن وليه من أوليائه المقربين منه فمن شهد الدنيا بأول وصفها لم يغتر بآخره ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يعجب بظاهرها ومن كشف له بعاقبتها لم يستهوه زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن (ان أردت أن يكون لك عزا لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى) العز الذى لا يفنى هو الغنى عن الاسباب كلها

بغيره من مال أو جاه ونحوهما بأن ركنت اليه وجعلته معتمدك وغفلت عن مولاك فلا بقاء لعزك اذلا بقاء لمن أنت به معتز ولذا سمع بعض العارفين شخصا يبكي فقال له ماشأنك فقال مات أستاذي فقال له العارف ولم جعلت أستاذك من يموت (الطي الحقيقي أن تطوى) أيها المريد (مسافة الدنيا عنك) بان لا تشتغل بلذاتها (١٠٠) وشهواتها ولا تركن اليها بل تغيب عنها (حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك) أي تكون نصب عينيك ليست غائبة عن قلبك فهذا هو الطي الحقيقي الذي يكرم الله به أولياءه وبه تحقق عبوديتهم لربهم لا طي مسافة الارض بأن تكون من أهل الخطوة لانه ربما كان استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والايام بالقيام والصيام لانه ربما قارنه رياء أو عجب فتكون عاقبته الخسران ولا يمكن أن تطوى عن العبد مسافة الدنيا الا اذا أشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا في نظره ويرى الآخرة حاضرة لديه موجودة عنده ومن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب الفاني وهو الدنيا واستبداله بالباقي وهو الآخرة اما اذا لم يشرق نور اليقين في قلبه كان راغبا في الدنيا مؤثرا لها على الآخرة ركانا اليها وغائبا عن مولاه لضعف يقينه وتقواه

بوجود مسببها لانه باق لا يفنى فالتعلق به عز لا يفنى والعز الذي يفنى هو الغنى بالاسباب مع الغيبة عن مسببها لانها فانية فالتعلق بها عز فان لا يبقى والتعلق بالله عز لا يفنى وليس لك الا أحدهما لانهما ضدان لا يجتمعان فان اخترت العز الباقي بالله تعالى لم يقدر أحد أن يذلك يحكى ان رجلا أمر بالمعروف لهرون الرشيد فحرد عليه هرون الرشيد وكان له بغلة سيئة الخلق فقال اربطوه معها تقتله برمحها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه في بيت وطينوا عليه الباب ففعلوا ذلك فرؤي في بستان وباب البيت مسدود فأخبر هرون الرشيد بذلك فأتى بالرجل فقال من أخرجك من البيت فقال الذي أدخلني البستان فقال ومن أدخلك البستان فقال الذي أخرجني من البيت فقال أركبوه دابة وطوفوا به في البلد وليقل قائل ألا ان هرون قد أراد أن يذل عبدا أعزه الله فلم يقدر وان أردت العز بالاسباب خذلك وأسلمك أحوج ما تكون اليها وكنت في غاية الذل والهوان * حكي عن بعضهم أنه قال رأيت رجلا في الطواف وبين يديه شاكرية يطردون الناس فبعد ذلك بمدة رأيت انسانا يتكفف الناس على الجسر ويسأل شيأ قال فنظرت اليه وشبهته بذلك الرجل فقال لاي شئ تنظر فقلت أشبهك برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا فقال أنا ذلك الرجل تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله في موضع يترفع فيه الناس قال ابن النحوي فان اعتززت بالله دام عزك وان اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك اذلا بقاء لمن أنت به معتز قال وانشدنا بعض الفضلاء لنفسه

اجعل بربك شأن عزك يستقر ويثبت
فان اعتززت بمن يمو * ت فان عزك ميت

قال ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال ما شأنك قال مات أستاذي فقال له ذلك العارف ولم جعلت استاذك من يموت ويقال لك اذا اعتززت بغير الله تعالى ففقدته واستندت الى غيره فعدمته وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شئ علما

(الطي الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك)

(العطاء من الخلق) أى اذا أعطوك شيأ فاخذته غافلا عن مولاك فهو وان كان اعطاء ظاهرا (حرمان) باطنا أى فى الحقيقة ونفس الامر لما فيه من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع حظوظك (والمنع منه الله) أى منع الله لك وعدم اعطائك (١٠١) * (احسان) حيث لم يغب قلبك عنه فهو وان كان منعا ظاهرا اعطاء باطنا لانه الزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتقلد منتهم فى أخذ عطيتهم والمنع من الله احسان لانه حبيبك وكل ما يفعله المحبوب محبوب وفى وصية على كرم الله وجهه لاتجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما اه وهو بناسب المعنى الاول (جل ربنا أن يعامله العبد نقدا) أى

طى مسافة الدنيا انما يتصور من العبد اذا أشرق نور اليقين فى قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا فى نظره وتنطوى فى اعتباره ويرى الآخرة حاضرة لديه موجودة عنده بل يراها أقرب اليه منه اذ ذاته فانية منطوية بهذا الاعتبار فمن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب الغائب الفانى وهو الدنيا واستبداله بالحاضر الباقى وهو الآخرة ولذلك كان أصل الرغبة فى الدنيا وايثارها على الآخرة ضعف اليقين فمن لم يشرق فى قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير ومن لم يشاهده أحب الدنيا وهى لا شئ فلم تكن قيمته عند الله تعالى شيأ فهذا هو الطى الحقيقى لمسافة الدنيا الذى يكرم الحق به أولياءه وبه تتحقق عبوديتهم لربهم عز وجل لا طى مسافة الارض الذى ربما يكون استدراجا ومكرا ولا طى الليالى والايام بالوصال للصيام وترك الشراب والطعام اذا لم يتمحض طاعة وبرا وسيأتى من كلام المؤلف رحمه الله تعالى لو أشرق نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها (العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله احسان) عطية الخلق لك حرمان على التحقيق لما فيه من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع حظوظك وشهواتك ومنع الله لك احسان لانه ألزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتقلد منتهم فى أخذ عطيتهم والمنع من الله احسان لانه حبيبك وكل ما يفعل الحبيب محبوب ولله در من قال

فلا ألبس النعما وغيرك ملبسى * ولا أقبل الدنيا وغيرك واهبى

وفى وصية على رضى الله عنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكماء حمل المنن أثقل من الصبر على العدم وقال آخر عز النزاهة أشرف من سرور الفائدة وقال رضى الله عنه (جل ربنا أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة) جزاء المعاملة لا يختص بالدار الآخرة بل ربما أظهر الحق تعالى منه لبعض أوليائه فى الدنيا أنموذجا يحملهم على الاجتهاد فى الاعمال ويتحققون به وجودهم ولما فى كل الاحوال وذلك لعظيم كرمه وعميم فضله جل وعلا * (كفى من جزائه اياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا) هذا بيان جزائهم المعجل وهو أنه

حالا بانواع الطاعات (فيجازيه نسيئة) بان لا يعطيه شيأ من جزاء عمله فى الحال فان ذلك ليس شأن الكريم القادر فجزاء العمل لا يختص بالدار الآخرة بل ربما أظهر الله تعالى منه لبعض أوليائه شيأ فى الدنيا يحملهم على الاجتهاد فى الاعمال ويتحققون به قبولها ثم بين ذلك الجزاء المعجل بقوله (كفى من جزائه) أى مجازاته اياك (على الطاعة أن رضيك لها أهلا) أى توفيقك لها واقدارك عليها والا فصفتك الذاتية التكاسل عن الطاعة وعدم الاعتناء بها فاذا وفقك مولاك للقيام بها كان ذلك جزاء

ه لا لأن في الدنيا ما يترتب عليه من مزيد الزلفى وأيضاً فأنت عبد حقير لا تستحق خدمة ملك الملوك فكونه قربك لخدمته ورضيك أهلاً لها نعمة عظيمة منه عليك ثم ذكر جزاء آخر معجلاً بقوله (كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته) أي في حال طاعته من المواهب الإلهية والإلهامات اللدنية وحلاوة التملق بين يدي ملك الملوك قال بعضهم ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة (١٠٢) وهذه الحلاوة هي التي يعبر عنها أهل الطريق بالأحوال والمواجيد والأذواق (وما هو مورده عليهم) أي على قلوبهم (من وجود مؤانسته) أي الأنس به بعد حصول العمل وانقضائه قال بعضهم الأنس هو سرور القلب بشهود جمال الحبيب وهو حالة توجب انتعاش المحب وصفاء وقته ويخاف فيه غوائل الإدلال (من عبده تعالى (لشيء يرجوه منه) وهو الثواب (أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة) أي حصولها له في الدار الآخرة وقوله (عنه) عمل

متعلق بيدفع (فما قام بحق أوصافه) بل هو قائم بحظ نفسه من جلب الثواب أو دفع العقاب بخلاف ما إذا عبده لأجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي لا يشاركه فيها أحد فمن كان كذلك يستحق أن يخدم بالعبادة فإنه حينئذ يكون قائماً بحق أوصافه أي موفياً لما حقها فقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن أود الأوداء إلي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الحديث لا يكن أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط الأجرة لم يعمل

عرفهم من عظمته وجلاله وكبريائه ما استحقروا معه أنفسهم أن يكونوا أهلاً لأن يكلفهم القيام بطاعته ويمدهم فيها بتيسيره ومعونته فسباهم حينئذ حبه واستولى عليهم قربه فانخنست إذ ذاك نفوسهم واضمحل وجودهم وذهب بهم الحياء كل مذهب وهذا هو غاية الجزاء ونهاية العطاء عند العلماء العارفين الذين يغنيهم وجدانه عن التطلع إلى غيره من الحظوظ الآجلة (كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته) هذا بيان آخر لما يكرمهم به من الجزاء المعجل وهو أن العاملين لربهم يفتح لهم من المعارف ويورد على قلوبهم من أنواع اللطائف ما يتنسمون منه روح الأنس وينعمون به في حضرة القدس وهذا من علامات وجود الرضوان الأكبر الذي يتلاشى دونه كل جزاء ويستحقر كان بعضهم يقول التملق للحبيب والمناجاة للقريب في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة ظهر لأهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه إلا هم ولا يجده سواهم روح لقلوبهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه دخلت على أبي سليمان الداراني رضي الله عنه يوماً وهو يبكي فقلت له وما يبكيك فقال يا أحمد ولم لا أبكي إنه إذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت في محاريبهم أشرف الجليل سبحانه فنادى يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح إلى ذكري وإني لمطلع عليهم في خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاءهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل ما هذا البكاء هل رأيتم حبيباً يعذب أحبابه أم كيف يجمل بي أن آخذ قوماً إذا جنهم الليل تملقوا إلي فبي حلفت إذا وردوا علي القيامة لأكشفن لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا إلي وأنظر إليهم (من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه)

عمل العاملين لاجل حصول الجزاء أو فرارا من عقوبة المولى مدخول معلول ليس
من شأن الحاذقين المحققين لان قيام العبد بحق أوصاف مولاه يقتضى أن لايعمل
لاجل حظه من جلب ثواب أودفع عقاب لانه عبد يستحق عليه مولاه كل شئ ولا
يستحق هو عليه شيأ وهذا من أعلى المحبة لله تعالى لان المحب مجتمع الهم بأمر محبوبه
لامراد له الاما أراد فعلى العبد أن يعمل لربه عزوجل لاجل جلاله وعظمته وماهو
عليه من محامد صفاته التى لايشاركه فيها فان خالف هذا وعمل على طلب حظه لم
يقم بحق صفات مولاه وكان ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم حبه لربه ومعرفته قال
سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه ماطلعت شمس ولاغربت على أحد على
وجه الارض الاوهم جهال بالله تعالى الامن يؤثر الله تعالى على نفسه وروحه
ودنياه وآخرته وفى أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه ان أود الاوداء
الىّ من عبدنى لغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها وفيما نقل وهب بن منبه من
الزبور ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أولنار لولم أخلق جنة ولانارا ألم أكن أهلا لان
أطاع أو كما قال عزوجل وفى أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت التقى مشغوفا فى
طلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه ومر عيسى عليه الصلاة والسلام على طائفة
من العباد قد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال من أنتم فقالوا نحن
عباد الله تعالى فقال ولاى شئ تعبدتم قالوا خوفنا الله من ناره فخفنا منها فقال حق
على الله أن يؤمنكم مما خفتم منه ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم فقال
لاى شئ تعبدتم قالوا شوقنا الله الى الجنان وما أعد فيها لاوليائه فنحن نرجوها
فقال حق على الله أن يعطيكم مارجوتم ثم جاوزهم فمر بآخرين يتعبدون فقال
ما أنتم قالوا المحبون لله عزوجل لم نعبده خوفا من ناره ولاشوقا الى جنته ولكن
حباله وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم فاقام بين
أظهرهم وفى لفظ آخر أنه قال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا أحببتم وقال للآخرين
أنتم المقربون قال الشيخ أبو طالب المكى رضى الله عنه وممن روى عنه هذا القول
وأقيم فى هذا المقام جماعة من التابعين باحسان منهم أبو حازم المدنى كان يقول
انى لاستحى من ربى أن أعبده خوفا من العذاب فأكون مثل عبد السوء ان لم
يخف لم يعمل وأستحى أن أعبده لاجل الثواب فأكون كالاجير السوء ان لم يعط
أجر عمله لم يعمل ولكن أعبده محبة له قال الشيخ أبو طالب المكى وقد روينا معنى
هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكن أحدكم كالعبد السوء ان
خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجر لم يعمل وقال بعض اخوان معروف رضى
الله عنه له أخبرنى عنك يا أبا محفوظ أى شئ أهاجك على العبادة والانقطاع عن
الخلق فسكت فقلت ذكرت الموت فقال وأى شئ الموت قلت فذكرت القبر قال

وأي شئ القبر فقلت خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شئ هذا ان من ملك هذا
كله بيده ان أحببته أنساك جميع هذا وان كان بينك وبينه معرفة كفاك جميع
هذا قال أبو طالب وحدثونا عن علي بن الموفق قال رأيت في النوم كأني أدخلت
الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع
الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل
بعضهم الجنة ويرد آخرين قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت في سرادقات
العرش رجلا قد أشخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من
هذا فقال هو معروف الكرخي عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل
حبا له فقد أباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الآخرين بشر بن الحرث وأحمد
ابن حنبل رضي الله تعالى عنهما قال أبو طالب المكي ورويناعن رابعة العدوية
وكانت احدى المحبين وكان سفيان الثوري يجلس بين يديها ويقول علمينا مما
أفادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل أنت لولا انك تحب الدنيا
وكان يعترف لها ويسلم قولها وكان عالما زاهدا الا انه كان يؤثر كتب الحديث
والاقبال على الناس وهي أبواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عبد شريطة
ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدت الله خوفا من النار فأكون
كالعبد السوء ان خاف عمل ولا حبا للجنة فأكون كالاجير السوء ان أعطى عمل
ولكن عبدته حبا له وشوقا اليه والآثار والحكايات في هذا المعنى كثيرة لا تنحصر
فاذا عمل المريد ما ذكرناه كان عبدا لله حقا فان طلب منه الثواب أو استعاذ به من
العقاب فانما يطلبه أو يستعيذ به انتجازا لوعده وفرارا من دعوى رؤية حظه
واتباعا لما أحبه منه وأذن له فيه من طلبه لفضله واحسانه وكرمه وامتنانه وهذا
وما أشبهه هو المعنى بالحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في الصلاة قال أتشهد ثم أقول اللهم اني أسألك
الجنة وأعوذ بك من النار اما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال حولها
ندندن الا ان يكون رجاؤه لحصول ذلك وخوفه من فقده باعثا له على القيام
بطاعته وملازمة عبادته فيكون عمله اذ ذاك مدخولا معلولا هذا هو مذهب
العارفين والمحققين وعليه تنبني قواعد التصوف كلها * (متى أعطاك أشهدك بره
ومتى منعك أشهدك قهره فهو في كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك)
المطلوب من العباد أن يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية والاسماء
الحسنى

والاحسان والالطف والعطف وغير ذلك (ومتى منعك أشهدك قهره) أي صفاته القهرية أي التي تقتضي القهر والغلبة من الجبرية والكبرياء والعزة والاستغناء (فهو في كل ذلك) أي في كلتا الحالتين (متعرف اليك) أي مقبل عليك ومريد منك أن تعرفه فان الواحد منا اذا أراد أن يعرفه غيره فاما أن ينعم عليه واما أن يعاقبه فكل منهما سبب في معرفة ذلك الغير له (ومقبل بوجود لطفه عليك) لان مشاهدتك لصفات بره وقهره لطف عظيم منه سبحانه ونعمة منه
عليك فينبغي لك ان تشكره عليها والحاصل ان المطلوب من العباد ان يعرفوا مولاهم بما هو عليه
من الصفات العلية والاسماء الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعريفه لهم وتعرفه لهم انما يكون
بما ينزله بهم من النوازل ويورده عليهم من الاحكام سواء كان الحكم موافقا لطبعهم وهو الاعطاء

اوتخافه وهو المنع فمن كان عارفا بربه ولم يستغرقه حظ نفسه لم يفرق بين العطاء والمنع لان كلا منهما له طريق توصله الى معرفة صفات البرية من الجود ونحوه والقهرية وهذا من جملة فتح باب الفهم في المنع كما مر (انما يولمك المنع) أيها المريد (لعدم فهمك عن الله فيه) أي في حال المنع اذ لو فتح لك باب الفهم حينئذ لتلذذت به فمن جملة الفهم في المنع ان تفهم انه يريد بذلك المنع ان يوقفك ببابه ويعلقك به ويصيرك من جملة احبابه فانه اذا أحب عبدا حماه الدنيا ومن جملته ان تفهم انه سلك بك مسلك المقربين كما ورد * (١٠٠) * عن الفضيل انه كان يقول الهي اجعتني وأجعت عيالي وأعريتني وأعريت عيالي وانما تفعل هذا بخواص عبادك فبأي سبب استوجبت منك هذا أي من اعمال البر والخير ومن جملته ان تفهم ان الدنيا فانية ولذاتها منقضية فتفرح بما ادخر لك في الآخرة الى غير ذلك مما يفتح الله به على قلب المريد الصادق فاذا فتح عليه ذلك تلذذ بالمنع فعاد المنع عين العطاء (ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول) الاضافة فيهما بيانية أو من اضافة المشبه به للمشبه (وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول) وذلك أن الطاعة قد تقارنها آفات قادحة في الاخلاص فيها كالاعجاب بها والاعتماد عليها واحتقار من لم يفعلها وذلك مانع من قبولها والذنب قد يقارنه الالتجاء الى الله والاعتذار اليه واحتقار نفسه وتعظيم

الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم وتعرفه لهم انما يكون بما ينزله بهم من النوازل ويورده عليهم من الاحكام ثم هو على قسمين ما وافق الهوى والطبع ويسمى ذلك عطاء ومنحا وما خالفهما ويسمى منعا فبوجود العطاء تشهد صفاته البرية من الجود والكرم والاحسان واللطف والعطف وغير ذلك وبوجود المنع تشهد صفاته القهرية من الجبر والكبرياء والعزة والاستغناء فينبغي لك أيها العبد أن لا تفرق بينهما ان أردت معرفة ربك ولم يستغرقك حب حظك اذ المنع له لك عطاء على التحقيق فهو في كلتا الحالتين منعم عليك ومقبل بوجود لطفه اليك وهذا هو بيان ما تقدم من قوله متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطاء والله أعلم قال سفيان الثوري رضي الله عنه أتيت أبا حبيب البدوي أسلم عليه ولم أكن رأيته فقال لي أنت سفيان الثوري الذي يقال قال فقلت نعم فنسأل الله عز وجل بركة ما يقال قال فقال لي يا سفيان ما رأينا خيرا قط الامن ربنا قلت أجل قال فبالنا نكره لقاء من لم نر خيرا قط الا منه ثم قال يا سفيان منع الله اياك عطاء منه لك وذلك انه لم يمنعك من بخل ولا عدم وانما منعه نظر منه واختيار يا سفيان ان فيك لا نساومعك شغلا قال ثم أقبل على غنيمته وتركني * (انما يولمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه) اذا كان منع الله سبحانه وتعالى وعطاؤه نعمتين عظيمتين كما ذكرناه الآن فينبغي أن يكون في كلتيهما قرة عين المريد فان تألم بأحدهما وهو المنع وتلذذ بالآخر وهو العطاء فذلك لعدم فهمه وقصور علمه وانما الاكمل والافضل له أن يألم بالعطاء ويلتذ بالمنع كما قال ابراهيم الخواص رضي الله عنه لا يصح الفقر للفقير حتى تكون فيه خصلتان احداهما الثقة بالله تعالى والاخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلى به غيره من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع أفضل من نظره له في العطاء وعلامة صدقه في ذلك أن يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء لا يعرفه غير اربه الذي خصه بمعرفته وأياديه فهو لا يرى سوى مليكه ولا يملك الا ما كان من تمليكه وكل شئ له تابع وكل له خاضع اه * (وربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول)

من لم يفعله فيكون ذلك سببا في مغفرة الله له ووصوله اليه فينبغي أن لا ينظر العبد الى صور الاشياء بل الى حقائقها فيخاف ان كان مطيعا ويرجو ان كان عاصيا ثم أوضح المصنف معنى هذه الحكمة بقوله (معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا) ولاشك ان الذل والافتقار من أوصاف العبودية فالتحقق بهما مقتض للوصول الى حضرة الرب والعز والاستكبار من أوصاف الربوبية فالتحقق بهما مقتض للخذلان وعدم القبول قال أبو مدين قدس سره انكسار العاصي خير من صولة المطيع

ينبغي ان لا ينظر العبد الى صور الاشياء ولينظر الى حقائقها فصور الطاعات لا تقتضي وجود القبول لها لما قد تضمنته من الآفات القادحة في الاخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود صورة الذنب لا يقتضي الابعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا في وصوله الى ربه وحصوله في حضرة قربه كما قيل رب ذنب أدخل صاحبه الجنة وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لولم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم وذلك أنه يصحبه عند عمله بالطاعة أن يعجب بها أو يعتمد عليها او يتكبر بفعلها او يستصغر من لم يفعلها او يصحبه عند وقوعه في الذنب اللجأ الى الله تعالى فيه والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه وتعظيم من لم يفعله *قال أبو حازم رضي الله عنه ان العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله له من سيئة أضر له منها وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله له من حسنة أنفع له منها وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة تسره فيتمنى بها ويرى أن له فضلا على غيره ولعل الله أن يحبطها ويحبط معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها ولعل الله أن يحدث له بها وجلا حتى يلقى الله تعالى وان خوفها في جوفه لباق * ثم بين المؤلف رحمه الله هذا المعنى بقوله

﴿معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا﴾ الذل والافتقار من صفات العبودية والعز والاستكبار مناقضان لها لانهما من صفات الربوبية ولا خير في الطاعات اذا لزم عنها شيء مما يناقض صفات العبودية لانها تحبطها وتبطلها كما لا مبالاة بالمعصية اذا لزمتها صفات العبودية لانها أيضا تمحوها وتزيلها قال سيدي أبو مدين رضي الله عنه انكسار العاصي خير من صولة المطيع وكان سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان يكرم الناس على قدر رتبتهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يعبأ به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لان ذلك الطائع أتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي دخل عليه بكثرة معاصيه وذلة مخالفته وقد تقدم مثل هذا عند قوله لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فمن هذا المعنى ماروي عن أبان بن عياش أنه قال خرجت يوما من عند أنس بن مالك رضي الله عنه بالبصرة فرأيت جنازة يحملها أربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل آخر فقلت سبحان الله بسوق البصرة وجنازة مسلم لا يشيعها أحد فلا كونن خامسهم فمضيت معهم فلما وضعوها بالمصلى قالوا لي تقدم فقلت أنتم أولى به فقالوا كلنا سواء فتقدمت فصليت عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا اكترتنا تلك المرأة قال فقعدت حتى دفنوه فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المرأة وهي

تضحك

تضحك فدخل قلبي شئ فقلت لا يجيبك الا الصدق اخبريني ايش القصة فقالت
ان هذا ابني ماترك شيأ من المعاصي الا فعله فمرض منذ ثلاثة أيام فقال يا أماه اذا
مت فلا تخبري بوفاتي جيراني فانهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بموتي وأكتبي على
خاتمي هذا لا اله الا الله محمد رسول الله واجعليه على كفني فلعل الله تعالى يرحمني به
وضعي رجلك على خدي وقولي هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتيني فارفعي يديك
الى الله تعالى وقولي اني رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصى به
فلما رفعت يدي الى السماء سمعت صوته بلسان فصيح انصرفي يا أماه فقد قدمت
على رب كريم رحيم غير غضبان علي فانما ضحكت من هذا ومن المعنى الآخر ما روى
ان رجلا من بني اسرائيل أتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد
فقال له العابد ارفع فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله عز وجل أيها المتألي علي بل
أنت لا يغفر الله لك قال الحرث المحاسبي رضي الله عنه لانه انما تألى على الله عز وجل
أن لا يغفر الله له لعظم قدر نفسه عنده وأن الاساءة اليه عند الله عز وجل عظيمة
لا يغفرها الله تعالى لموضع عبادته وسجوده لانه عد نفسه عظيم القدر عند الله
عز وجل فجمع بين عجب وكبر واغترار بالله عز وجل ومن المعنيين جميعا ما روى ان
عيسى عليه الصلاة والسلام خرج ومعه صالح من صالحي بني اسرائيل فتبعهما
رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم فقعد منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله سبحانه
وتعالى وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع بيني و بين هذا
العاصي فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام اني قد استجبت
دعاءهما جميعا رددت ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم *وروى عن الشعبي أيضا
عن الخليل بن أيوب ان رجلا كان في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل
لكثرة فساده مر برجل آخر من بني اسرائيل يقال له عابد بني اسرائيل وعلى رأس
العابد غمامة تظله فقال الخليع في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني
اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله عز وجل أن يرحمني به فجلس اليه فقال العابد في
نفسه أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل يجلس الي فأنف منه وقال قم
عني فأوحى الله عز وجل الى نبي ذلك الزمن مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت
للخليع وأحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة على رأس الخليع
قال الحرث المحاسبي وانما أراد الله عز وجل من عباده قلوبهم لتكون جوارحهم تبعا
لقلوبهم فاذا تكبر العالم أو العابد وأنف وتواضع الجاهل أو العاصي وذل هيبة لله

(نعمتان ماخرج موجود عنهما) أي هما عامتان لكل موجود (ولابد لكل مكون) أي موجود (منهما) أي هما لازمتان لكل موجود لا ينفك عنهما موجود من الموجودات (نعمة الايجاد ونعمة الامداد) الاضافة للبيان فيهما فكل موجود في ذاته معدوم متلاش فنعمة الايجاد ازالت عنه العدم السابق فصار موجودا ولولا ذلك لم يزل معدوما والمعدوم ليس بشيء ولما كان دوام وجوده محتاج الى امداد الحي له يقتضي بقاء صورته وهيكله *(١٠٨)* أمده بجلب المنافع له ودفع المضار عنه فنعمة الايجاد أزالت العدم السابق ونعمة الامداد أزالت العدم اللاحق وأبدلته باستمرار الوجود فلولا نعمة الايجاد لم يخرج شيء من العدم الى الوجود ولم يزل معدوما ولولا نعمة الامداد لم يتم وجود لوجود ولم يصح بقاء موجود بل يختل في أقرب مدة ويضمحل ولا فرق في هذا بين المكونات العلوية والسفلية ثم ذكر جزئيا من جزئيات تلك الكلية فقال (أنعم عليك) أيها الانسان (أولا بالايجاد وثانيا بتوالي الامداد) فاذا علم العبد أن ابتداء وجوده من الله ودوام وجوده كذلك علم أن فاقته ذاتية وأنه لا غنى له عن مولاه لافتقاره بعد وجوده في كل وقت الى الامداد ثم هذه الامدادات المتوالية عليه منها ما يكون قوتا لشبحه تقوم به بنيته كالاقوات ومنها ما يكون قوتا لمعناه وروحه كالايمان والعلوم والمعارف فان الانسان شيئان روح وجسد والامداد الاول عام للمؤمنين والكافرين كنعمة الايجاد والثاني خاص بالمؤمنين * ثم ذكر ما هو كالنتيجة لما تقدم بقوله

عز وجل ونزقا منه فهو أطوع لله عز وجل من العابد أو العالم بقالبه * نعمتان ماخرج
موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد) نعمتان لازمتان
لكل مكون موجود لانه في ذاته معدوم متلاش فنعمة الايجاد أزالت العدم
السابق ولولا ذلك لم يزل معدوما ونعمة الامداد ازالت العدم اللاحق ولولا ذلك
لتلاشى وفني * قال سيدي أبو مدين الحق تعالى مستبد والوجود مستمد والمادة
من عين الوجود فلو انقطعت المادة انهدم الوجود وهذا توطئة لما يريد بيانه من
الفقر الذاتي للعبد * أنعم عليك أولا بالايجاد وثانيا بتوالي الامداد) هذا أحد
جزئيات الكلية المتقدمة وهو وجودك ودوام وجودك ومما لا ينبغي أن يتغافل
عنه من أنواع هذا الجنس نعمة ايجاد الايمان ومحبة الطاعة في قلبك وامدادهما
وكذلك كراهة الكفر والمعصية فان ذلك من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها
ولا له وسيلة اليها ولولا تولي الله تعالى له بتينك النعمتين في القسمين لتاه في ظلمات
الضلالات وغرق في بحار الجهالات وقد نبه الله عز وجل على هذا المعنى في كتابه
الكريم فقال عز من قائل ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره
اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة * قال
الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه ان من أفكر في صنوف الضلال وكثرة
طرق المحال وشدة تغليط الناس في البدع والاهواء وما يتشعب بكل قوم مختلفي
النحل والآراء ثم أفكر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الامور وشدة جهله
وتناقض تدبيره في أحواله وشدة حاجته الى الاستعانة بأشكاله في أعماله ثم رأى
خالص يقينه وقوة استبصاره في دينه ونقاء وجه توحيده عن غبرة الشرك وصفاء
عين عرفانه عن رهج الشك علم أن ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده وسعيه
وجده بل بفضل ربه وسابغ طوله قال الله تعالى ذكره وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة

(فاقتك لك ذاتية) أى اذا ثبت أن نعمتى الايجاد والامداد لازمتان لك وانك فى ذاتك عدم لولاهما فالفاقة اذا ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك لاحتياجك الى المولى فى ابتداء وجودك وفى ادامته عليك لكن هذا الاضطرار يخفى على غالب الناس و يغفلون عنه اذا دامت عليهم صحة أبدانهم وكثرة أموالهم فيغيبون حينئذ عن صفتهم الذاتية وعن مولاهم فيورد عليهم أسباب الاضطرار ليذكرهم ذلك كما قال (وورود الاسباب) أى أسباب الاضطرار وهى الامور القهرية من مرض وجوع وعطش وحر وبرد وغير ذلك (مذكرات لك بما) الباء زائدة أو بمعنى اللام (خفى عليك منها) أى الفاقة والاضطرار فاذا كنت فى غفلة *(١٠٩)* عن اضطرارك الذاتى وأورد عليك مرضا أو فقرا اضطررت اليه وظهرت لك صفتك الذاتية بعد أن كانت مغطاة عنك بالصحة والجدة فتقوم حينئذ بحق العبودية وتدعوه سبحانه برفع ذلك عنك قال بعضهم انما حمل فرعون على قوله أنا ربكم الاعلى طول العافية والغنى لبث أربعمائة سنة لم يتصدع رأسه ولا حم جسمه ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته شقيقة ساعة

وباطنة فهو الظاهر بنعمائه وآثار نعمه عليك متظاهرة والباطن با لانه وزوائد كرمه لديك متواترة انتهى فعلى العبد أن يعرف قدر هذه النعمة و يتوكل على مولاه فى بقائها وحفظها عليه ولا يعتمد فى ذلك على عقله وعلمه (قال) بعض العارفين من نظر فى توحيده الى عقله لم ينجه توحيده من النار وعن ذى النون المصرى رضى الله عنه ماهو قريب من هذا من كان فى توحيده ناظرا الى نفسه لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره اليه فى توحيده اياه عز وجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة *قال الشيخ أبو طالب المكى بعد أن ذكر ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله أحبوا الله لما أسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به أيضا فن أفضل ما غذانا به نعمة الايمان به والمعرفة له وغذاؤه لنا منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه فى تصريف الاحوال اذ هو أصل الاعمال التى هى مكان الزوال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا فى الذنوب ولو قلب قلوبنا فى الشك والضلال كما يقلب نياتنا فى الاعمال أى شئ كنا نصنع وعلى أى شئ كنا نعول وبأى شئ كنا نطمئن ونرجو فهذا من أعظم النعم ومعرفته هو شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة وادعاء الايمان انه عن كسب معقول أو استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الايمان وأخاف على من توهم ذلك أن يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا انتهى كلام الشيخ أبى طالب رضى الله عنه وهو حسن فى هذا المعنى *(فاقتك لك ذاتية وورود الاسباب مذكرات لك بما خفى عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض) اذا ثبت أن

واحدة أو المليلة كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية وهذا حق غالب الناس والا فالعارفون لا يفارقهم مشاهدة فقرهم الذاتى كما سيأتى فى قوله العارف لا يزول اضطراره الخ فهؤلاء لا يحتاجون الى مذكر وانما يسلط الله عليهم هذه الاسباب القهرية لتظهر عليهم علامات الصدق فى العبودية اذ لا يزيدهم البلاء الا تعلقا به وطاعة له ورجوعا اليه وليكثر ثوابهم وتعظم منزلتهم عند الله تعالى بما يظهر عليهم من الرضا عن الله والتسليم اليه (والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض) هذا متعلق بقوله فاقتك لك ذاتية أى ان الاضطرار لازم لوجودك وان كنت غنيا وجود النعمتين المذكورتين فان ذلك أمر عرضى والامور الذاتية لا تزيلها الامور العرضية فما يحصل للعبد من الصحة والغنى والقدرة حتى تصير الاشياء كأنها طوع يده لا يزيل الفاقة الذاتية لانه يعجز فى حقيقة الحال

أن يزيل ذلك ويبدله بضده المقتضي للافتقار والاضطرار (خير أوقاتك) أيها المريد الصادق
(وقت تشهد فيه وجود فاقتك) بأن يزوي عنك الدنيا وشهواتها (وترد فيه الى وجود ذلتك) بكسر الذال
أي فقرك وانما كانت هذه خير لأوقاتك *(١١٠)* لوجود حضورك فيهما مع ربك وانقطاع نظرك
عن الوسائط والأسباب الموجبة لبعدك عنه بخلاف الوقت الذي تشهد فيه وجود غناك وعزك فان ذلك شر أوقاتك * حكي عن عطاء السلمي انه بقي سبعة أيام لم يذق شيئا من الطعام ولم يقدر على شيء فسر قلبه بذلك وقال يارب ان لم تطعمني ثلاثة أيام أخر لاصلين لك ألف ركعة وقيل ان فتحا الموصلي رضي الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فأخذ يحمد الله ويتضرع اليه ويقول الهي بأي سبب وبأي وسيلة واستحقاق عاملتني بما عاملت به أولياءك وكذا
وقع للفضيل بن عياض فقال فبأي عمل أستحق هذا منك حتى أداوم عليه الى فقال
غير ذلك مما وقع لأهل الله تعالى ولذا قال المصنف فيما سيأتي ورود الفاقات أعياد المريدين

نعمتي الايجاد والامداد لازمتان لك وأبدا في ذاتك عدم لولاهما فالفاقة اذا ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك فان كنت غنيا بوجود النعمتين المذكورتين فان ذلك أمر عرضي والامور الذاتية لا تزيلها الامور العرضية وانما أورد عليك الاسباب التي تضاد وجودك وبقاء وجودك ليذكرك بذلك ما خفي عليك من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار اللازم لوجودك فتلازم مركزك وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك وطورك (قال) بعضهم انما حمل فرعون على قوله أنا ربكم الاعلى طول العافية والغنى لبث أربعمائة سنة لم يتصدع رأسه ولا حم جسمه ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته الشقيقة ساعة واحدة أو المليلة كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية * قال في لطائف المنن الاضطرار تعطيه حقيقة العبد اذ هو ممكن وكل ممكن مضطر الى ممده ومديمه وكما أن الحق سبحانه هو الغني أبدا فالعبد مضطر اليه أبدا ولا يزايل العبد هذا الاضطرار لا في الدنيا ولا في الآخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج الى الله تعالى فيها غير أنه غمس اضطراره في المنة التي أفرغت عليه ملابسها وهذا هو حكم الحقائق اذ لا يختلف حكمها لا في الغيب ولا في الشهادة ولا في الدنيا ولا في الآخرة فالعلم صفته الكشف أي علم كان في أي وقت كان والارادة صفتها التخصيص أي ارادة كانت في أي وقت كان ومن اتسعت أنواره لم يتوقف اضطراره وقد عتب الله أقواما اضطروا اليه عند وجود أسباب ألجأتهم الى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم قال سبحانه واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه الآية وقال واذا مس الانسان الضر دعانا وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الآيتين الى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى ولما لم تصل عقول العوام الى ما تعطيه حقائق وجوداتهم سلط الحق عليهم الاسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهر ربوبيته وعظمة الهيته انتهى * (خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه الى وجود ذلتك) انما كان هذا خير الاوقات لك لوجود حضورك فيهما مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسائط والاسباب الموجبة لبعدك وحجبك وهي لا محالة خير أوقاتك وهي مواسمك وأعيادك حسبما يقوله المؤلف رحمه الله تعالى بعد هذا * حكي عن عطاء السلمي رضي الله عنه انه بقي سبعة أيام لم يذق شيئا من الطعام ولم يقدر على شيء فسر قلبه بذلك غاية السرور

(متى أوحشك من خلقه) أى ماعدا الله تعالى بأن تشمئز منهم بقلبك وتنقبض عنهم بسرك ولا يكون للأشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا عن مولاك (فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به) فاذا افتتح لك ذلك الباب وآنسك بالخطاب صرت له وحده وغبت عن غيره كما وقع لأبى يزيد قدس الله سره انه اطلع على أنواع من العجائب وكشف له عن المكونات العلا فقيل له وهل استحسنت منها شيأ فقال لم أر شيأ أستحسنه فقيل له أنت عبد الله حقا (متى أطلق لسانك بالطلب) أى بأن حل عنك عقدة الصمت التى أوجبها الاستغناء بالاغيار وعدم رؤية الافتقار فاذا حل عنك هذه العقدة بأن أشهدك فقرك وفاقتك حتى دعوته كنت اذذاك داعيا بلسان الاضطرار (فاعلم انه يريد أن يعطيك) أى يحصل لك مطلوبك لصدق الوعد باجابة الدعاء من المضطر والله لا يخلف الميعاد ولقوله عليه الصلاة والسلام من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة أى اما بعين المطلوب أو بغيره عاجلا أو آجلا قال بعضهم هذا اذا كان الدعاء صادرا عن اختيار وقصد أما اذا جرى على لسانه من غير قصد فان الاجابة بعين المطلوب لا تكاد تتخلف

* (١١١) *

فقال يا رب ان لم تطعمنى ثلاثة أيام أخر لاصلين لك ألف ركعة وقيل ان فتحا الموصلى رضى الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فأخذ يحمد الله تعالى ويتضرع اليه ويقول الهى لأى سبب وبأى وسيلة واستحقاق عاملتنى بما عاملت به أولياءك (وقال) بشر الحافى رضى الله عنه بلغنى أن بنت الفتح الموصلى عريت فقيل له ألا تطلب من يكسوها فقال لا أكسوها حتى يرى الله عريها وصبرى عليها قال فكان اذا كان ليالى الشتاء جمع عياله ومال بكسائه عليهم ثم قال اللهم أفقرتنى وأفقرت عيالى وجوعتنى وجوعت عيالى وأعريتنى وأعريت عيالى بأى وسيلة توسلت اليك وانما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك فهل أنا منهم حتى أفرح وقيل ان الفضيل بن عياض رضى الله عنه بكى فى ليلة قرة ثم قال الهى أجعتنى وأجعت عيالى وأعريتنى وأعريت عيالى واقعدتنى وأقعدت عيالى فى بيت ليس فيه مصباح وقديما تفعل هذا بأوليائك وأهل طاعتك الهى فبأى عمل استحق هذا منك حتى أدوم لك عليه * وقيل الربيع بن خيثم رضى الله عنه قد غلا السعر فقال نحن أهون على الله من أن يجيعنا انما يجيع أولياءه * متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الانس به) فتح باب الانس بالله تعالى هو الاستيحاش من الناس ولذلك قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فاذا افتتح لك هذا الباب استوحشت من الاغيار كلها بتحققك فى أنسك بربك ومعنى الوحشة منها ان تشمئز قلبك منهم وتنقبض عنهم بسرك ولا يكون للأشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا لك كما جاء عن أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه حين اطلع على أنواع من العجائب ووجه بسنى الرغائب وكشف له عن الملكوت الاعلى فقيل له هل استحسنت منها شيأ فقال لم أر شيأ أستحسنه فقيل له أنت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف كان ذلك علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله فى حضرة القدس وسيأتى هذا المعنى فى قوله فى مناجاته أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم * متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم انه يريد أن يعطيك) اطلاق اللسان بالطلب هو أن يحل عنه عقدة الصمت الذى أوجبه الاستغناء بالاغيار وعدم رؤية الفاقة والافتقار فاذا حل عنه هذه العقدة بشهود فقره وفاقته وأطلق لسانه بالطلب كان اذذاك داعيا بلسان الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق الوعد باجابة دعوة المضطر والله لا يخلف الميعاد وأنشدوا

لو لم ترد نيل ما أرجوه من طلب * من فيض جودك ما علمتني الطلبا

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أذن له في الدعاء منكم فتحت له أبواب الرحمة وما يسئل الله شيأ أحب اليه من ان يسئل العفو والعافية في الدنيا والآخرة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة (قال) الشيخ أبو بكر الخفاف رضي الله عنه وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له باب الدعاء وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا اصب عليه البلاء صبا وسحه عليه سحا فاذا دعا قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل يارب عبدك فلان اقض حاجته فيقول الله دعوا عبدي فاني أحب ان أسمع صوته فاذا قال يارب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تدعوني بشيء الا استجبت لك ولا تسألني شيأ الا أعطيتك اما ان أعجل لك ما سألت واما ان ادخر لك عندي أفضل منه واما أن أدفع عنك به من البلاء ما هو أعظم من ذلك

* (العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره) معرفة العارفين هي معرفتهم بأنفسهم وبما هي عليه من الفاقة والافتقار الى العزيز الجبار وبقدر ما يتحققون بذلك من أنفسهم تكون معرفتهم بالله عز وجل كما جاء في الخبر من عرف نفسه عرف ربه فلذلك كان العارف لا يفارقه الاضطرار * قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه الولي لا يزال مضطرا قال الاستاذ تاج الدين بن عطاء الله قدس الله سره معنى كلام الشيخ هذا أن العامة اضطرارهم بمثيرات الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحس على مشهدهم فلو شهدوا قبضة الله تعالى الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم الى الله تعالى دائم وانما لم يكن له مع غير الله قرار لوجود وحشته من الاشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم وكأنه رحمه الله قصد بهذا أن يعلمك ان ما تقدم له من الاستيحاش من الخلق وانطلاق اللسان بالطلب من الحق نعتان من نعوت العارفين

* أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه

(العارف لا يزول اضطراره) أي احتياجه بل هو دائم مستمر لشهوده قبضة الله الشاملة المحيطة ولمعرفته بنفسه وبما هي عليه من الفاقة وتحققه بذلك في كل نفس بخلاف غيره فانه تارة اضطراره بسبب وتارة بدونه ومن غير اضطراره ذلك أن اضطرار العامة * (١١٢) * بمثيرات الأسباب لغلبة دائرة الحس على مشهدهم فإذا زالت زال اضطرارهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة لمحيطة لعلموا أن اضطرارهم الى الله تعالى دائم (ولا يكون مع غير الله قراره) أي لا يركن ولا يستند بقلبه لغير الله تعالى لوجود وحشته من الاشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم فكأنه يقول ان ما قدمه من الاستيحاش من الخلق وانطلاق اللسان بالطلب نعتان من نعوت العارفين * ثم قال (أنار الظواهر) أي المكونات من السموات والأرضين أي جعلها منيرة (بأنوار آثاره) أي آثار أوصافه أي بأنوار الكواكب من شمس وقمر ونجوم التي هي لأجل آثار لأوصافه من قدرة وإرادة وغيرهما فتلك الظواهر صارت مكشوفة لنا بأنوار الكواكب وحينئذ نرى المكونات ونأخذ منها ما ينفع ونحترز عما يضر (وأنار السرائر) جمع سره وهو باطن القلب كما مر (بأنوار أوصافه) أي بالعلوم العرفانية والاسرار الربانية الناشئة عن تجلي أوصافه على قلوب العارفين فتلك السرائر سرائر العارفين صارت مكشوفة لهم بأنوار العلوم والمعارف الناشئة عن أوصافه سبحانه أي تجليها على قلوبهم وحينئذ يشاهدون ما في سرائرهم من الأوصاف فيحترزون عما يضرهم

منها ويتصفون بما ينفعهم (لاجل ذلك) أي كون الظواهر نارت بانوار آثاره والسرائر نارت بانوار أوصافه
فالانوار الاولى ناشئة عن الحادث والثانية عن القديم (أفلت) أي غابت وذهبت (أنوار الظواهر) أي
الكواكب فيذهب نور الشمس في الليل ونور القمر والنجوم في النهار ونسبة ذلك النور الى الظواهر
باعتبار كونه منورا لها والا فهو (١١٣) * قائم بالكواكب (ولم تأفل) بضم الفاء أي تغب وتذهب
(أنوار القلوب والسرائر) أي الانوار الناشئة عن مشاهدة الصفات القديمة التي لا تزول وما ينشأ عن القديم لا يزول وانما يطرأ عليه تغطيته بالاوصاف البشرية بالنسبة للعارفين ثم تزول وذلك النور ثابت في قلوبهم (ولذلك) أي لاجل أفول أنوار الظواهر وعدم أفول أنوار السرائر (قيل) أي قال الشاعر *(ان شمس النهار تغرب بالليل)* أي واذا غربت ذهب ضوءها *(وشمس القلوب ليست تغيب)* وهو بيت ملفق نصفه الياء وقبله طلعت شمس من أحب بليل * فاستضاءت فمالها من غروب *
وفي هذا تنبيه على أن الامور الباقية هي التي ينبغي أن يغتبط بها ويفرح بحصولها ويعتنى بتربيتها ومراعاة حالها بخلاف الامور الفانية الآفلة وحينئذ يكون العبد على ملة ابراهيم عليه السلام حيث قال لا أحب الآفلين

لاجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر ولذلك قيل

ان شمس النهار تغرب بالليل * وشمس القلوب ليست تغيب)

أنوار الظواهر التي بها أنارها الحق تعالى هي الادراكات والاحساسات والحركات التي اتصف بها ظاهر العبد وأنوار السرائر التي بها أنارها الحق تعالى هي المعارف والعلوم ولطائف الادراكات والفهوم التي اشتمل عليها باطنه وسره فأنوار الظواهر متعلقة بانوار الآثار الحادثات وأنوارها معانيها ولطائفها المستكنة فيها وأنوار السرائر متعلقة بانوار الصفات الازليات ولاجل اختلاف المتعلقين في الحدوث والقدم والغنى والفقر والفناء والبقاء كان ماذكره المؤلف رحمه الله من أفول أنوار ما تعلق بالحادث الفاني وعدم أفول أنوار ما تعلق بالقديم الباقي ثم أنشد المؤلف البيت المذكور مستشهدا به على ماذكره ومعناه بين وقبله

طلعت شمس من أحب بليل * فاستضاءت فمالها من غروب

وفي هذا تنبيه على أن الامور الباقية هي التي ينبغي أن يغتبط بها ويفرح بحصولها ويعتنى بتربيتها ومراعاة حالها بخلاف الامور الفانية الآفلة وحينئذ يكون العبد على ملة ابراهيم عليه السلام حيث قال لا أحب الآفلين ويروى ان رجلا سأل سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن القوت فقال هو الحي الذي لا يموت فقال انما سألتك عن القوام فقال القوام هو العلم فقال سألتك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر فقال انما سألتك عن طعم الجسد فقال مالك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا اذا دخلت عليه علة فرده الى صانعه أما رأيت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها حتى يصلحها وفي معناه أنشدوا

كمل حقيقتك التي لم تكمل * والجسم دعه في الحضيض الاسفل
أتكمل الفاني وتترك باقيا * هملا وأنت بأمره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة * مالم تحصله بها لم تحصل
يفنى وتبقى دائما في غبطة * او شقوة ونداما لا تنجلي
أعطيت جسمك خادما فخدمته * أتملك المفضول رق الافضل
شرك كثيف أنت في احباله * مادام يمكنك الخلاص فعجل

(فالذى) أى لان الذى (واجهتك منه الاقدار) أى الامور المقدرة عليك من المرض وذهاب المال والولد ونحوهما (هو الذى عوّدك حسن الاختيار) أى اختيار الامر الحسن الذى يلائمك فان من كانت له عليك نعمة من المخلوقين وجرت عادته أنه يحب لخيرلك على تقديرانه أساء اليك فى بعض الاحيان تحمله لانه ربما كانت اساءته احسانا فى الباطن وكذلك العبد اذا علم أنه سبحانه وتعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر له فكل مايورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغى له أن لايبالى به فانه لم يتعود منه الاخير افيحسن ظنه به ويعتقد أن ذلك اختيار له وأن له فى ذلك مصالح لايعلمها الاهو كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم قال أبو طالب المكى فى هذه

من يستطيع بلوغ أعلى منزل * ما باله يرضى بادنى منزل

(وقيل فى هذا المعنى أيضا)

ياخادم الجسم كم تشقى لخدمته * وتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها * فانت بالنفس لابالجسم انسان

لايخفف الم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبلى لك فالذى واجهتك منه الاقدار هو الذى عودك حسن الاختيار) اذا علم العبد ان الله تعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر اليه فكل مايورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغى له أن لايكترث بذلك ولا يباليه فانه لم يتعود منه الاخيرا له فليحسن به ظنه وليعتقد ان ذلك اختيار له وان فى ذلك مصالح خفية لايعلمها الاهو كما قال الله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم * قال أبو طالب المكى فى هذه الآية فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له فى الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهو شر له عند الله تعالى واسوأ عاقبة * وفى معنى ذلك قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافى وباطنة البلايا لانها نعمة فى الآخرة فاذا كان مايصيب المؤمن فهو نعمة كائنا ما كان فله الحمد على نعمه قال فى التنوير انما يقويهم على حمل اقداره شهود حسن اختياره وأنشد فيه لنفسه بقوله

وخفف عنى ما ألاقى من العنا * بأنك أنت المبتلى والمقدر
ومالامرئ عما قضى الله معدل * وليس له منه الذى يتخير

(وكان) الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه يقول جربت مرة وكنت فى صورة وحشة من ذلك فدخلت الحمام ففتح على قلبى بشئ من الرضا فكنت الثم كل واحدة من تلك القروح فخرجت ولم يبق منها أثر (وقال) الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول فى آخر عمره وقد اشتدت به العلة من امارات التأييد حفظ التوحيد فى أوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا الى ما كان فيه من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدرة فى امضاء الاحكام قطعة قطعة وأنت ساكن خامد وقال الجنيد رضى الله عنه كنت نائما عند سرى السقطى رضى الله عنه فنبهنى وقال لى ياجنيد رأيت كأنى قد وقفت بين يديه فقال لى ياسرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى معى العشر وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقى معى عشر العشر وخلقت النار فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر عشر العشر فقلت للباقين معى لا الدنيا أردتم ولا

الآتية فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له في الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهو شر له عند الله وأسوأ عاقبة له (من ظن انفكاك لطفه عن قدره) أي عما قدره الله عليه من البلايا والمحن (فذلك لقصور نظره) *(١١٥)* اذ لو كمل نظره لوجد نفسه قد حصل له في تلك البلايا الطاف كثيرة منها اقباله على المولى بتلك البلية فان البلايا التي يبتلي الله بها عباده مناقضة لاراداتهم ومنغصة لشهواتهم وكل ما أزعج النفس ونغصها وآلمها فهو محمود العاقبة من قبل أنه يرد العبد الى الله ويلزمه بابه فيلتجئ اليه وهذا أعظم فوائد البلايا ويجد ذلك في نفسه كل من نزلت به بلية أو أصابته رزية ومنها أن في البلايا ضعف النفس وذهاب قوتها وبطلان صفاتها التي توقع العبد في الذنوب والمعاصي وتقوي رغبته في الدنيا ومنها أن العبد يحصل له عندها غالبا طاعة القلوب كالصبر والرضا والتوكل والزهد وحب لقاء الله تعالى وذرة من اعمال القلوب خير من امثال الجبال من اعمال الجوارح ومنها انه يحصل بها كفارة الذنوب والخطايا الى غير ذلك من الالطاف الالهية

الجنة أخذتم ولا من النار هربتم ولا من البلاء فررتم فماذا تريدون قالوا انك لتعلم ما نريد فقلت لهم اني أسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم به الجبال الرواسي أتصبرون قالوا اذا كنت أنت المبتلي فافعل ما شئت فهؤلاء عبادي حقا

(من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره) قصور النظر في عدم رؤية اللطف في القدر انما هو من ضعف اليقين وقلة حسن الظن بالمقدر الحليم ولو كمل نظر العبد وقوي بصره لرأى في ذلك من الفوائد والمصالح ما لا يحصى وما غاب عنه أكثر ولكان كما روي عن بعض الصالحين العارفين أنه قال لقد مرضت مرضة فأحببت أن لا تزول وكان عمران بن الحصين رضي الله عنه قد استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره سطيحا ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له على سرير من جريد وكان تحته نقب لغائطه وبوله فدخل عليه مطرف أو أخوه العلاء بن الشخير فجعل يبكي لما رأى من حاله فقال له لم تبكي قال لاني أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فاني أحب ما أحبه الله تعالى الي ثم قال أحدثك بشئ لعل الله تعالى ينفعك به واكتم علي حتى أموت ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فأسمع تسليمها * وقال بعضهم دخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيأ حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك وما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا ما أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما ثم قال ما يسرني أني نقصت من هذا قلامة ظفر فهؤلاء شاهدوا في بلاياه عطاياه وفي محنته منته وفي عنفه لطفه فأوجب لهم ذلك من الرضا بما هم فيه والتنعم به والتلذذ ما حملهم على أن لا يحبوا زوال ذلك عنهم ولا نقصانه ووجوه الالطاف والمنن في البلايا لا تحصى ولكنا نذكر منها ههنا ما يزداد المريد به قوة وحسن ظن بربه عز وجل ويحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول البلايا التي يبتلي الله بها عباده مناقضة لاراداتهم ومنغصة لشهواتهم وكل ما أزعج النفس ونغصها وآلمها فهو محمود العاقبة من قبل أن ذلك يرده الى الله تعالى وملازمة بابه بصدق اللجا والافتقار وهذا هو أعظم فوائد البلايا ويجد ذلك من نفسه كل من نزلت به بلية أو أصابته رزية وفيها أيضا ضعف النفس وذهاب قوتها وبطلان صفاتها اذ بوجود ذلك يقع العبد في الذنوب والمعاصي وتتأكد منه الرغبة في الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد قيل لا يخلو المؤمن من علة أو عيلة أو ذلة أو فاقة أو قلة وفي الخبر عن الله تعالى

الفقر سجني والمرض قيدي أحبس بذلك من أحببت من عبادي وفيها أيضا تحصل له طاعات القلوب وأعمالها وذرة منها خير من أمثال الجبال من أعمال الجوارح وذلك مثل الصبر والرضا والزهد والتوكل وحب لقاء الله تعالى قيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال حبيبي أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصلاة والصيام قال نعم قال لولا أني أستحي منك لاخبرتك ان معاملتك له خمسين سنة مدخولة قال أبو طالب المكي رضي الله عنه أراد بذلك انه لم يرفعك باعمالك الى مقامات المقربين فيوجدك مواجد العارفين فيكون مزيدك منه أعمال القلوب التي يستعمل بها كل محبوب مطلوب لان القناعة به حال الموقن والانس به مقام المحب والرضا وصف المتوكل أي انما أنت عنده في طبقة أصحاب اليمين فمزيدك منه مزيد العموم من أعمال الجوارح وهذه اشارة الى ماقلناه من أفضلية أعمال القلوب على أعمال الجوارح فمن وفقه الله تعالى الى منازلة هذه المقامات وتوفية حقوقها في البلايا النازلة به فقد حصل على كنوز البر ذكر أبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله في كتاب النصائح ان عروة بن الزبير رضي الله عنه امتحن بقرحة في ساقه بلغت به الى نشر عظم ساقه في الموضع الصحيح منها فقال له الاطباء الانسقيك مرقدا فلا تحس بما نصنع بك فقال لا ولكن شأنكم بها فنشرت الساق ثم حسموها بالنار فما حرك عضوا ولا أنكروا منه حتى مسته النار فازاد على أن قال حسبي وأصيب حينئذ ابنه محمد وكان من أحب ولده اليه فلما رأى القدم بيد بعضهم قال اما ان الله تعالى يعلم اني لم أمش بها الى معصية قط ثم قال ياغلام اغسلها وكفنها وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول لئن أخذت لقد أبقيت ولئن ابتليت لقد عافيت ولئن أخذت لقد طالما أعطيت وذكر ابن قتيبة في عيون الاخبار له عن المدائني قال قدم رجل من عبس ضرير محطوم الوجه على الوليد فسأله عن سبب ضرره فقال بت ليلة في بطن واد ولا أعلم على وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل اذهب ما كان لي من مال وأهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا فند البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لاحبسه فجاوزت الا ورأس الولد في بطن الذئب قد أكله فتركته واتبعت البعير فاستدار فرمحني رمحة حطم بها وجهي و ذهب عيني فأصبحت لاذا مال ولا ذا اهل ولا ذا ولد ولا ذا بدن فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الناس من هو أعظم بلاء منه وروى عن عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه أنه خرج مع بعض اخوانه الى ناحية من نواحي البصرة فادهم السير الى كهف جبل فاذا فيه عبد مقطع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا فقالوا له ياهذا لودخلت البصرة فتعالجت

من هذا الذى بك فرفع طرفه الى السماء وقال يا سيدى بأى ذنب سلطت هؤلاء
على ليسخطونى عليك ويكرهونك الى سيدى لك العتبى من ذلك الذنب واستغفرك
منه ولا أعود فيه أبدا قال ثم أعرض عنا بوجهه فانصرفنا وتركناه وروى عن بشر بن
الحرث الحافى رضى الله عنه انه قال رأيت ببغداد ان رجلا قد قطعه البلاء وقد سالت
حدقتاه على خديه وهو مع ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى قال واذا هو صرع
من جنة به قال فوضعت رأسه فى حجرى وجعلت اسأل الله تعالى أن يكشف ما به
وادعو فأفاق فسمع دعائى فقال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربى
و يعترض عليه فى نعمته على ونحى رأسه من حجرى قال بشر فعاهدت الله تعالى أن
لا أعترض على عبد فى نعمة أراها عليه من البلاء وقد روى فى بعض الاخبار ان يونس
وجبريل عليهما الصلاة والسلام التقيا فقال يونس لجبريل دلنى على أعبد أهل
الارض فأتى به على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه قال واذا هو يقول متعتنى
بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وأبقيت لى فيك الامل يا برّ يا وصول
فقال يونس يا جبريل انما سألتك أن ترينى صوّاما قوّاما فقال ان هذا كان قبل البلاء
هكذا وقد أمرت أن أسلبه بصره فأشار الى عينيه فسالتا فقال متعتنى بهما حيث
شئت وسلبتنيهما حيث شئت وأبقيت لى فيك الامل يا برّ يا وصول فقال جبريل
هلم تدعو وندعو معك أن يرد الله عليك يديك ورجليك وبصرك فتعود الى العبادة
التى كنت فيها فقال ما أحب ذلك قال ولم قال اذا كانت محبته فى هذا فمحبته أحب
الى من ذلك قال يونس يا جبريل والله ما رأيت أحدا أعبد من هذا قال جبريل
يا يونس ان هذا طريق ليس يوصل الى رضاه بشئ أفضل منه وفى الخبر اذا أحب الله
عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وفيها أيضا يحصل له كفارة الذنوب
والخطايا ويستوجب من الله جزيل الهبات والعطايا ولا سبيل له الى ذلك الا بما يرد
عليه من أنواع البلايا لان العبد قد يعجز عن القيام بوظائف الطاعات ويتكاسل
عن المواظبة على نوافل الخيرات فيكون حينئذ محروما من ثوابها غير حاصل له
تكفير سيآته بها وان قدر عليها ولم يتكاسل عنها لم يأمن تخليصها من الشوائب
وتسليمها من الآفات والمعايب وحينئذ يبطل عمله ويخيب من انتفاعه به أمله
فليحسن العبد ظنه بمولاه وليعلم ان ما اختاره له خير له مما يختاره لنفسه بشهوته وهواه
فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للرجل الذى قال له أوصنى قال
لا تتهم الله فى شئ قضاه عليك وذكر مسلم رحمه الله من حديث صهيب رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك
لاحد الا للمؤمن ان أصابه شر فشكر كان خيرا له وان أصابه ضر فصبر كان خيرا له
وذكر البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى

الله عنهما أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المؤمن من وصب
ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر الله به من سيا ته وذكر أيضا من
حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله تعالى عنه به سيا ته كما تحت
الشجرة أوراقها وذكر البخارى ومسلم أيضا من حديث عائشة رضى الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها الا كتبت له
درجة ومحيت عنه بها خطيئة وذكر البخارى أيضا عن أبى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وفى حديث أنس بن مالك رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض اذا برئ وصح من مرضه كمثل
البردة تقع من السماء فى صفائها ولونها وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال
لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو
بذلك من كفارة خطاياه وروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة فى الحمى
والعمى وغير ذلك روى البزار من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه دخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه حمى فوجد حرها من فوق
اللحاف فقال ما أشدها عليك يا رسول الله قال انا كذلك يشدد علينا البلاء
ايضاعف لنا الاجر قال يا رسول الله أى الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الصالحون
ان كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد الا عباءة يحويها وان كان أحدهم ليبتلى
بالقمل حتى يقتله وان كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء وقيل فى
معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أى من الآثام
والذنوب بالحمى والامراض كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه للحمى
اذهبى الى أهل قباء وقد روى فى بعض الاخبار بدلا من أهل قباء الانصار ففيه
أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى يوما شخصا أسود فقال من أنت فقالت أم ملدم
آكل اللحم وأشرب الدم وهى من فيح جهنم صورة الحمى فقال عليه السلام اذهبى
الى الانصار فان لهم علينا حقوقا فأصبح النبى صلى الله عليه وسلم فلم ير أحدا من
الانصار حضر الصلاة فطلبهم فقيل أخذتهم الحمى فقال قوموا بنا نعودهم وقال لهم
الحمى طهارة وكفارة فقالوا يا رسول الله ادع الله لنا حتى يزيدنا منها وذكر مسلم رحمه
الله من حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم
السائب أو أم المسيب فقال مالك يا أم السائب أو يا أم المسيب ترفرفين قالت الحمى
لا بارك الله فيها فقال لا تسبى الحمى فانها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث
الحديد وذكر البخارى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدى المؤمن بحبيبتيه

تصبر وحتسبه منهما الجنة يريد عينيه كذا قال فى آخر الحديث من قول أحد الرواة والحبيبتان هما العينان وهما الكريمتان أيضا وروى ان أنس بن مالك وأباظلال رضى الله عنهما كانا فى بيت ثابت البنانى فقال أنس يا أبا ظلال متى فقدت بصرك قال وأنا صبى لا أعقل فقال الا أحدثك حديثا حدثنيه حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه عن جبريل ويرويه جبريل عن ربه عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود فى دارى والنظر الى وجهى ومن طريق هلال بن سويد وهو أبو ظلال المذكور أنه سمع أنسا رضى الله عنه يقول مر بنا ابن أم مكتوم فسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أحدثكم بما حدثنى به جبريل عليه السلام عن هذا واضرابه الذين ذهبت أبصارهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى جبريل ان الله عز وجل يقول حق على من أخذت كريمتيه ليس له جزاء الا الجنة وفى حديث بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أصيب عبد بعد ذهاب دينه باشد من ذهاب بصره وما ذهب بصر عبد فصبر الا لقى الله ولا حساب عليه وذكر البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان امرأة سوداء أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى أصرع وانى أنكشف فادع الله لى قال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك قالت أصبر قالت فانى أنكشف فادع الله أن لا أنكشف فدعا لها الى غير ذلك مما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب مما لا يحصى كثرة وفيها أيضا يحصل له تجديد التوبة وأداء الحقوق والتبعات والظلامات وكثرة الاستغفار وحسن التذكار وكثرة ذكر الموت اذ ذاك أبلغ مذكر به فقد قيل الحمى بريد الموت وقد قيل فى قوله تعالى أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون أى يختبرون بها وفى حديث عائشة وأنس رضى الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفى لفظ الحديث الآخر من يذكر ذنوبه فتحزنه وقد كان السلف رضى الله عنهم يستوحشون اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس أو مال ويقال لا يخلو المؤمن فى كل أربعين يوما ان يراع بروعة أو يصاب بنكبة وكانوا يكرهون فقد ذلك فى هذا العدد من غير أن يصابوا فيه بشئ وفيها أيضا يقع له خلف ما يفوته من الطاعات ونوافل العبادات فيكتب له فى مرضه مثل ما كان يعمل من ذلك فى صحته وذلك أبلغ له فى الوصول الى غرضه لانه من اختيار الله تعالى له وهو خير مما اختاره لنفسه وفى الخبر يقول الله تعالى لملائكته اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمله فى صحته فانه فى وثاقى ان أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه

(لايخاف عليك) اذا كنت متلبسا بحال من الاحوال كطاعة أو معصية أو نعمة أو بلية (ان تلتبس الطرق عليك) أى طرق العبودية التى توصلك الى ربك عند تلبسك بحال من تلك الاحوال لان الشريعة مبينة لذلك فان من نظر فى الكتاب والسنة وجد ما يرشده فعبوديتك فى الطاعة أن تشهد منته بها عليك وفى المعصية الاستغفار والتوبة منها وفى النعمة الشكر عليها وفى البلية الصبر عليها (وانما يخاف عليك) فى هذه الاحوال (من غلبة الهوى عليك) حتى يعميك عن رؤية طريق قصدك عما ذكر بأن تعجب بالطاعة وتصير فى المعصية وتستقل النعمة فلا تشكرها وتجزع فى البلية ويحتمل أن المعنى لايخاف عليك أيها المريد الصادق أن تلتبس عليك الطرق أى الاعمال الموصلة الى الله من صلاة وصيام وذكر أى يلتبس عليك *(١٢٠)* الاولى منها فتصير تعمل هذا تارة وهذا أخرى وتنتقل فى أنواع العبادات لكونك لاتعرف الاولى منها من غيره اذا لم تكن تحت تربية شيخ وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك فيصدك عن سلوك أى طريق من تلك الطرق فترجع عن التوجه الى مولاك بل الذى يلزمك أن تستعمل طرق القربات وان لم تعرف الاولى منها حتى يجمعك الله على شيخ ناصح مرشد لذلك وتكون تحت تربيته (سبحان من ستر سر الخصوصية) أى سرها والخصوصية وهى العلوم والمعارف والاسرار الالهية التى يعطيها الله لاوليائه ويفيضها على قلوبهم (بظهور البشرية) أى الاحوال التى تعرض للبشر والامور الدنيوية التى يتعاطاها الناس فان بعض الاولياء قد يكون جمارا أو خواصا أو حباكا فلا يعرفه غالب الناس لستر خصوصيته بهذه الصنعة التى يتعاطاها ومخاصمته للناس فى حال معاملته معهم وقد يظهر الله آثار الخصوصيات على بعض الناس وهم الدعاة الى الله تعالى ليتكمل بهم غيرهم (وظهر) للعباد (بعظمة الربوبية) أى بربوبيته العظيمة (فى اظهار) آثار (العبودية) عليهم وهى الاحوال التى تطرأ على العبيد فتقتضى افتقارهم للرب كالمرض والفقر

وان توفيته توفيته الى رحمتى وفى الحديث الصحيح من حديث أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا الى غير ذلك من الالطاف التى لا يعلمها وانما ذكرنا هذه المعانى ههنا لانها لائقة بكلام المؤلف رحمه الله وكأنها مفسرة له وأيضا فان العبد محتاج اليها غاية الاحتياج لانه فى حال نزول البلايا يتسخط ويجزع ويضطرب ايمانه ويتزلزل ايقانه فيحتاج الى مذكر يذكره بامثال هذه المعانى ليحصل له بذلك من الرضا وحسن الظن بالله تعالى والمحبة له ما يرجى له بذلك ان مات من فوره حسن الخاتمة وحب لقاء الله تعالى والاعمال بخواتيمها وهذا الغرض هو الذى أوجب لنا فى هذا الفصل الاكثار من الحكايات واظهار نسبة أكثر الاحاديث فيه الى رواتها الثقات لتطمئن قلوب أهل البلاء بذلك وتسلك الى الله واضحات تلك المسالك والله ولى التوفيق *لايخاف عليك ان تلتبس الطرق عليك وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك) الطريق الى الله تعالى واضحة لائحة لان الحق تعالى هو الذى تولى ذلك وبه أنزل الكتب وأرسل الرسل ونصب عليه الادلة والبراهين فلا يخاف على العبد من التباسها عليه وانما يخاف من غلبة الهوى عليه حتى يعميه ذلك عن ربه قال أحمد بن خضرويه البلخى رضى الله عنه الطريق واضح والحق لائح والداعى قد أسمع فما التحير بعد هذا الا من العمى *سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية فى اظهار العبودية) سر الخصوصية هو

حقيقة

فان العبد اذا قام به حال من تلك الاحوال التجأ الى الرب فى ازالته وظهر له عظمة ربوبيته أى ربوبيته العظيمة أى ان له ربا مالكا له يزيل عنه ما قام به ولولا ذلك لم يعرفه فعظمة الربوبية انما ظهرت للعباد من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر ولذا قال الشاذلى قدس سره العبودية جوهرة أظهرتها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير (لا تطالب ربك) أى تعترض عليه وتسىء الظن به (بـ)سبب (تأخر مطلبك) *(١٢١)* أى ما طلبته منه باطنيا كان كالخصوصيات أو ظاهريا كالاغراض الدنيوية فاذا طلبت منه شيأ ولم يسرع لك الاجابة فلا تسيئ به ظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه يفعل ما يشاء لا يسئل عما يفعل (ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك) أى عدم وجوده حيث طلبت منه اسراع اجابتك ولا يخفى ما فى ذلك من سوء الادب وأيضا مطالبتك له بالاجابة دليل على انك دعوت لتجاب فى دعائك فيكون دعاؤك لغرض وهذا مما يقدح فى كمال عبوديتك وأيضا اعتقادك انه لم يستجب لك اساءة أدب اذ ليس من شرط الاجابة أن تظهر لك بأن يجيبك بعين ما طلبت فى الحال بل له أن يخفيها عنك لما فى ذلك من المصالح فيجيبك بغير ما طلبت أو بعينه لكن يؤخر ذلك لمصلحة يعلمها ثم أشار الى كمال الادب الذى اذا قام به العبد حصل له غاية مقصوده وهو المعبر عنه بالاستقامة وبالصراط المستقيم فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فقال

٤٦ عبا ل

حقيقة المعرفة التى اختص بها أهل ولاية الله تعالى بحيث لا يبقى معها وجود لغير ولا كون وذلك لما جعله فيهم من التهيئ والقابلية فمن لطيف حكمة الله تعالى أن ستر ذلك بما أظهره من البشرية التى من لوازمها وجود الغير والكون ولولا هذا الستر لكان سر الله مبتذلا غير مصون كما قال فى لطائف المنن ولا بد للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب ثم ان من حقيقة ظهور البشرية الاتصاف بصفة الافتقار والاحتياج وغير ذلك من أوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة التعبد والتأله فظهر لنا من ذلك لزوم وجود اله معبود وهذه هى عظمة الربوبية التى ظهرت لنا من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر كما قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه العبودية جوهرة أظهرتها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير ومن هو على كل شئ قدير والتسبيح الذى ذكره المؤلف رحمه الله ههنا فى غاية المناسبة لما ذكره من المعنى ﴿لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك﴾ اذا دعوت ربك وسألت منه مطلبا من المطالب ولم تظهر لك الاجابة فحسن به ظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه يفعل ما شاء لا يسئل عما يفعل ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك فانها أهل للمطالبة وسوء أدبها من وجوه أحدها انك دعوت لتجاب فى دعائك فيحصل لك بذلك غرض وهذا مما يقدح فى كمال عبوديتك وسيأتى هذا المعنى عند قوله لا يكن طلبك سببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بأحكام الربوبية والثانى اعتقادك انه لم يستجب لك اذ ظهر لك عدم الاجابة منه وليس من شرط الاجابة ان تظهر لك بل له ان يخفيها عنك لما فى ذلك من المصالح والاجابة اليه أمرها يجعلها ما شاء مما تعلمه أو تجهله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا يكن تأخير أمد العطاء مع الالحاح فى الدعاء موجبا ليأسك الى آخره والثالث وهو أشدها اعتراضك على ربك فى حكمه ومطالبتك له اذا تأخرت اجابته عليك ثم ذكر المؤلف

(متى جعلك في الظاهر ممتثلا لامره) بأن وفقك للقيام بطاعته وبسرها لك (ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره) أي الرضا بما يجري عليك من مولاك (فقد أعظم المنة عليك) حيث جمع لك بين عبودية الظاهر وعبودية الباطن فهذان الامران هما اللذان يلزمانك في اقامة العبودية لربك لا غير فلماذا تتشوف وما الذي تلتمس بعد حصولهما ان كنت عبدا حقيقيا وهل

درجات أهل الكمال الا التقلب في عبودية الظاهر وعبودية الباطن (ليس كل من ثبت تخصيصه) باظهار أمر خارق للعادة على يده كطي الارض والطيران في الهواء والمشي على الماء (كمل تخليصه) من آفات النفوس وغوائلها ومائدة واليه من الشهوات والمخالفات فكأنه يقول ليس كل مخصص بالآيات والكرامات مخلصا من الآفات بل قد يكون بعض من خصص بالكرامة لم تثبت له الاستقامة فالكرامة الحقيقية هي الاستقامة

التي تضمنها ما تقدم بخلاف الكرامات التي هي خوارق العادات فانها قد تحصل على يد من لم يكن مستقيما استقامة تامة وكثيرا ما تظهر على أيدي المبتدئين ولا تظهر على أهل التمكين والكمل من أهل الله تعالى فينبغي احترامهم وتعظيمهم لكن يعظم اهل الاستقامة أكثر من أهل الكرامة

الحجاب

رحمه الله تعالى الحالة التي يكون عليها العبد قائما بحق الادب وواصلا الى غاية الادب فقال (متى جعلك في الظاهر ممتثلا لامره ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد أعظم المنة عليك) هذان الامران هما اللذان يلزمانك في اقامة العبودية لربك لا غير فمتى يسرهما الله تعالى لك وأقامك في مراعات أحكامهما ووفقك لذلك فقد أعظم المنة عليك فلماذا تتشوف وما الذي تلتمس بعدهما ان كنت عبدا حقيقيا قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه صحبت أخا في الله تعالى في البادية واعتزلنا في مغارة عسى أن نكون من أولياء الله تعالى وأن يفتح الله علينا بما فتح الله عليهم فأقمنا زمانا نقول لعل في هذه الجمعة لعل في هذا الشهر فلم يفتح الله علينا فنحن كذلك واذا بشيخ على باب المغارة يستأذن فأذنا له فدخل فسلم ووقف فقلنا له من أنت فقال عبد الملك فعلمنا انه من أولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حالك يرددها كالمنكر علينا ثم قال كيف حال من يقول لنفسه في هذه الجمعة أكون وليا في هذا الشهر أكون وليا فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا ولا آخرة يا نفس الا تعبدين الله تعالى كما أمرك مخلصة لوجهه كما أمرك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا لغلطنا وتيقظنا من أين دخل علينا وعلمنا ان الله تعالى رحمنا به فرجعت على نفسي باللوم والتوبة وقلت لها يا نفس من أنت وما علمك وما خطرك أنت لا شيء وتبنا واستغفرنا الله تعالى قال ففتح الله علينا بجوده وفضله * (ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه) التخصيص ههنا هو ان يظهر الحق تعالى على بعض عباده أثرته وعنايته وتولية لطفه ورعايته فمنهم من يستمر له ذلك حتى يتحقق بالعرفان ويتخلص عن رؤية الاغيار والاكوان وهؤلاء هم خواص المقربين أهل العلم بالله والحب له ومنهم من يوقفه عن بلوغ ذروة الكمال ويربيه في حاله بما يليق به من علوم وأعمال وهؤلاء عامة المقربين وخاصة أصحاب اليمين العباد الزهاد وأهل المجاهدة والاوراد وهؤلاء وان شاركوا الاولين فيما يتحفهم الحق تعالى من لطائف الكرامات وفيما يخدمهم اياه من القيام بوظائف الطاعات والعبادات فلم يتخلصوا من رؤية نفوسهم ولم ينفكوا عن مراعاة حظوظهم بل هم ساكنون الى الاسباب مرتبطون بوجود

الحجاب وقد يختص الحق تعالى هؤلاء باظهار الكرامات على أيديهم و بسببهم تسكينا النفوسهم وتثبيتا لليقين في قلوبهم و يمنعها الاولين لانهم لا يحتاجون اليها لما هم فيه من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين كما قال صاحب كتاب عوارف المعارف وقد يكون من لا يكاشف بشئ من معاني القدر أفضل ممن يكاشف بها اذا كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة فالقدرة أثر القادر ومن أهل القرب القادر لا يستغرب ولا يستكثر شيأ من القدرة و يرى القدرة تتجلى له من حجب اجزاء عالم الحكمة وسئل الشبلي رضي الله عنه وقيل له ان أبا تراب ذكر انه جاع في البادية فرأى البادية كلها طعاما فقال عبد رفق به ولو بلغ الى محل التحقيق لكان كمن قال ابيت عند ربي فيطعمني و يسقيني قال في لطائف المنن واعلم ان الكرامات تارة تظهر للولي في نفسه وتارة تظهر منه لغيره فان ظهرت للولي في نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله تعالى وفرديته واحديته وان قدرته لا تتوقف على الاسباب وان العوائد هو حاكم عليها ليست هي حاكمة عليه وانما جعل العوائد والوسائط والاسباب حجب قدرته وسحب شمس أحديته فالواقف عندها مخذول والنافذ منها اليه من هو بالعناية موصول قال وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والارادة والصفات الازلية مجتمع لا يفترق وأمر لا ينفقد كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد لا يستوى من تعرف الله اليه بنوره بمن تعرف الى الله بعقله ولاجل انها تثبيت لمن أظهرت له ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم وفقدها أهل النهايات في نهاياتهم اذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى مثبت وهكذا كان السلف رضي الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى الى ظهور الكرامات الحسية لما أعطاهم من المعارف اليقينية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج الجبل الى مرساة فالكرامة رافعة لزلزلة الشك في المنة ومعرفة تفضل الله تعالى فيمن أظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه وتعالى والناس في الكرامات على ثلاثة أقسام قوم يجعلونها غاية الامرفان وجدوها عظموا من ظهرت عليه وان فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هي الكرامات انما هي خدع يخدع بها أهل الارادة ليقفوا بها على حدودهم حتى لا يلحقوا مقاما ليس هو لهم حتى قال أبو تراب النخشبي لابي العباس الرقي ما تقول أصحابك في هذه الامور التي تكرم الله بها على عباده فقال ما رأيت أحدا الا وهو مؤمن بها فقال أبو تراب من لم يؤمن بها فقد كفر انما سألتك من طريق الاحوال فقال ما أعرف لهم قولا فقال أبو تراب بل قد زعم أصحابك انها خدع من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع في حال السكون اليها فأما من لم يفرح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من أبي تراب

رضى الله عنه بعد أن عطش القوم وهم أصحابه فضرب بيده الارض فنبع الماء فقال انى أريد أن أشربه فى قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا من زجاج أبيض فشرب وسقانا قال أبو العباس الرقى ومازال القدح معنا الى مكة قال الشيخ أبو الحسن والقول الفصل فى ذلك انه لا ينبغى أن تطلب أدبا مع الله تعالى ومن ظهرت عليه عظم لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى قال والقسم الثالث وهو ان تظهر الكرامات فى الولى لغيره والمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذى شهدها بصحة طريق هذا الولى الذى ظهرت عليه الكرامة اما أن يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف أو كافرا فيعود الى الايمان أو شاكا فى خصوصية هذا العبد فاظهرت عليه ليعرف الله بما فيه من ودائع الاحسان انتهى كلامه وقال أبو نصر السراج سألت أبا الحسن بن سالم فقلت له ما معنى الكرامات وهم قد أكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا وكيف أكرموا بان تجعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك فقال ان لا يعطيهم ذلك لقدرها ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا بذلك على نفوسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت الرزق الذى قسم الله لهم فيقولون الذى يقدر على أن يصير لك الحجارة ذهبا كما هو ذا ينظر اليه قادر على أن يسوق اليك رزقك من حيث لا تحتسبين فيحتجوا بذلك على تصحيح نفوسهم عند فوت الرزق ويقطعوا بذلك هيج نفوسهم فيكون ذلك سببا لرياضة نفوسهم وتأديبا لها قال أبو نصر وقد حدثنا ابن سالم فى معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال كان رجل بالبصرة يقال له اسحق بن أحمد وكان من ابناء الدنيا فخرج من الدنيا أعنى من جميع ماله وتاب وصحب سهلا فقال يوما لسهل يا أبا محمد ان نفسى هذه ليست تترك الصياح والصراخ من خوف فوت القوت والقوام فقال له سهل خذ ذلك الحجر وسل ربك أن يصيره لك طعاما تأكله فقال له ومن امامى فى ذلك حتى أفعل فقال امامك ابراهيم عليه السلام حيث قال رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى المعنى فى ذلك ان النفس لا تطمئن الا برؤية العين لان من جبلتها الشك فقال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى حتى تطمئن نفسى فانى مؤمن بذلك والنفس لا تطمئن الا برؤية العين قال فكذلك الاولياء يظهر الله لهم الكرامات تأديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة لهم انتهى كلام أبى نصر وقال بعض العلماء ما رأيت هذه الكرامات الا على أيدى البله من الصادقين وكان رجل يصحب سهل بن عبد الله رضى الله عنه فقال له يوما ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء من بين يدى قضبان ذهب وقضبان فضة فقال سهل أما علمت أن الصبيان اذا بكوا أعطوا خشخاشة ليشتغلوا بها وحكى جعفر الخالدى عن الجنيد رضى الله عنه قال جاءنى أبو حفص النيسابورى مرة ومعه عبد الله الرباطى وجماعة وكان فيهم رجل أصلع قليل الكلام فقال يوما لابى حفص قد كان فيمن مضى لهم الآيات الظاهرة يعنى بها

.لايستحقر الورد) وهو الاعمال الصالحة التى تعمر بها الاوقات وتنكف بها الجوارح عن الوقوع
فى المكروهات بأن لايعتنى به ولايواظب عليه (الاجهول) لما فيه من العبودية لله تعالى والحضور
بين يديه والتنعم بذكره ولانه يورث تصفية الباطن وجلب الانوار وهى الواردات
فالتشوف لها مع عدم الاعتناء بما يجلبها من الجهل والحمق * ثم ذكر أن له مزية على الوارد من وجهين أشار الى الاول بقوله (الوارد) وهو مايرد على باطن العبد من المعارف الربانية واللطائف الروحانية وهى الانوار التى ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسره (يوجد فى الدار الآخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار) أى يفنى بفنائها (وأولى ما يعتنى به مالايخلف وجود) أى فينبغى للعبد أن يستكثر من
الاوراد قبل فواتها اذلايمكنه خلف مافات منها والى الثانى بقوله (الورد هو طالبه منك والوارد أنت
تطلبه منه وأين ماهو طالبه منك مما هو مطلبك منه) يعنى ان الورد هو حق الله منك والوارد هو حقك
منه وقيامك بحقوقه عليك أولى وأليق بالعبودية من طلبك حظك و وقوفك معها وأتى المصنف
بذلك ارشاد المريدين الذين يتشوفون الى الواردات و يتركون الاوراد و يستحقرونها وذلك من
الجهل بثمراتها ولذا لم يترك العارفون أورادهم مع تمكنهم فى أحوالهم ا كثر من المريدين

الكرامات وليس لك شئ من ذلك فقال له أبو حفص رضى الله عنه تعال فجاء به الى
سوق الجدادين الى كير عظيم فأحمى فيه حديدة عظيمة فادخل يده فى الكير فاخذ
الحديدة المحماة فأخرجها فبردت فى يده فقال له يجزيك هذا فسئل بعضهم عن معنى
اظهار ذلك من نفسه فقال كان مشرفا على حاله فخشى على حاله أن يتغير عليه ان لم
يظهر له ذلك فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لايمانه بل ربما ينفر عنها
العارفون ويخاف منها المحققون قال بعض السلف ألطف مايخادع به الاولياء
الكرامات والمعونات * وذكر عن أبى حفص أو غيره أنه كان جالسا وحوله
أصحابه قال فنزل ظبى من الجبل فبرك عندهم قال فبكى أبو حفص فسئل عن بكائه
فقال كنتم حولى فوقع فى قلبى ان لو كان لى شاة لذبحت لكم فلما برك هذا الظبى
عندنا شبهت نفسى بفرعون حين سأل الله تعالى أن يجرى معه النيل فاجراه معه
فبكيت وسألته الاقالة مما تمنيت وأطلقت الظبى ويحكى أن بعض الابدال قال
لتلميذ من تلامذة الشيخ أبى مدين رضى الله عنه ما بالنا لايعتاص علينا شئ وهو
يعتاص عليه أقل الامور مع انا نتمنى مقامه وهو لايتمنى مقامنا فبلغ ذلك الشيخ أبا
مدين فقال قل له تركنا مرادنا لمراده وعن بعضهم أنه كان يسير فى البادية فانتهى
الى بئر فاذا الماء ارتفع الى رأس البئر فقال أنا أعلم انك قادر على هذا ولكن
لا أطيقه فلو قيضت لى بعض الاعراب ليصفعنى صفعات و يسقينى شربة ماء كان
أسلم لى ثم انى لأعلم ان ذلك الرفق ليس من جهته قال يحيى بن معاذ الرازى رضى
الله عنه اذا رأيت الرجل يشير الى الآيات والكرامات فطريقه طريق الابدال
واذا رأيته يشير الى الآلات والنعمات فطريقه طريق المحبة وهو أعلى من الذى
قبله واذا رأيته يشير الى الذكر ويكون قلبه معلقا بالذكر الذى ذكر فطريقه
طريق العارفين وهو أعلى درجة من جميع الاحوال * وقال أبو يزيد رضى الله عنه
كنت فى بدايتى يرينى الحق تعالى الآيات والكرامات فلم التفت اليها فلما رآنى
كذلك جعل لى الى معرفته سبيلا (لايستحقر الورد الاجهول الوارد يوجد فى الدار
الآخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار وأولى مايعتنى به مالايخلف وجوده الورد
هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ماهو طالبه منك مما هو مطلبك منه)

الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة أو باطنة والوارد هو الذى يرد على باطن العبد من لطائف وأنوار فينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسره فالورد ما من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية والوارد ما من الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة والورد أحق ما يعتنى به العبد ويراعيه من الوارد لوجهين أحدهما أن الورد مختص بهذه الدار لا يقع إلا فيها فهو منقطع بانقطاعها وفان بفنائها فينبغى للعبد أن يستكثر من الاوراد قبل فواتها اذ لا يمكنه خلف مافات منها والثانى ان الورد هو حق للحق منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك أولى وأليق بالعبودية من طلب حظوظك ووقوفك معها فاذا ثبتت مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استحقاره من نهاية الجهل وكان مستحقره جهولا كما قال فى لطائف المنن واعلموا ان الله تعالى أودع أنوار الملكوت فى أصناف الطاعات فان من فاته من الطاعات صنف او اعوزه من الموافقة جنس فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيأ من الطاعات ولا تستغنوا عن الاوراد بالواردات ولا ترضوا لانفسكم بما رضى به المدعون من جرى الحقائق على السنتهم وفقد أنوارها من قلوبهم لان الحق بحكمته جعل الطاعة الجارية على العباد مستقرعة لباب الغيب فمن قام بالطاعة والمعاملة بشرط الادب لم يحجب الغيب عنه وانما حجاب الغيوب وجود العيوب والتطهر من العيب يفتح لك باب الغيب ولا تكن ممن يطالب الله لنفسه ولا يطالب نفسه لله فذلك حال الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم المدد من الله والمؤمن ليس كذلك بل المؤمن من يطالب نفسه لربه ولا يطالب ربه لنفسه فان توقف عليه الوقت استبطأ أدبه ولا يستبطئ مطلبه ثم ذكر كلاما كثيرا وفى كلامه رحمه الله تعالى تنبيه على تأكد أمر الاوراد وعظم موقعها من الدين وأن مراعاتها من أحسن سمات العارفين وقد رؤى الجنيد رضى الله عنه وفى يده سبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه أبدا وكان يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلى أربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته ورؤى بعد وفاته فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك العبارات وأبيدت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم وما نفعنا الا ركعات كنا نركعها فى السحر * وحكى أبو محمد الجريرى رضى الله عنه قال كنت عند الجنيد رضى الله عنه فى حال نزعه وكان يوم جمعة ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت فى هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى منى بذلك وحينئذ تطوى صحيفتى وقال أبو الحسن الدراج رضى الله تعالى عنه ذكر عند الجنيد أهل المعرفة بالله تعالى وما يراعونه من الاوراد والعبادات بعد ما لاطفهم الله به من الكرامات فقال الجنيد رضى الله عنه العبادة

على العارفين أحسن من التيجان على رؤس الملوك * وقال أبو بكر العطار حضرت الجنيد عند الموت فى جماعة من أصحابنا فرأيناه قاعدا يصلى ويثنى رجله اذا أراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه وثقلت عليه حركتهما فمد رجليه فرآه بعض أصدقائه ممن حضر ذلك الوقت وكانت رجلاه قد تورمتا فقال ماهذا يا أبا القاسم فقال هذه نعم الله الله أكبر فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريرى رضى الله عنه يا أبا القاسم لو اضطجعت فقال يا أبا محمد هذا وقت وجود منة الله الله أكبر فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمة الله عليه ورضوانه * وقال الحصرى رضى الله عنه الناس يقولون الحصرى لا يقول بالنوافل وعلى أوراد من حال الشباب لو تركت منها ركعة لعوتبت وقال محمد بن ثابت البنانى رضى الله عنهما لما حضرت أبى الوفاة جعلت ألقنه الشهادة فقال لى يا بنى دعنى فانى فى وردى السابع * قال أبو طالب المكى رضى الله عنه ومداومة الاوراد من أخلاق المؤمنين وطريق العابدين وهى مزيد الايمان وعلامة الايقان وفى خبر ان عائشة رضى الله عنها سئلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وفى لفظ آخر كان اذا عمل عملا أتقنه وأثبته وفى الخبر المشهور أحب الاعمال الى الله تعالى أدومها وان قل وجاء فى الاثر كلام تارة يروى عن الحسن بن على وتارة يروى عن الحسن البصرى ومرة عن عائشة رضى الله عنهم أجمعين وبعضهم يحكيه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ومن لم يكن فى مزيد فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خير له وقد يكون استثقال الورد من المكر والاستدراج للعبد ويكون مبدأ ذلك أن تلوح له خيالات وتظهر له صور كرامات توجب له استحسان حالته واختيار بطالته وفى ذلك رفض العبودية بالكلية وهو امارة لوجود الطرد والبعد والعياذ بالله وصاحب هذا عظيم الجهالة شديد العماية والضلالة وقد قال الجنيد رضى الله عنه لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله تعالى فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا وان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه راجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من اعمال البر ذرة الا أن يحال بى دونها وأنه لاوكد لى فى معرفتى وأقوى فى حالى * قال السهروردى رضى الله عنه فى كتاب عوارف المعارف فأما من تعوق بخيال أو قنع بمحال ولم يحكم أساس خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور فيرفض العبادات ويستفردا ويسلبه الله تعالى لذة المعاملة ويذهب عن قلبه

(ورود الامداد) من الله تعالى على عبده (بحسب الاستعداد) أى بحسب استعداد العبد بتطهير قلبه وملازمته لوروده ولذا قيل طهر قلبك من الاغيار تملأه بالمعارف والاسرار فالوارد تابع للورد كيفا وكما ودواما * فان كان الورد كاملا بأن برز من قلب صاف كان الوارد مثله أو ناقصا كان مثله وان كان كثيرا كان الوارد كثيرا والا فبحسبه ويعتبر ذلك بمجموع العمر ولذا كان أحب العمل الى الله أدومه وان قل وان كان دائما كان الامداد دائما فالمواظبة على الورد من اهم المهم وهذا يصلح ان يكون وجها ثالثا لمزية الورد على الوارد (و) قوله (شروق الانوار على حسب صفاء الاسرار) تعليل لما قبله وايضاح له أى شروق أنوار اليقين والعرفان وهى الامدادات المذكورة على حسب صفاء الاسرار من كدر التعلق بالآثار والركون الى الاغيار * (١٢٨) * ولا يكون صفاؤها غالبا الا بملازمة

هيبة الشريعة ويفتضح فى الدنيا والآخرة فيعلم الصادق أن المقصود من الخلوة التقرب الى الله تعالى بعمارة الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من أرباب الخلوة مداومة الاوراد وتوزيعها على الاوقات ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم الانتقال من الذكر الى الاوراد ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر انتهى ما يتعلق بغرضنا من كلام السهروردى رضى الله عنه وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى وليس من هذا المعنى ما روى عن أبى سليمان الدارانى وأحمد بن عاصم الانطاكى رضى الله عنهما انهما قالا اذا صارت المعاملة الى القلوب استراحت الجوارح وان كان ظاهره موهما له فان أبا نصر السراج رضى الله عنه فسره بعد أن حكاه عن أبى سليمان الدارانى فقال وهذا الذى قاله أبو سليمان يحتمل معنيين أحدهما انه أراد بذلك استراحة الجوارح من المجاهدات والمكابدات من الاعمال اذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر والعوائق المذمومة التى تشغل عن ذكر الله تعالى قلبه ويحتمل أيضا انه أراد بذلك أن يتمكن من المجاهدات والاعمال والعبادات وتصير وطنه ويستلذ بها بقلبه ويجد حلاوتها ويسقط عنه التعب ووجود الآلام التى كان يجدها قبل ذلك انتهى كلام أبى نصر ومعناه صحيح والله أعلم وبه التوفيق ✤ ورود الامداد بحسب الاستعداد وشروق الانوار على حسب صفاء الاسرار) ورود الموارد الامدادية من الله تعالى على قلب عبده بحسب القوة الاستعدادية المجبولة فيه وشروق الانوار اليقينية على حسب صفاء سره من كدر التعلق بالآثار والركون الى الاغيار ✤ الغافل اذا أصبح ينظر ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به) أول خاطر يرد على العبد هو ميزان توحيده

لاوراد (الغافل) عن التوحيد وأن كل شئ بقضاء الله وقدره (اذا أصبح ينظر ماذا يفعل) أى ينسب افعاله الى نفسه فيقول ماذا أفعل فى هذا اليوم مثلا (والعاقل) أى المستيقظ الذى لا يغفل عن التوحيد ولا يغيب عنه أن كل شئ بقضاء الله وقدره (ينظر ماذا يفعل الله به) أى ينسب افعاله كلها الى الله تعالى فيقول اذا أصبح ماذا يفعل الله بى فى هذا اليوم مثلا فنظر الغافل لنفسه فربما وكله الله اليها فلا تنجح مطالبه ونظر العاقل لربه فيكفيه ما أهمه وييسر له مطالبه فهذا ميزان يعرف به المريد حال نفسه فأول خاطر يرد عليه هو ميزان توحيده فلينظر اذا استقبله شغل فان عاد قلبه فى أول وهلة الى حوله وقوته فهو منقطع عن الله وان عاد الى الله سبحانه فهو واصل اليه ويصح أن يكون معنى نظره الى ما يفعل الله به أن ينظر ما يرد على قلبه من الاشارة من قبله تعالى فيكون اقدامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميزان شريف اقتضاه دوام التجائه وصدق افتقاره

فالغافل اذا أصبح اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى نفسه فيقول ماذا أفعل اليوم فهو مشتغل بتدبر نفسه مصروف عن النظر الى مولاه وذلك لوجود غفلته عنه فهو حقيق بأن يكله الله تعالى الى نفسه فيتشتت عليه عقله و ينغص عليه مراده والعاقل اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى الله تعالى فيقول ماذا يفعل الله بى فهو ناظر الى الله تعالى والى ما يرد عليه منه وذلك لوجود عقله ودوام يقظته فلاجرم ان يكفيه الله تعالى تعلقات الآمال و يفرغه من جميع الاشغال و يرضيه و يقر عينه بما يقيمه فيه من اعمال أو يورده عليه من احوال وهذه سعادة عظيمة ومنة من الله تعالى لمن وليه من عباده جسيمة قال عمر بن عبد العزيز أصبحت ومالى سرور الا فى مواقع القدر وقال أبو عثمان رضى الله تعالى عنه منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته ومن املح ما رأيت فى هذا المعنى الذى ذكره المؤلف رحمه الله وما يجب أن يحذو على مثاله كل عالم متصوف ما ذكر الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن الصقلى رضى الله تعالى عنه فى كتابه صفة الاولياء ومراتب أحوال الاصفياء مسنده الى أيوب ابن بشر الطالقانى قال حدثنا رجل من أصحابنا قال رأيت رجلا فى مرج الديباج ليس معه شئ فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يرحمك الله أين تريد قال ما ادرى قلت هل رأيت أحدا يريد مكانا لا يدرى أين يذهب فقال نعم أنا واحد فقلت فأين تنوى قال الى مكة قلت تنوى مكة ولا تدرى أين تذهب قال نعم وذلك انى كم مرة أردت أن أذهب الى مكة فيردنى الى طرسوس وكم مرة أردت طرسوس فيردنى الى عبادان فنيتى الى مكة ولا أدرى قلت فمن اين المعاش قال لا أدرى قلت اخبرنى باسباب ذلك قال من حيث يريد يجيعنى مرة و يشبعنى مرة و يكرمنى مرة و يهيننى مرة ومرة يقول لى ما على وجه الارض ازهد منك ومرة يقول لى أنت لص ومرة ينومنى على الفراش و يطعمنى الطيب ويدهن رأسى و يكحل عينى ومرة يطردنى الطرد العنيف ولا ينومنى الا عند النواويس قلت يرحمك الله من يفعل ذلك بك قال الله عز وجل قال فألقانى فى بحر قلت فسر لى يرحمك الله كيف هذا قال أنا رجل أسير نهارى فاينما جن بى الليل بت فربما يأوينى الليل الى قرية فاذا انظر الى أهلها قال بعضهم لبعض هذا لص لا تدعون هذا يأوى الليلة فى هذه القرية فاذا صليت العشاء الآخرة يدخل المسجد رجل فيقول يا نائم فأقول لبيك فيقول لى بالعنف قم من ههنا ليس لك ههنا موضع فأقول له حبا وكرامة فأين أبيت الليلة فيقول خارج القرية عند النواويس فاقول نعم وكرامة لا يكون لى مأوى الا عند النواويس تلك الليلة فاذا أصبحت سرت فيأوينى الليل الى قرية فاذا رآنى أهلها قال بعضهم لبعض قد ورد عليكم الليلة رجل زاهد خير فاضل فيقول هذا عندى يبيت و يقول هذا

عندي يبيت فاذا صليت العشاء الاخيرة فيقول رجل منهم قم بنا الى البيت فأقول
نعم حبا وكرامة فأمضي معه الى المنزل فيأتيني بالطعام الطيب ويدهن رأسي ويكحل
عيني ويأتيني بالفراش اللين فينومني عليه ولا يدع شيأ من البر الا فعله بي حتى أصبح
فهذا حالي مع سيدي فقلت رحمك الله متى قدرك أن تدخل بغداد فان منزلي
في موضع كذا وكذا قال فأنا يوما قاعد واذا بانسان يدق الباب فخرجت فاذا أنا
بصاحبي فسلمت عليه وأدخلته البيت فقلت له أي شيء صنع بك مولاك قال آخر
ما فعل بي ضربني ضربا شديدا وقال لي يا لص ثم اراني ظهره فاذا أثر الضرب عليه
فقلت ايش القصة قال كان أجاعني جوعا شديدا فلما بلغت الابيار جئت الى مقثأة
قد نبذ منها المدوّد والمرّ فقعدت مقعدا آكل منه فنظرني صاحب المقثأة فأقبل اليّ
بعصا فجعل يضرب ظهري ويقول يا لص ما أخرب مقثأتي غيرك منذ كم أرصدك
حتى وقعت عليك واذا أنا بفارس قد أقبل مسرعا اليه فضربه بالسوط في رأسه
وقال تعمد الى رجل زاهد فتضربه أو يقال لمثل هذا يا لص قال فما كان باسرع من
أن كنت عنده لصا فصرت زاهدا كما حدّثتك قال فأخذ بيدي صاحب المقثأة
فذهب بي الى منزله فما أبقى من الكرامة شيأ واستحلني فخرجت من عنده وجئت
اليك وقد يكون في معنى نظره لي ما يفعل الله به أن ينظر ما يرد على قلبه من الاشارة
من قبله فيكون اقدامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميزان شريف
اقتضاه دوام التجائه وصدق افتقاره قال سيدي أبو مدين رضي الله تعالى عنه
احرص من أن تصبح وتمسي الا مفوضا مستسلما لعله أن ينظر اليك فيرحمك وقال
بعضهم من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد الى الله
فانظر اذا استقبلك شغل فان عاد قلبك في اول وهلة الى حولك وقوتك فانت المنقطع
عنه فان عاد قلبك الى الله فانت الواصل الى الله وكل العالم في قبضته وتخصيص أهل
الوصلة بأنهم في كنف ايوائه ولا يكلهم الى غيره واعتبر هذا المعنى بعمرة الحديبية
وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صدّه المشركون فيها عن مكة ومنعوه من أن
يتم بين أظهرهم نسكه رجع في الحال عن تلك العمرة ولم يتعرض لهم بما يحصل له به
في الظاهر عزة أو نصرة بعدما كان دعا اليه من بيعة الرضوان تحت الشجرة وما
عزم عليه من مناجزة من حادّه من الكفرة وعمل في ذلك على ما أظهره الله له من
آياته العظام عند بروك ناقته لما أراد توجيهها الى البيت الحرام وقال حينئذ مظهرا
لما قصده ومقرر المااعتمده انما حبسها حابس الفيل لا يدعوني اليوم قريش
الى خصلة فيها صلة الرحم الا اجبتهم اليها فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وشرّف
وكرم صالحهم على وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين ليتقلبوا في الارض آمنين
فلما استتب بينهم الصلح وأنزل الله تعالى سورة الفتح ظهرت الفوائد التي تضمنها

ذلك

إنما يستوحش العباد) وهم المتوجهون الى الله بطريق العمل (والزهاد) وهم المتوجهون له بطريق التوكل (من كل شئ) فكل من الطائفتين يفر من الخلق لكونهم قاطعين عن الله وذلك (لغيبتهم عن الله في كل شئ) أي انهم محجوبون عن ربهم برؤية نفوسهم ومراعاة حظوظهم فيفرون من الاشياء ويستوحشون منها لانها موجودة في نظرهم فيخافون منها أن تعوق عليهم اغراضهم وتفوتهم مقاصدهم لميلهم اليها وافتتانهم * (١٣٢) * بها (فلو شهدوه في كل شئ) كما شهده العارفون والمحبون (لم يستوحشوا من شئ) أي من أي شئ من الاشياء لرؤيتهم له حينئذ ظاهرا في الاشياء كلها فيشغلهم ذلك عن رؤيتهم لنفوسهم فلا يكون لهم من الاشياء وحشة ولا يخشون منها فتنة لانها متلاشية فانية بهذا الاعتبار (أمرك) أيها العارف (في هذه الدار بالنظر في مكوناته) لتراه ظاهرا فيها بعين بصيرتك قال تعالى قل انظروا ماذا في السموات الى غير ذلك من الآيات (وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته) لتراه بعين بصرك فرؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم في هذه الدار يرونه ظاهرا في المكونات بأنوار بصائرهم لما تجلى لهم من وراء حجابهم وهو تلك المكونات ولذا أمرهم بالنظر فيها وفي الدار الآخرة يرونه عيانا بأنوار ابصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف والرؤية في الدنيا على الوجه المذكور خاصة العارفين وفي الآخرة عامة لجميع المؤمنين (علم منك انك لا تصبر عنه) أي عن مشاهدتك له كما هو شأن المحب فانه لا يصبر عن رؤية محبوبه لكن رؤيتك له في هذه الدار من غير حجاب متعذرة (فاشهدك ما برز منه)

ذلك التدبير الحسن وقرت أعين الصحابة رضي الله تعالى عنهم بما أبرزه الله اليهم من ألطاف ومنن وقد صح بالمعنى جميع ما قلناه في الخبر ونقله الينا علماء الحديث والسير وليكن من دعاء صاحب هذا المقام ومناجاته ليوافق عقده قوله في جميع تصرفاته اللهم اني أصبحت لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ الا ما أعطيتني ولا أتقي الا ما وقيتني اللهم وفقني لما تحبه وترضاه من القول والعمل في طاعتك انك ذو الفضل العظيم وليقل أيضا ما رأيته لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه اللهم ان الامر عندك وهو محجوب عني ولا أعلم أمرا أختاره لنفسي فكن أنت المختار لي واحملني في أجمل الامور عندك واحمدها عاقبة في الدين والدنيا والآخرة انك على كل شئ قدير * إنما يستوحش

العباد والزهاد من كل شئ لغيبتهم عن الله في كل شئ فلو شهدوه في كل شئ لم يستوحشوا من شئ) العباد والزهاد في حجبهم عن ربهم لنظرهم لنفوسهم ومراعاة حظوظهم فهم فرون من الاشياء ويستوحشون منها لانها موجودة في نظرهم والزهد في المزهود شاهد له بالوجود كما قال سيدي أبو الحسن رضي الله تعالى عنه والله لقد عظمتها اذ زهدت فيها فهم يخافون منها أن تعوق عليهم اغراضهم وتفوتهم عن مقاصدهم بميلهم اليها وافتتانهم بها ولو كانوا من أهل العلم بالله والمحبة لله لرأوه ظاهرا في الاشياء كلها ولكان لهم في ذلك من قرة أعينهم ما يشغلهم عن رؤيتهم لنفوسهم فلا يكون لهم من الاشياء وحشة ولا يخشون منها فتنة لانها فيه متلاشية بهذا الاعتبار * أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته) رؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم ففي هذه الدار يرونه ظاهرا في المكونات بأنوار بصائرهم لما تجلى لهم من وراء حجابها ولذلك أمرهم بالنظر فيها وفي الدار الآخرة يرونه معاينة بأنوار أبصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف * علم منك انك لا تصبر عنه فاشهدك ما برز منه) عدم الصبر عن الله تعالى من وجود الاحتظاء

من الآثار والاكوان أى اشهدك اياها لتراه فيها بعين بصيرتك وان كانت تلك الاكوان حاجبة لك عن رؤيتك له بعين بصرك فقد رأيته ولو من وراء حجاب وذلك كرامة من الله لك وعناية منه بك حيث لم يحجبك عنه فى الدنيا أيضا (لما علم الحق منك) أيها المريد (وجود الملل) أى السآمة من ثقل العمل المؤدية الى تركه (لون) أى نوع (لك الطاعات) رحمة بك وتسهيلا عليك لانك اذا سئمت من نوع منها انتقلت الى غيره ولو كانت من نوع واحد لسئمته النفس وتركته واستثقلته لا بخلاف الانواع المتعددة فانها تستخفها وتستحليها لتنقلها من نوع الى نوع آخر وشأن النفس أن لا تدوم على حال واحد بل تنظر فى الاحوال ألا ترى ان الانسان اذا داوم على طعام واحد تسأمه نفسه كما وقع لبنى اسرائيل (وعلم ما فيك من وجود الشره) أى مجاوزة الحد فى التسارع الى العمل والحرص عليه فيؤديك الى أن لا تأتى به على وجه الكمال (فحجرها) بالتخفيف أى منعها (عليك فى بعض الاوقات) فان الفرائض يمتنع فعلها فى غير أوقاتها المحدودة والنوافل يمتنع فعلها فى وقت الكراهة وفى بعض النسخ فحجرها عليك *(١٣٢)* فى الاوقات بالتشديد أى جعل لكل طاعة وقتا مخصوصا ولم يجعلها دائمة فى جميع الاوقات لئلا يحصل منك شره فيجرك الى الترك والحاصل أن تلوين الطاعات لوجود الملل وتحجيرها فى الاوقات لوجود الشره نعمتان أنعم

بمعرفته وهو حال شريف يقتضى دوام وجود المعية الاختصاصية والمعية الاختصاصية تقتضى دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير متصورة فى هذه الدار لما هى عليه من الدناءة والنقص والفناء والذهاب فأكرم الله تعالى عبده لعلمه بعدم صبره عنه بان أشهده مابرز منه من الآثار والاكوان تسلية له بالاثر عن النظر فحصلت له حينئذ المعية الاختصاصية اللائقة بحاله حتى اذا أقعده فى مقعد الصدق وحصلت له عندية الحق خلع عليه خلع التقريب والتكريم وواجهه بوجهه الكريم فحصلت له حينئذ المعية الحقيقية والمشاهدة السرمدية وما ذلك على الله بعزيز * لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك فى بعض الاوقات ليكون همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم) تلون الطاعات لوجود

الله بهما على عبده فان الملل والشره آفتان عظيمتان قاطعتان للعمل والموجب للملل المداومة على نمط واحد من العبادات فتسأمها النفس وتستثقلها فاذا لونت عليها استحلتها واستخفتها والموجب للشره صلاحية الاوقات كلها لايقاع العبادات مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير بأن يقرأ القرآن مثلا ولا يتدبر فى معانيه ولا يحضر قلبه مع مولاه فى حال قراءته فلذلك عين لها أوقاتا تقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها فى الاوقات وقوله (ليكون همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم) بنصب يكون بعد لام كى على انه تعليل لما قبله أى انما لون لك الطاعات حتى لا تمل وحجرها عليك فى الاوقات حتى لا تشره لاجل أن يكون همك الخ فانهما اذا انتفيا أمكن توجيه الاهتمام الى حضور واقامة الصلاة لا الى مطلق وجودها وحصول صورتها بخلاف ما اذا وجدا فانه لا يكون معهما اتقان وفى بعض النسخ ليكن بالجزم فيكون كلاما مستأنفا واقامة الصلاة المرادة هنا حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل فلا يختلج فيه سواه وقيل هى القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها لرؤية من يصلى له فتكون مستقبلا الى القبلة وقلبك مستقر فى حقائق الوصلة وخص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات لان ذلك أكثر ما يقع فيها ثم أشار الى فوائد صلاة المقيم لا مطلق الصلاة بقوله

الملل وتحجيرها فى الاوقات لوجود الشره نعمتان عظيمتان أنعم الله بهما على عبده فان الملل والشره فتنتان عظيمتان قاطعتان على العبد سبيل عبوديته والملل تكره يعرض للانسان من عمل يلحقه فيه مشقة فيصبر عليه و يتحمل التعب فيه حتى يضجر و يسأم فيترك ذلك العمل و يرفضه استثقالا له وهو شئ يتعرض للطبع بعد ايثاره للشئ ومحبته له والشره مجاوزة الحد فى التسارع الى العمل والحرص عليه والذى يوجب وجود الملل المداومة على نمط واحد من العبادات فتسامها النفس وتستثقلها فاذا لونت عليها استحلتها واستخفتها وقد قال بعض الشعراء

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

والموجب لوجود الشره صلاحية الاوقات كلها لايقاع العبادات فيها مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير فيها فلذلك عين لها أوقاتا توقع فيها وأوقاتا لا توقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها فى الاوقات فان كان الملل والشره واقعين فى الصلاة لم يكن الآتى بها مقيما لها لوقوع التقصير منه فيها ولم يؤمر الا باقامة الصلاة لا بوجود صورة الصلاة قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه كل موضع ذكر فيه المصلون فى معرض المدح فانه انما جاء لمن أقام الصلاة اما بلفظ الاقامة أو بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه وتعالى الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة وقال الله تعالى رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى وقال عز وجل أقم الصلاة واقام الصلاة والمقيمى الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة فالاقامة أنه اذا صلى المؤمن صلاة فقبلت منه خلق الله من صلاته صورة فى ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيامة وثواب ذلك لصاحب الصلاة واقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا قال ابن عطاء الله رضى الله تعالى عنه اقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا مع حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج بسرك سواه وقال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه هو القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلى له فتحفظ عليه احكام الامر فيما يجرى عليه منه وهو عن ملاحظتها محو فنفوسهم منه مستقبلة الى القبلة وقلوبهم مستقرة فى حقائق الوصلة وتمثيل المؤلف رحمه الله تعالى بالصلاة دون سائر العبادات حسن لان ذلك أكثر ما يقع فيها وقد يكون ذلك استطرادا للكلام على الصلاة حسبما يقوله باثر هذا ❋الصلاة طهرة للقلوب من ادناس الذنوب) كما روى فى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك أيبقى من

(الصلاة) الحقيقية (طهرة للقلوب) من مكدرها بالآثار وتلوثها باقذار الاغيار ومن الاوصاف المبعدة لها عن مشاهدة العزيز الجبار وفى بعض النسخ من ادناس الذنوب من اضافة المشبه به للمشبه والذنوب مختلفة باختلاف المقيمين لها

(واستفتاح) أي فتح أو طلب فتح (لباب الغيوب) أي ما غاب عنك من المعارف والاسرار شبهها بكنز له باب مغلق عليه والباب تخييل وهذا مرتب على ما قبله لان القلوب اذا طهرت رفع عنها الاستار فرأت ما غاب عنها من الاسرار (الصلاة محل المناجاة) أي مناجاة العبد لربه باظهار صفاته الجميلة من رحمته للعباد وتربيته للعالمين وملكه يوم الدين الى غير ذلك من الصفات ومناجاة الرب له بما يلقيه في سره من العلوم الوهبية والاسرار العرفانية *(٣٤)* (ومعدن المصافاة) أي التودد أي مصافاة العبد لربه بتوجهه اليه بكليته واقباله عليه بعوالمه الظاهرة والباطنة حتى لا يختلج في سره غيره ومصافاة الرب لعبده بأن يغنيه شهوده ويفيض عليه فضله وجوده وهذه أعلى المصافاة ودونها مراتب وعلى قدر اقبال العبد يكون اقبال الرب جل جلاله (تتسع فيها ميادين الاسرار) أي تتسع فيها القلوب الشبيهة بميادين الفرسان أي تنشرح بتوارد الاسرار أي العلوم والمعارف عليها وتسابقها فيها تسابق الفرسان (وتشرق) أي تطلع (فيها شوارق الانوار) أي الانوار الشبيهة بالكواكب الشارقة وهو من عطف السبب على المسبب فان الانوار اذا أشرقت في القلوب انشرحت لما يرد عليها من العلوم والمعارف وذلك من ثمرات المناجاة والمصافاة وجميع ما ذكر كالدليل لما قبله من أن المطلوب اقامة الصلاة لا وجودها

دونه شيأ *(واستفتاح لباب الغيوب) لان القلوب اذا طهرت وتزكت رفع عنها الحجب والاستار فرأت ما غاب عنها من الاسرار *(الصلاة محل المناجاة) لان فيها يكون محل الثناء والدعاء والمناجاة مخاطبة الاسرار عند صفاء الاذكار للملك الجبار *(ومعدن المصافاة) وهي زوال الاكدار الكونية بينك وبين ربك حتى يصفو قلبك وسرك فيصفو لك حينئذ شهوده ويعود لك وجوده (تتسع فيها ميادين الاسرار) حتى تتمكن ثمر عليك في الظهور *(وتشرق فيها شوارق الانوار) فيكون قلبك نورا على نور وهذه العبارات الست معانيها متقاربة ولما كانت هذه الاحوال التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى من فوائد الصلاة وأن المقصود منها انما هو تحصيلها كان ذكر المؤلف لها كالدليل على ما قاله من أن المأمور به انما هو اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فان الصلاة المعتبرة انما هي صلاة الخاشعين لا صلاة الغافلين التي لا تنتهض لبلوغ هذه المقاصد السنية ولذلك كانت الصلاة أم العبادات وأساس الخيرات قال الله تعالى أقم الصلاة لذكري فاخبر أن المراد من الصلاة الذكر وقد روي معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم على ما سيأتي الكلام عليه حيث تعرض المؤلف له وفي بعض الاخبار أن العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى السماء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وأن المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق رأسه ويناديه مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل وأن أبواب السماء تفتح للمصلي وأن الله تعالى يباهي ملائكته بصفوف المصلين وفي التوراة يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصليا باكيا فأنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري وكانوا يرون أن تلك الرقة والبكاء وذلك الفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله تعالى عنه دعا

الله

(وجدان السلامة) من العقاب على ذلك العمل المدخول أي فيقول له الرب هذا العمل الذي عملته لا تستحق عليه مني جزاء بل يكفيك من الجزاء عليه سلامتك وعدم عقابك وهذا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل وبيان أن المنهل العذب الصافي أن يعبد العبد ربه لما هو عليه من عظمة الالوهية ونعوت الربوبية لا لما يعود عليه في دنياه أو أخراه وقد ذكر المصنف هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وأشار الى موضع منها أيضا بقوله (لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا) بل هو الفاعل له حقيقة وانما أنت محل لظهوره واذا كان الفاعل هو الله فكيف تطلب أنت الجزاء عليه أو يقال ان المنفرد بخلق أفعال العباد واختراعها هو الله وليس للعبد الا مجرد الكسب فكيف يطلب الجزاء على عمل ليس منسوبا اليه الا بطريق

الكسب (يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا) أي قبوله له والمراد به عدم مؤاخذتك عليه مع كونه مدخولا بقصدك به طلب الثواب (اذا أراد أن يظهر فضله عليك) أي تفضله عليك واحسانه لك (خلق) أي العمل فيك (ونسب اليك) أي نسبه اليك بأن قال فيك عند ملائكته انك مطيع ومتق وعظيم ومجتهد وعامل أو نسبه اليك على ألسنة العباد بأن يطلق ألسنتهم بأنك مطيع ومتق الخ فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم لم ينسب لنفسه شيأ من محامد الصفات ومحاسن الاعمال لا حقيقة ولا أدبا اذ لا أهلية فيه لذلك وأما مذام الصفات والاعمال ومساويها فمقتضى الادب أنه يضيف ذلك الى نفسه وأن يعترف أنه من ظلمه وجهله * قال سهل بن عبد الله قدس الله سره اذا عمل العبد حسنة وقال يا رب أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله تعالى له ذلك وقال له يا عبدي بل أنت أطعت وأنت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله تعالى عنه وقال يا عبدي أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت واذا عمل سيئة وقال يا رب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عبدي بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت واذا قال يا رب أنا ظلمت وأنا أسأت

(وجدان السلامة) تقدم أن العمل لاجل حصول الجزاء مدخول معلول وحكينا هنالك من الآثار والحكايات عن العارفين وأرباب القلوب ما فيه مقنع وقد كرر المؤلف رحمه الله تعالى هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وما ذكره ههنا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل ومعنى ما ذكره أن العمل على هذا الوجه معرض للبطلان لانه اذا طالب ربه بالجزاء على عمله طالبه ربه بوجود الصدق فيه والصدق فيه الوفاء بحقه في العمل وأنى له توفية ذلك مع كونه طالبا للحظ من ربه فهو لا محالة مريب فيكفيه وجدان السلامة من غير مزيد عليها * قال الواسطي رضي الله تعالى عنه العبادات الى طلب العفو عنها أقرب منها الى طلب الاعواض عليها وقريب من هذا قول النصراباذي العبادات الى طلب العفو والصفح عن تقصيرها أقرب منها الى طلب الاعواض والجزاء عليها وقال خير النساج رضي الله تعالى عنه ميزان أعمالك ما يليق بأفعالك فاطلب ميزان فضله فانه أتم وأحسن قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * (لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا) المنفرد بخلق أفعال العباد واختراعها هو الله عز وجل فكيف يطلب العبد الجزاء على عمل لا مدخل له فيه على الحقيقة ومعنى كون القبول جزاء قد تقدم * (اذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك) فضل الله تعالى

وأنا جهلت اقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدي أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت اه (لانهاية لمذامك ان أرجعك اليك) أي وكلك الى نفسك لانها مجبولة على الشر فاذا خلى الله بينك وبينها أي لم يعنك عليها ولم يحكمك فيها غلبتك وتحكمت فيك فتوقعك في أنواع القبائح حتى لا يبقى في أعمالك ما يستحسن *(١٣٧)* ولا في أحوالك ما يحب وذلك من علامات الطرد والبعد عن الله (ولا تفرغ مددا تمهلك ان أظهر جوده عليك) بأن تولى عنايتك ونصرك على نفسك ولم يحكمها فيك فتصير أحوالك حسنة جميلة فلا تفرغ مددا تمهلك ولا تنقضي محاسنك وذلك من علامات اصطفائه لك واجتبائه وقد علم أنه لا طريق للنجاة من النفس وغوائلها الا التعلق بالله والالتجاء اليه (كن بأوصاف ربوبيته متعلقا) لا متحققا اذ لاحظ للعبد في شيء من أوصاف مولاه الا تعلقه به لا تحققه (وبأوصاف عبوديتك متحققا) ومعنى التعلق بأوصاف الربوبية النظر اليها وملاحظتها أي ملاحظة كونها له فلا يصح لك أن تتصف بشيء منها ومعنى التحقق بأوصاف العبودية النظر اليها وملاحظتها أي ملاحظة كونها له فهي التي ينبغي أن يتصف بها العبد حقيقة لا بأوصاف الربوبية وما وجد فيه من أوصاف الربوبية فهو عارية عنده وليس هو له حقيقة فاذا لاحظ كون الغنى والقدرة والعزة والقوة ليست الا لمولى ولاحظ أن الذي يتصف به العبد حقيقة هو أضدادها وهي

عظيم. فاذا أراد أن يظهره عليك خلق لك الطاعة وحلاك بها ونسبها اليك وقال لك يا عبدي أنت مطيع ومتق ومجتهد وعامل وسأثيبك على ذلك فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم وانطلق لسانه في هذه الحالة بالدعاء والسؤال وقال يا رب كما تفضلت علي بخلق الطاعة لي وحليتني بها ووصفتني بصفات حميدة أنا خلي عنها في الحقيقة ووعدتني مع ذلك جزيل الثواب والنجاة من العقاب فتقبل مني عملي وأنجز لي ما وعدتني كان في ذلك مصيبا والافلا فحق العبد أن لا ينسب الى نفسه شيأ من محامد الصفات ومحاسن الاعمال حقيقة ولا أدبا اذ لا أهلية فيه لذلك وأما مذام الصفات والاعمال ومساويها فمقتضى الادب أن يضيف ذلك الى نفسه وأن يعترف بأن ذلك من ظلمه وجهله * قال سهل بن عبد الله رضي الله تعالى عنه اذا عمل العبد حسنة وقال يا رب أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله تعالى له ذلك وقال له يا عبدي بل أنت أطعت وأنت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله تعالى عنه وقال يا عبدي أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت واذا عمل سيئة وقال يا رب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عبدي بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت واذا قال يا رب أنا ظلمت نفسي وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدي أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت (لانهاية لمذامك ان أرجعك اليك ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك) من أرجعه الحق الى نفسه ووكله الى عقله وخدمته فقد طرده عن بابه وأبعده عن جنابه وكانت أحواله مدخولة معلولة وأعماله مستقبحة مرذولة ومن آواه اليه وأظهر جوده عليه فقد اصطنعه لنفسه ورفعه الى حضرة قدسه وكانت أحواله حسنة جميلة وأعماله كلها ممدوحة مقبولة كما قيل

لما انتهيت الى جمالك تعرفت * ذاتي نصرت أنا والامن أنا

(كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا) التعلق بأوصاف

الفقر والعجز والذل والضعف أمده الله تعالى بأوصافه فيكون غنيا بالله قادرا بالله عالما بالله عزيزا بالله
قويا بالله كما سيأتي في قوله تحقق باوصافك يمدك بأوصافه ثم علل ذلك بقوله (منعك أن تدعي
ماليس لك) أي حرم عليك أن تدعي شيأ ليس لك (مما) أعطى

الربوبية أن تشهد وجودك ولوازم وجودك لا شيء من جميع ذلك لك ولا منك وانما
هي عوار عندك فلا ترى وجودك الا بوجوده ولا بقاءك الا ببقائه ولا عزتك الا
بعزته ولا قدرتك الا بقدرته ولا غناك الا بغناه الى غير ذلك من الاوصاف ولا يتم
لك ذلك الا بأن تحقق بأوصاف عبوديتك من عدمك وفقرك وذلك وعجزك
والتعلق والتحقق المذكوران متلازمان بل هما شيء واحد لا تعدد فيهما على
التحقيق (منعك أن تدعي ماليس لك مما للمخلوقين أفيبيح لك أن تدعي وصفه
وهو رب العالمين) أورد هذا كالدليل على ماذكره آنفا من أنه لا حظ للعبد من
صفات مولاه الا التعلق بها فقط وان ادعاء شيء منها من كبائر معاصي القلب ومن
مشاركة المربوب للرب ومن مقتضى الغيرة التي اتصف بها وأعلمنا بشأنها على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا أحد أغير من الله تعالى ومن غيرته أنه حرم
الفواحش ماظهر منها ومابطن تحريم ذلك على العبد والتسجيل عليه باستحقاق
الطرد والبعد ومن أفحش الفواحش عند العارفين وجود شيء من الشركة في قلب
العبد بادعاء شيء من أوصاف الربوبية لنفسه عقدا أو قولا لان ذلك منازعة له
وتكبر عليه وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الله عزوجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدة منهما
ألقيته في النار ومعنى المنازعة الدعوى قولا وعبارة والاضمار فعلا واشارة ومعنى
الغيرة في حقه تعالى انه لا يرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من صفات الربوبية
وفيما هو حق له من الاعمال الدينية واذا كان الحق تعالى مانعا لك ومحرما عليك
أن تدعي ماليس لك مما أعطى المخلوقين من الاموال ومسميا ذلك ظلما وعدوانا
فكيف يبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين لا شريك له في ذلك لا أنت ولا
غيرك فهو اذا من أعظم الظلم وأشد العدوان عافانا الله من ذلك (قلت) وهذا
المعنى الذي ضمنه المؤلف رحمه الله تعالى هذه المسئلة هو الغرض الاقصى الذي هو
مرمى نظر الصوفية وكل ماصنفوه ودونوه وأمروا به ونهوا عنه من أفعال وأقوال
وأحوال انما هي وسائل الى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف فشأنهم أبدا انما
هو العمل على موت نفوسهم واسقاط حظوظها بالكلية كما قيل الصوفي دمه هدر
وملكه مباح وليس ذلك هو المقصود لهم بالذات وانما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه
من انفراد الله تعالى عندهم بالوجود ولوازم الوجود انفرادا لا يشاركونه في شيء منها

(المخلوقين) من الاموال وسماه تعالى عدوانا وظلما (افيبيح لك) سبحانه (أن تدعي وصفه وهو رب العالمين) أي فيكون ادعاؤك ذلك من أعظم الظلم وأشد العدوان فاذا ادعيت أنك غني أو قادر أو عزيز أو قوي أو عالم كما يقع لبعض الناس كان ذلك من كبائر معاصي القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن أفحش الفواحش عند العارفين وجود شيء من الشركة في قلب العبد بادعاء شيء من أوصاف الربوبية لنفسه اعتقادا أو قولا

لان ذلك منازعة له وتكبر عليه وفي الحديث الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني البيته
واحدة منهما ألقيته في النار وفي رواية قصمته ومعنى المنازعة الدعوى بالعبارة
أو الاعتقاد واضافة هذين الوصفين له تعالى كناية عن شدة الاختصاص بهما

البتة كما ذكرنا آنفا وهذا هو كيمياء السعادة الذى أعوز أكثر الناس ولم يحظوا منه الا بالافلاس اذبذلك يستحق المرء عبودية الله عز وجل الذى لا مقام للعبد أشرف منه كما قال الشاعر

ألست لى خلقتنى كنى شرفا * فاوراءك لى قصد ومطلوب

ولهذا المعنى كانت عندهم دقائق خطرات الحظوظ وخفيات هواجس الهوى وكل ما يقتضى بقاء حظ النفس وثبوتها من محبة المقامات وايثار الالطاف والكرامات ذنوبا عظيمة وأخلاقا ذميمة لئيمة قادحة فى صدق العبودية والاخلاص للربوبية يتوبون من جميع ذلك الى ربهم ويتعوّذون به من شرهم ويخافون من مساكنته وملاحظته غاية البعد ونهاية المكر والطرد كما قيل

اذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

ذكر انه كان لبعض الملوك عبد يقدمه على أشكاله وأقرانه فشكا أهل اقليم عاملهم الى الملك فقال تخيروا من شئتم أوليه عليكم فاختار واذلك العبد لما رأوا ميل الملك اليه فقال الملك راجعوه فان اختار الولاية وليته عليكم فرغب الغلام فى الولاية فأمر بكتب المنشور وأمر باستقباله اذا وافى محل ولايته والمبالغة فى الطافه بأنواع المكرمات والمبار ودس من يرش عليه ماء ورد فيه سم ثم أمر من يقول اذا أشرف على الموت هذا جزاء من اختار الولاية على خدمة مولاه ففى هذا عبرة لاولى الابصار وتبصرة لارباب الاعتبار والى هذا المعنى الجليل المؤدى الى سواء السبيل تشير الحكاية المشهورة المروية عن أبى يزيد البسطامى رضى الله تعالى عنه حدث يحيى بن معاذ رضى الله تعالى عنه أنه رآه فى بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيهما مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء والمشى فى الهواء فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طى الارض فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الارض فانقلبت لهم الاعيان فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم عبدك خضرا فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت الىّ فرآنى فقال يحيى قلت نعم يا سيدى قال مذ متى أنت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدى حدّثنى بشئ فقال أحدثك بشئ يصلح لك أدخلنى فى الفلك الاسفل فدوّرنى فى الملكوت السفلى فأرانى الارضين وما تحتها الى الثرى ثم أدخلنى فى الفلك العلوى فطوّف بى فى السموات وأرانى ما فيها من الجنات الى العرش ثم أوقفنى بين يديه فقال سلنى أى شئ رأيت حتى أهبه لك

فقلت يا سيدي ما رأيت شيأ استحسنته فاسألك اياه فقال أنت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لأفعلن بك ولأفعلن بك وذكر أشياء فقال يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لم تسأله المعرفة به اذ قال لك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال ويلك اسكت ويلك غيرة عليه مني لا أحب أن يعرفه سواه قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه بعد أن ذكر هذه الحكاية فهذا حال عبد فان عن نفسه مأخوذ اذ كان ربه عز وجل له موجدا طالع مقامه في المقامات فقصرت عن وصفه الصفات وحق له اذا نظر الى الحسن الذي حسنت المحاسن كلها عن حسنه وشانت الزينات جميعها بعد النظر الى زينته وشهد الجمال الذي تجمل الجمال والمتجملون بجماله أن لا يستحسن سواه وكيف يحب غير ما استحسن أو تزين في عينه الا اياه أم كيف يطلب غير ما أحب أو يصبر مع غير ما طلب بل كيف يهتم بغير ما طلب فهذا نعت عبد مطلوب بعين ما طالب ووصف شخص محبوب بعين ما أحب الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس انتهى وفي الاشارات عن الله سبحانه يا عبدي اعزل نفسك يعزل معها الملك والملكوت فتلحق الدارين بالملك وتلحق العلوم بالملكوت فتكون عندي من وراء ما أبدي فلا يستطيعك ما أبدي لأنك عبدي واذا كنت عندي كنت عبدي حقا واذا كنت عبدي كان عليك نوري فلا يستطيعك ما أبدي وان أرسلته اليك لأن نوري عليك وليس نوري عليها فاذا جاءك لم يطقك فأوذنك به فتأذن أنت له والعبارات عنهم في هذا المعنى خارجة عن الحصر وفيما رسمناه منها كفاية وانما ذكرناه هذه المعاني وان كانت في الظاهر اعلى من أن يتناولها كلام المؤلف رحمه الله تعالى لان مرجع أمره اليها اذا وقفنا في النظر وتصرفنا فيه بوجوه العبر فكان باطنه هو المقصود المعتبر وكلام الصوفية رضي الله عنهم كثيرا ما يجري هذا المجرى والله تعالى يجزيهم عنا خيرا ويمن علينا بالفهم عنهم وحسن القبول منهم ويفتح أسماعنا لاصغاء اليهم ويشرح صدورنا باستحسان ما يرد منهم أو يبدو عنهم بمنه وفضله

* كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد) خرق العوائد بانكشاف عالم القدرة لا يكرم الحق تعالى به الا من خرق عوائد نفسه وفني عن ارادته وحظوظه فمن لم يصل الى هذه المقامات لا يطمع فيها وان ظهر له ما صورته صورة الكرامة فينبغي له أن يخاف عند ذلك من الاستدراج والمكر حيث لا يحب ذلك ولا يطلبه فان أحبه أو طلبه فهو دليل على بقائه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوائد لمن هذه صفته على سبيل الكرامة ودل هذا الاجمال لا يستقيم قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه وجميع الانوار من الغيوب التي وراء الحجب والاستار لا يظهر عليها الا مطلوب

والمطلوب

(كيف تخرق لك) أيها المريد أي تطمع أن تخرق لك (العوائد) بأن تظهر على يديك كرامات كطي الارض (وأنت لم تخرق من نفسك العوائد) أي ما اعتدته من الكبر والعجب والدعوى وغير ذلك فخرق العوائد بظهور شيء من عالم القدرة لا يكرم الله به الا من خرق عوائد نفسه وفني عن ارادته وحظوظه ومن لم يصل الى هذا المقام لا يطمع فيها فان ظهر له ما صورته كرامة فينبغي له أن يخاف من الاستدراج والمكر ولا يحب ذلك ولا يطلبه فان أحبه أو طلبه كان ذلك دليلا على بقائه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوائد لمن هذه صفته على سبيل الكرامة

والمطلوب لا يكون الا محجوبا وهو عن نفسه مسلوب فتى بقيت عليه من نفسه بقية ونظر الى حركته وسكونه بعينه نظرة خفية فيسترها عليه رحمة له لانه لو كوشف بها لهلك فى حيرة الهوى وغرق فى بحار الدنيا ونفس حبه وعين طلبه اياها هو حجابه عنها واستتارها عنه حتى يكون كارها الظهورها كراهيته ظهور الخلق على معصيته وخائفا منها لخوفه على نفسه فى تظاهرها عليه بهلكته فهناك حين يبتلى بها ويختبر ليظهر كيف يعمل وكذا الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه قال من لم يكن كارها الظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصى فهو فى حقه حجاب وسترها عليه رحمة فاذا من خرق عوائد نفسه لا يريد ظهور شئ من الآيات وخوارق العادات له بل تكون نفسه عنده أذل وأحقر من ذلك فاذا فنى عن ارادته جملة فكان له تحقق فى رؤية نفسه بعين الحقارة والذلة حصلت له أهلية ورود الالطاف ووجود الاسعاف وسلك الى مرتبة الصديقية المهيع الناهج وضرب مع أهل الارادة بالقدح الفالج قال الشيخ أبو العباس بن العريف أصبحت يوما مهموما فقلت للشيخ أبى القاسم بن رويبل حدثنى بحكاية عسى الله أن يفرج مابى فقال نعم وصف لى رجل ببعض السواحل يعرف بأبى الخيار فقصدته فوجدته على ساحل البحر فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم أكلمه حتى اذا كان وقت الصلاة أقبل نفر من بعض الاودية متفرقون فاجتمعوا اليه وتقدمهم واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم أحد منهم أحدا وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى اذا كان وقت الصلاة حضر النفر فصلوا ثم انصرفوا حتى اذا كان وقت العصر اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك وتذاكروا سير الصالحين ومقامات العارفين والاولياء الى قريب الاصفرار ثم تفرقوا واجتمعوا للمغرب ثم تفرقوا فجلست عندهم ثلاثة أيام وهم على ذلك ثم وقع فى نفسى أن أسأله عن مسئلة أستفيدها فتقدمت اليه فقلت أيها الشيخ مسئلة أسأل عنها فقال قل فنظر الجماعة الى كالمنكرين ففزعت فقلت أيها الشيخ متى يعلم المريد انه مريد فأعرض عنى ولم يجبنى فخفت أن أكون قد أغضبته فقمت عنه فلما كان فى اليوم الثانى قلت لابد أن أسأله عن المسئلة وعزمت على ذلك فتقدمت اليه وقلت له أيها الشيخ متى يعلم المريد أنه مريد فأعرض عنى كالاولى ولم يجاوبنى فقمت وعدت فى الثالثة وسألته عن المسئلة بعينها فاجتمع وقال لا تقل هكذا أظنك تريد أن تسأل عن أول قدم يضعه المريد فى الارادة فقلت نعم قال لى اذا اجتمع فيه أربع خصال أحدها أن تطوى له الارض وتكون عنده كقدم واحد وأن يمشى على الماء وأن يأكل من الكون متى أراد وأن لا ترد له دعوة فعند ذلك يضع أول قدمه فى الارادة وأما متى ما علم المريد عندنا أنه مريد سقط من حد

الارادة قال الشيخ أبو العباس بن العريف رضي الله عنه فصحت صيحة كادت نفسي تذهب معها ثم قلت له آيستنا من الارادة يا أبا القاسم وتعجبت من علو همة هذا الشيخ انتهى واعلم انه أول ما يخرق له من للعادة تسميته باسم المريد مع كونه مسلوب الارادة وما أحسن ما قال الشاعر

تكون مريدا ثم فيك ارادة * اذا لم ترد شيأ فأنت مريد

والتحقيق في هذا أن من تمحضت ارادته لعبودية الله عز وجل بمراعاة حقوقه لاجل ما وجب عليه من ذلك لا يتوصل به الى نيل حظ ما هو الذي يسمى مريدا فلم يسم بذلك الا انه متصف بالارادة الحقيقية المتعلقة بأشرف المطالب ونهاية الآمال والمآرب وذلك أمر وجودي يصح أن يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الامر الا انه سمى بذلك لاجل ما سلب عنه من الارادة المجازية المتعلقة بحظوظه لكن لما كان سلب احداهما يقتضي وجود الاخرى كاقتضاء الواجب صح لذلك الشاعر أن يطلق اسم الارادة على من سلبت منه ويحجزه عمن وجدت فيه رشاقة وملاحة ونعمة وبهذا تبين لك صحة كلام أبي يزيد رضي الله عنه واستقامته حيث قيل له ما تريد فقال أريد أن لا أريد وأنه ليس بمختل ولا متناقض كما توهم بعضهم (قال) في التنوير واعلم أنه قد قال بعضهم ان أبا يزيد لما أراد أن لا يريد فقد أراد وهذا قول من لا معرفة عنده وذلك أن أبا يزيد رضي الله عنه انما أراد أن لا يريد لان الله تعالى اختار له وللعباد أجمع عدم الارادة معه فهو لا يختار معه شيأ ولا يريده فهو في ارادته أن لا يريد موافق لارادة الله له ولذلك قال الشيخ أبو الحسن فكل مختارات الشرع ومرتباته هو مختار الله ليس لك منه شئ فاسمع وأطع وهذا موضع الفقه الرباني والعلم اللدني وهو أرض تنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله قال فأبان الشيخ بهذا الكلام أن كل مختار الشرع لا يناقض اختياره مقام العبودية المبنى على ترك الاختيار لئلا ينخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك فيظن أن الوظائف والارادات ورواتب السنن اراداتها يخرج بها العبد عن صريح العبودية لانه قد اختار فبين الشيخ ان كل مختارات الشرع ومرتباته ليس لك منه شئ وانما أنت مخاطب أن تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها الا عن تدبير الله تعالى ورسوله لك فافهم قال فقد علمت اذا ان أبا يزيد ما أراد أن لا يريد الا لان الله أراد منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضاة منه انتهى وقد طال بنا الكلام في هذا المعنى حتى آل الى بعد المناسبة بينه وبين المسئلة المنبه عليها من الكتاب والحديث شجون يجر بعضه الى بعض لكن لما كان قصدنا في هذا التنبيه اغتنام ذكر الفوائد في مواضعها ومظانها التفرع مسائل هذا الفن الغريب أسماع من أراد الله تعالى توفيقه ممن بينه وبينه بعد المشرقين صح منا ذلك وكنا سائرين فيها على أوضح المسالك

وبالله

(ما الشأن وجود الطلب) أى الدعاء بلسان المقال أى ليس الشأن المعتبر عند المحققين أن تطلب حوائجك وحظوظك من مولاك دون غيره ظانا ان طلبك ذلك منه دون غيره يوفى بما يجب عليك فى الدعاء من الادب فان ذلك لا يوفى به (انما الشأن ان ترزق حسن الادب) أى انما الشأن المعتبر عند المحققين أن تطلب جميع مطالبك منه دون غيره لا لقصد نيل حظك ومرادك فقط بل ان تطلب ذلك منه اظهارا للعبودية وقياما بحقوق الربوبية فبذلك يحسن أدبك ويصح سؤالك وطلبك وذلك هو الوفاء على التحقيق بحق الادب فى الدعاء ويحتمل أن يراد بالطلب الطلب بالقلب وتوجهه لشئ من الاغراض أى ليس *(١٤٣)* الشأن ان تطلب شيأ من مولاك بقلبك مما لك فيه حظ سواء صاحبه طلب باللسان أولا بل الشأن أن ترزق حسن الادب وهو ترك الطلب اكتفاء بنظره اليك فالادب الحسن فى الدعاء على الوجه الاول ان يدعو اظهارا للعبودية وقياما بحق الربوبية لا لنيل حظ نفسه فقط وعلى الوجه الثانى ترك الدعاء والطلب اعتمادا على قسمته واكتفاء بمشيئته واشتغالا بذكره عن مسئلته (ما طلب لك) بالبناء للفاعل وهو (شئ مثل الاضطرار) أى ان أحسن الطالبين لك هو الاضطرار فشبهه بشخص طالب والاضطرار اظهار غاية الفاقة فلا تتوهم من نفسك شيأ من الحول والقوة ولا ترى لها سببا من الاسباب تعتمد عليه أو تستند اليه وتكون بمنزلة الغريق فى البحر أو الضال فى التيه القفر لا ترى لغناك الا مولاك ولا ترجى النجاة من هلكتك الا منه ويحتمل بناء طلب للمفعول والنائب قوله شئ أى ان اضطرار العبد هو أقصى أوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شئ أجل منه وقوله (ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار) من عطف اللازم على الملزوم لان الذلة والافتقار لازمان للمضطر وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى الى العبد المتصف بهما واليه الاشارة بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فذلتهم أوجبت لهم عزتهم ونصرتهم

وبالله تعالى التوفيق (ما الشأن وجود الطلب انما الشأن أن ترزق حسن الادب) اذا التزم العبد طلب حوائجه وحظوظه من مولاه ولم يطلب ذلك من غيره فلا يظن انه وفى بما يجب عليه من حق الربوبية وليس ذلك بالشأن المعتبر عند المحققين وانما الشأن أن يتأدب العبد بين يدى مولاه أدبا حسنا بأن يفوض أمره اليه ويرضى بما قسم له ولا يطلب منه ما ليس له كما سيقول المؤلف رحمه الله بعد هذا ويطلب عبودية منه لا لقصد نيل حظه فبهذين الوجهين يحسن أدبه ويصح سؤاله وطلبه وذلك هو الوفاء على التحقيق (ما طلب لك شئ مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار) اضطرار العبد هو أخص أوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شئ أجل منه قال أبو محمد عبد الله بن منازل رضى الله عنه العبودية الرجوع فى كل شئ الى الله عز وجل على حد الاضطرار وفيه أيضا خاصية اجابة الدعاء قال الله عز وجل أمن يجيب المضطر اذا دعاه والاضطرار المطلوب منه أن لا يتوهم العبد من نفسه شيأ من الحول والقوة ولا يرى لنفسه سببا من الاسباب يعتمد عليه أو يستند اليه ويكون بمنزلة الغريق فى البحر أو الضال فى التيه القفر لا يرى لغياثه الا مولاه ولا يرجو نجاته من هلكته أحدا سواه وقال بعض العارفين المضطر الذى يقف بين يدى مولاه فيرفع يديه اليه بالمسئلة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيأ فيقول هب لى يا مولاى بلا شئ والذلة والافتقار أمران لازمان له وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى الى العبد المتصف

(لو نك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك) اى عيوب نفسك ومنها شهوة الوصول اليه (ومحو دعاويك)
أى نسبة مالا تستحقه اليك كالقوة والعزة والغنى والقدرة وفناء ذلك ومحوه بالرياضات والمجاهدات
أى لا تعتقد انك لا تصل اليه الا بعد فناء ذلك برياضتك ومجاهدتك فان اعتقدت ذلك (لم تصل اليه
أبدا) لان ذلك من الاوصاف الذاتية الجبلية التى لا ينفك عنها العبد وحينئذ فالوصول منه من الله
عليك لا بكسبك كما أشار الى ذلك بقوله *(١٤٤)* (ولكن اذا أراد أن يوصلك اليه) أى
الى حضرة قربه (غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته) أى ستر عنك أوصافك وأظهر عليك أوصافه فأفناك عنك وأبقاك به أى غيب صفاتك الدنيئة باظهار صفاته العلية عليك والى ذلك الاشارة بقوله فى الحديث القدسى ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها (فوصلك اليه
بما منه اليك) وهو اظهار صفاته عليك (لا بما منك اليه) من الاجتهاد فى الاعمال تدبيراته
قال الشاذلى قدس سره لن يصل الولى الى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار
من اختياراته فلو خلى الله تعالى عبده وذلك لم يصل اليه أبدا ولكن اذا أراد الله أن يوصل عبده اليه
تولى ذلك له بأن يظهر له من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب صفات عبده ونعوته عنه وعند
ذلك لا يكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره مولاه وأراده اهـ

بهما واليه الاشارة بقوله عز من قائل ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فذلتهم
أوجبت لهم عزتهم ونصرتهم كما قيل

واذا تذللت الرقاب تقربا * منها اليك فعزها فى ذلها

(وقيل)

حيث أسلمتنى الى الذال والا * م تلقيتنى بعين وزاى

قال فى لطائف المنن والجالب للتوفيق وعلامة صدق الرجعى الى الله فى أول كل فعل
وترك تحقيق الفقر والفاقة اليه والانغماس فى بحر الذلة والمسكنة بين يديه
واستصحاب ذلك الى الفراغ من ذلك أبدا وقد قال الله سبحانه ولقد نصركم الله ببدر
وأنتم أذلة وقال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فلا تدخل جنة عملك
وعلمك وما أعطيت من نور وفتح فتقول كما قال من خذل فأخبر الله عنه بقوله ودخل
جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ولكن ادخلها كما بين لك وقل
كما رضى لك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله وافهم ههنا قوله صلى
الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفى رواية أخرى كنز من
كنوز تحت العرش فالترجمة ظاهر الكنز والمكنوز فيها صدق التبرى من الحول
والقوة والرجوع الى حول الله تعالى وقوته * لو أنك لا تصل اليه الا بعد فناء
مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه أبدا ولكن اذا أراد أن يوصلك اليه غطى
وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك اليه بما منه اليك لا بما منك اليه) الوصول
الى الله تعالى لا يكون الا بمحو صفات النفس وقطع علاقات القلب وشىء من ذلك
لا يتصور من العبد من حيث هو لان ذلك طبعه وجبلته ولو لم يكن الا ارادته وعمله
فى تحصيل هذا الغرض بنفسه فهما من جملة المساوى والدعاوى المحتاج الى محوها
قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه لن يصل الولى الى الله حتى تنقطع عنه
شهوة الوصول الى الله تعالى يعنى انقطاع أدب لا انقطاع ملل (وقال سيدى) أبو
الحسن رضى الله عنه ولن يصل الولى الى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من

•(لولا جميل ستره) أي ستره الجميل (لم يكن عمل أهلا للقبول) لان العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهود *(١٤٥)* حوله وقوته عليه وقد يكشف حجابه فيرائي به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص والاخلاص شرط في قبول العمل كما مر وحينئذ فيكون اعتماد المريد في وصوله على فضل الله وكرمه لا على اجتهاده واو قال لولا فضله لكان اهلى (أنت الى حلمه اذا أطعته احوج منك الى حلمه اذا عصيته) وذلك ان المطيع قد يعرض له عند طاعته أحوال كرؤية نفسه والاعجاب والكبر وازدراء الغير واستحقاقه الجزاء الى غير ذلك من كبائر القلوب فيخاف عليه ان تنقلب طاعته معصية والعاصي ربما تحمله معصيته

تدبيرته أو اختيار من اختياراته فلو خلى الله تعالى عبده وذلك لم يصل اليه أبدا ولكن اذا أراد الله تعالى أن يوصل عبده اليه تولى ذلك له بأن يظهر له من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب بذلك صفات عبده ونعوته عنه ويكون ذلك علامة على محبته له كما أشار اليه بقوله في الحديث القدسي فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وعند ذلك لا تكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره له مولاه وأراده فيكون حينئذ واصلا الى الله بما من الله اليه من الفضل والكرم لا بما من العبد اليه من الاجتهاد والعمل فسبحان المتفضل على من شاء بما شاء وقال رضي الله عنه (لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول) العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهود حوله وقوته عليه وهذا لا محيص له عنه الا بما شاء ربه وقد يكشف حجابه فيرائي به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص الحقيقي والاخلاص شرط في قبول العمل كما تقدم (قال) يحيى بن معاذ رضي الله عنه مسكين ابن آدم جسم معيب وقلب معيب يريد أن يخرج من معيبين عمل بلا عيب فعمل العبد لما كان بهذه المثابة لم يكن فيه أهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله تعالى وعظيم حلمه وبره فليعتمد المريد على فضل الله تعالى وكرمه لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه اذا طالبهم بالاخلاص تلاشت أعمالهم واذا تلاشت أعمالهم زاد فقرهم وفاقتهم فتبرؤا عن كل شيء ومن كل شيء لهم ومنهم (أنت الى حلمه اذا أطعته أحوج منك الى حلمه اذا عصيته) شرف العبد ورفعة قدره انما يكون بنظره الى ربه عز وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده عليه ودناءته وخسته وسقوطه من عين الله تعالى انما تكون بنظره الى نفسه واقباله على غيره واستناده الى سواه فالعبد عند عمله بالطاعة معرض لهذه الاخطار من نظره الى نفسه واستعظام عمله وعجبه بطاعته وسكونه الى معاملته وليته يسلم فيه من دقائق الرياء والتصنع بخلاف المعصية في جميع هذه الاشياء فانها تحمله على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا أطاعه أحوج منه الى حلمه اذا عصاه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء قل لعبادي الصديقين لا تغتروا فاني ان أقمت عليهم عدلي وقسطي أعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي الخطائين لا تيأسوا من رحمتي فاني لا يكبر علي ذنب أغفره ولهذا المعنى قال

على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا أطاعه احوج منه الى حلمه اذا عصاه وهذا زيادة تحذير

تن رؤيه استحقاق الوصول بالاعمال فان ذلك غلط وجهل (الستر على قسمين ستر عن المعصية) بأن يمنعه عنها ولا يهيئ له أسبابها (وستر فيها) أى مع فعلها بأن لا يظهرها للناس حال فعلها أو بعده (فالعامة) لعدم تحققهم بحقائق الايمان يغلب عليهم شهود الخلق و يتوقعون منهم حصول المنافع ودفع المضار فيراؤنهم ويتصنعون لهم و يتزينون و يطمعون فيهم و يتملقون بين أيديهم و يكرهون أن يطلعوا منهم على ما تسقط به منزلتهم من قلوبهم ولذا (يطلبون من الله تعالى الستر) أى ان يستر عليهم (فيها) أى فى المعصية أى فى حال كونهم عاملين لها ومستخفين بها ومحبين لها وانما طلبوا ذلك (خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق) اذا اطلعوا على حالهم *(١٤٦)* فيفوتهم ما كانوا يتوقعون منهم من حصول المنافع ودفع المضار وهؤلاء هم الذين يعتمدون على غير الله وهم أهل الشرك الخفى الذى يخرج صاحبه من حقائق الايمان وفى مثلهم قال الله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم (والخاصة) لتحققهم بحقائق الايمان برآء من هذا الوصف الذميم لا يلتفتون

أبو يزيد رضى الله عنه توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة ألف توبة ﴿ الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون من الله تعالى الستر فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق﴾ العامة يغلب عليهم شهود الخلق والتصنع والتزين لهم ومحبة حمدهم وكراهية ذمهم فهم يعملون المعصية و يستخفون بها و يطلبون الستر من الله عليهم فيها أى فى حال كونهم عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطوا من أعينهم وفى أمثالهم قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فى هذه الآية الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون ان الحق مطلع عليهم أولئك الذين وسم الله قلوبهم بوسم الفرقة روى عدى بن حاتم رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يؤمر يوم القيامة بناس من الناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها ونظروا اليها واستنشقوا ريحها وما أعد الله لاهلها نودوا أن اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لاوليائك كان أهون علينا قال ذلك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى وركنتم الى الناس ولم تركنوا الىّ فاليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب وفى بعض الكتب المنزلة

الى الخلق مدحا ولا ذما ولا يتوقعون منهم نفعا ولا ضرا ولا يعتمدون عليهم ولا يسكنون اليهم ان وحالهم انما هو القناعة بنظر الله اليهم (يطلبون من الله الستر عنها) بأن يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها نفوسهم و يعملونها وانما طلبوا ذلك (خشية سقوطهم من نظر الملك الحق) بمقته والتعرض لسخطه وشتان ما بين هذين الحالين وهذا هو الغالب من حال الفريقين وقد تطلب العامة الستر فيها امتثالا لامر الله و رسوله بالستر لمن ابتلى بشئ منها ولا يكون عندهم استخفاف بها ولا محبة لها وتطلب الخاصة الستر فيما وقع منهم بأن لا يفضحهم بين خلقه ولا بين يديه لحياهم من وقوع المعصية منهم ولاساءة الناس ظنهم بالمنسوبين الى الله اذا اطلعوا عليهم

(من أكرمك) أى أقبل عليك باعطاء أو محبة أو شكر (انما أكرم فيك جميل ستره) أى ستره الجميل عليك فلولا وجوده ما أقبلوا عليك ولا أحبوك ولا نظروا اليك بعين الرضا اذ لو اطلعوا على ما أنت عليه لاستقذروك ونفروا عنك وحينئذ (فالحمد) لا ينبغى أن يكون الا (لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك) فلا تحمده الا من حيث اجراء الخير على يديه لا من حيث

ان لم تعلموا انى أراكم فالخلل فى ايمانكم وان علمتم انى أراكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين اليكم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور هو الرجل تمر به المرأة فى القوم فيريهم انه يغض بصره عنها ويود انه يطلع على عورتها ويقدر عليها وقال فى رواية أخرى هو الرجل يكون فى القوم فتمر بهم المرأة فيريهم انه يغض بصره عنها فاذا رأى من القوم غفلة لحظ اليها ونظر فاذا خاف أن يفطنوا غض بصره عنها فقد اطلع الله عز وجل على قلبه انه يود لو نظر الى عورتها وهذا كله شأن المرائين الذين يستخفون بنظر الجبار ويهابون الناس أن يطلعوا عليهم فيما يرتكبونه من الاوزار والخاصة من أهل الايمان واليقين برآء من هذا الوصف الذميم لا التفات لهم الى الخلق مدحا ولا ذما وهمتهم مصروفة عن النظر اليهم والاعتماد عليهم فى نفع أو دفع ضر وحالهم انما هو القناعة بعلم الله تعالى ومراقبة نظره فهم يطلبون الستر من الله عنها فى أن يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها أنفسهم فيعملون بها فيقعون فى مخالفة ربهم والتعرض لسخطه والسقوط من عينه وشتان ما بين الحالين والى هذا المعنى أشار سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى دعائه بقوله اللهم انا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها ومن التفكر فى طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها ✻من أكرمك انما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك) العبد محل الآفات والعيوب وستر الله الجميل هو الذى يحبب الناس الى الناس فاذا أكرمك أحد فلا يذهبن ذلك بك الى أن ترى لنفسك وصفا محمودا تستحق به الاكرام فتكون جاهلا بنفسك ولا يحملنك أيثار رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم بحالك على أن تحمدهم عليه دون ربك الذى اضطرهم الى اكرامك وستر عنهم عيوبك وأظهر لهم محاسنك فتكون بذلك كافرا بنعمة ربك ظالما بوضع الحمد فى غير موضعه ✻ما صحبك الا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك الكريم خير من تصحب من يطلبك لا لشئ يعود منك اليه) الصاحب على الحقيقة هو من بذل احسانه اليك وأسبغ نعمه عليك

انه المكرم والمعظم حقيقة اذ ليس ذلك الا الله فمن أقبل الناس عليه وأكرموه فقد يغلط فيضع الحمد والثناء فى غير موضعه فيكون من الظالمين وقد يغلط فيرى لنفسه وصفا محمودا يستحق به الاكرام فيكون من الجاهلين بأنفسهم الناظرين الى عملهم الغافلين عن منة الله عليهم فحذره المصنف من هاتين الغلطتين (ما صحبك) أى ليس الصاحب الحقيقى (الا من صحبك) أى أقبل عليك باحسانه (وهو

بعيبك عليم) أى لم يمنعه من صحبته لك واقباله عليك ما يعلمه من تفاصيل عيوبك (وليس ذلك الا مولاك الكريم) وكذا من تخلق بأخلاقه من السادة الصوفية العارفين بالله تعالى اما الذى يصحبك مع جهله بها فليس بصاحب حقيقة لانه لا يثبت عند ظهورها له وان عزم على ذلك فليس فى مقدوره الصبر ٣

٣ عليه وان صبر فلابد من تأثر يلحقه من ذلك (خير من تصحب من يطلبك) أي يريدك ويؤثرك على غيرك ويعتني بك (لا لشيء يعود منك اليه) أي وليس ذلك الا مولاك أو من تخلق بأخلاقه اما من يصحبك لغرض لك معه ونفعك له فليس بصاحب حقيقة لان قصده مجرد قضاء حوائجه منك فاذا زال غرضه فارقك (لو أشرق لك نور اليقين) أي العلم بالله وبما وعد به على لسان نبيه أي لو كثر واضاء ذلك النور في قلبك (لرأيت الآخرة) في تلك الحالة (أقرب اليك من) نفسها في حالة (أن ترحل اليها) أي في حال ارتحالك اليها وحلولك فيها (ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء) أي الفناء الشبيه بالكسفة بفتح الكاف أي الكسوف والتغير أو كسرها وهي القطعة من الشيء التي يغطى بها الاناء فلا تلتفت اليه النفس ولا تنظر ما فيه (عليها) وذلك ان نور اليقين تتراءى به حقائق الامور على ما هي عليه فاذا أشرق في قلب العبد رأى به الحق حقا والباطل باطلا * (١٤٨) * والآخرة حق والدنيا باطل فيبصر الآخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه حتى كأنها لم تزل فكانت أقرب اليه من أن يرتحل فيقبل عليها بالتهيؤ والاستعداد لها ويبصر الدنيا الحاضر لديه قد انكسف نورها وأسرع اليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد أن كانت حاضرة فظهر له وبطلانها حتى كأنها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقيني الزهد فيها والتجافي عن زهرتها والاقبال على الآخرة والتهيؤ لنزول حضرتها ووجدان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل له يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وعند ذلك تموت شهواته وتذهب دواعي نفسه فلا تأمره الا بخير ولا تطالبه بارتكاب منهي ولا تكون له همة الا المسارعة الى الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات والاوقات وذلك لاستشعاره في كل حين بحلول الاجل وفوات صلاح الامل

ولم يمنعه من ذلك ما علمه من عيوبك التي يكرهها منك وليس ذلك الا مولاك وخير صاحب لك أيضا من اعتنى بك وآثرك واردك من غير منفعة يأملها منك وليس ذلك أيضا الا مولاك فاتخذه صاحبا ودع الناس جانبا (لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها) نور اليقين تتراءى به حقائق الامور على ما هي عليه فيحق به الحق ويبطل به الباطل والآخرة حق والدنيا باطل فاذا أشرق نور اليقين في قلب العبد أبصر به الآخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه حتى كأنها لم تزل فكانت أقرب اليه من أن يرحل اليها فحقق بذلك حقها عنده وأبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها وأسرع اليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد ان كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى كأنها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقيني الزهادة في الدنيا والتجافي عن زهرتها والاقبال على الآخرة والتهيؤ لنزول حضرتها ووجدان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله أو كما قال صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهواته وتذهب دواعي نفسه فلا تأمره بسوء ولا تطالبه بارتكاب منهي ولا يكون همه الا المسارعة الى الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات والاوقات وذلك لاستشعاره حلول الاجل وفوات صالح العمل والى هذا المعنى الاشارة بحديثي حارثة ومعاذ رضي الله عنهما ما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله

عليه وسلم يمشي اذ استقبله شاب من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا حارثة فقال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزا وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها فقال أبصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه قال يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي يوما في الخيل يا خيل الله اركبي فكان أول فارس ركب وأول فارس استشهد فبلغ أمه ذلك فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله أخبرني عن ابني حارثة فان يك في الجنة فلن أبكي ولن أجزع وان يك غير ذلك بكيت ما عشت في الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة في جنان وحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وروى أنس أيضا أن معاذ بن جبل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له كيف أصبحت يا معاذ قال أصبحت بالله مؤمنا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول قال يا نبي الله ما أصبحت صباحا قط الا ظننت أن لا أمسي وما أمسيت مساء قط الا ظننت أن لا أصبح ولا خطوت خطوة قط الا ظننت أن لا أتبعها أخرى وكأني أنظر الى كل أمة جاثية تدعى الى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكأني أنظر الى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم فهذان الرجلان الفاضلان حارثة بن سراقة ومعاذ بن جبل الانصاريان رضي الله تعالى عنهما لما أشرق عليهما نور اليقين وتمكن من قلوبهما أي تمكين صدر منهما ما صدر مما ذكراه من فنون العبر وشاهدا أمر الدارين بمنزلة رأي العين فسلمت أعمالهما من العيوب والآفات وحفظا من الهفوات والسيآت وطهرت منهما الاسرار والقلوب وسارعا في كل أمر محبوب وطارت أرواحهما اشتياقا الى لقاء الواحد الفرد وطابت أنفسهما بالموت حتى صار عندهما أحلى من الشهد حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار التابعين وأئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين

ولقد أجاب معبر عن حالهم * فاسمع مقال الاصادقا مقبولا
ان الألى ماتوا على دين الهدى * وجدوا المنية منهلا معسولا

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه ان حرام بن ملحان رضي الله عنه وهو خال أنس طعن يوم بئر معونة في رأسه فتلقى دمه بكفه ثم نضحه على رأسه ووجهه وقال فزت ورب الكعبة وكان جبار بن سلمى فيمن حضر بئر معونة مع عامر بن الطفيل ثم أسلم بعد ذلك فكان يقول مما دعاني الى الاسلام أني طعنت رجلا منهم فسمعته

يقول فزت والله قال فقلت في نفسي والله ما فاز أليس قد قاتله حتى سألت بعد ذلك
عن قوله فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر الله المطعون ههنا والله أعلم هو عامر بن فهيرة
رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الامراء الثلاثة يوم مؤتة
أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب
ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير امرة ففتح الله عليه أظنه قال صلى الله عليه وسلم
والله ما يسرنا أنهم عندنا أو قال ما يسرهم أنهم عندنا وعيناه تذرفان دموعا فلله
درهم لقد حازوا مرتبة شريفة ومنزلة عالية منيفة وتبا لامثالنا الذين عميت بصائرهم
وأظلمت سرائرهم فحجبت عنا شموس المعارف ووقعنا في أودية المهالك والمتالف
وغرتنا بهذه الدار الغرارة افتنانه السحارة فقد نشبت مخالبنا بشباكها وارتبكنا
في مصايدها وأشراكها من غير شعور منا بحال الهاوية ويرمحال المسافة كنا في قصدنا
اليها وتعويلنا عليها بمنزلة ظمآن لاح له سراب حسبه ماء فلما جاءه لم يجد فيه
هناء ولا غناء ثم مع هذا كله ننتسب الى الدين وندعى كمال المعرفة واليقين
والدخول في بحار أولياء الله المتقين مع أن أحدنا لو خير بين حلول الحين أو البقاء في
الدنيا معلقا بأشفار العين لاختار البقاء فيها على هذه الحال مع كونه لا يحدث نفسه
في طاعة بازدياد ولا عن معصية بانتقال وهذه كلها أخلاق يهودية لا تليق بمن
ينتسب الى هذه الملة المحمدية قال الله عز وجل مخبرا عن حال اليهود وكاشفا
لاسرارهم وهاتكا لاستارهم ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا
يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون
فلو لم ينبه العاقل عن محبة البقاء في هذه الدار ويأمره بايثار دار القرار الا تشبهه
باليهود الناقضين للعهود المتهاونين بأوامر المعبود لكان ذلك أبلغ ناه وآمر فضلا
عما ورد في ذلك من مواعظ وزواجر نزع الله عن قلوبنا حجاب الغفلة والغرور
وحمانا عن مشابهة كل ظلوم وكفور وحبب الينا لقاءه ورزقنا ما رزق أولياءه
وأصفياءه وأحباءه بمنه وكرمه (ما حجبك عن الله وجود موجود معه ولكن حجبك
عنه توهم موجود معه) تقدم أن لا موجود سوى الله تعالى على التحقيق وان وجود
ما سواه انما هو وهم مجرد فلا حاجب لك عن الله تعالى الا توهم وجود ما سواه لا غير
والتوهمات باطلة فلا حاجب لك عن الله تعالى اذا وقد استوفى المؤلف رحمه الله
تعالى ذكر جميع أنواع الاعتبارات في هذا المعنى قبل هذا قال في لطائف المنن
وأشبه شئ بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظل
لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم واذا
ثبتت ظلية الآثار لم تنسخ أحدية المؤثر لان الشئ انما يشفع بمثله ويضم الى شكله
كذلك أيضا من شهد ظلية الآثار لم تعقه عن الله تعالى فان ظلال الاشجار في

(ما حجبك) أيها المريد المحجوب (عن الله وجود موجود) من الاكوان الدنيوية والاخروية (معه) اذ لا وجود لما سواه على التحقيق (ولكن حجبك عنه توهم وجود معه) أي توهمك أن ما سواه له وجود مع أنه في ذاته عدم محض عند العارفين ووجوده كوجود ظلال الشجر على الماء فانها لا تمنع سير السفن فلا حاجب لك عن الله الا توهم وجود ما سواه لا غير وذلك كرجل بات في دكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هنالك ظنه زئيرا أي صوت أسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم يجد هناك أسدا وانما الريح انضغطت في تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الاسد —

(ولا ظهوره في المكونات) أي تجليه عليها بالوجود (ما وقع عليها وجود ابصار) أي لم توجد واذا لم توجد فلا تبصر فوجودها انما هو بطريق العارية وظهور الحق فيها كظهور الشمس في المكوة ذات الزجاج والا فهي في ذاتها عدم محض لا وجود لها في ذاتها كما تقدم غير مرة ويحتمل ان المعنى ان ظهور الحق تعالى لنا من وراء حجاب المكونات هو الذي أوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا تجليه في هذه المكونات بأن يتجلى التجلي الحقيقي الذي لا خفاء معه لاضمحلت وتلاشت ولم يقع عليها أبصار بدليل قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا والى ذلك أشار بقوله (لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته) *(١٥١)* بل لم يكن هناك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء في الحديث حجابه النور وفي رواية حجابه النار لو كشف عنها لاحرقت سبحات وجهه كل شئ دركه بصره (أظهر كل شئ لانه الباطن) أي ان مقتضى اسمه الباطن ان لا يشاركه في البطون شئ فلذا أظهر الاشياء كلها أي جعلها ظاهرة ولا باطن فيها غيره (وطوى وجود كل شئ لانه الظاهر) أي ان مقتضى اسمه الظاهر أن لا يشاركه في الظهور شئ فلذا طوى وجود كل شئ أي لم يجعل لغيره وجودا من ذاته بل المكونات جميعها عدم محض ولا وجود لها الا من وجوده وحاصله ان من أسمائه تعالى الظاهر الباطن فاسمه الظاهر يقتضي بطون كل شئ حتى لا ظاهر معه فينطوي حينئذ وجود كل شئ واسمه الباطن يقتضي ظهور كل شئ حتى لا باطن معه فيظهر اذ ذاك وجود كل شئ أي بوجوده فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار ولا وجود لغيره الا بطريق التبع عند أرباب البصائر بخلاف غيرهم من المحجوبين (أباح لك) أي أمرك الله تعالى (أن تنظر ما في المكونات) وهو جمال الحق سبحانه أي ان تتصفى بنظرك القلبي حتى تشاهد أنه الموجود في المكونات أي الظاهر فيها (وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات) بان تحتجب بها عنه فلا تشاهده فيها ثم استدل على ذلك وبينه بقوله (قل انظروا ماذا في السموات) فأتى بفي الظرفية المشعرة بأن الاعتبار بالمظروف دون الظرف قال في لطائف المنن فما نصب لك

الانهار لا تعوق السفن عن التسيار ومن ههنا يتبين لك أيضا أن الحجاب ليس أمرا وجوديا بينك وبين الله ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي للزم ان يكون أقرب اليك منه ولا شئ أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجوده وجود معه وذلك كرجل بات في مكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هناك فظنه زئير أسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم يجد هناك أسدا وانما هو الريح انضغط في تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الاسد (لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود أبصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته) ظهور الحق تعالى من وراء حجاب المكونات هو الذي أوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا وجود حجابيتها لم يقع عليها أبصار ولتلاشت لوجود التجلي الحقيقي كما قال لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته بل لم يكن هناك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء في الحديث حجابه النار وفي رواية النور لو كشف عنه الاحرقت سبحات وجهه كل شئ أدركه بصره (أظهر كل شئ لانه الباطن وطوى وجود كل شئ لانه الظاهر) من أسمائه تعالى الظاهر والباطن فاسمه الظاهر يقتضي بطون كل شئ حتى لا ظاهر معه فينطوي حينئذ وجود كل شئ واسمه الباطن يقتضي ظهور كل شئ حتى لا باطن معه فيظهر اذ ذاك وجود كل شئ فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار والحمد لله * (أباح لك ان تنظر ما في المكونات وما أذن لك ان تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا في السموات

الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها اه وأشار الى ذلك هنا بقوله قل انظروا ماذا في السموات (فتح لك باب الافهام) أى نبهك وأيقظك لما هو المطلوب منك وهو مشاهدة ما فيها كما يفهم من الظرفية (ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام) فتحتجب بها عنه ولا تشاهده فيها فتصير مقصد مع انها وسيلة اذ ليست الا مرائى ومجالى يتجلى فيها الحق سبحانه لارباب الشهود ويستدل بها عليه أرباب الحجاب ثم ذكر حاصل ما تقدم بقوله (الاكوان) *(١٥٢)* من حيث ذاتها عدم محض وانما هى (ثابتة باثباته) أى انما حصل لها وصف الثبوت والتحقق باثبات الله لها أى ظهوره فيها فالثبوت لها أمر عرضى ولا ثابت حقيقة الا هو ولذا قال (وممحوة بأحدية ذاته) أى من نظر الى أحدية ذاته لم يجد للاكوان ثبوتا وتحققا حينئذ وانما لها ثبوت فى النظر الى الواحدية لان الاحدية عند العارفين هى الذات البحت أى الخالصة عن الظهور فى المظاهر وهى الاكوان والواحدية هى الذات الظاهرة فى الاكوان فيكون للاكوان حينئذ ثبوت باعتبار ظهور الحق فيها ولذا يقولون بلسان الاشارة سر الاحدية بحر بلا موج والواحدية بحر مع موج فان الحق سبحانه عندهم كالبحر والاكوان كالامواج التى بحركها ذلك البحر فهى ليست عينه ولا غيره هذا هو توحيد العارفين وقد كرر المصنف الكلام عليه فى هذا الكتاب وأبرزه فى عبارات مختلفة محاولة على أن يحقق عندك الحق ويبطل عندك الباطل وقد أفرده بعضهم بالتأليف وتكلم على وحدة الوجود بما لا مزيد عليه

فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام) أمر الله تعالى بالنظر فى المكونات ليس لذاتها لان فى ذلك البعد عن الله تعالى بالنظر الى ماسواه ولم يجئ هذا وانما أمرهم بذلك ليتوصلوا بنظرهم فيها اليه لوجود ظهوره فيها والاشارة الى هذا المعنى بنى فى قوله تعالى قل انظروا ماذا فى السموات والارض فالمعنى المقصود فى وجود الظرفية ومنها يستفاد وهو معنى قوله فتح لك باب الافهام فلو اسقطها وقال انظروا السموات لكان فيه دلالة على وجود الاجرام وهى اغيار له وفيها البعد عنه فكيف يدل على ذلك وهو ولم يأذن فيه قال فى لطائف المنن فما نصبت لك الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها قال ولنا فى هذا المعنى

ما أبيحت لك العوالم الا * لتراها بعين من لا يراها
فارق عنها رقى من ليس يرضى * حالة دون أن يرى مولاها

*(الاكوان ثابتة باثباته وممحوة بأحدية ذاته) الاكوان من ذاتها العدم المحض كما تقدم وانما حصل لها وصف الثبوت باثبات الله تعالى لها وجعلها أكوانا فالثبوت لها أمر عرضى والحق اللازم هو وجود احدية الله عز وجل والاحدية مبالغة فى الوحدة ولا تحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن أن يكون أشد ولا أكمل منها فمن مقتضى حقيقتها محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد اذ لو وجدت لم تكن احدية ولكان فى ذلك تعدد واثنينية كما قيل

رب وعبد ونفى ضد * قلت له ليس ذاك عندى
فقال ما عندكم فقلنا * وجود فقد وفقد وجدى
توحيد حق بترك حق * وليس حق سواى وحدى

وأنشدوا أيضا

(الناس يمدحونك لما يظنونه فيك) من الاوصاف الحميدة (فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها)
أى فلا تغتر بمدح الناس لك * (١٥٣) * وثنائهم عليك بل ارجع على نفسك باللوم والذم على

سرسرى من جناب القدس افنانى * لان بذاك الفنا عنى قد احيانى
وردنى للبقا حتى اعبر عن * جمال حضرته لكل همانى
وطرت فى ملكوت من عجائبه * لم الق غير وجود ماله ثانى
وأنشد المؤلف رحمه الله تعالى لنفسه فى لطائف المنن يوصى رجلا من اخوانه اسمه حسن فقال

حسن بأن تدع الوجود بأسره * حسن فلا يشغلك عنه شاغل
ولئن فهمت لتعلمن بأنه * لاترك الا للذى هو حاصل
ومتى شهدت سواه فاعلم أنه * من وهمك الادنى وقلبك ذاهل
حسب الاله شهوده لوجوده * والله يعلم ما يقول القائل
ولقد أشرت الى الصريح من الهدى * دلت عليه ان فهمت دلائل
وحديث كان وليس شئ غيره * يقضى به الآن اللبيب العاقل
لاغروان لانسبة مثبوتة * ليذم ذو ترك ويحمد فاعل

وقال رضى الله تعالى عنه ※ الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها) ذم العبد لنفسه واحتقارها لما يحققه من عيوبها وآفاتها مطلوب منه لان ذلك يؤديه الى الحذر من غرورها وشرورها فتصلح بسبب ذلك أعماله وتصدق أحواله والا فسدت عليه واعتلت لدخول الآفات عليها ولا يصدنه عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له لانه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره ثم انهم لما قاموا بحق ما يجب عليهم من المدح له وحسن الظن به فينبغى أيضا أن يقوم هو بحق ما يجب عليه من اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح بمدح نفسه فقد أمكن الشيطان أن يدخل فى بطنه وقال آخر اذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب اليك من أن يقال بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وقيل لبعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم لن يزال الناس بخير ما أبقاك الله فيهم فغضب وقال انى لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فأشهدك على مقته وقال آخر اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون قال الامام أبو حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه وانما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلائق لان الممدوح هو المقرب عند الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من أهل النار فما

تلبيسها بخلاف ما يظن الناس فيك ولذا قال على كرم الله وجهه اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون ويؤخذ من قوله (فكن أنت الخ) انه ليس مأمورا بتكذيب الناس ولا بالسعى فى تبديل ظنهم فيه وانما هو مأمور بعدم الاغترار وتقديم علمه على ظنهم نعم ان كان المادح كاذبا فى مدحه بارتكاب المبالغة والغلو تأكد تكذيبه وزجره وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب فى وجوه المداحين فمدحه حينئذ منهى عنه وكذا لو كان مدحه يورث عند الممدوح غرة ويغلطه فى نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لمن مدح عنده رجلا قطعت عنق صاحبك وقال أياكم والمدح فانه الذبح

(المؤمن) الحقيقي (اذا مدح استحيا من الله أن يثني عليه بوصف لا يشهده من نفسه) أي لا يرى ذلك
الوصف الذي مدح عليه من نفسه وانما يراه منة من الله عليه فلا يشهد من نفسه صفة محمودة يستحق
بها أن يثني عليه وانما يشهد ذلك من ربه فاذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه استحيا من الله
استحياء تعظيم واجلال أن يثني عليه بصفة ليست منه

فيزداد بذلك مقتا لنفسه واستحقارا لها ونفورا عنها وتقوى عنده رؤية احسان الله اليه وشهود فضله في اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي به ينال المزيد مع سلامته من السكون الى ثناء العبيد (أجهل الناس) اى أشدهم جهلا (من ترك يقين ما عنده) أي اليقين الذي عنده وهو علمه بعيوب نفسه وتقصيره مع ربه (لظن ما عند الناس) أي لاجل الظن الذي عند الناس وهو ظنهم صلاح حاله حتى مدحوه وأثنوا عليه فاذا اغتر ذلك الممدوح
واعتقد استحقاقه المدح به واغتر بشهادة الخلق فيه بذلك كان أجهل الناس لانه ألغى لعلمه
اليقين وقدم الظن عليه وقدم ما عند غيره على ما عند نفسه وقد شبه ذلك بعضهم بمن يهزأ بك ويقول
لك ان العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وأنت ترضى بالسخرية بك وتفرح
بذلك ولا شك ان العيوب التي يعلمها العبد من نفسه أنتن وأقذر من العذرة التي تخرج من جوفه

أعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح الا
بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس أمره بيد الخلق ومهما علم ان الارزاق
والآجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب
المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه انتهى كلام أبي حامد رضي الله تعالى عنه

* المؤمن اذا مدح استحيا من الله تعالى أن يثني عليه بوصف لا يشهده من نفسه)
المؤمن الحقيقي هو الذي لا يشهد من نفسه صفة محمودة يستحق بها أن يمدح أو يثني
عليه وانما يشهد ذلك من ربه عز وجل فاذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه
استحيا من الله تعالى استحياء تعظيم واجلال أن يثني عليه بصفة ليست فيه فيزداد
بذلك مقتا لنفسه واستحقارا لها ونفورا عنها وتقوى عنده رؤية احسان الله تعالى
اليه وشهود فضله في اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي ينال به المزيد مع
سلامته من السكون الى ثناء العبيد * أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن
ما عند الناس) الاغترار بمدح الناس وثنائهم غاية في الجهل والغباوة وذلك من
علامات المقت لان المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن غيره به وهو على كل حال أعلم
بنفسه وقد شبه الحرث المحاسبي رضي الله عنه الراضي بالمدح بالباطل بمن يهزأ به
ويقال له ان العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح
بذلك ويرضى بالسخرية به قلت ولا شك أن الذنوب والعيوب التي يعلمها العبد
من نفسه أنتن وأقذر من العذرة التي تخرج من جوفه ولا فرق بين الحالين الا انه
في حال المدح يعلم ان المادح لم يشاركه في معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك
المستهزئ للمستهزأ به في معرفة حال ما يخرج من جوفه فهو بجهله وغباوته قد رضي
بأن يكون له في قلوب العباد الجاهلين بحاله قدر وجاه من غير مبالاته بسقوطه
من عين مولاه الذي يعلم من حاله ما لا يعلمه هو ولا غيره من حيث رضي بالمدحة
وفرح بها ولم يقابل ذلك بالاباء والكراهية هذا اذا كان المادح من أهل العلم
والدين وأما ان كان جاهلا أو فاسقا فلا غباوة أعظم من الرضا بمدحهم والفرح به
قال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه تزكية الاشرار هجنة بك وحبهم لك عيب
عليك وقيل لبعض الحكماء ان العامة يثنون عليك فأظهر الوحشة من ذلك وقال

(اذا أطلق الثناء) أي ألسنة الناس بالثناء (عليك ولست بأهل) اي والحال انك لست أهلا لما يثنون به عليك اما لعدم وجود ذلك فيك أو لكونك معيبا بالعيوب الاصلية والعارضة فلا تستحق ثناء عليك لولا فضل الله عليك وستره الجميل (فأثن عليه بما هو أهله) أي فالادب أن تثني على سيدك بما هو أهله ليكون ذلك *(١٥٥)* شكرا لنعمة ستره عليك واطلاق الالسن بمدحك مع عدم أهليتك لذلك ولا تغتر بأقوال المادحين (الزهاد اذا مدحوا) أي مدحهم أحد من الناس (انقبضوا لشهودهم الثناء) صادرا (من الخلق) وغيبتهم عن الرب وانما انقبضوا حينئذ خوف الاغترار بذلك الثناء فيفوتهم نصيبهم من ربهم (والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) فهم حاضرون مع ربهم لا يشاهدون معه غيره قائلون ألسنة الخلق أقلام الحق فاذا مدحوا شهدوا الثناء منه فانبسطوا لذلك وكان مزيدا في حالهم ومقامهم لغيبتهم عن أنفسهم فلا يحصل عندهم اعجاب ولا اغترار قيل وهذا محمل قوله صلى الله عليه وسلم اذا مدح المؤمن في وجهه ربا الايمان في قلبه ولذا كان يمدح المصنف شيخه المرسي وهو ساكت ويقع عنده المدح موقعا عظيما وكذا وقع لغيره من العارفين وصاحب هذا المقام اذا ذمه أحد لا يجد في نفسه عليه ولا يؤذيه لعدم شهوده الذم صادرا منه

لعلمهم أو أوامني شيأ أعجبهم ولا خير في شئ يسرهم ويعجبهم ويروى عن بعض الحكماء انه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه أتبكي وقد مدحك فقال له انه لم يمدحني حتى وافق بعض خلقي خلقه فلذلك بكيت فانظر هذا فقد نبهك هذا الحكيم على العلة في ذلك ❊اذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فاثن عليه بما هو أهله) المؤمن هو الذي لا يرى نفسه أهلا لان يمدح أو يثنى عليه لان موجبات ذلك ليس له منها شئ كما تقدم فاذا أطلق الله تعالى ألسنة الناس بالثناء عليه ولا اهلية فيه لذلك فينبغي أن يعرف الحق لاهله فيستعمل نفسه بالثناء على الله تعالى بما هو أهله ليكون ذلك شكرا النعمة اطلاق الالسنة بالثناء عليه من غير استحقاق لذلك ولا ثبوت أهلية ❊الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) تقدم ان الزهاد في غيبة عن الله تعالى فهم لا يشاهدون الا الخلق فاذا مدحوا وأثنى عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لانهم يخافون فوات نصيبهم من ربهم لاجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك والعارفون حاضرون مع ربهم فهم لا يشاهدون معه غيره فاذا مدحوا شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك وكان ذلك مزيدا في حالهم ومقامهم لغيبتهم عن أنفسهم كان بعضهم يمدح وهو ساكت فقيل له في ذلك فقال وما علي من ذلك ولست أغلط في نفسي بل لست في البين والمجري والمثني هو الله عز وجل وقيل هذا المعنى في الخبر المروي اذا مدح المؤمن في وجهه ربا الايمان في قلبه قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وفيه طريق للعارفين بان يعلو الايمان العلي الى المولى الاعلى فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه الى سيده الذي تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد من الفطرة فاطرها فيكون ذلك مدحا للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر الى وصفه ولا يعجب بنفسه انتهى قلت وللمؤلف رحمه الله قصائد في مدح شيخه أبي العباس المرسي رضي الله عنه وكان ينشدها كثيرا بين يديه ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستعيد منه بعضها ويقول له في بعضها أيدك الله بروح القدس نحو ما كان يقول رسول الله صلى الله عليه

(ومتى كنت اذا أعطيت بسطك العطاء واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك)
أى تطفلك على أهل الله ولست منهم بل أنت داخل معهم فى أمر لا تستحقه كما ان الطفيلي يدخل مع
الاضياف فى ضيافتهم ولا يستحق الدخول معهم وهو *(١٠٦)* منسوب لطفيل رجل من أهل
الكوفة كان يأتى الولائم من غير أن يدعى اليها وكان يقال له طفيل الاعراس (وعدم صدقك فى عبوديتك) لان القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف عدم صدقه فى عبوديته وأنه طفيلي بين أهل الله فى ادعائه مقاماتهم وهو لم يؤهل لها بل الحاصل عنده مجرد دعوى نعم ان كان قبضه خوفا من عدم صبره ومقاومته للقهر الالهى فيحمل عنده
بعض غيره وكان بسطه لعدم وقوعه فى ذلك ففيه اعتناء من الحق به حيث لم يوقعه
فى أمر يشوش عليه حاله ولم يكن دليلا على ما ذكر لان العارفين لابد من بقايا شئ من بشريتهم والاهتمام
يتمكنون به من شغل الصفة الحالى ومن لوازم البشرية ذلك فالخطاب المذكور مع المريدين

وسلم الشاعره حسان بن ثابت مع أن حب المدح عندهم من الرذائل التى تشبه
الفضائل وبهذا النظر والشهود الجمعى استقام لهم من مدحهم لانفسهم وثنائهم
عليها مالم يستقم لغيرهم كما وقع لجماعة منهم وقد روى فى ذلك عن سيدى عبد
القادر الجيلانى وسيدى أبى الحسن الشاذلى وسيدى أبى العباس المرسى رضى الله
عنهم وغيرهم غير شئ مع أن ذلك معدود عندهم من الصدق القبيح وما ذلك الالما
ذكرناه ولا يتأول ما وقع لهم من ذلك بما تأول به علماء الظاهر مدح يوسف عليه
الصلاة والسلام لنفسه وثناءه عليها بغاية الحفظ والعلم لعدم الحاجة اليه فى هذا
المقام والله تعالى أعلم وعلامة الصادق فى حب المدح وان كان صاحب هذا المقام
لا يحتاج الى علامة أن لا يكره ذم الناس له من حيث نسبة ذلك اليهم لانهم
مصروفون فى قبضة القدرة فيسمح لهم ويصفح عنهم ولا يجد فى قلبه عليهم ولا يصل
بشئ من الاذى اليهم كما قيل

رب رام لى بأحجار الاذى * لم أجد بدا من العطف عليه
فعسى يطلع الله على * فرح القوم فيدنينى اليه

* متى كنت اذا أعطيت بسطك العطاء واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك
على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك فى عبوديتك) القبض عند المنع والبسط
عند العطاء من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند
العارفين فمن وجد ذلك فليعرف به عدم صدقه فى عبوديته وانه طفيلي بين أهل
الله تعالى فى ادعائه مقاماتهم وهو لم يؤهل لها والطفيلي هو الذى يأتى الولائم
والضيافات فيدخل مع أهلها من غير دعوة وهو منسوب الى رجل من أهل الكوفة
من بنى عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل الاعراس وطفيل العرائس وكان
يأتى الولائم من غير أن يدعى اليها فشبه صاحب الكتاب هذا به قال الشيخ أبو عبد
الرحمن السلمى رضى الله عنه أكثر الخلق مع الله تعالى فى أحوالهم وارادتهم على
الظنون ما تحقق منهم له الا قليل ألا تراه تعالى يقول وما يتبع أكثرهم الا ظنا فمن
تحقق فى حاله مع الله تعالى غاب عن كل ما منه وله من الاحوال والاقوال والافعال
نظرا الى ما اليه من رعاية الحق وحياطته وتوليه وكان للحق من حيث الحق له لا من
حيث هو الحق ولكن أكثر العبيد يشيرون اليه بالمعرفة ويظهرون حالة المحبة
فاذا ورد عليهم وارد بلاء أو خلاف مراد رجعت نفوسهم الى حد الاشفاق عليها

(اذا وقع منك ذنب) على حسب مقامك (فلا يكن سببا اليأسك) أي يقتضي يأسك (من حصول الاستقامة) أي اعتدال أحوالك (مع ربك) بأن تعتقد بسبب صدور الذنب ان حصول الاستقامة لك مستحيل فيحملك ذلك على تعاطي غيره من الذنوب وهذا غلط لان الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الفلتة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه والعزم على فعله ثانيا فالواجب عليك أن تتوب الى مولاك وترجع اليه ولا تيأس من رحمته (فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) ويقبل عليك المولى بعد ذلك بتوفيقه واحسانه ثم أشار الى ما يكون سببا في الرجوع الى الله *(١٥٧)* عند صدور الذنب فقال (اذا أردت أن يفتح الله (لك باب الرجاء) فيه (فاشهد) أى استحضر في نفسك (ما) هو واصل (منه اليك) من جلب المنافع ودفع المضار من حين كونك في بطن أمك الى الوقت الذي أنت فيه فاذا شهدت ذلك غلب عليك حال الرجاء فيه وعدم اليأس من رحمته ولو مع الوقوع في الذنب (واذا) غلب عليك الرجاء وخفت أن يوقعك ذلك في مخالفاته و (أردت أن يفتح لك باب الخوف) ليكفك عن ذلك (فاشهد) أى استحضر في نفسك (ما) هو واصل (منك اليه) من المخالفات والعصيان وسوء الادب بين يديه فاذا شهدت ذلك غلب عليك حال الخوف فتنكف عن مخالفته فالرجاء والخوف حالان ينشآن عن المشاهدتين المذكورتين وشبههما بشئ عليه باب مغلق استعارة بالكناية والباب تخييل والفتح ترشيح أو الاضافة للبيان (ربما أفادك) أيها العارف (في ليل القبض) أى القبض الشبيه بالليل بجامع السكون في كل (ما لم تستفده) أى علوما ومعارف لم تستفدها (في اشراق نهار البسط) أى البسط الشبيه بالنهار بجامع الانتشار في كل لما تقدم ان من حصل عنده البسط تهيج نفسه الى اظهار ما عنده من المعارف وغيرها فربما كان ذلك سببا لحجبه بخلاف من حصل عنده القبض فان نفسه تنكسر وتذل فيكون ذلك سببا لافاضة الله الخير عليه ولذا كان العارفون يؤثرونه على البسط لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء بآدابه دون البسط وقد يحصل عندهم فيه جزع وعدم صبر على مقاومة

والاهتمام بها ونسوا ما دعوا به وما أشاروا اليه ولو كانوا الحق من حيث الاستحقاق انسوا في جنب ما أشاروا اليه جميع الموارد سواء أم سر لان من حصل في ميدان الوصول لا يعترض عليه عارض خلافه واذهله حاله عما سواه وقال رضي الله عنه

⁂ اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا اليأسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الفلتة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه فاذا وقع من العبد ذنب فينبغي له أن يبادر الى التوبة منه ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة مع ربه ويرى انه طرده وأبعده رؤية توجب له القنوط من رحمة الله تعالى واليأس من روح الله تعالى لانه قد يكون ذلك الذنب آخر ذنب قدر عليه وقد وقع ذلك وفرغ منه ⁂ اذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه اليك واذ أردت أن يفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك اليه) الرجاء والخوف حالان عن مشاهدتين فمن أراد أن يفتح له باب الرجاء فليشهد ما من الله له من الفضل والكرم والاسعاف والالطاف فسيغلب عليه حينئذ حال الرجاء ومن أراد أن يفتح له باب الخوف فليشهد ما منه الى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسوء الادب بين يديه فسيغلب عليه حينئذ حال الخوف ⁂ ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في اشراق نهار البسط لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) تقدم ان القبض يؤثره

ـه القهر الذي بخلاف البسط فينبغي للعبد أن يعرف قدر نعمة الله عليه في حال القبض كما يعرفها
في حال البسط وان يكل كل ذلك الى ربه و يحسن ظنه به فانه لا يدري أيهما أقرب له نفعا كما قال تعالى
(لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا مطالع الانوار) أي مواضع طلوع وشروق الانوار المعنوية وهي
نجوم العلم وأقمار المعرفة وشموس

التوحيد (القلوب والاسرار) أي قلوب
العارفين وأسرارهم فهي كالسماء التي تشرق فيها الكواكب وتطلع فيها وتقدم ان تلك الانوار أشد اشراقا من أنوار الكواكب قال بعضهم لو كشف الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوار القلوب فان ذلك النور يطرأ عليه الكسوف والغروب وأنوار قلوب أهل الله لا كسوف لها ولا غروب اه قال الشاذلي قدس سره
لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن (نور
الطائع فمن لطف الله عدم الاطلاع على أنوار العارفين فقد قال المرسي قدس سره لو كشف عن حقيقة
الولي لعبد لان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته اه

العارفون على البسط لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء
بآدابه دون البسط وقد ينفتح لهم فيه من أبواب المعارف ما لا ينفتح لهم في البسط
فينبغي للعبد أن يعرف نعمة الله تعالى عليه في ليل القبض كما يعرفها في اشراق
نهار البسط لما يعلم ان في الليل من المنافع ما ليس في النهار فليكل علم ذلك الى ربه
وليحسن ظنه به فانه لا يدري أيهما أقرب اليه نفعا كما أشار اليه بالآية الكريمة
وتشبيه القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع وقد تقدم نحوه في كلام الاستاذ
سيدي أبي الحسن رضي الله عنه *(مطالع الانوار القلوب والاسرار)* نجوم العلم
وأقمار المعرفة وشموس التوحيد مطالعها ومواضع شروقها قلوب العارفين
وأسرارهم وهذه هي الانوار الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف الانوار الحسية
قال في لطائف المنن واعلم ان الله سبحانه وتعالى اذا تولى وليا صان قلبه من الاغيار
وحرسه بدوام الانوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الله سبحانه وتعالى قد
حرس السماء بالكواكب والشهب كي لا يسترق السمع منها فقلب المؤمن أولى
بذلك يقول الله تعالى فيما يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تسعني أرضي
ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن فانظر رحمك الله هذا الامر الاكبر الذي
أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلا ولهذا قال الشيخ أبو الحسن رضي الله
عنه لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور
المؤمن المطيع قال ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول لو كشف عن
حقيقة الولي لعبد لان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته قال ولقد أخبرني
بعض المريدين قال صليت خلف شيخي صلاة فشهدت ما بهر عقلي وذلك اني
شهدت بدن الشيخ والانوار قد ملأته وانبثت الانوار من وجوده حتى اني لم أستطع
النظر اليه قال فلو كشف الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور
الشمس والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم
الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار قلوب أولياء الله تعالى لا كسوف
لها ولا غروب كذلك قال قائلهم

ان شمس النهار تغرب بالليـ * ـل وشمس القلوب ليست تغيب

(نور مستودع فى القلوب) وهو نور اليقين المودع فى قلوب العارفين (مدده) أى يمتد و يتزايد ضياؤه (من النور الوارد من خزائن الغيوب) وهو نور الاوصاف الازلية فاذا تجلى الله عليهم بأوصافه تزايد ذلك النور الحاصل فى قلوبهم وذلك دليل على عناية الله بهم قال فى لطائف المنن واعلم ان الله سبحانه وتعالى اذا تولى وليا صان قلبه من الاغيار وحرسه بدوام الانوار اه ثم أشار الى أن النور المستودع فى القلب على قسمين بقوله (نور يكشف لك به عن آثاره) أى عن أحوال المكونات فتطلع على أحوال العباد وعلى مافوق السماء *(١٠٩)* وماتحت الارض وهذا يسمى كشفا صوريا وهو ليس معتنى به عند المحققين (ونور يكشف لك به عن أوصافه) أى أوصاف جلاله وجماله وذلك النور لايحصل الامن تجلى تلك الاوصاف عليه وهذا يسمى كشفا معنويا وهو المعتمد به عندهم ولم يقل ونور يكشف لك به عن ذاته لان تجلى الذات البحت الخالية عن الصفات مختلف فيه عندهم فبعضهم نفاه وبعضهم أثبته ويسميه الشيخ محيي الدين بالبوارق لكونه يطرأ ويزول سريعا لان القدرة البشرية لاتطيق دوامه (ربما وقفت القلوب مع الانوار) أى فتحجب بها وتتعطل عن السير الى الله تعالى (كما حجبت النفوس بكثائف الاغيار) أى بكثائف هى الاغيار أى الشهوات و للذات التى هى غير المولى سبحانه فالحجاب عن المولى قسمان نورانى وهو العلوم والمعارف اذا وقفت القلوب معها وركنت اليها وجعلتها غاية مقصدها وظلمانى وهو شهوات النفوس وعاداتها و وصفها بالكثافة لانها لاتزول الابعناء ومشقة

(نور مستودع فى القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب) نور اليقين المستودع فى القلوب يستمد و يتزايد ضياؤه من النور الوارد من خزائن الغيوب وهو نور الاوصاف الازلية كما ذكرناه عن الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه قبل هذا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى أنار الظواهر بأنوار آثاره أنار السرائر بأنوار أوصافه (نور يكشف لك به عن آثاره و نور يكشف لك به عن أوصافه) النور المدرك بالحواس يكشف لك به عن آثاره وهى الاكوان المحدثة وليس لك الى ذلك كبير حاجة الا من حيث تستدل به على المؤثر والنور المستودع فى القلوب يكشف لك به عن أوصافه الازلية حتى تراها عيانا وفى هذا غاية بغيتك وبه شرف قدرك ومنزلتك اذ بذلك تحقق فى المعرفة وترتفع فى المشاهدة ولا تحتاج الى دليل يدلك وهذا فرقان مابين النورين قال فى لطائف المنن نور الشمس تشهد به الآثار و نور اليقين تشهد به المؤثر فان ولنا فى هذا المعنى

هذه الشمس قابلتنا بنور * والشمس اليقين أبهر نورا
فرأينا بهذه النور لكن * بهاتيك قد رأينا المنيرا

(ربما وقفت القلوب مع الانوار كما حجبت النفوس بكثائف الاغيار) القلوب نورانية فتحجب بوقوفها مع لطائف الاغيار النورانية من العلوم والمعارف والنفوس ظلمانية فتحجب بمحبتها الكثائف الاغيار الظلمانية من العادات والشهوات فالقلوب محجوبة بالانوار كما ان النفوس محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله قال أبو الحسن التسترى رحمة الله عليه فى قصيدته النونية

تقيدت بالاوهام لما تداخلت * عليك ونور العقل أورثك السجنا
وهمت بأنوار فهمنا أصولها * ومنبعها من أين كان فهامنا
وقد تحجب الانوار للعبد مثل ما * تبعد من اظلام نفس حوت ضغنا

(ستر أنوار السرائر) أي أنوار قلوب أوليائه (بكثائف الظواهر) أي بالاحوال التي يتلبسون بها في ظواهرهم ويتعاطونها من الصنائع وغيرها فان تلك الاحوال كثائف أي حاجبه

(ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر اجلالا لها ان تبتذل بوجود الاظهار وأن ينادي عليها بلسان الاشتهار) أنوار السرائر انما خفيت عن العيان بما سترها به من كثائف الظواهر مع ان الظهور التام لا ينبغي أن يكون الالها لانها رفيعة القدر جليلة الخطر فأجلها عن الابتذال لها بوجود اظهارها وصانها من أن ينادي عليها بلسان الاشتهار بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم مثل هذا الستر في قوله سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية

م

تم الجزء الاول من شرح ابن عباد على الحكم ويليه الجزء الثاني أوله سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه الا من حيث الدليل عليه

لغيرهم عن الاطلاع على أنوار قلوبهم وانما ستر تلك الانوار مع أن الظهور التام لا ينبغي أن يكون الالها (اجلالا لها أن تبتذل بوجود الاظهار وأن ينادي عليها بلسان الاشتهار) أي لانها رفيعة القدر جليلة الخطر فأجلها عن الابتذال لها بوجود اظهارها وصانها من ان ينادي عليها بلسان الاشتهار بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم هذا في قوله سبحان من ستر سر الخصوصية الخ لكن أعاد ذلك هنا لاجل التعليل المذكور وأيضا سترها رحمة من الله بالمؤمنين اذ لو ظهرت أسرار الولاية على أحد لاوجبت على من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام بها فاذا قصر وقع في المحذور

الجزء الثانى من شرح العالم العلامه والبحر الفهامه وحيد دهره
وفريد عصره محمد بن ابراهيم المعروف بابن عباد النفزى
الرندى على متن الحكم للامام المحقق أبى الفضل
أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله
السكندرى تغمدهما الله
بالرحمة والرضوان
وأسكنهما على
الجنان
م

ولاجل تمام النفع وضع على هامش هذا الشرح شرح المحقق شيخ الاسلام
الشيخ عبد الله الشرقاوى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال رضي الله عنه * (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه) * لا دليل على الله سواه ولا وصول اليه بغيره وكذلك أولياؤه لما كان الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بالعناية والخصوصية ويستحيل أن يكون بطلب أو سبب كان أولياؤه المخصوصون بالقرب منه كذلك لما خلع عليهم الخلع العظيمة وتولاهم بمننه الجسيمة فاصطفاهم لنفسه واختصهم بمحبته وأنسه وطهر أسرارهم من أنجاس الاغيار وصان قلوبهم بما أودع فيها من الانوار والاسرار فكانوا بذلك صفيته في عباده

(سبحان من لم يجعل الدليل) أي الاهتداء والوصول والاستدلال (على أوليائه الا من حيث) أي من جهة (الدليل عليه) أي أنه مماثل لذلك فكما أن الله محتجب بالاكوان عن المخلوقين فاهتداؤهم اليه ووصولهم الى معرفته أمر عسير يتعجب منه فاذا حصل ذلك لاحد كان منحة عظيمة ومنة جسيمة يشكره عليها كذلك الولي مستتر بكثائف الظواهر من الصنائع الخسيسة وما يتعاطاه من مأكول ومشروب وغيرهما فيكون الاهتداء اليه الدليل والوصول الى معرفته أمرا عسيرا يتعجب منه فاذا حصل ذلك لاحد كان منحة عظيمة ومنة جسيمة يشكر عليها والحاصل أن الوصول الى معرفة الله تعالى الخاصة عناية من الله تعالى لا بطلب ولا بسبب وكذلك الولي بل معرفته أصعب من معرفة الله لانه تعالى معروف بكماله وجماله والولي مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب فاذا أراد الله تعالى أن يعرفك بولي من أوليائه لتنتفع به طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته (ولم يوصل اليهم) أي يعرفهم ويجمع عليهم (الا من أراد أن يوصله اليه) وذلك لانهم أحبابه فيغار عليهم أن يجمع عليهم غير أحبابه وهذا لبعض الاولياء وهم المتمكنون فمن أراد أن يوصله اليه جمعه عليهم على وجه الصحبة الخاصة وهم قسمان قسم يظهر للعامة والخاصة وقسم لا يظهر الا للخاصة وهؤلاء عباد لا يظهر عليهم أحدا من خلقه حتى الحفظة ويتولى قبض أرواحهم بيده ولا يسلط التراب على أبدانهم

وخبأناه في بلاده كما قال في بعض الاشارات عنه سبحانه أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم أحد غيري وهذا من غيرته عليهم لان الحق تعالى أغير على أوليائه من أن يظهرهم الى من لا يعرفهم فلم يجعل لاحد دليلا عليهم الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه لانه يلبسهم لباس التلبيس بين الانام ويظهرهم بما يحقرهم في أعين الخواص والعوام فلم يكن لاحد دليل عليهم أو وصول بسبب اليهم * قال في لطائف المنن فأولياء الله أهل كهف الايواء فقليل من يعرفهم قال وقد سمعته يقول يعني شيخه أبا العباس المرسي رضي الله عنه معرفة الولي أصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب وقال فيه واذا أراد الله تعالى أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته وقال صاحب كتاب أنوار القلوب لله سبحانه عباد ضن بهم عن العامة وأظهرهم للخاصة فلا يعرفهم الا شكل مثلهم أو محب لهم ولله تعالى عباد ضن بهم عن الخاصة والعامة وعباد أظهرهم للخاصة والعامة ولله تعالى عباد يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية ولله عباد يظهرهم في النهاية ويسترهم في البداية ولله عباد لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم الى الحفظة فمن سواهم حتى يلقونه بما أودعهم منه في قلوبهم وهم شهداء الملكوت الاعلى والصفيح الايمن من العرش الذين يتولى الله قبض أرواحهم بيده فتطيب أجسادهم به فلا يعدو عليها الثرى حتى يبعثوا بها مشرقة بنور البقاء المجعول فيهم ببقاء الابد مع الباقي الاحد عز وجل اهـ (وقال) أبو يزيد رضي الله عنه أولياء الله تعالى عرائس ولا يرى العرائس الا من كان محرما لهم وأما غيرهم فلا وهم مخدرون عنده في حجال الانس لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة وقال أبو علي الجرجاني رضي الله عنه الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق تولى الله سبحانه سياسته فتوالت عليه أنوار التوالي لم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله عز وجل قرار وفي الاشارات عن الله سبحانه انما سميت الولي وليا لانه يليني دون ماسواي فهم منزهون بتنزيه الحق تعالى لهم من أن يوصل اليهم بغيره

ولذلك صدر المؤلف كلامه بالتسبيح * (ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد) * من لطف الله تعالى اخفاء أسرار الناس بعضهم عن بعض لا سيما سر يقتضي وجود عيب وهو ظاهر ما ذكره المؤلف هنا بدليل الكلام الذي عقبه به وقد يظهر لبعض الناس ماسوى ذلك من الاسرار الملكوتية ووجه الفرق بينهما ما ذكره المؤلف الآن ويحتمل أن يريد ما هو أعم مما ذكرناه ويدخل في ذلك أسرار الولاية اذا اختص الحق تعالى بها

(ربما أطلعك على غيب ملكوته) أي ملكوته الغائب عنك كالذي فوق السماء وتحت الارض (وحجب عنك الاستشراف) أي الاطلاع (على أسرار العباد) أي ما في قلوبهم من خير أو شر وذلك من لطف الله بك لان

(من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية) بان يستر على المذنبين ويحلم على الظالمين ويصفح
عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين ويرأف بعباد * (٤) * الله أجمعين فمن لم يتصف بذلك (كان
اطلاعه فتنة عليه)
لان ذلك يؤديه الى
رؤية نفسه واستعظام
أمرها والعجب بعمله
والتكبر على غيره
وهذا هو أعظم الفتنة
(و) كان أيضا (سببا
لجر الوبال اليه) من
ادعائه بصفات ربه
ومنازعته أكبريائه
وعظمته وهذا هو
أعظم الوبال وغاية
الخزى والنكال
* روى ان ابراهيم
عليه السلام لما
أراه الله ملكوت
السموات والارض
أشرف على رجل فى
معصية من معاصى
الله تعالى فدعا عليه
فهلك وكذلك آخر
وآخر فهلكوا فأوحى
الله تعالى اليه ان
يا ابراهيم انك رجل
مستجاب الدعوة فلا
تدعونّ على عبادى
فانهم منى على ثلاث
خصال اما ان يتوب
العبد منهم الىّ
فأتوب عليه واما ان
أخرج منه نسمة تسبح لى واما ان يبعث الى فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته قيل ان المطلع
هذا سبب لامر الله له بذبح ولده لانه تعالى رحيم بعباده كشفقته على ولده والحاصل ان المكاشفة
نعمة من الله على المريد وشكرها الستر والصفح

بعض عباده ويكون فى ذلك تنبيه على العلة الموجبة لخفاء الولى حسبما ذكره
المؤلف فى المسئلة التى فرغنا منها حتى يمتنع الوصول اليه بطلب أو سبب واخفاء
ذلك أيضا عن عامة المؤمنين من النعم العظيمة اذ لو ظهرت أسرار الولاية على أحد
لأوجبت على من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام بها فان فرط فى ذلك وترك
القيام بتلك الحقوق رأسا وقع بسبب ذلك فى محذورات لا يقوم لها شئ وقد
فهمت هذا المعنى من كلام سهل بن عبد الله رضى الله عنه وقد سأله بعض
تلامذته كيف تعرف أولياء الله تعالى فقال ان الله تعالى لا يعرفهم الا اشكالهم
أو من أراد أن ينفعه بهم ولو أظهرهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم ومن
خالفهم بعد علمه بهم كفر ومن قعد عنهم حرج ولكن الله تعالى جعل اختياره
تغطية أمورهم رحمة منه لخلقه ورأفة ولكن الله تعالى قد أخبر بكراماتهم فقال جل
وعز الله ولى الذين آمنوا والله ولى المؤمنين فأفردهم به ولو أظهرهم حتى يبرزهم
لكان فى النظر اليهم حجة وكان الاستماع لحديثهم فرضا انتهى والمعنى الذى
ذكرته فى هذه المسئلة فهمته من الكلام الذى ذكره الشيخ أبو طالب رضى الله
عنه فى كتاب الشكر قال فيه ثم بعد ذلك من لطائف النعم شمول ستره لهم بعضهم
من بعض وسترهم عند العلماء والصالحين منهم ولولا ذلك لما نظروا اليهم ثم حجب
الصالحين عنهم ولو أظهر عليهم آيات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين
من ولاية الله تعالى لهم وقربه منهم لبطل ثواب المحسنين اليهم ولحرم قبول
احسانهم عليهم ولحبطت أعمال المسيئين اليهم ففى حجب ذلك وستره ما يحمل
العاملين لهم فى الخير والشر على الرجاء وحسن الظن من وراء حجاب اليقين
وتأخرت عقوبات المؤذين لهم عن المعاجلة لما استتر عليهم من عظيم شأنهم عند الله
عز وجل وجليل قدرهم ففى ستر هذا نعم عظيمة على الصالحين فى نفوسهم من
سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المنتهكين لحرمتهم المصغرين لشعائر الله
من أجلهم اذ كانوا أساؤا اليهم من وراء حجاب فهذا هو لطف خفى من لطف المنعم
الوهاب كما جاء فى الخبر من آذى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أنا الثائر لوليى
فقد يكون مثل ذلك من آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل أن يخبر أنه رسول
الله وان الله عز وجل نبأه فلا يكون وزره وزر من انتهك حرمة من كان أعلمه أنه
نبى الله عز وجل لعظم حرمة النبى انتهى ما ذكره الشيخ أبو طالب والوجه الاول
أولى فى تقرير معنى ما ذكره المؤلف والله تعالى أعلم * (من اطلع على أسرار
العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال اليه) *

المطلع على السرائر التى تقتضى وجود العيب اذا لم يتخلق صاحبه بالرحمة
الالهية فيرحم المذنبين ويحلم على الظالمين ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى
المسيئين ويرأف بعباد الله أجمعين فانه يكون ذلك الاطلاع فتنة عليه لان
ذلك يؤديه الى رؤية نفسه واستعظام أمرها والعجب بعمله والتكبر على غيره
وهذا هو أعظم الفتنة ويكون ذلك سببا الى جر الوبال اليه من ادعائه
لصفات ربه ومنازعته لكبريائه وعظمته وهذا هو أعظم الوبال وغاية الخزي
والنكال وفى بعض الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
مانزعت الرحمة الامن قلب شقى وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى
الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا
من فى الارض يرحمكم من فى السماء وفى الاشارات عن الله تعالى أنه قال عبدى
ان استخلفتك شققت لك من الرحمة شقا فكنت أرحم بالمرء من نفسه وقد أدب
الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام فى بعض مواطنه العظيمة المقدار وعلمه
كيف يتخلق بهذا الخلق الكريم عند اطلاعه على الاسرار روى عن قسامة
ابن زهير رضى الله عنه أنه قال بلغنى ان ابراهيم عليه السلام حدثت نفسه انه
أرحم الخلق قال فرفعه الله تعالى حتى أشرف على أهل الارض فابصر أعمالهم
وما يفعلون فقال يارب دمرهم فقال الله تعالى أنا أرحم بعبادى منك يا ابراهيم
اهبط فلعلهم يتوبون ويرجعون وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال لما ارى الله ابراهيم ملكوت السموات والارض أشرف على رجل
بمعصية من معاصى الله عز وجل فدعا الله عليه فهلك وكذلك على آخر وآخر فهلكوا
فأوحى الله اليه ان يا ابراهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدع على عبادى
فانهم منى على ثلاث خصال اما ان يتوب العبد منهم فأتوب عليه واما ان أخرج منه
نسمة تسبح لى واما ان يبعث الى فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وقيل ان
سبب أمر الله له بذبح ولده هو هذا المعنى الذى ظهر منه من غلظته على العصاة وقلة
رحمته لهم وقد ذكر فى بعض التفاسير أنه عليه السلام كان يعرج به كل ليلة الى
السماء وهو قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض فعرج
به ذات ليلة فاطلع على مذنب على فاحشة فقال اللهم اهلكه يأكل رزقك ويمشى
على أرضك ويخالف أمرك فاهلكه الله تعالى فاطلع على آخر فقال
اللهم أهلكه فنودى كف عن عبادى رويدا رويدا فانى طال ما رأيتهم عاصين
فلما هبط أرى فى المنام ما ذكر الله تعالى حيث يقول انى أرى فى المنام انى
أذبحك فانظر ماذا ترى فلما تشمر لذلك وأخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدى
وثمرة فؤادى وأحب الناس الى فسمع قائلا يقول أما تذكر الليلة التى سألت فيها

(حظ النفس في المعصية) كالزنا (ظاهر جلي) وهو التلذذ بها فانه الاتطاب منك التلبس بالمعصية الا لاجل أن تتلذذ بها فيحصل لك الوبال والنكال (وحظها في الطاعة باطن خفي) لا يطلع عليه الا أرباب البصائر وذلك لان في الطاعة مشقة عليها فاذا أمرتك بها لم تعلم حظها فيها الا بعد تفتيش فقد تريك أن حظها فيها التقرب الى الله تعالى وفي الباطن ليس لها حظ الا اقبال الناس عليك واشتهارك بينهم بالصلاح ومن حاسب نفسه وراقب خاطره *(٦)* تبين له مصداق هذا (ومداواة ما يخفى

أي زوال حظوظها الخفية (صعب علاجه) لانه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك فأهل البصائر يتهمون نفوسهم اذا مالت الى عبادة من العبادات ويفتشون عن سبب ميلهم اليها فان كان لحظ من حظوظها تركوها أو عالجوا نفوسهم في حال فعلها حتى تكون خالصة لله تعالى كما وقع لبعضهم انه حدثته نفسه بالخروج الى الغزو وأظهرت له ان ذلك لله تعالى ففتش فاذا هو لاجل أن تستريح من

اهلاك عبدي أوما تعلم اني رحيم بعبادي كما أنت شفيق بولدك فاذا سألتني اهلاك عبدي أسألك ذبح ولدك واحدا بواحد والبادي أظلم *حظ النفس

في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعات باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه) النفس من شأنها أبدا طلب الحظوظ والفرار من الحقوق فهي لا تسعى الا في ذلك ولو في عملها في الطاعات فضلا عن المعاصي ومن حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له مصداق هذا وقد تجد من النشاط واللذة في نوع من العبادة ما لا تجده في نوع آخر وان كان هذا النوع الآخر أتم فضيلة منه وما ذاك الا من أجل أن حظها فيه أكثر من الآخر فأهل الخبرة والبصيرة يتهمون أنفسهم اذا ألفت بابا من أبواب العبادات لمعرفتهم بخدعها ومكايدها فيفتشون ذلك عليها ويتنقلون منه * وقد حكي عن أبي محمد المرتعش رضي الله عنه أنه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لي ان جميع ذلك كان مشوبا بحظي وذلك ان والدتي سألتني يوما ان استقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحجات كانت بشوب وحظ من نفسي اذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع فهذا مما يبين ان حظ النفس في الطاعة موجود ولكنه خفي على العامل فلذلك تعسر مداواته لانه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك فليتطلب بذلك آفات نفسه ولطائف خدعها وخفايا حظوظها فيعمل على تصفية عمله من ذلك فلاجرم اذ كان متعذرا يجب عليه اتهام نفسه ومخالفتها في كل ما تدعو اليه كائنا ما كان قال الشيخ أبو بكر الخفاف رضي الله عنه سمعت بعض مشايخي يقول عن أحمد بن أرقم البلخي قال حدثتني نفسي بالخروج الى استيجاب للغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا أبدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس فتستروح به وتتسامع الناس فيها فيستقبلونها بالبر والتعظيم

تعب المجاهدة فانه كل يوم يقتلها امرات كثيرة بمنعها من شهواتها فارادت ان تقتل مرة واحدة فتستريح وأيضا لاجل ان تتسامع الناس بأنه استشهد فيكون شرفا له وذكرا في الناس فترك الخروج الى الغزو وقد يجد الشخص من النشاط واللذة في نوع من العبادات ما لا يجده في نوع آخر وما ذلك الا لاجل ان حظها فيه أكثر من الآخر فاذا كان من أهل البصائر انتقل عما مالت اليه نفسه الى غيره فان طاوعته لم يكن لها في الاشتغال بذلك النوع حظ والا كان لاجل حظها

والاكرام

(ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق اليك) أي وأنت في مكان لا ينظر الناس اليك فيه يعني ان الرياء كما يدخل * (٧) * في العمل اذا عمله صاحبه عند الناس ويسمى الرياء الجلي يدخل فيه اذا عمله وحده بأن يقصد به توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه في المحافل ومسارعتهم في قضاء حوائجه فاذا قصر أحدهم في حقه الذي يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره وربما توعد من قصر في حقه بمعاجلة الله له بالعقوبة ان الله يأخذ بثاره منه فاذا وجد العبد هذه الامارة في نفسه فليعلم انه مراء بعمله وان اخفاه عن الناس ويسمى هذا الرياء بالخفي ولا يسلم من الرياء الجلي والخفي الا العارفون الموحدون لان الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية الخلق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة فأعمال هؤلاء خالصة وان عملوها بين أظهر الناس ومن لم يحظ بهذا وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو المرائي بعمله وان عبد الله في جبل بحيث لا يراه أحد ولا يسمع به

والاكرام فقلت لها أسلك العمران ولا أنزل على معرفة فأجابت فأسأت ظني بها وقلت والله أصدق قولا فقلت لها أقاتل العدو حاسرا فتكوني أول قتيل فأجابت وعدّ أشياء مما أرادها به فأجابت الى كل ذلك قال فقلت يارب نبهني لها فاني لها متهم ولقولك مصدق فألهمت كأنها تقول لي انك تقتلني كل يوم مرات بمخالفتك اياي ومنع شهواتي ولا يشعر بي أحد فان قاتلت فقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال استشهد أحمد فيكون شرفا لي وذكرا في الناس قال فقعدت ولم أخرج ذلك العام فهكذا خدع النفس وغرورها أعاذنا الله من شرها وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله اذا التبس عليك أمران انظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا

(ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق اليك) رياء العبد بالعمل حيث يكون بمرأى من الناس ظاهر لا يحتاج الى امارة عليه ورياؤه بعمله بحيث لا يراه أحد أمر خفي لا يعرف الا بالامارات والعلامات بل هو أخفى من دبيب النمل ومن اماراته أن يلتمس بقلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه في المحافل والمجالس ومسارعتهم الى قضاء حوائجه واذا قصر أحدهم في حقه الذي يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره ويجد تفرقة بين اكرامه واكرام غيره واهانته واهانة سواه حتى ربما ظهر بعض سخفاء العقول ذلك على ألسنتهم ويتوعدون من قصر في حقهم بمعاجلة الله له بالعقوبة وأن الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم ويأخذ بثارهم فاذا وجد العبد هذه الامارات من نفسه فليعلم انه مراء بعمله وان أخفاه عن أعين الناس * وقد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى يقول للفقراء يوم القيامة ألم تكونوا يرخص لكم في السعر ألم تكونوا تبادرون بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفي الحديث الآخر لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم (وقال) عبد الله بن المبارك روى وهب بن منبه رضي الله عنه ان رجلا من العباد قال لاصحابه انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الاموال في أموالهم ان أحدنا اذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وان سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيأ أحب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ من الناس فقال السائح ما هذا فقيل له

(استشرافك) أيها المريد اي محبتك وميلك الى (أن يعلم الخلق بخصوصيتك) أي بما خصك الله
تعالى به من علم نافع أو عمل صالح أو أحوال باطنية (دليل على عدم صدقك في عبوديتك) لان الصدق
في العبودية هو طرح الاغيار وعدم الالتفات اليها رأسا ❊(٨)❊ فلو كنت صادقا في عبودية الرب
اقنعت بعلمه بك ولم
ب أن يعلمك غيره
فتغار على حالك من
رؤية الاغيار لقد قال
بعضهم من أحب
ان يطلع الناس
على عمله فهو مراء ومن
أحب أن يطلع
الناس على حاله
فهو كذاب هذا في
بداية السلوك فان
تحقق العبد في
المعرفة ومشاهدة
الوحدانية الصرفة
فلا بأس بالاخبار
بأعماله والاظهار
لما حسن أحواله
ليؤدي حق شكرها
وليقتدي به غيره
انبنى أمر أهل
الطريق في البداية
على الفرار من الخلق
والانفراد بالملك
الحق واخفاء
الاعمال وكتمان
الاحوال تحقيقا
لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص أعمالهم لسيدهم الله
حتى اذا تمكن اليقين وايدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود البقاء
فهنالك ان شاء الله أظهرهم وان شاء سترهم ولم تتعلق ارادتهم بظهور ولا خفاء بل يردون الامر اليه في
ذلك ثم بين حقيقة صدق العبودية بقوله

هذا الملك قد أتاك فقال للغلام ائتني بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر
فأقبل يحشو شدقه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبكم قالوا هذا قال
كيف أنت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير
فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لي ذام ومن هذا
النوع من الرياء خاف الكبار وعدوا أنفسهم بسببه من الاشرار كما روي عن
الفضيل بن عياض رضي الله عنه انه قال من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الى
وسمع مالك بن دينار رضي الله عنه امرأة وهي تقول له يا مراء فقال لها يا هذه
وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة ودخل رجل على داود الطائي رضي الله
عنه فقال ما حاجتك قال زيارتك فقال اما أنت فقد عملت خيرا حين زرت
ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا اذا قيل لي من أنت أمن الزهاد أنت لا والله
أمن العباد أنت لا والله أمن الصالحين أنت لا والله ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول
كنت في الشبيبة فاسقا فلما كبرت صرت مرائيا والله للمرائي شر من الفاسق الى
غير هذا مما روي عنهم في هذا المعنى ولا يسلم من الرياء الخفي والجلي الا العارفون
الموحدون لان الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية
الخلق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا منهم حصول
منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة فأعمال هؤلاء خالصة وان عملوها بين
أظهر الناس وبمرأى منهم ومن لم يحظ بهذا وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول
المنافع ودفع المضار فهو مراء بعمله وان عبد الله تعالى في قنة جبل بحيث لا يراه
أحد ولا يسمع به وقد تقدم قول يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه أعز شيء
في الدنيا الاخلاص وكم أجتهد في اسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت فيه على
لون آخر (استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك
في عبوديتك) الخصوصية ههنا ما اختص الحق تعالى به بعض عباده من عمل
نافع أو علم صالح وصدق العبودية فيه أن يقنع بعلم الله تعالى فيه بحاله ولا يتطلع
الى أن يعرف بذلك أحد من الخلق فيشغله حينئذ الحياء من ربه والشكر له عن
الاستشراف الى معرفة الخلق بذلك ويغار على حاله من رؤية الاغيار له ولهذا
فضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا كما ورد في الخبر عن نبينا صلى

الله عليه وسلم وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه وليمسح شفتيه فاذا خرج الى الناس رأوا انه لم يصم واذا أعطى أحدكم فليعط بيمينه وليخفه عن شماله واذا صلى أحدكم فليستدل عليه ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقد سئل حكيم من الحكماء عن علامة الصادق فقال كتمان الطاعة وقال أحمد بن أبي الحوارى رضى الله عنه من أحب أن يعرف بشئ من الخير ويذكر به فقد أشرك فى عبادته لان من عبد الله على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى مخدومه وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضى الله عنه كل من لم يقنع فى أفعاله وأقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لا محالة وقال بعضهم ما أخلص أحد قط الا أحب أن يكون فى جب لا يعرف وقال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه من أحب أن يطلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو غافل وقال أبو الخير الاقطع رضى الله عنه من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مراء ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب وقال بعضهم لمن استوصاه لا تحب أن تعرف ولا تحب ان تعرف انك ممن لا يحب أن يعرف فعلى العبد اخفاء حاله جهده وأن يبلغ فى كتمانه أقصى ما عنده (قال) الحسن رضى الله عنه أدركت أقواما ما من أحد منهم يستطيع أن يسر شيأ من عمله الا أسره وان كان الرجل ليجلس مع القوم وانه لفقيه وما يعلم به حتى يقوم ولقد أدركت أقواما يأتى أحدهم الزور فيقوم فيصلى وما يشعر به الزور ولقد أدركت أقواما وما من عمل يقدرون أن يعملوه لله سرا فيكون علانية أبدا ولقد أدركت أقواما يجمع أحدهم القرآن وما يعرف به جاره ولقد أدركت أقواما يجتهدون فى الدعاء وما يسمعهم أحد وقال محمد بن واسع رضى الله عنه أدركت رجالا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته ولقد أدركت رجالا يقوم أحدهم فى الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذى الى جنبه وفى رواية عنه ان كان الرجل ليبكى عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم فان وقع منه اعلان واظهار فى وقت ما فليشتغل حينئذ بمراقبة قلبه وصونه عن أن يعمل فيه الفرح اطلاع الناس على حاله ولينكر ذلك على نفسه وليكرهه ولا يرضه منها وليجاهد نفسه فى ذلك أشد المجاهدة فان خالف هذا واستشرف الى معرفة غير الله بحاله وغفل عن مجاهدة نفسه فى حال ظهور ذلك منه ولو فى لحظة خيف عليه أن يعمل الفرح فى قلبه فيقع عند ذلك فى الفتنة فان كان ضعيف الارادة لم يسلم من الوقوع فى الرياء الجلى والخفى لان سببه قد استتب له وان كان قوى الارادة وسالكا سبيل المعرفة لم يسلم من السكون والركون فيفقد حينئذ

الغيرة على الحال ويخط بذلك عن ذروة الكمال ولهذا كان اسقاط المنزلة عند الناس من ضرورات سالكي هذه الطريقة كما تقدم عند قوله ادفن وجودك في أرض الخمول فان تحقق العبد في المعرفة ومشاهدة الوحدانية الصرفة جازله الاخبار بأعماله والاظهار بمحاسن أحواله بناء منه على نفي الغير وأداء الواجب حق الشكر * كان بعض السلف يصبح فيقول صليت البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له أما تخشى من الرياء فيقول ويحكم وهل رأيتم من يرائي بفعل غيره وكان آخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم لا تكتم ذلك فيقول ألم يقل الله سبحانه وتعالى وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث فان قصد من هذا امالة الى هداية عباد الله ودعائهم الى الله تعالى فأظهر احواله واعماله للاقتداء به والاهتداء بهديه فهو خارج عن النمط الاول كله وداخل في حكم هذا النوع الثاني وعلانيته هذا أفضل من سره لانه سلم من الآفات التي تعرض لها غيره وحصلت منه الفوائد التي تضمنها اظهاره وجهره وقد جاء في الخبر السر أفضل من العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء وهذا أرجح الوجوه عند العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي سأله عن فرحه باطلاع الناس على بعض اعماله لك أجران أجر السر وأجر العلانية وقد فضل ماذكرناه من اظهار الطاعة جماعة من الصحابة والتابعين منعنا من ذكر وقائعهم خشية الاطالة وكان ذلك منهم لاجل هذا الغرض ومقام هذا العبد مقام النصحاء لعباد الله والدعاة لهم الى الله فلاجرم كان له الدرجات العلا عند الله تعالى لانه من أئمة المتقين لله وقد أخبر الله تعالى بجزائهم وذكرهم عقيب دعائهم بذلك فقال عزمن قائل أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قال في لطائف المنن اعلم ان مبنى أمر الولي على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاعتناء بشهوده قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه أليس الله بكاف عبده وقال تعالى ألم يعلم بان الله يرى وقال تعالى أو لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد فبنى أمرهم في بدايتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال وكتمان الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص أعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وأيدوا في الرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود البقاء فهنالك ان شاء الحق أظهرهم وان شاء سترهم ان شاء أظهرهم هادين لعباده اليه وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شئ اليه فظهور الولي ليس بارادته لنفسه ولكن بارادة الله تعالى له بل مطلبه ان كان له مطلب الخفاء لا الجلاء كما قدمناه فلما لم يكن الظهور مطلبهم

(غيب نظر الخلق اليك) أي لا تلتفت الى نظرهم اليك ولا تطلبه ولا تخطره ببالك بل اجعله غائبا عنك (بنظر الله اليك) فلا يكن التفاتك وتشوفك الا لنظر الله اليك وكذا يقال في قوله (وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك) فلا تلتفت *(٢٢)* الى اقبالهم عليك ولا تطلبه بل لا يكون التفاتك ولا طلبك الا لاقبال الله عليك فان اقبال الخلق على المريد قبل كماله يوجب له التصنع لهم ومداهنتهم وغير ذلك من الآفات وذلك يوجب انحطاط رتبته وسقوطه من عين الحق والعياذ بالله تعالى فلا يرضى باقبالهم الا ذو عقل قاصر وهمة دنيئة لان رضا الناس غاية لا تدرك وأحمق الناس من طلب ما لا يدرك وأما من كان له عقل وافر فلا يميل الا لاقبال الله من غير مبالاة بذم ذام ولا عيب عائب قال بعضهم الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولا يحب أن يطلع الناس على مثقال ذرة من صلاح عمله ولا يكره أن يطلعوا على السيء من عمله فان كراهته لذلك دليل على انه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاص الصادقين اهـ

وأراد الله سبحانه اظهارهم فأظهرهم وتولاهم في ذلك بتأييده وواردات مزيده لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سلمة لا تطلب الامارة فانك ان أعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها ومن تحقق منهم بالعبودية لله تعالى لم يطلب ظهورا ولا خفاء بل أرادته وقف على اختيار سيده له وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه انتهى

❊ غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك) هذا المعنى هو حقيقة صدق عبودية الله الذي أشار اليه في المسئلة التي قبل هذه وهو أن لا يكون له شعور بما من الخلق اليه من نظر واقبال ولا تشوف اليه ولا طلب له وانما يكون شعوره وتشوفه وطلبه مقصورا على ما من الله اليه من نظره اليه واقباله عليه فيغيب أدنى الحالين بأعلاهما وذلك بأن يعلم ان ما من الخلق اليه أمر وهمي باطل فينقاد اليه كل ذي عقل قاصر يوجب له هذا الانقياد أنواعا من الكبائر والرذائل من الانحطاط في أهواء الناس وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع والتزين لهم وتربية الجاه والحشمة لديهم تكبرا وتعظما عليهم ومعاشرتهم بالنفاق والادهان وتخالف الاسرار والاعلان وهذا عذاب أليم استعجله في دنياه اذ يفوته بذلك راحة قلبه وطيب عيشه ويسلبه أثواب الغنى والعزة ويلبسه لباس الطمع والذلة فتردى بذلك همته وتقل قيمته ولعذاب الآخرة أكبر وقد قال الشاعر

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

ورأى سهل بن عبد الله رضي الله عنه رجلا من الفقراء بمكة فقال له شيأ فقال له يا أستاذ لا أقدر على هذا من أجل الناس فالتفت سهل الى أصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون بأحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الا هو وخالقه فان أحدا لا يقدر أن يضره ولا ينفعه أو تسقط نفسه عن قلبه فلا يبالي بأي حال يرونه انتهى ثم من لم يحصل ما أراده منهم فأغراضهم مختلفة وطباعهم متباينة فربما استحسن من نفسه شيأ لم يستحسنه غيره وربما أرضى شخصا بما لا يرضي الآخر فهو يعمل بزعمه فيما

بالله (شم لهه فى كل شئ) اى رآه ظاهرا فى أعيان الموجودات فلا يستوحش من شئ ويأنس به كل شئ كما تقدم فى نعت العارفين (ومن فنى به) أى تحقق فى مقام الفناء (غاب عن كل شئ) فلا يرى فى الوجود ظاهرا الا الله ويغيب هو عن نفسه وحسه فلا يشاهد له وجودا وتحققا بخلاف العارف فانه متحقق فى مقام البقاء فيرى الخلق والحق ويرى الحق ظاهرا فى كل الاشياء وقائما بها مع عدم غيبته عن نفسه وحسه (ومن أحبه لم يؤثر عليه شيأ) أى من اراداته وشهواته فهذه علامات يعرف بها حال من ادعى بلوغ هذه المقامات

ينفعه عند الناس وهو ساع فيما يضره عندهم وعند الله تعالى مع مقاساة التعب والنصب فى نفسه * وفى الحكاية المذكورة عن لقمان وابنه تنبيه على هذا المعنى ذكر أن لقمان دخل ذات يوم السوق وهو راكب حمارا وابنه يسوقه فقال الناس حين رأوه شيخ لم يشفق على صبى فأركبه خلفه فقالوا اثنان على حماره لا زادنا لثنا فنزل لقمان وبقى الولد فقالوا شيخ ماش وصبى راكب فنزل الولد يمشى مع والده وساقا الحمار جميعا فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه وكان غرض لقمان بهذا أن يرى ابنه شأن الناس مع من يراعى نظرهم فانه لا يسلم منهم على أى حالة تكون فرضا الناس غاية لا تدرك وأحمق الناس من طلب ما لا يدرك فهذا حال من انقاد الى الاوهام من ضعفاء العقول وسخفاء الاحلام وأما من كان له عقل وافر وحلم فاخر فلا يميل الا الى ما هو حق ووجود صدق وهو ما من الله اليه من نظر واقبال وجزيل عطاء وعظيم نوال فهو يعمل فيما يؤديه الى هذه المطالب من غير اكتراث بذم ذام أو عيب عائب ويقول بلسان حاله

ان الذى تكرهون منى * هو الذى يشتهيه قلبى

ويقول أيضا ما قاله محمد بن اسلم رضى الله عنه مالى ولهذا الخلق كنت فى صلب أبى وحدى ثم صرت فى بطن أمى وحدى ثم دخلت الدنيا وحدى ثم تقبض روحى وحدى فأدخل فى قبرى وحدى ويأتينى منكر ونكير فيسألانى وحدى فان صرت الى خير صرت وحدى وان صرت الى شر صرت وحدى ثم أوقف بين يدى الله وحدى ثم يوضع عملى وذنوبى فى ميزانى وحدى فان بعثت الى الجنة بعثت وحدى وان بعثت الى النار بعثت وحدى فمالى وللناس وقد سئل الحرث بن أسد المحاسبى رضى الله عنه عن علامة الصادق فقال الصادق هو الذى لا يبالى لو خرج له كل قدر له من قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السيئ من عمله فان كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاق الصادقين *(من عرف الحق شهده فى كل شئ) فلا يستوحش من شئ ويستأنس به كل شئ كما تقدم من نعت العارفين *(ومن فنى به غاب عن كل شئ) فلا يكون منه على الاشياء اعتماد ولا له اليها استناد *(ومن أحبه لم يؤثر عليه شيأ) من مراداته وشهواته وهذه الامور التى ذكرها المؤلف رحمه الله هى علامات بلوغ هذه المقامات العلية وبها تصح وتكمل فمن لم يجدها فى نفسه فلا ينبغى له أن يدعى تلك المقامات وليعمل على مجاهدة نفسه فيما يصححها ويكملها

(انما

(انما حجب الحق) أى الله (عنك شدة ظهوره) ولان الحجاب كما يكون بشدة البعد يكون بشدة القرب فان اليد اذا قربت من البصر والتصقت به لم يرها بخلاف ما اذا كانت بعيدة عنه وكذلك الرب لم نره لاحاطته بنا احاطة تامة وقربه منا قربا معنويا ولا يدرك ذلك الا أرباب البصائر الذين تجلى الحق على بصائرهم فأزال عنهم * (١٣) * الحجاب حتى رأوه قائما بالاشياء ومحيطا بها (و) انما (خفى عن الابصار) فى الدنيا فلم تدركه (لعظم نوره) وذلك كالشمس فان نورها أقوى من سائر الانوار المحسوسة وقوة نورها هو الذى حجب الابصار الضعيفة عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها الذى أوجبه وجود نورها حجابا لها وليس الحجاب منها على الحقيقة فان الظاهر لذاته لا يحتجب من ذاته وانما يطرأ الحجاب عليه من غيره وهو هنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور وهذا لازم لما قبله (لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه) أى لا تقصد بطلبك أى توجهك له بالدعاء والاعمال الصالحة حصول النوال منه

(انما حجب الحق عنك شدة قربه منك) شدة القرب حجاب كما أن شدة البعد حجاب لان شدة قربه منك موجبة لاضمحلالك وذهابك والمضمحل الذاهب لامناسبة بينه وبين الثابت الموجود فكيف يراه * قال فى لطائف المنن فعظيم القرب هو الذى غيب عنك شهود القرب قال الشيخ أبو الحسن حقيقة القرب أن تغيب فى القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذى هو فيه انقطعت رائحته عنه وأنشد بعض العارفين

كم ذا تموه بالشعبين والعلم * والامر أوضح من نار على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها * وعن تهامة هذا فعل متهم

(انما احتجب بشدة ظهوره وخفى عن الابصار لعظم نوره) هذه عبارة تداولها الناس وضربوا لها مثلا بالشمس وذلك أن الشمس نورها أقوى من سائر الانوار المحسوسة وقوة نورها هى التى حجبت الابصار الضعيفة عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها الذى أوجبه وجود نورها حجابا لها وليس الحجاب على الحقيقة منها فان الظاهر لذاته لا يحجب من ذاته وانما الحجاب عليه من غيره والحجاب ههنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور فالحق تعالى احتجب عن الخلق بشدة ظهوره وخفى عن الابصار لعظم نوره وأنشدوا فى هذا المعنى

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد * الا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا * وكيف يعرف من بالعزة استترا

وأنشدوا أيضا

بالنور يظهر ما ترى من صورة * وبه وجود الكائنات بلا امترا
لكنه يخفى لفرط ظهوره * حسا ويدركه البصير من الورى
فاذا نظرت بعين قلبك لم تجد * شيأ سواه على الذوات مصورا
واذا طلبت حقيقة من غيره * فبذيل جهلك لا تزال معثرا

وقال رضى الله عنه (لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية) لم يأمر الله تعالى

وتعتقد أنه سبب مؤثر فى ذلك (فيقل فهمك عنه) أى عن الله أى فلا تفهم السر والحكمة فى أمر الله عباده بالطلب وهو ما ذكره بقوله (وليكن طلبك لاظهار العبودية) أى لاظهار كونك عبدا ذليلا ضعيفا لا غنى لك عن سيدك (وقياما بحقوق الربوبية) فان الربوبية تقتضى التذلل والخضوع من المربوب يعنى ان الله تعالى لم يأمر عباده بالطلب منه الا ليظهر افتقارهم اليه وتذللهم بين يديه لا

لان يتسببوا به الى حصول ما طلبوه ونيل مارغبوا فيه هذا هو فهم العارفين عن الله ومن هذا
...ه لا ينقطع سؤاله ولا رغبته وان أعطاه كل مطلب وأناله كل سؤل ومأرب ولا يفرق بين العطاء والمنع
فيكون عبد الله فى الاحوال كلها كما أنه ربه فى الاحوال * (١٤) * كلها وقبيح بالعبد أن يصرف
وجهه عن باب مولاه ما يذيله من شهواته وهواه (كيف يكون طلبك اللاحق) أى الموجود فيما لايزال (سببا فى عطائه) أى اعطائه (السابق) أى الموجود فى الازل فان الاعطاء وهو تعلق الارادة فى الازل تعلقا تنجيزيا قديما لا يكون الطلب سببا فيه لتأخره عنه والسبب لابد من تقدمه على المسبب ولذا قال (جل حكم الازل) أى ما حكم به فى الازل وتعلقت ارادته به وهو الاعطاء (أن يضاف الى العلل) أى ان ينسب لعلة وهو الطلب أى أن يكون سببا مؤثرا فيه ان قيل قد يكون ذلك الاعطاء معلقا على الطلب فيكون سببا فيه أجيب بأن السبب فى الحقيقة هو تعلق ارادة الله فى الازل أنك تدعوه فيما لايزال لا نفس الطلب المتأخر

عبادته بالطلب له والسؤال منه الا ليظهروا افتقارهم اليه ومثولهم بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون ذلك اظهارا لعبوديتهم وقياما بحقوق ربوبيته لا لأن يتسببوا به الى حصول ما طلبوه ونيل مارغبوه مما لهم فيه منفعة وحظ هذا هو فهم العارفين عن الله تعالى ويدل على هذا المعنى ما يذكره المؤلف الآن قال أبو نصر السراج رضى الله عنه سألت بعض المشايخ عن الدعاء ما وجهه لاهل التسليم والتفويض فقال تدعو الله على وجهين أحدهما تريد بذلك تزيين الجوارح الظاهرة بالدعاء لان الدعاء ضرب من الخدمة فتريد أن تزين جوارحك بهذه الخدمة والوجه الثانى أن تدعو ائتمارا لما أمر الله تعالى من الدعاء انتهى وقد قيل فائدة الدعاء اظهار الفاقة بين يديه والا فالرب يفعل ما يشاء ومقتضى هذا أن لا ينقطع سؤاله ولا رغبته وان أعطاه كل ما طلبه وأناله سؤله وأربه وأن لا يفرق بين العدم والوجود والمنع والاعطاء فيما يرجع الى اظهار الفاقة والفقر فيكون عبد الله فى الاحوال كلها كما ان ربه واسع الفضل فى الاحوال كلها وقبيح بالعبد أن يصرف وجهه عن باب مولاه ما يذيله من شهواته وهواه قال سيدى أبو الحسن رضى الله عنه لا يكن همك بدعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا وليكن همك مناجاة مولاك * قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه شر الناس من يبتهل الى الله تعالى عند هجوم البلاء بخلوص الدعاء وشدة التضرع والبكاء فاذا زالت شكايته ورفعت عنه آفته ضيع الوفاء ونسى البلاء وقابل الرفاهية بنقض العهد وأبدل العقد برفض الود أولئك الذين أبعدهم الله فى سابق الحكم وخرطهم فى سلك أهل الرد وقد قيل بلاء يلجئك الى الانتصاب بين يدى معبودك خير لك من عطاء ينسيك اياه ويقصيك عنه (كيف يكون طلبك اللاحق سببا فى عطائه السابق) هذا دليل على نفى السببية المذكورة لان ما طلبه العبد أمر سابق فى الازل تقديره وطلبه أمر لاحق فيما لايزال وكيف يكون اللاحق سببا فى وجود السابق وهل السبب أبدا الا متقدم على المسبب (جل حكم الازل ان ينضاف الى العلل) هذا دليل آخر على ما ذكره وهو أن حصول ما طلبه الداعى حكم من الله تعالى فى الازل فلا يكون سببه الدعاء والسؤال لان أحكام الله تعالى تجل عن أن تنضاف الى علة أو سبب من قبل أن له الارادة المطلقة والمشيئة النافذة فصنعه على

عنايته فيك) أى اعطاؤه اياك ما تطلبه منه أى تعلق ارادته فى الازل بالاعطاء (لا لشئ منك) أى وقع منك اقتضى حصول تلك العناية كالدعاء والاعمال الصالحة (واين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته) وهى بمعنى العناية أى انك كنت معدوما فى الازل ويلزم من ذلك عدم ما يصدر منك (لم يكن فى ازله اخلاص أعمال) أى أعمال خالصة كالدعاء والصلاة والصوم (ولا وجود أحوال) مرادف لما قبله (بل لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال) مرادف لما قبله فالدعاء ليس سببا مؤثرا فى المطلوب والاعمال الصالحة ليست سببا مؤثرا فى عناية الله أى دخول الجنة والنجاة من النار (علم أن العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية) السر هو الشئ المعطى لانه مخفى عنا والعناية هى تعلق الارادة بحصوله فى المستقبل فلما علم أننا *(١٥)* نتشوف الى حصوله فنطلبه بالدعاء والاعمال الصالحة ونعتقد تأثير ذلك فيه (فقال يختص برحمته من يشاء) زجرا لنا وقطعا لاطماعنا لاحتمال ان سر العناية خاص ببعض الناس كان النبوة لما تشوف الناس الى ظهورها آخر الزمان ادعاها جماعة فزجرهم الله بقوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته (وعلم انه لو خلاهم وذلك) أى مع ملاحظة ان العناية الازلية خاصة ببعض الناس وليست عامة (لتركوا العمل اعتمادا على الازل) قائلين ان كان سبق فى الازل أنا من أهل العناية ومن أهل الخصوص نجونا من النار ودخلنا الجنة من غير اعمال فلا حاجة الى الاعمال ولا الى الدعاء بحصول المطالب (فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين) الاعمال الصالحة فهى علامة وامارة على تلك العناية الازلية وان لم تكن علة موجبة لها فلا ينبغى تركها اعتمادا على ما فى الازل وان لم يكن لها تأثير فى حصول المطلوب (الى المشيئة يستند كل شئ) أى ان كل موجود يستند الى مشيئة الله من حيث تعلقها به أزلا (وليست تستند هى الى شئ) من الموجودات والمراد بالمشيئة فى مرجع الضمير ما تعلقت به أزلا وهو مطالب العباد التى سبق بها العلم فان طلبها بالدعاء والاعمال الصالحة ليس سببا مؤثرا فيها وهذه العبارات التى ذكرها المصنف فى غاية الحسن وفيها اشارة الى التعلق باحكام الازل وطرح الاسباب والعلل فعلى العبد ان يلازم العبودية والافتقار

لكل شئ ولا علة لصنعه كما قاله العارفون المحققون (عنايته فيك لا لشئ منك وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن فى أزله اخلاص أعمال ولا وجود أحوال بل لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال) عناية الله تعالى بك فى الازل حين لم تكن حينا لا حين غير معلله بشئ كائن منك من اخلاص أعمال ولا وجود أحوال تتوسل بجميع ذلك اليه وأين كنت اذ ذاك وأنت عدم محض بل لم يكن هناك الا محض كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله لا غير قال الواسطى رحمه الله تعالى أقسام قسمت ونعوت وأحكام أجريت كيف تستجلب بحركات أو تنال بسعايات (علم ان العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية فقال يختص برحمته من يشاء وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين) ظهور سر العناية التى مقتضاها الرحمة هو تخصيص المشيئة فى قوله عز من قائل يختص برحمته من يشاء ولا علة له من العبد والاحسان المنسوب اليه فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين أمارة وعلامة على تلك العناية وليس بعلة موجبة وانما أسند الرحمة اليه وعلقها به لئلا يتكل العباد على السابقة ويتركوا العمل الذى هو مقتضى العبودية الواجبة لله تعالى عليهم (الى المشيئة يستند كل شئ) لان وقوع ما لم يشأ الحق تعالى محال (ولا تستند هى الى شئ) لاستحالة وجود النقص فيما يجب

ويترك التدبير والاختيار * قال أبو بكر الواسطي ان الله لا يقرب فقير الاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والآخرة ما أوصلك اليه بهما ولو أخذتهما كلهما ما قطعك بهما قرب من قرب من غير علة وأبعد من أبعد من غير علة قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور (ربما دلهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته) يعني ان بعض *(١٦)* العارفين قد يغلب عليهم التفويض والتسليم فيترك السؤال والطلب اعتمادا على القسمة الازلية وممن رأيناه متحققا في هذا المقام العارف بالله تعالى الغارف من بحر الحقيقة الشيخ مصطفى أفندي التركي القسطموني الجركسي فسح الله في مدته ورزقنا دوام مودته واختلف القوم هل الافضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء أفضل لانه في نفسه عبادة لقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والاتيان بما هو عبادة أولى من

له الكمال وهذه العبارات التي ذكرها المؤلف رحمه الله من أول الفصل الى هنا بلغت الغاية في الحسن واستغنت بترددها وتكرارها عن البيان والشرح وفيها الاشارة الى أحكام الازل وفقد الاسباب والعلل فيجب على العبد ان يبني عليها أعماله وأحواله فيلتزم العبودية والافتقار ويدع التدبير والاختيار لمن بيده ذلك وهذا هو أدب التوحيد جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه وفضله * قال أبو بكر محمد بن موسى الواسطي رضي الله عنه ان الله لا يقرب فقير الاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والآخرة ما أوصلك اليه بهما ولو أخذتهما كلهما ما قطعك بهما قرب من قرب من غير علة وقطع من قطع من غير علة كما قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور وقال أيضا رضي الله عنه ما خالفه أحد ولا وافقه وكلهم مستعملون بمشيئته وقدرته أنى يكون له الوفاق والخلاف وهو يقلب الليل والنهار بما فيهما وهو قائم على الاشياء وبالاشياء في بقائها وفنائها لا يؤنسه وجد ولا يوحشه فقد بل لا فقد ولا وجد انما هي رسوم تحت الرسوم وقال رضي الله عنه

*(ربما دلهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته) قد يكون من الادب ترك السؤال والطلب لمن هو مستغرق في الاذكار راض بما يجري عليه من تصاريف الاقدار وهو أحد مذاهب القوم * قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه واختلف الناس في أي شئ أفضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء في نفسه عبادة قال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة فالاتيان بما هو عبادة أولى من تركها ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى فان لم يستجب للعبد ولم يصل الى حظ نفسه فلقد قام بحق الربوبية لان الدعاء اظهار فاقة العبودية وقد قال أبو حازم الاعرج لان أحرم الدعاء أشد علي من ان أحرم الاجابة وطائفة قالوا السكوت والخمول تحت

تركه ومنهم من قال السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم وأرضى لان ما سبق من جريان اختيار الحق لك أولى من اختيارك وقد ورد في الحديث القدسي من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ومنهم من فصل فقال الاوقات مختلفة فان وجد الداعي في قلبه اشارة الى الدعاء كالانبساط وتوجه القلب فالدعاء أولى وان وجد فيه اشارة الى السكوت كالقبض وعدم توجه القلب فالسكوت أولى فان لم يجد في قلبه شيأ من ذلك كان الدعاء وتركه سواء نعم ان كان الغالب عليه حينئذ المعرفة كان السكوت أولى * ثم علل ما ذكره من كون الادب قد يكون في ترك الطلب فقال

جريان الحكم أتم والرضا بما سبق من اختيار الحق أولى ولهذا قال الواسطى اختيار ماجرى لك فى الازل خير لك من معارضة الوقت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا عن الله تعالى من شغله ذكرى من مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال قوم يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه ليأتى بالامرين جميعا قال الامام أبو القاسم والاولى أن يقال ان الاوقات مختلفة ففى بعض الاحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الادب وفى بعض الاحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الادب وانما يعرف ذلك فى الوقت لان علم الوقت يحصل فى الوقت فاذا وجد بقلبه اشارة الى الدعاء فالدعاء به أولى واذا وجد اشارة الى السكوت فالسكوت له أولى ويصح أن يقال ينبغى للعبد أن لايكون ساهيا عن شهود ربه تعالى فى حال دعائه ثم يجب أن يراعى حاله فاذا وجد من الدعاء زيادة بسط فى وقته فالدعاء له أولى وان عاد الى قلبه فى وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض فالاولى ترك الدعاء فى هذا الوقت وان لم يجد فى قلبه لازيادة بسط ولاحصول زجر فالدعاء وتركه ههنا سيان وان كان الغالب عليه فى هذا الوقت العلم فالدعاء أولى لكونه عبادة وان كان الغالب عليه فى هذا الوقت المعرفة والحال فالسكوت أولى ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو للحق سبحانه وتعالى فيه حق فالدعاء أولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم وأولى وفى الخبر المروى ان العبد ليدعو الله عز وجل وهو يحبه فيقول الله ياجبريل أخر حاجة عبدى فانى أحب أن أسمع صوته وان العبد ليدعوه وهو يبغضه فيقول الله ياجبريل اقض لعبدى حاجته فانى أكره أن أسمع صوته انتهى كلام الامام أبى القاسم القشيرى وهو حسن بديع وهو أوفى مما ذكره المؤلف رحمه الله فلذلك أوردته هنا بكماله (انما يذكر من يجوز عليه الاغفال وانما ينبه من يمكن منه الاهمال) أورد هذا كالدليل على ماذكره من أن ترك الطلب قد يكون من الادب وذلك لان فى الطلب اشعارا بتجويز الاغفال عليه فيقع بذلك التذكير له وتلويحا باحتمال وجود الاهمال منه فيكون ذلك تنبيها له وجميع ذلك محال على الحق تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلاجل هذه العلل كان ترك الطلب عند هؤلاء أدبا وقد سئل الواسطى رضى الله عنه أن يدعو فقال أخشى ان دعوت أن يقال لى ان سألتنا مالك عندنا فقد اتهمتنا وان سألتنا ماليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا وان رضيتنا أجرينا لك من الامور ماقضينا لك فى الدهور وروى عن عبد الله بن منازل رضى الله عنه انه قال مادعوت الله منذ خمسين سنة وما أريد أن يدعو لى أحد لانه ماض على ما سبق

(انما يذكر) بالدعاء (من يجوز عليه الاغفال) أى السهو بأن يكون عنده غفلة وعدم علم بحال السائل فيذكره بالسؤال (وانما ينبه) بمعنى يذكر (من يمكن منه الاهمال) أى عدم الاعتناء بحال السائل مع علمه بحاله وهذا مستحيل على الله تعالى ولذا كان ترك الطلب عند هؤلاء أدبا وقد سئل الواسطى ان يدعو فقال اخشى ان دعوت أن يقال لى ان سألتنا مالك عندنا فقد اتهمتنا وان سألتنا ماليس لك فقد أسأت الثناء علينا وان رضيت أجرينا لك من الامور ما قضينا لك فى الدهور إه

* ورود الفاقات أعياد المريدين) الاعياد عبارة عن الاوقات العائدة على الناس بالمسرات والافراح وهم مختلفون فى ذلك فمنهم من مسرته وفرحه بوجود حظه ونيل شهواته وغرضه وهذا هو حال عامة المسلمين ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظه واعواز أمانيه وأغراضه وهذا هو حال الخاصة من المريدين لان مدار أمرهم انما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية أسرارهم من كدورات الاغيار ولا تأتى لهم ذلك الا بوجدانهم لما يقهرهم من ضروب الفاقات وأنواع الحاجات والضرورات فتراهم يؤثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض على الصحة اذ يحصل لهم بذلك رقة وحلاوة لا يعرف قدرها الا هم لانها من وجودهم لقرب ربهم ورؤيتهم له فى حال فقدان حظهم وكلما ازدادوا فاقة وبلاء ازدادهم ولاهم قربة وولاء كان بعضهم يطوف حول الكعبة الشريفة وهو يقول

مؤتزر بشملتى كما ترى * وصبيتى باكية كما ترى
وامرأتى عريانة كما ترى * يامن يرى الذى بنا ولا يرى
اماترى ماحل بى أماترى * أماترى الذى بنا أماترى

فسمعه بعضهم فجمع له كثيرا ودفعها اليه فقال له اليك عنى لو كان معى شئ لما أمكننى أن أقول هذا القول * قال فى التنوير وفى البلايا والفاقات من أسرار الالطاف ما لا يفهمه الا أولوا البصائر ألم تر أن البلايا تخمد النفوس وتذهلها وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع مع البلايا وجدان الذلة ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال أبو اسحق ابراهيم الهروى رضى الله عنه من أراد أن يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على سبع فان الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير أن يختار الفقر على الغنى والجوع على الشبع والدون على الرفع والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة وقد تقدم عند قول المؤلف رحمه الله من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذاك لقصور نظره الشفاء فى هذا المعنى فواجب اذا أن يكون ورود الفاقات أعياد المريدين كما قال فاذا فقدوا ذلك بمواتاة الاسباب استشعروا بذلك وجود الحجاب وبعدهم عن محل الاقتراب فحزنوا لذلك وتأسفوا وودوا لو عاد اليهم الحال الاول ومن هذا المعنى ما حكى عن خير النساج رضى الله عنه قال دخلت بعض المساجد فاذا فيه فقير فلما رآنى تعلق بى وقال أيها الشيخ تعطف على فان محنتى عظيمة فقلت وما هى قال فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو قد فتح عليه شئ من الدنيا وقال بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا أن يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما ان الغنى يحترز من الفقر حذرا أن

(ورود الفاقات أعياد المريدين) الاعياد جمع عيد وهى الاوقات العائدة على الناس بالمسرات والافراح فالمريدون يسرون بالفاقات لانها تسرع بوصولهم لمقصودهم لما فيها من الذل وقهر النفس كما تسر العوام بالاعياد لما فيها من نيل شهواتهم من ملابس وغيرها

(ربما وجدت) ايها المريد (من المزيد) أى الزيادة فى حالك من طهارة السريرة وحصول أنوار ومعارف (فى الفاقات) أى فى حال ورودها عليك (مالاتجده فى الصوم والصلاة) لانه قد يكون قيامك بهما لشهوة نفسك وحظوظها ومن كان هذا سبيله ❋(١٩)❋ فلا يؤمن فيه دخول الآفات فلا يفيدك تزكية ولا تحلية بخلاف ورود الفاقات فانها مباينة للهوى والشهوة على كل حال (الفاقات بسط المواهب) أى كالبسط التى ترد عليها المواهب الالهية لكل من جلس عليها كما ان الملك اذا جلس أحد على بساطه اعطاه شيأ من مواهب الدنيا فالفاقات تحضرك مع الحق وتجلسك على بساط الصدق وناهيك بما يكون فى تلك الحضرة والمجالسة من المواهب الربانية والنفحات الرحمانية ولذا قال (ان أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك) بأن تحقق بهما فى نفسك تحققا تاما فلا يكون عندك استغناء بغيره بوجه من الوجوه فحينئذ ترد المواهب الالهية عليك لقوله تعالى (انما الصدقات للفقراء تحقق بأوصافك يمدك) بضم الياء وفتحها مع كسر الميم على الاول وضمها على الثانى (بأوصافه) ثم فصل ذلك بقوله (تحقق بذلك يمدك بعزته) فتصير عزيزا به لابنفسك (تحقق بعجزك يمدك بقدرته) فتصير قادرا به لابنفسك (تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته) فتصير قويا به وكذا

يدخل عليه الفقر فيفسد غناه عليه وقد تقدم من حكايات عطاء السلمى وفتح الموصلى والفضيل بن عياض والربيع بن خيثم رضى الله عنهم مايوافق ماذكرناه وأنشدوا فى ذكر أعياد المريدين والعارفين وقيل انها لابى على الروذبارى رضى الله عنه

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه ❋ فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباى تحتهما ❋ قلب يرى الفه الاعياد والجمعا
احرى الملابس أن تلقى الحبيب به ❋ يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم ان غبت ياأملى ❋ والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا

❋(ربما وجدت من المزيد فى الفاقات مالاتجده فى الصوم والصلاة) وورود الفاقات يحصل للمريد بها مزيد كثير من صفاء القلب وطهارة السريرة وقد لايحصل له ذلك بالصوم والصلاة لان الصوم والصلاة قد يكون له فيهما شهوة وهوى كما تقدم وما كان هذا سبيله لايؤمن عليه فيه من دخول الآفات فلا يفيد تحلية ولا تزكية بخلاف ورود الفاقات فانها مباينة للهوى والشهوة على كل حال وقد تقدم نحو من هذا المعنى عند قوله اذا فتح لك وجهة من التعرف فلاتبال معها ان قل عملك الى آخره ❋(الفاقات بسط المواهب) الفاقات تحضره مع الحق وتجلسه على بساط الصدق وناهيك بما يكون فى تلك المحاضرة والمجالسة من المواهب الربانية والنفحات الرحمانية ❋(ان أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك انما الصدقات للفقراء) هذا مثل ماذكره الآن وذكر الآية عقيبه اشارة بديعة وتصحيح الفاقة والفقر هو التحقق بأوصاف العبودية المذكورة فى المسئلة التى تأتى بأثر هذه ومما يتعلق بظاهر الآية التى استشهد بها المؤلف رحمه الله على طريقة القوم ماقال بعضهم صدق الفقير أخذه الصدقة ممن يعطيه لاممن يقبل اليه على يده فالحق تعالى هو المعطى على الحقيقة لانه جعلها لهم فان قبلها من الحق فهو الصادق فى فقره لعلو همته ومن قبلها من الوسايط فهو المتوسم بالفقر مع دناءة همته ❋(تحقق بأوصافك يمدك [illegible] بأوصافه تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته) هذا مناسب لماذكره من الفاقات والمواهب وقد

من للضعيف غيرك وعلى بساط الفقر والفاقة وقلت ياغنى من للفقير غيرك وجدت الاجابة ثم اطوع يدك فقوله تحقق بأوصافك الخ مناسب لما ذكره من الفاقات والمواهب لان من جملة المواهب الامداد بضد الوصف الذى تحققت به (ربما رزق الكرامة) اى الامر الخارق للعادة (من لم تكمل له الاستقامة) فلا ينبغى للمريد ان يعتنى بها ويغتر بظهورها على يده لانها حينئذ ربما كانت معونة او استدراجا لاكرامة فالكرامة الحقيقية هى كمال الاستقامة ومرجعها الى أمرين صحة الايمان بالله واتباع ماجاء به رسول

تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديته متحققا *قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى واضدادها أوصاف الربوبية فالك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقى ياغنى من للفقير غيرك ومن بساط الضعف ياقوى من للضعيف غيرك ومن بساط العجز ياقادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل ياعزيز من للذليل غيرك تجد الاجابة كأنها طوع يدك واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين انتهى كلام سيدى أبى الحسن وهو معنى ماذكره المؤلف ههنا واكثر كلام المؤلف جار على منهاج كلام أبى الحسن رضى الله عنهما ونفع بهما

وقال رضى الله عنه (ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة) الكرامة الحقيقية انما هى حصول الاستقامة والوصول الى كمالها ومرجعها الى أمرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد أن لايحرص الا عليهما ولا تكون له همة الا فى الوصول اليهما وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين اذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامة *قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب اوذو خطأ فى العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لايصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور وناقص أو هالك مثبور *وقال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه ليس الشأن من تطوى له الارض فاذا هو بمكة وغيرها من البلدان انما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فاذا هو عند ربه *وذكر عند سهل ابن عبد الله رضى الله عنه الكرامات فقال وما الآيات وما الكرامات هى شئ تنقضى لوقتها ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بخلق محمود وقال بعض المشايخ لاتعجبوا ممن لم يضع فى جيبه شيأ فيدخل يده فى جيبه فيخرج منه مايريد ولكن تعجبوا ممن يضع فى جيبه شيأ فيدخل يده فى جيبه فلا يجده فلا يتغير وقيل لابى محمد المرتعش رضى الله عنه ان فلانا يمشى على الماء فقال عندى من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى على الماء

الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على المريد ان لايحرص الا عليها ولا يكون له همة الا فى الوصول اليها واما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين

(ومن علامات اقامة الحق) أى الله (لك فى الشئ) كالاكتساب أو التجريد (اقامته اياك فيه) أى تيسر أسبابه لك وادامته عليك (مع حصول *(٢١)* النتائج) أى ثمرات ذلك الشئ كسلامة الدين ووجود الربح من الكسب كما ر (من عبر) أى تكلم فى علوم القوم وافادها للمريدين (من بساط احسانه) أى ملاحظا أن تعبيره وافادته تلك العلوم نشأ من احسانه أى أعماله الصالحة الشبيهة بالبساط الذى يجلس عليه عند ورود المواهب (اصمتته الاساءة) أى أسكتته اساءته ومخالفته للرب فينقبض من ذلك التعبير لما يعتريه من الخجل والحياء بسبب المعصية التى صدرت منه وسبب ذلك مشاهدته احسان نفسه (ومن عبر من بساط احسان الله اليه) أى ملاحظا ان تعبيره وافادته تلك العلوم ناشئ من احسان الله اليه غائبا عن رؤية نفسه

الماء والهواء * وقال أبو يزيد رضى الله عنه لو أن رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه فى الامر والنهى وقيل له ان فلانا يقال انه يمر فى ليلة الى مكة فقال الشيطان يمر فى لحظة من المشرق الى المغرب وهو فى لعنة الله وقيل له يقال ان فلانا يمشى على الماء فقال الحيتان فى الماء والطير فى الهواء أعجب من ذلك وقال الجنيد رضى الله عنه حجاب قلوب الخاصة المختصة برؤية النعم والتلذذ بالعطاء والسكون الى الكرامات وقد تقدم مثل هذا عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه

ومن علامات اقامة الحق لك فى الشئ اقامته اياك فيه مع حصول النتائج لا اعتبار بما يقوم فيه العبد بنفسه من عمل أو حال وانما العبرة بما يقيمه فيه ربه وعلامة اقامة الله عبده فى الشئ أن يديمه عليه ويحصل له ثمرته ونتيجته ويبنى على هذا آداب ومعاملات وقد أشرنا الى نحو من هذا عند قول المؤلف رحمه الله ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك فى الاسباب الى آخره *ومن عبر من بساط احسانه أصمتته الاساءة ومن عبر من بساط احسان الله اليه لم يصمت اذا أساء* من شاهد احسان نفسه وعمل طاعة ربه انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله فان وقعت منه اساءة ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحياء وهذه طريقة أهل التكليف الذين ينظرون الى ما منهم الى الله تعالى من عمل صالح أو طالح ومن شاهد احسان الله اليه وغاب عن رؤية احسانه هو انبسط لسانه فى الحالين من غير فرق لان مشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته فى الحالين أوجبت جراءته على ذلك وقد قيل جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وهذه طريقة أهل التعريف الذين ينظرون الى ما من الله تعالى اليهم قلت وماذكرته هنا من لفظى التعريف والتكليف وما نبهت به عليهما من الكلام اللطيف أشرت به الى مسئلة عظيمة مهمة ينبنى عليها آداب وأحكام جمة وهى مسئلة اختلاف الناس فى معاملاتهم لربهم بحسب نياتهم فى مراتب قربهم ومن أحكامها مسئلة التعبير التى اقتصر المؤلف عليها فى هذا الفصل ولم يذكر معها سواها مما ينبنى على ذلك الاصل وقد نبه عليها فى لطائف المنن وأتى فيها بكلام متع عجيب حسن فرأينا أن ننقله ههنا بكماله ليتبين به مقصدنا فى تفصيله واجماله * قال فيه وقال رضى الله عنه يعنى شيخه أبا العباس الناس على ثلاثة أقسام عبد هو بشهود ما منه الى الله وعبد هو بشهود ما من الله اليه وعبد هو

(لم يصمت اذا أساء) أى لم يسكت عن ذلك التعبير اذا صدرت منه معصية لان غيبته عن نفسه ومشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته أوجبت جراءته على ذلك ولذا قيل جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان

بشهود مامن الله اليه ذلك ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره واساءته فيقوم مقام المعتذر بين يدى الله تعالى وتلازمه الاحزان وتحالفه الاشجان ويستولى عليه الكمد كلما بدت منه سيئة أوكشف له من نفسه عن أوصاف سوء وعبد آخر الغالب عليه شهود مامن الله اليه من الفضل والاحسان والجود والامتنان فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح بنعمة الله قال الله سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالاول حال العباد والزهاد والثانى حال أهل العناية والوداد الاول شأن أهل التكليف والثانى شأن أهل التعريف الاول حال أهل اليقظة والثانى حال أهل المعرفة ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه العارف من عرف شدائد الزمان فى الالطاف الجارية من الله عليه وعرف اساءته فى احسان الله اليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون وقال رضى الله عنه قليل العمل مع شهود المنة من الله خير من كثرة العمل مع رؤية التقصير من النفس وقال بعض أهل المعرفة لايخلو شهود التقصير من الشرك فى التقدير وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه قرأت ليلة من الليالى قل أعوذ برب الناس الى أن انتهيت الى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس فقيل لى شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك ألطافه الحسنة ويذكرك أفعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذر هذا الباب فقد أخذ منه كثير من الزهاد والعباد وأهل الجد والاجتهاد ولذلك قل أن تجد الزاهد والعابد الامكمودا حزينا لانه علم أن الله تعالى طالبه بالعبودية وحمله اعباءها والزمه ما اشفقت السموات والارض والجبال من حمله قال الله سبحانه وتعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فعاين الزهاد ثقل ما حملوا ولم ينفذوا الى شهود لطف الحامل للاثقال عن عباده المتوكلين عليه ولذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن وأهل المعرفة بالله علموا انهم حملوا من التكليف أمرا عظيما وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا الى نفوسهم قال الله عز وجل وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم اذا رجعوا الى الله تعالى حمل عنهم ما حملهم قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا اليه بصدق اللجا فحمل عنهم الاثقال فساروا الى الله محمولين فى محفات المنن تروح عليهم بنفحات اللطف والآخرون ساروا الى الله حاملين لاثقال التكاليف فتلازمهم المشقات وتطول بهم المسافات فان شاء أدركهم بلطفه فأخذ بايديهم من شهود معاملتهم الى شهود سابق توفيقه لهم فطابت لهم

الاوقات

الاوقات وأشرقت فيهم العنايات وأما القسم الثالث وهم الذين أشهدهم الله تعالى بشهود ما من الله الى الله هؤلاء هم أهل التوحيد والداخلون في ميدان التفريد وأهل القسم الاول وهم الذين غلب عليهم شهود ما منهم الى الله لم يخرجوا عن باطن الشرك وان خرجوا عن ظاهره لانهم أقبلوا على أنفسهم ويخبن لما شاهدين لتقصيرهم واساءتهم فلو لم يشهدوا الفعل لها أو منها ما توجهوا لها بالتوبيخ اذا قصرت فلذلك قال ذلك العارف الذي سبق قوله لا يخلو شهود التقصير من الشرك في التقدير فان قلت اذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم دقيقة الشرك فكيف تصنع والله تعالى قد ذم النفس وأمرنا بتوبيخها اذا قصرت وو بخناها واذا كانت كذلك فالجواب أن ذمها لأن الله تعالى أمرك بذمها من غير أن تشهد لها قدرة أو تضيف اليها فعلا فلا تراها هي الفاعلة له وأما القسم الثاني وهو الذي يشهد ما من الله اليه فهو وان كان خيرا من القسم الاول لكنه ما سلم من اثبات لنفسه اذا رأى نفسه مهداة اليها هدايا الحق فلولا اثباته لنفسه ما شهد ذلك فلاجل هذين المعنيين آثر اهل الله تعالى القسم الثالث وهو أن يكون بشهود ما من الله الى الله فافهم اه كلامه رحمه الله تعالى ولاجل ما تضمنه من الفوائد الجليلة والمقاصد النبيلة دعانا قرب المناسبة الى ذكره على ما هو

عليه في هذا الموضع والله الموفق لا رب غيره ﴿تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير﴾ الحكماء هم العارفون بالله تعالى العالمون به والانوار المنسوبة اليهم هي أنوار معرفتهم وهي قوة يقينهم فان الامور كلها بيد الله تعالى لا شريك له فيها فاذا أرادوا ارشاد عباد الله تعالى ونصيحتهم باذن الله تعالى سبقت أنوار قلوبهم الى الله تعالى بالالتجاء والافتقار اليه في أن يتولى لهم أمر قلوب عباده بان يجعل فيها أهلية واستعداد القبول ما يريدون ايراده عليهم من كلام الحكمة فيجيبهم الى ذلك فاذا تكلموا به تلقته قلوبهم التي وصل اليها أنوار أسرار الحكماء كما تتلقى الارض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك أتم انتفاع وقد أوصى لقمان الحكيم ابنه فقال يا بني ما بلغت من حكمتك قال لا أتكلف ما لا يعنيني قال يا بني انه قد بقي شئ آخر جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة بوابل السماء وانما قلنا ان الحكماء هم العارفون بالله تعالى العالمون به لانهم خائفون من الله تعالى وفي بعض الآثار رأس الحكمة مخافة الله والخوف من ثمرات العلم بالله وقال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والعلم الموجب للخشية هو العلم بالله فقط فالحكماء هم العالمون بالله تعالى وان كانوا ضعفاء في سائر

أنوار معرفتهم وهي قوة يقينهم بان الامور كلها بيد الله تعالى لا شريك له فيها فاذا أرادوا ارشاد عباد الله ونصيحتهم باذن من الله تعالى توجهوا الى الله والتجؤا اليه في أن يتولى لهم أمر قلوب عباده بان يجعل فيها اهلية واستعداد القبول ما يردعليها فيخرج من قلوبهم حينئذ نور ناشئ من نور سرائرهم يصل الى تلك القلوب (فحيث صار) أي حصل (التنوير) أي النور أي استقر في قلوب عباد الله الذين يريدون ارادهم (وصل التعبير) أي تلقته تلك القلوب بالقبول كما تتلقى الارض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك أتم انتفاع ثم علل ذلك بقوله

تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديته متحققا ❊قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى واضدادها أوصاف الربوبية فمالك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقى يا غنى من للفقير غيرك ومن بساط الضعف يا قوى من للضعيف غيرك ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل يا عزيز من للذليل غيرك تجد الاجابة كأنها طوع يدك واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين انتهى كلام سيدى أبى الحسن وهو معنى ما ذكره المؤلف ههنا وأكثر كلام المؤلف جار على منهاج كلام أبى الحسن رضى الله عنهما ونفع بهما

وقال رضى الله عنه ❊(ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة) الكرامة الحقيقية انما هى حصول الاستقامة والوصول الى كمالها ومرجعها الى أمرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد أن لا يحرص الا عليهما ولا تكون له همة الا فى الوصول اليهما وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين اذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامة ❊قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مغتر كذاب ذو خطأ فى العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور وناقص أو هالك مثبور ❊ وقال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه ليس الشأن من تطوى له الارض فاذا هو بمكة وغيرها من البلدان انما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فاذا هو عند ربه ❊ وذكر عند سهل ابن عبد الله رضى الله عنه الكرامات فقال وما الآيات وما الكرامات هى شئ تنقضى لوقتها ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بخلق محمود وقال بعض المشايخ لا تعجبوا ممن لم يضع فى جيبه شيأ فيدخل يده فى جيبه فيخرج منه ما يريد ولكن تعجبوا ممن يضع فى جيبه شيأ فيدخل يده فى جيبه فلا يجده فلا يتغير وقيل لابى محمد المرتعش رضى الله عنه ان فلانا يمشى على الماء فقال عندى من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى على

من للضعيف غيرك وعلى بساط الفقر والفاقة وقلت يا غنى من للفقير غيرك وجدت الاجابة كأنها طوع يدك فقوله تحقق بأوصافك الخ مناسب لما ذكره من الفاقات والمواهب لان من جملة المواهب الامداد بضد الوصف الذى تحققت به (ربما رزق الكرامة) اى الامر الخارق للعادة (من لم تكمل له الاستقامة) فلا ينبغى للمريد ان يعتنى بها ويغتر بظهورها على يده لانها حينئذ ربما كانت معونة أو استدراجا لا كرامة فالكرامة الحقيقية هى كمال الاستقامة ومرجعها الى أمرين صحة الايمان بالله واتباع ما جاء به رسول

(ومن علامات اقامة الحق) أى الله (لك فى الشئ) كلاكتساب أو التجريد (اقامته اياك فيه) أى تيسر أسبابه لك وادامته عليك (مع حصول ✿(٢١)✿ النتائج) أى ثمرات ذلك الشئ كسلامة الدين ووجود الربح من الكسب كما ر (من عبر) أى تكلم فى علوم القوم وافادها للمريدين (من بساط احسانه) أى ملاحظا أن تعبيره وافادته تلك العلوم نشأ من احسانه أى أعماله الصالحة الشبيهة بالبساط الذى يجلس عليه عند ورود المواهب (اصمتته الاساءة) أى أسكتته اساءته ومخالفته للرب فينقبض من ذلك التعبير لما يعتريه من الخجل والحياء بسبب المعصية التى صدرت منه وسبب ذلك مشاهدته احسان نفسه (ومن عبر من بساط احسان الله اليه) أى ملاحظا ان تعبيره وافادته تلك العلوم ناشئ من احسان الله اليه غائبا عن رؤية نفسه (لم يصمت اذا أساء) أى لم يسكت عن ذلك التعبير اذا صدرت منه معصية لان غيبته عن نفسه ومشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته أوجبت جراءته على ذلك ولذا قيل جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان

الماء والهواء* وقال أبو يزيد رضى الله عنه لو أن رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه فى الامر والنهى وقيل له ان فلانا يقال انه يمر فى ليلة الى مكة فقال الشيطان يمر فى لحظة من المشرق الى المغرب وهو فى لعنة الله وقيل له يقال ان فلانا يمشى على الماء فقال الحيتان فى الماء والطير فى الهواء أعجب من ذلك وقال الجنيد رضى الله عنه حجاب قلوب الخاصة المختصة برؤية النعم والتلذذ بالعطاء والسكون الى الكرامات وقد تقدم مثل هذا عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه

(ومن علامات اقامة الحق لك فى الشئ اقامته اياك فيه مع حصول النتائج) لا اعتبار بما يقوم فيها العبد بنفسه من عمل أو حال وانما العبرة بما يقيمه فيه ربه وعلامة اقامة الله عبده فى الشئ أن يديمه عليه ويحصل له ثمرته ونتيجته وينبنى على هذا آداب ومعاملات وقد أشرنا الى نحو من هذا عند قول المؤلف رحمه الله ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك فى الاسباب الى آخره (ومن عبر من

بساط احسانه أصمتته الاساءة ومن عبر من بساط احسان الله اليه لم يصمت اذا أساء) من شاهد احسان نفسه وعمل بطاعة ربه انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله فان وقعت منه اساءة ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحياء وهذه طريقة أهل التكليف الذين ينظرون الى ما منهم الى الله تعالى من عمل صالح أو طالح ومن شاهد احسان الله اليه وغاب عن رؤية احسانه هو انبسط لسانه فى الحالين من غير فرق لان مشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته فى الحالين أوجبت جراءته على ذلك وقد قيل جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وهذه طريقة أهل التعريف الذين ينظرون الى ما من الله تعالى اليهم قلت وما ذكرته هنا من لفظى التعريف والتكليف وما نبهت به عليهما من الكلام اللطيف أشرت به الى مسئلة عظيمة مهمة ينبنى عليها آداب وأحكام جمة وهى مسئلة اختلاف الناس فى معاملاتهم لربهم بحسب نياتهم فى مراتب قربهم ومن أحكامها مسئلة التعبير التى اقتصر المؤلف عليها فى هذا الفصل ولم يذكر معها سواها مما ينبنى على ذلك الاصل وقد نبه عليها فى لطائف المنن وأتى فيها بكلام متسع عجب حسن فرأينا أن ننقله ههنا بكماله ليتبين به مقصدنا فى تفصيله واجماله * قال فيه وقال رضى الله عنه يعنى شيخه أبا العباس الناس على ثلاثة أقسام عبد هو بشهود ما منه الى الله وعبد هو بشهود ما من الله اليه وعبد هو

بشهود ما من الله الى الله ذل ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره واساءته فيه ومقام المعتذر بين يدى الله تعالى وتلازمه الاحزان وتحالفه الاشجان ويستولى عليه الكمد كلما بدت منه سيئة أو كشف له من نفسه عن أوصاف سوء وعبد آخر الغالب عليه شهود ما من الله اليه من الفضل والاحسان والجود والامتنان فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح بنعمة الله قال الله سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالاول حال العباد والزهاد والثانى حال أهل العناية والوداد الاول شأن أهل التكليف والثانى شأن أهل التعريف الاول حال أهل اليقظة والثانى حال أهل المعرفة فلذلك قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه العارف من عرف شدائد الزمان فى الالطاف الجارية من الله عليه وعرف اساءته فى احسان الله اليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون وقال رضى الله عنه قليل العمل مع شهود المنة من الله خير من كثرة العمل مع رؤية التقصير من النفس وقال بعض أهل المعرفة لا يخلو شهود التقصير من الشرك فى التقدير وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه قرأت ليلة من الليالى قل أعوذ برب الناس الى أن انتهيت الى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس فقيل لى شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك ألطافه الحسنة ويذكرك أفعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذر هذا الباب فقد أخذ منه كثير من الزهاد والعباد وأهل الجد والاجتهاد ولذلك قل أن تجد الزاهد والعابد الا مكمودا حزينا لانه علم أن الله تعالى طالبه بالعبودية وحمله أعباءها وألزمه ما اشفقت السموات والارض والجبال من حمله قال الله سبحانه وتعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فعاين الزهاد ثقل ما حملوا ولم ينفذوا الى شهود لطف الحامل للاثقال عن عباده المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن وأهل المعرفة بالله علموا انهم حملوا من التكليف أمرا عظيما وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا الى نفوسهم قال الله عز وجل وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم اذا رجعوا الى الله تعالى حمل عنهم ما حملهم قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا اليه بصدق اللجا فحمل عنهم الاثقال فساروا الى الله محمولين فى محفات المنن تروح عليهم بنفحات اللطف والآخرون ساروا الى الله حاملين لاثقال التكاليف فتلازمهم المشقات وتطول بهم المسافات فان شاء أدركهم بلطفه فأخذ بايديهم من شهود معاملتهم الى شهود سابق توفيقه لهم فطابت لهم

الاوقات

الاوقات وأشرقت فيهم العنايات وأما القسم الثالث وهم الذين أمدهم الله
تعالى بشهود ما من الله الى الله هؤلاء هم أهل التوحيد والداخلون في ميدان
التفريد وأهل القسم الاول وهم الذين غلب عليهم شهود ما منهم الى الله لم يخرجوا
عن باطن الشرك وان خرجوا عن ظاهره لانهم أقبلوا على أنفسهم موبخين لها
شاهدين لتقصيرهم واساءتهم فلو لم يشهدوا الفعل لها أو منها ما توجهوا لها
بالتوبيخ اذا قصرت فلذلك قال ذلك العارف الذي سبق قوله لايخلو شهود
التقصير من الشرك في التقدير فان قلت اذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم
دقيقة الشرك فكيف تصنع والله تعالى قد ذم النفس وأمرنا بتوبيخها اذا قصرت
وو بخها هو واذا كانت كذلك فالجواب أن ذمها لأن الله تعالى أمرك بذمها من
غير أن تشهد لها قدرة أو تضيف اليها فعلا فلا تراها هي الفاعلة له وأما القسم
الثاني وهو الذي يشهد ما من الله اليه فهو وان كان خيرا من القسم الاول لكنه
ما سلم من اثبات لنفسه اذا رأى نفسه مهداة اليها هدايا الحق فلولا اثباته لنفسه
ما شهد ذلك فلاجل هذين المعنيين آثر اهل الله تعالى القسم الثالث وهو أن
يكون بشهود ما من الله الى الله فافهم اه كلامه رحمه الله تعالى ولاجل ما تضمنه
من الفوائد الجليلة والمقاصد النبيلة دعانا قرب المناسبة الى ذكره على ما هو
عليه في هذا الموضع والله الموفق لارب غيره ۞ تسبق أنوار الحكماء أقوالهم
فحيث صار التنوير وصل التعبير) الحكماء هم العارفون بالله تعالى العالمون به
والانوار المنسوبة اليهم هي أنوار معرفتهم وهي قوة يقينهم فان الامور كلها بيد
الله تعالى لاشريك له فيها فاذا أرادوا ارشاد عباد الله تعالى ونصيحتهم باذن الله
تعالى سبقت أنوار قلوبهم الى الله تعالى بالدعا والافتقار اليه في أن يتولى لهم أمر
قلوب عباده بان يجعل فيها أهلية واستعدادا القبول ما يريدون ايراده عليهم من
كلام الحكمة فيجيبهم الى ذلك فاذا تكلموا به تلقته قلوبهم التي وصل اليها
أنوار أسرار الحكماء كما تتلقى الارض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك أتم
انتفاع وقد أوصى لقمان الحكيم ابنه فقال يا بني ما بلغت من حكمتك قال
لا أتكلف ما لايعنيني قال يا بني انه قد بقي شئ آخر جالس العلماء وزاحمهم
بركبتيك فان الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة بوابل
السماء وانما قلنا ان الحكماء هم العارفون بالله تعالى العالمون به لانهم خائفون
من الله تعالى وفي بعض الآثار رأس الحكمة مخافة الله والخوف من ثمرات
العلم بالله وقال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والعلم الموجب للخشية
هو العلم بالله فقط فالحكماء هم العالمون بالله تعالى وان كانوا ضعفاء في سائر

أنوار معرفتهم وهي قوة يقينهم بان الامور كلها بيد الله تعالى لاشريك له فيها فاذا أرادوا ارشاد عباد الله ونصيحتهم باذن الله تعالى توجهوا الى الله والتجؤا اليه في أن يتولى لهم أمر قلوب عباده بان يجعل فيها اهلية واستعدادا القبول ما يرد عليها فيخرج من قلوبهم حينئذ نور ناشئ من نور سرائرهم يصل الى تلك القلوب (فحيث صار) أي حصل (التنوير) أي النور أي استقر في قلوب عباد الله الذين يريدون ارادهم (وصل التعبير) أي تلقته تلك القلوب بالقبول كما تتلقى الارض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك أتم انتفاع ثم علل ذلك بقوله

العلوم لرمزيه كليلة السنتهم فى البيان عنها ❁ كل كلام يبرز وعليه كسوة
القلب الذى منه برز) اللسان ترجمان القلب فاذا صفا من الاكدار وتزكى
من الاغيار وأشرقت فيه الانوار كانت ترجمانية لسانه على حسب ذلك فيتكلم
بالكلام النورانى الذى يلج آذان السامعين فتنفتح بسببه اذذاك أقفال قلوبهم
ويستجيبون به لنداء الحق حبيبهم وروى الحافظ أبو نعيم رحمه الله عن سعيد بن
عاصم قال كان قاص يجلس قريبا من مجلس محمد بن واسع فقال له يوما وهو يوبخ
جلساءه مالى أرى القلوب لا تخشع ومالى أرى العيون لا تدمع ومالى أرى الجلود
لا تقشعر فقال محمد بن واسع يا عبد الله ما أرى القوم أوتوا الا من قبلك ان الذكر
اذا خرج من القلب وقع على القلب قلت وقد حاز المؤلف قصب السبق فى هذا
المعنى الذى ذكره ومن مارس كلامه فى هذا الكتاب وفى غيره وحصل له منه
التاثير المحمود سلم ما قلناه وكفى بشهادة شيخه أبى العباس المرسى رضى الله عنه
على عظم قدره ودعائه له برهانا على ذلك قال فى لطائف المنن وكنت قد قلت
لبعض تلامذة الشيخ يعنى أبا العباس أريد لو نظر الى الشيخ برعايته وجعلنى فى
خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ قال رضى الله عنه لا تطالبوا الشيخ
بان تكونوا فى خاطره بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ فى خاطركم فعلى
مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده ثم قال أى شئ تريد أن تكون والله ليكونن
لك شأن عظيم والله ليكونن لك كذا وكذا والله ليكونن لك كذا وكذا لم أثبت
منه الا قوله ليكونن لك شأن عظيم قال فكان من فضل الله سبحانه ما لا أنكره
قال فاخبرنى سيدى جمال الدين ولد الشيخ قال قلت للشيخ يريدون أن يصدروا
ابن عطاء الله فى الفقه فقال الشيخ هم يصدرونه فى الفقه وأنا اصدره فى التصوف
قال ودخلت عليه فقال اذا عوفى الفقيه ناصر الدين تجلس فى موضع جدك
ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية وتتكلم ان شاء الله فى العلمين فكان
ما أخبر به رضى الله عنه قال وسمعته يقول أريد أن أستنسخ كتاب التهذيب لولدى
جمال الدين فذهبت أنا فاستنسخته من غير أن أعلم الشيخ وأتيته بالجزء الاول
فقال ما هذا قلت كتاب التهذيب استنسخته لكم فاخذه فلما نهض ليقوم قال
اجعل بالك الولى لا يتفضل عليه أحد تجد هذا ان شاء الله فى ميزانك فلما أتيته
بالجزء الثانى لقينى بعض أصحابه عند نزولى من عنده قال قال الشيخ عنك والله
لأجعلنه عينا من عيون الله يقتدى به فى علم الظاهر والباطن فلما أتيته بالجزء
الثالث ونزلت من عنده لقينى بعض أصحابه وقال طلعت عند الشيخ فوجدت
عنده مجلدة حمراء فقال هذا الكتاب استنسخه لى ابن عطاء الله والله ما أرضى له
بجلسة جلده ولكن بزيادة التصوف قال وأخبرنى بعض أصحابه قال قال لى الشيخ

(كل كلام يبرز وعليه) الواو للحال وفى بعض النسخ اسقاطها (كسوة القلب الذى منه برز) فاذا كان القلب منورا اكتسى الكلام نورا فلا تمجه الاسماع ولا تنكره القلوب فكسوته هو ذلك النور وكلام الحكماء يبرز مكسوا بكسوة الانوار فتنفتح به أقفال القلوب ويستجيبون لنداء حبيبهم وكلام المدعين يبرز وعليه الظلمة فلا ينتفع به أتم انتفاع وقد ينتفع به من جهة حقيقته ومضمونه لا من جهة قائله ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر

يوما

يوما اذ جاء ابن فقيه الاسكندرية فأعلموني به فلما أتيت الشيخ أعلمنا الشيخ ذلك فقال تقدم فتقدمت بين يديه ثم قال جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له هذا ملك الجبال وقد أمره الله أن يطيع أمرك فى قريش فسلم عليه ملك الجبال ثم قال يا محمد ان شئت أن أطبق عليهم الاخشبين فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن أرجو أن يخرج الله من اصلابهم من يوحد الله تعالى ولا يشرك به شيئا فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يخرج من اصلابهم كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه قال وخرجت يوما من عند الفقيه المكين الاسمر وخرج معى أبو الحسن الجوهرى وكان من أصحاب الشيخ أبى الحسن فسلمت عليه وسلم على بشاشة واقبال فقلت له من أين تعرفنى فقال وكيف لا أعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ أبى العباس وكنت أنت عنده فلما نزلت قلت له ياسيدى انه ليعجبنى هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة وهذا الشاب ملازم قال فقال الشيخ يا أبا الحسن لن يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا يدعو الى الله فكان ماقال الشيخ رحمه الله تعالى قال وكنت كثيرا مايطرأ على الوسواس فى الطهارة فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغنى ان بك وسواسا فى الوضوء قلت نعم فقال رضى الله عنه هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بهم ثم مكثت أياما ودخلت عليه فقال ما حال ذلك الوسواس قلت على حاله فقال ان كنت لاتترك الوسوسة لاتعد تأتينا فشق ذلك على وقطع الله ذلك الوسواس عنى قال وكان رضى الله عنه يلقن للوسواس سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز قال وعملت قصيدة أمدحه بها فقال حين أنشدت أيدك الله بروح القدس قال ثم عملت قصيدة أخرى باشارته جوابا لقصيدة مدحه بها انسان من بلاد العجم فلما قرئت عليه قال رضى الله عنه صحبنى هذا الفقيه وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولابد أن يجلس ويتحدث فى العلمين يشير الشيخ الى مرض الوسواس قال فلقد انقطع عنى ببركة الشيخ حتى صرت أخاف أن أكون لشدة التوسعة التى أجدها قد تساهلت فى بعض الامر والمرض الآخر كان لى ألم برأسى فشكوت ذلك اليه فدعا لى فعافانى الله تعالى وشفانى (قال) وبت ليلة من الليالى مهموما فرأيت الشيخ فى المنام فشكوت اليه ما أنا فيه فقال اسكت والله لاعلمنك علما عظيما قال فلما انتبهت جئت الى الشيخ رضى الله عنه فقصصت عليه الرؤيا فقال هكذا تكون ان شاء الله تعالى قال وجاء يوما من السفر فخرجنا للقائه فلما سلمت عليه قال لى يا أحمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل

أوليائه و بهالك بين خلقه قال فلقد وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت انه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق وانى مرادبهم لقوله و بهالك بين خلقه قال وكنت أنا الامر من المنكرين وعليه من المعترضين لا لشئ سمعته منه ولا لشئ صح نقله عنه حتى جرت مقاولة بيني وبين بعض أصحابه وذلك قبل صحبتى اياه وقلت لذلك الرجل ليس الا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون أمورا عظاما وظاهر الشرع يأباها فقال ذلك الرجل بعد أن صحبت الشيخ تدرى ماقال لى الشيخ يوم تخاصمنا فقلت لا قال دخلت عليه فاول ماقال لى هؤلاء كالحجر ما أخطأك منه خير مما أصابك فعلمت أن الشيخ كوشف بامرنا ولعمرى لقد صحبت الشيخ اثنى عشر عاما فما سمعت منه شيأ ينكره ظاهر الشرع من الذى كان ينقله عنه من يقصد الاذى قال وكان سبب اجتماعى معه أن قلت فى نفسى بعد أن جرت المخاصمة بيني و بين ذلك الرجل دعني أذهب فأرى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفى شأنه قال فأتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم فى الانفاس التى أمر الشارع بها فقال الاوّل اسلام والثانى ايمان والثالث احسان وان شئت قلت الاوّل عبادة والثانى عبودية والثالث عبودة وان شئت قلت الاوّل شريعة والثانى حقيقة والثالث تحقق ونحو هذا فما زال يقول وان شئت قلت الى أن بهرعقلى وعلمت ان الرجل انما يغرف من فيض بحر الهى ومدد ربانى فأذهب الله ما كان عندى ثم أتيت تلك الليلة الى المنزل فلم أجد شيأ منى يقبل الاجتماع بالاهل على عادتى ووجدت معنى غريبا لا أدرى ماهو فانفردت فى مكان أنظر الى السماء والى كواكبها وماخلق الله فيها من عجائب قدرته فحملنى ذلك الى العود اليه مرة أخرى فاتيت فاستؤذن لى فلما دخلت عليه قام وتلقانى ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسى أن أكون أهلا لذلك فكان أوّل ماقلت له ياسيدى أنا والله أحبك فقال أحبك الله كما أحببتنى ثم شكوت اليه ما أجده من هموم وأحزان فقال أحوال العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة عليك وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار قال فقمت من عنده وكانما كانت تلك الهموم والاحزان ثوبا نزعته قال ثم سألنى بعد ذلك بمدة كيف حالك فقلت أفتش على الهم فلا أجده فقال

ليلى بوجهك مشرق * وظلامه فى الناس سارى

والناس فى سدف الظلا * م ونحن فى ضوء النهار

الزم فوالله ان لزمت لتكونن مفتيا فى المذهبين يريد مذهب أهل الشريعة أهل

العلم

(ومن اذن له) من العارفين بالله تعالى (في التعبير) عن الحقائق وهي علوم الوهب والفتح المأخوذة
عن الله تعالى بلا واسطة وعلامة الاذن له في ذلك تيسير التعبير عليه وسهولته وعدم احتياجه في القاء
المعارف الى كلفة بل يجد لسانه *(٢٧)* منطلقا بها او يجد عنده باعثا الى التعبير عنها مع السلامة
من آفات النطق وعلامة ذلك بالنسبة للسامعين ما ذكره بقوله (فهمت في مسامع الخلق عبارته) فلم يفتقروا الى معاودة وتكرار وجعل الاسماع محلا للفهم مبالغة والافهم الحقيقة هو القلب (وجليت) بضم الجيم وتشديد اللام أي ظهرت (اليهم اشارته) وهي ألطف من العبارة التي يستعملها أهل الطريق في الاخبار من العلوم الباطنية والحقائق العرفانية أي فلا يحتاجون الى اطناب ولا اكثار بخلاف غير المأذون له في ذلك ثم قال (ربما برزت الحقائق) وهي العلوم العرفانية (مكسوفة
الانوار) بما غشيها من ظلمة رؤية الاغيار فمجتها آذان السامعين وأنكرتها قلوبهم (اذا لم يؤذن لك
فيها بالاظهار) قال أبو العباس المرسي قدس الله سره كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة
وكلام غير المأذون له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل
من أحدهما وترد على الآخر

العلم الظاهر ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن انتهى ما نقلته من
لطائف المنن وانما اوردت ذلك ههنا على طوله ليعرف به قدر المؤلف وليدفع
بواضح برهانه طعن الطاعن وتعسف المتعسف ولنتعرض بذلك لنزول الرحمة من
الله تعالى علينا وموالاة منحه وعطاياه لدينا فقد قيل عند ذكر الصالحين تنزل
الرحمة مع ما في ذلك من قرب المناسبة لمعنى ما أورده المؤلف من الكلام الحائز به
قصب السبق بين من عاصره من الائمة الاعلام وأما شيخه أبو العباس وشيخ شيخه
أبو الحسن فحالهما أوضح من نار على علم ولقد طرزت بكلامهما الكتب والدفاتر
وزهيت بمآثرهما وعلومهما الالسنة والاقلام والصحف والمحابر ولولا خشية
الملالة وكراهة الاطالة لذكرنا من ذلك ما يبهر عقول السامعين والمطالعين
ويرغم آناف الجاحدين والمعاندين

سيكفيك من ذاك المسمى اشارة * ودعه مصونا بالجمال محجبا

*(من اذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت اليهم اشارته)
المأذون له في التعبير هو الذي يتكلم لله وبالله وفي الله ولذلك كان كلامه صوابا
قال الجنيد رضي الله عنه الصواب كل نطق عن اذن أشار بهذا والله أعلم الى قوله
تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا فاذا قرع أسماع السامعين
كلامه فهمت في مسامعهم عبارته فلم يفتقروا الى معاودة ولا تكرار وجليت
اليهم اشارته فلم يحتاجوا معها الى اطناب ولا اكثار بخلاف غير المأذون له في ذلك
قيل لحمدون بن أحمد بن عمارة القصار رضي الله عنه ما بال كلام السلف أنفع من
كلامنا قال لانهم تكلموا لعز الاسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن ونحن نتكلم
لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق *(ربما برزت الحقائق مكسوفة الانوار
اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار) من لم يستكمل الاوصاف المذكورة لم يؤذن له
في اظهار شيء من الحقائق الربانية فان أظهرها برزت مكسوفة الانوار بما غشيها
من ظلمة رؤية الاغيار فمجتها آذان السامعين وأنكرتها قلوبهم وعلامة استكمال
الاوصاف المذكورة أن يفتح له باب التعبير مع وجود السلامة من آفات المنطق
قال في لطائف المنن ان من أجل مواهب الله لاوليائه وجود العبارة قال وسمعت
شيخنا أبا العباس يقول الولي يكون مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه

(عباراتهم) التي يعبرون بها عن العلوم والمعارف التي يجدونها في باطنهم (اما الفيضان وجد) أي لفيضان ما يجدونه في قلوبهم من ذلك فقلوبهم ضيقة يفيض عنها ما يحل فيها قهرا عنهم كالاناء الضيق اذا وضع فيه ماء كثير فانه يفيض منه قهرا (أو لقصد هداية مريد) وان كانت قلوبهم متسعة يمكنهم رد ما يستقر فيها فلا يفيض منها شئ (فالاول حال السالكين) أي من أهل البداية فهم معذورون في التعبير لوجود الغلبة عليهم (والثاني حال أرباب المكنة والمحققين) من أهل النهاية فيلزمهم ذلك لما فيه من الارشاد والهداية فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وان عبر المتمكن من غير قصد هداية مريد كان في ذلك افشاء سر لم يؤذن له فيه وأيضا فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق لانه في حضرة الحق تعالى يتلقى ما يرد على سمع قلبه من عجائب العلوم وغرائب الفهوم (العبارات) التي يعبر بها أهل *(٢٨)* هذه الطريقة عن العلوم والمعارف

(قوت لعائلة المستمعين) الاضافة للبيان أي هي من حيث معناها قوت لارواح العائلة وهم المستمعون المحتاجون الى ما يلقى اليهم من المواعظ والحكم كما ان الاطعمة الحسية قوت لابدان المحتاجين اليها (وليس لك الا ما أنت له آكل) أي كما ان الاقوات الحسية مختلفة فلا يصلح للواحد منها ما يصلح للآخر لاختلاف طباعهم وأمزجتهم كذلك الاقوات المعنوية التي تفهم من العبارات مختلفة فلا يصلح للواحد منها ما يصلح للآخر لاختلاف مذاهبهم وتباين مطالبهم فقد تلقى العبارة على جماعة فيفهم كل واحد منها ما لا يفهمه الآخر وقد يفهم بعضهم من الكلام الذي يسمعه معنى لا يقصده المتكلم ويتأثر باطنه بذلك تأثرا عجيبا وربما فهم منه ضد ما قصده المتكلم به فقد سمع بعضهم قائلا يقول اذا العشرون من شعبان ولت * فواصل شرب ليلك بالنهار ولا تشرب باقداح صغار * فان الوقت ضاق عن الصغار فخرج هائما على وجهه حتى أتى مكة ولم يزل مجاورا بها حتى مات.

مشهودة حتى اذا أعطى العبارة كان كالاذن من الله له في الكلام قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يؤذن له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من أحدهما وترد على الآخر *(عباراتهم اما الفيضان وجد أو لقصد هداية مريد فالاول حال السالكين والثاني حال أرباب المكنة والمحققين) انما يقع التعبير منهم عما يطلعون به من الامور الغيبية والعلوم الاشهادية لاحد معنيين اما حال غلبة الوجد عليهم وفيضانه وهم معذورون في ذلك لوجود الغلبة وهذا حال السالكين من أهل الهداية واما لقصد هداية مريد فيلزمهم ذلك لما فيه من فائدة الارشاد والهداية وهذا حال أهل التمكين والمحققين من أهل النهاية فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وان عبر المتمكن من غير قصد هداية مريد كان في ذلك افشاء سر لم يؤذن له فيه وايضا فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق لانه في حضرة الحق تعالى يتلقى ما يرد على سمع قلبه من عجائب العلوم وغرائب الفهوم فكيف يصدر منهم نطق أو تعبير على غير الوجه المذكور والصمت من آداب الحضرة قال الله عز وجل وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا *(العبارات قوت لعائلة المستمعين وليس لك الا ما أنت له آكل) المستمعون موسومون بالفقر والحاجة

الى معنى ما يستمعون اليه من المواعظ والحكم وهو قوت قلوبهم وغذاء أرواحهم كما ان المستطعمين والسؤال موسومون بالفقر والحاجة الى قوت أبدانهم وكما ان أقوات هؤلاء مختلفة فلا يصلح لواحد من هؤلاء ما يصلح للآخر من الاطعمة والاشربة لاختلاف طباعهم وأمزجتهم فكذلك أقوات الآخرين مختلفة فلا يصلح لواحد منهم من العبارات التى تتضمن وجود القوت المغذى ما يصلح للآخر لاختلاف مذاهبهم وتباين مطالبهم فاذا سمعت عبارة من عالم أو عارف أو احد من أهل هذا الطريق ولم تحظ منها بشئ فاعلم انها لا تصلح لقوتك وغذائك وهى صالحة لقوم آخرين ومما ينتظم فى هذا السلك أن تقرع أسماع بعض الناس العبارة من بعض الاشخاص فيفهم منها معنى لم يقصده المتكلم ويتأثر باطنه بذلك تأثرا عجيبا وقد يقع ذلك لجملة من الناس فيفهم كل واحد منهم ما لا يفهمه الآخر ويحصل لهم بذلك التأثر مع أن المتكلم لم يرد شيأ من ذلك وربما كان ذلك مضاد اله وقد يسمع أرباب القلوب من الجمادات ويستدلون به على الحالات قال فى لطائف المنن وربما فهم من اللفظ ضد ما قصد واضعه كما أخبرنا الشيخ الامام مفتى الانام تقى الدين محمد بن على القشيرى رحمه الله قال كان ببغداد فقيه يقال له الجوزى يقرأ اثنى عشر علما فخرج يوما قاصدا المدرسة فسمع منشدا يقول

اذا العشرون من شعبان ولت * فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب باقداح صغار * فان الوقت ضاق عن الصغار

فخرج هائما على وجهه الى مكة ولم يزل مجاورا بها حتى مات قال وقرئ على الشيخ مكين الدين الاسمر قول القائل

لو كان لى مسعد بالراح يسعدنى * لما انتظرت لشرب الراح افطارا
الراح شئ شريف أنت شاربه * فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية * خذ الجنان ودعنى اسكن النارا

فقال انسان هناك لا تجوز قراءة هذه الابيات فقال الشيخ مكين الدين الاسمر للقارئ اقرأ هذا رجل محجوب والشيخ مكين الدين الاسمر هذا هو الذى شهد له الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه انه من السبعة الابدال قال ويكفيك فى هذا أن ثلاثة سمعوا منادياً ينادى يا سعتر برى ففهم كل واحد منهم مخاطبة خوطب عن الله بها فى سره فسمع الواحد اسع تر برى وسمع الآخر الساعة ترى برى وسمع الآخر ما أوسع برى فالمسموع واحد واختلفت أفهام السامعين كما قال سبحانه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وقال سبحانه قد علم كل اناس مشربهم فأما الذى سمع اسع تر برى فريد دل على انه الى النهوض

(ربما عبر عن المقام) أي عن أي مقام من مقامات اليقين كمقام الزهد ومقام الورع ومقام التوكل الى غير ذلك (من استشرف عليه) أي اطلع عليه وقارب الوصول اليه ولم يظفر به ولم يتحقق فيه (وربما عبر عنه من وصل اليه) وتحقق فيه (وذلك) أي ماذكر من الحالين (ملتبس) أي يلتبس الفرق بين حال هذا وحال هذا (الا على صاحب بصيرة) * (٣٠) * فانه لا يخفى عليه لانه يرى في الكلام صورة المتكلم الباطنة وما هو عليه من كمال أو نقص وعلامة الاول أن يجد الفرح والاستبشار عند التعبير واستعظام الامر واستحسانه لكونه في مباديه وقريب عهد بتغيره بخلاف الثاني فانه يتكلم فيه كعادته في كلامه بغيره وربما عبر عن المقام من نقله من كتاب وحفظ أحواله من ممارسته لكلام القوم وحفظه لعباراتهم وقد يوهم مع ذلك أنه واصل متمكن وعلامته التي تبين حاله أن يبحث معه على مقتضى قواعد فنون العرفان ضار ويتكلف الاجوبة ويشم منه رائحة التعصب والانتصار للنفس والانفة من العجز ومدع وصوبه كذب (لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته) أي ما يمنحه الله له من العلوم الوهبية والاسرار التوحيدية فلا ينبغي له أن يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها ولا يطلع عليها أحدا الا شيخا مرشدا له (فان ذلك يقل عملها في قلبه) أي فلا يحصل له كمال الانتفاع بها وهو تمكنها في القلب وتأثيرها (ويمنعه وجود الصدق مع ربه) اذ لا يخلو التعبير عنها عن شهوة نفسانية لان

الى الله بالاعمال فيستقبل الطريق بالجد وقيل له اسع الينا بصدق المعاملة ترى برنا بوجود المواصلة وأما الثاني فكان واصلا الى الله تعالى طاولته الاوقات فخاف أن تفوته المواصلة فقيل له ترويحا على قلبه لما أحرقته نار الشغف الساعة ترى برى وأما الآخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب من حيث أشهد فسع ما أوسع برى قال وقال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله دعانا بعض الفقراء الى دعوة بزقاق القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام وعمروا الاوعية وهناك وعاء زجاج قد اتخذ للبول ولم يستعمل فقرب فيه رب المنزل الطعام فالجماعة يأكلون واذا الوعاء يقول منذ أكرمني الله بأكل هؤلاء السادة مني لا أرضى لنفسي أن أكون بعد ذلك اليوم محلا للاذى ثم انكسر نصفين فقال الشيخ محيي الدين فقلت للجميع سمعتم ما قال الوعاء قالوا نعم قال فقلت ما سمعتم فأعادوا القول الذي قد تقدم قال فقلت قال قولا غير ذلك قالوا وما هو قلت قال كذلك قلوبكم قد أكرمها الله بالايمان فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون محلا لنجاسة المعصية وحب الدنيا نجاه لما الله واياكم من أولي الفهم عنه والتلقي منه قلت وهذه المنازع كلها مما يستملح ويستظرف وتتأثر بها القلوب السليمة وتنقاد لها النفوس الكريمة وقد جرت عادة أئمة هذه الطريق باستعمالها وايرادها في محالها فلا حرج علينا اذن في ذكر بعض ذلك اذا كانت له مناسبة تامة ووجدت فيها فائدة خاصة أو عامة وبالله التوفيق لا رب غيره (ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة) كما أن الواصل الى مقام من مقامات اليقين يعبر عنه كذلك يعبر عنه من استشرف عليه ولم يتحقق فيه بالمنازلة والمواصلة والتباس ذلك على من ليس له بصيرة ظاهر وأما ذو البصيرة فلا يخفى عليه ذلك لانه يرى في الكلام صورة المتكلم الباطنة وما هو عليه من كمال أو نقص وقد قيل تكلموا تعرفوا (لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته فان ذلك يقل عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه) الواردات الالهية لا ينبغي للسالك أن يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها

النفس تجد عند التعبير عنه لذة وانشراحا وذلك يقوى صفاتها وقوة صفاتها مما يمنعها من وجود
الصدق مع ربها (لا تمدن يدك) أيها المريد المتجرد (الى الاخذ) من الخلائق مما يعطونه لك من
الارزاق على وجه الرفق الا بشرطين اشار الى الاول بقوله (الا ان ترى) أى الا بعد ملاحظتك (أن
المعطى فيهم مولاك) فلا ترى العطاء الذى ❊(٣١)❊ يصل اليك الا منه وان الخلق أسباب

ووسائط ولا يكفى فى تلك الرؤية أن تكون علما وايمانا فقط بل لابد أن تكون حالا وذوقا فان ذلك هو اللائق بحال المتجرد والى الثانى بقوله (فاذا كنت كذلك) أى ملاحظا مولاك (فخذ ما وافقك العلم) على أخذه وحاصله أن لا تأخذ الا ما وافقك العلم على أخذه وأباح لك أخذه والمراد علم الظاهر بأن لا تأخذ الا من يد مكلف رشيد تقى وعلم الباطن بأن لا تأخذ الا ما كان على وجه الرفق والمعونة أى لا تأخذ الا ما أنت مفتقر اليه فى الحال لتنفقه فى ضروريات

وحاجاتك من غير اسراف ولا اقتار كما كان عليه الصلاة والسلام فى أكله وشربه ولباسه ومسكنه
وغير ذلك فلا تأخذ ما يأتيك قبل وقتك ولا زائدا على حاجتك الا ان يكون فى خلقك سخاء ولا تأخذ
ما تعطاه على جهة الاختيار من الله بان أعطيت شيأ كنت قد قصدت تركه لله من شهوة كنت
مبتلى بها قد ملكتك ومنعتك القيام بحقوق ربك ولا تأخذ من منان ولا [illegible] ولا مظهر لعطيته ولا من
يثقل على قلبك قبول عطيته فقد قيل لا تأكل الا ممن يرى لك الفضل عليه فى أكله

ويصونها ولا يطلع عليها أحدا الا شيخا مرشدا لان نفسه تجد فى ذلك لذة وانشراحا
فتقوى به صفاتها فيقل بسبب ذلك عمل الواردات فى قلبه من التأثير المحمود
ولاجل غلبة أحكام نفسه وايثار حظه يمنعه ذلك من وجود صدقه مع ربه وقد
تقدم هذا المعنى فى قوله استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم
صدقك فى عبوديتك (لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلائق الا أن ترى ان المعطى
فيهم مولاك فاذا كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم) هذه قاعدة عظيمة يحتاج اليها
السالكون المتجردون ليبنوا عليها أحوالهم فيما يصل اليهم من الرفق على
أيدى الخلق وقد ذكرها المؤلف رحمه الله بعبارات بديعة محمودة موجزة جمع فيها
جملة المعانى التى يحتاج اليها من ذكرناه فلنبسط كلامه فى ذلك على حسب عادتنا
معه على الوجه الذى ذكرناه فى مقدمة هذا التنبيه وهذا قصدنا فى جميع ما
تكلمنا عليه من مسائل كتابه ونقول على حسب ذلك أرزاق العباد المعتادة لهم
تنقسم الى قسمين أحدهما رزق يصلون اليه بأسباب وأعمال وتصرفات
كالتجارات والصناعات وغيرهما وهذا حال أهل الاسباب والثانى رزق يصل
اليهم على ايدى الخلق من غير عمل ولا سعى وهذا حال أرباب التجريد وكل واحد
من القسمين له آداب وأحكام تخصه فاحكام القسم الاول وآدابه لم يتعرض لها
المؤلف رحمه الله تعالى وهى مذكورة فى فن الفقه وغيره واجب على كل من
دخل فى شئ من الاسباب تحصيل علمه وطلبه من حيث هو وأحكام القسم الثانى
وآدابه هى التى تعرض لها المؤلف وأجمل رحمه الله تعالى جميع ذلك فى مراعاة
شرطين وجعلهما من شروط صحة الاخذ الشرط الاول ان لا يرى العطاء الا من
مولاه عز وجل وهذا هو الاصل وانما اشترطه على الآخذ لانه مقتضى حاله من
تحقيق التوحيد وتخليص التجريد وبه يصح له مقام القناعة والتوكل ويسقط
من قلبه هم الرزق وتزول به عنه علاقات الخلق وان لم يكن على هذا الوصف
كان عبدا للناس مولها قلبه اليهم فيكثر طمعه فيهم ورغبته فيما فى أيديهم
واستشرافه اليهم فيقع بسبب ذلك فى كبائر الذنوب من معاصى القلب والجوارح
مثل المداهنة والنفاق والرياء والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحة وقلة

الشفقة وغير ذلك من الصفات المذمومة المناقضة للعبودية لله عز وجل (قال) يحيى بن معاذ رضى الله عنه من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الاقدار وكل الى المخلوقين ولا يكفي في تلك الرؤية المذكورة أن تكون علما وايمانا فقط بل لا بد أن تكون حالا وذوقا * دعا بعض الناس شقيقا البلخي رضى الله عنه وكان في طبقته من أصحابه نحو خمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وأنفق نفقة كثيرة فلما قعدوا قال لهم شقيق ان هذا الرجل يقول من لم يرني صنعت هذا الطعام وأني أقدمه اليه فطعامي عليه حرام قال فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان فيهم نقصت مشاهدته عنهم فقال صاحب المنزل لشقيق رحمك الله ما أردت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي أي كلهم لا يرونه فيما صنع ولا ينظرون اليه فيما قدم الا ذلك الرجل وحده وانما اشترطنا في رؤية العطاء من الله تعالى أن يكون حالا وذوقا لان ذلك هو اللائق بحال المتجرد كما ذكرناه لان التجريد حال شريف لا يدخل فيه بالاختيار والتعمد لان ذلك من اتباع هوى النفس وطلب الحظ والراحة وانما يقيم الحق تعالى فيه من أراده به من أهل التقوى والمراقبة بعد كمال شغله بالله تعالى وجده في الهرب عن كل ما يقطعه عن الله تعالى فحينئذ يسلبه الحق من تدبيره واختياره ويكاشفه بوحدانيته في ايراده واصداره ويكون تركه للاسباب بحكم الوقت واشارة الحال كما روى أن أبا حفص النيسابوري رضى الله عنه كان حدادا وكان غلامه يوما ينفخ عليه الكير فأدخل الشيخ يوما يده في النار وأخرج الحديدة من النار فغشي على غلامه وترك أبو حفص الحانوت وأقبل على أمره وكان يقول رضى الله عنه تركت العمل فرجعت اليه وتركني العمل فلم أرجع اليه (وقال) ابراهيم الخواص رضى الله عنه لا ينبغي للصوفي أن يتعرض للقعود عن الكسب الا أن يكون رجلا مغلوبا قد أغنته الحال عن المكاسب وأما من كانت الحاجات به قائمة ولم يقع له عزوف يحول بينه وبين التكلف فالعمل أولى به والكسب أسعى أحل له وأبلغ لان القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكلف وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضى الله عنه مادامت الاسباب قائمة بالنفس فالاكتساب أولى وقال بعض المنقطعين كنت ذا صنعة جليلة فاريد مني تركها فخالف في صدري من أين المعاش فهتف بي هاتف لا أراه تنقطع الي وتتهمني في رزقي على أن أخدمك وليا من أوليائي أو منافقا من أعدائي وقد اشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحة قبول العطاء عدم الاستشراف الى الناس ولا يكاد يحصل هذا الشرط لمن ذكرناه من أهل التجريد الا بهذه الرؤية المذكورة روى زيد عن خالد الجهني رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من أخيه من غير مسئلة ولا استشراف نفس فليقبله فانما هو رزق ساقه الله تعالى اليه (وروى) عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من وجه اليه شئ من هذا الرزق من غير مسئلة ولا
استشراف فليأخذه وليوسع في رزقه فان كان عنده غنى فليدفعه الى من هو
أحوج منه (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعطيني العطاء فأقول له أعطه يا رسول الله من هو أفقر اليه مني فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت
غير مستشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن أجل ذلك كان
ابن عمر لا يسأل أحدا شيأ ولا يرد شيأ أعطيه فالاستشراف الى الناس مذموم
قادح في التوحيد فلا ينبغي أن يأخذ المريد عطاء على هذا الوجه روى ان أحمد
ابن حنبل رضى الله عنه خرج ذات يوم الى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم
يكن في الموضع من يحمله فوافى أيوب الحمال فحمله ودفع اليه أحمد أجرته فلما
دخل الدار بعد اذنه له اتفق ان أهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من
الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرآه أيوب وكان يصوم الدهر فقال
أحمد لابنه صالح ادفع الى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما فقال أحمد
ضعهما ثم صبر قليلا ثم قال خذهما والحقه بهما فلحقه فأخذهما فرجع صالح
متعجبا فقال له أحمد أعجبت من رده وأخذه قال نعم قال هذا رجل صالح
لما رأى الخبز استشرفت نفسه اليه فلما أعطيناه مع الاستشراف رده ثم أيس
فرددناه اليه بعد الاياس فقبله وأما الاستشراف الى الرزق مع قطع نظره عن
الخالق فلا يضره ذلك لانه خلق ضعيف ذا فاقة ورزقه معلوم لا بد منه فاستشرافه
الى الرزق في الحقيقة استشراف الى الرازق ولا ينافي ذلك حقيقة العبودية
ولكن ان كثر منها الاستشراف الى الرزق وشغلت صاحبها عن دوام المحاضرة
والمناجاة من الحق فليصرفها عن ذلك صرفا جميلا وليهيج لها من التعلق
والتوثق بالله سبيلا (قال) الشيخ أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضى الله عنه
كنت في بدايتي واقفا بين العشاءين أصلي وأنا فارغ بلا سبب حتى جاءتني
النفس فقالت لي السلام عليك قلت لها وعليك السلام قالت العشاء فأدهتني
بداهية فتوقفت ثم الهمني الله تعالى أن قلت لها أتدرين له موضعا قالت لا
قلت لها ايش هو ومتى هو قالت لا قلت لها أنا رب أو عبد قالت عبد قلت لها
فالعبد يقدر على شئ ما هذا الكفر والشرك اللذين أتيتني بهما اهربي الى
خالقك فاطلبي منه العشاء لانه خالقك والقادر على كل شئ فيعطيك ويجيب
لك ما طلبت فتطعمي وتأكلي فسالك واياى وما هذه الحيرة قال فذهبت الى
خالقي فجاء عشاء ممكن كثيرا أكلت قال وكذلك يحتج عليها ومن هنا تثبت
الاقدام * وذكر أيضا مسئلة عظيمة مفيدة تتضمن كيف يكون حال الفقير

بالنسبة الى الرزق وما يحتاج اليه بقيته من الرزق وجعلها من قواعد الفقر والارادة فرأينا ذكرها فى هذا الموضع من الواجب المتعين ليتحقق في العمل بها كل من يقف عليها من مريد مبتدى * قال رضى الله عنه اعلم أن الفقير لايخلو اما أن يكون جالسا أوماشيا أما قاعدة الجالس فان جلسته موضع أليته وهو مكانه وزمانه طرف سجادته لايتعداها ولايكون التفاته لوقت ولا الى سبب معلوم لانه لايدرى الاوقات ماهى ولايجدها ولايدرى متى هى ولاوقتها ويعلم أن جميع الاشياء تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت من أجله وهو خليفة فيها وقد فرغ من جميعها فالالتفات والامل لماذا بل يكون هدفا الاقدار تجرى عليه ولا كسب له ولاسبب فى التحصيل ثم قال وأما الماشى من الفقير الذى يكون فى سفر أوغيره فلاتجاوز همته خطوته مثال أن يكون ماشيا فخطر له التغير والالتفات اليه من بلد أوشخص أومطعم أومشرب فيهلك ويظفر به العدو وتزل قدمه فان تمادى فى التعلق بشئ من هذه القواطع والشواغل ومشى الى شئ منها وفقده ومات مات قاتل نفسه وذلك أنه يكون فى يوم صائف وهج وقد أصابه العطش الشديد فيعرض له خيال ماء فيجئ العدو فيزوج عليه أن أسرع تلحق ذلك الماء فتشرب منه فيزول عطشك فان مشى را كالهذا الخاطر يجئ للموضع فيجده سرابا فهناك يظفر به ويقول له الآن تموت فيقتله من ساعته فيموت قاتل نفسه اذا كان جاهلا بربه وآياته ولم يعرف دواءه من دائه ولاتعلم العلم ولاسأل العلماء لبقائه مع نفسه قال فحكمه اذا جاءه هذا الخاطر بالتروييج من العدو فى سفره من السرعة الى الماء والركون الى الاغيار من منازل أو شخاص أوغير ذلك أن يعرض على العدو ويقول ان الله تعالى يمكن أن يتوفانى قبل لحوقه فبالضرورة يطيعه فى ذلك ويسلمه ويقول له أيضا قال النبى صلى الله عليه وسلم من مشى الى طمع فليمش رويدا وقال من تأنى اصاب أو كادومن تعجل اخطأ أوكادوا العجلة من الشيطان ومن هذا كثير فلايشك شاك أنه كما يحتج للنفس والشيطان بهذه القواعد من العلم أنهم ينقطعون ولا حجة عندهم بعد الاستعانة بالله تعالى والتعلق به ثم يقول له أيضا أتنكر أن الله تعالى قادر على أن يطعمنى ويسقينى ان شاء الله تعالى ينبع لى عينا الساعة قبل وصولى لذلك الماء فيقول الشيطان بالضرورة نعم فاذا كان هذا كذلك فالله سبحانه أعلم بصالحى ومنافعى من كل مخلوق فاذا حصل هذا العلم رجع يمشى متأنيا همته مع خطوته ناظرا لمايرد عليه من ربه فان وصل الى ماخطر له أولا أو رآه من بعد ولم يجد ما تعلق به خاطره أولا من صاحب أوطعام بقى على أصله لاتغير عنده ولاتردد فظفر بالعدو وقتله كما فعل أيضا الشيطان بغيره انتهى أوضده انتهى مأردنا ذكره من كلام هذا الامام وهو عندى من أنفس

الكلام

الكلام المقرب غاية المرام لما تضمنه من المعاني البديعة والانفاس الرفيعة ولما فيه من تجريد التوحيد والآداب المرضية مع العبيد فهو جدير بان يكتب ويرسم ويكمل به الغرض الذي تقدم والله تعالى أعلم وحكم الشرط الثاني أن لا يأخذ الا ما يوافق العلم وهذا شرط لازم للتجرد أيضا (قال الشيخ أبو طالب المكي) رضي الله تعالى عنه وينبغي لمن لا معلوم عنده من الاسباب أن يتورع في أخذها وبقه بالمعطي لها كما يتعين أهل المكاسب في الاكتساب لان لله تعالى في كل شيء حكما ولقعوده عن المكاسب لا يسقط أحكامها والقاعد عن الطالب لا يسقط أحكام المطالب ولان ترك العمل عمل يحتاج الى علم ولم تكن سيرة الفقراء الصادقين أن يأخذوا من كل أحد ولا في كل وقت ولا يأخذوا كل ما يعطون مما يزيد على كفايتهم الا أن يكونوا ممن يخرجونه الى غيرهم انتهى فموافقة العلم التي ذكرها المؤلف رحمه الله على قسمين موافقة العلم الظاهر وموافقة العلم الباطن أما موافقة العلم الظاهر فبأن لا يأخذ الا من يد بالغ عاقل تقي وقد جاء في الحديث لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي فلا يأخذ من يد ظالم ولا عامل بالربا ولا جاهل بما يحل ويحرم من وجوه المكاسب ولا يأخذ من يد صبي ولا عبد غير مأذون له ولا معتوه وأما موافقة العلم الباطن فبأن لا يأخذ الا ما كان على وجه الرفق والمعونة فلا يأخذ الا ما هو مفتقر اليه في الحال ولا غنى له عنه من ضرورياته وحاجاته من غير اسراف ولا اقتار ولا بأس ان يأخذ ما يزيد على ذلك بأن كان في خلقه سخاء وبذل وايثار وتخلق بمحاسن الاخلاق لا ليتوصل به الى حظ عاجل من جاه أو رياسة أو قبول عند الناس ولا يأخذ ما يعطاه على جهة الابتلاء والاختبار أما الابتلاء فأن يأتيه قبل وقته أو زائدا على حاجته فان أخذه فليخرجه في السر ليأمن بذلك من آفة الاظهار وأما الاختبار فان لا يأخذ شيأ قد نوى تركه لله تعالى من شهوة كان مبتلى بها قد ملكته وأسرته ومنعته القيام بحقوق ربه فليوف بعهد الله تعالى وليدفع ذلك عن نفسه ان خاف انحلال عزمه وفساد نيته فان لم يخف على ذلك فليأخذه وليخرجه الى غيره وهذا أشد شيء على النفس وهو من أعظم درجات الزهد ولا يأخذ من منان ولا فخور ولا مظهر لعطيته ولا يأخذ ممن يثقل على قلبه قبول عطيته فقد قيل لا تأكل الاطعام من يرى لك الفضل عليه في أكله ولا تأكل الاطعام من يرى أنه وديعة عنده ولا تأكل الا طعام زاهد لانه يبصر بأكلك ولا تأكل الاطعام من يرى صاحبه أفضل من الاطعام وقد روي أنه أهدي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض

وقال لقد هممت أن لا أقبل الا من قرشي أو انصاري أو ثقفي أو دوسي قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وفعل هذا جماعة من التابعين جاءت الى فتح الموصلي رضي الله عنه صرة فيها خمسون دينارا فقال حدثني عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة وأخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه أن رجلا أهدى اليه كيسا فيه ألوف ورزمة فيها من دقيق خراسان فرد ذلك فقال له بعض أصحابه في ذلك فقال من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس شيأ مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة وماله عند الله من خلاق وكان الحسن رضي الله عنه يقبل من أصحابه وكان ابراهيم التيمي رضي الله عنه يسأل أصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذ وكان بعض العباد اذا دفع اليه بعض أهل الدنيا الشيء قال ضعه عندك واعرض على قلبك حالتي كيف أنا عندك بعد الاخذ أفضل أو دون ذلك واصدقني فان قال أنت عندي الآن أفضل منك قبل ذلك أو قال له أنت عندي بعد الاخذ مثل ما كنت قبل ذلك قبل منه وان أخبره بنقصانه في قلبه لم يقبل منه وكان بعضهم يرد على أكثر الناس صلاتهم فعوتب في ذلك فقال ما أرد عليهم الا اشفاقا عليهم ونصحا لهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم ويروى عن الاعمش أنه قال جاء شاب من العرب الى ابراهيم التيمي بألفي درهم فقال يا أبا عمران خذ هذه الدراهم والله ماهي من ذي سلطان ولا من كذا ولا من كذا فقال له ابراهيم بارك الله لك وجزاك خيرا فلما ولى قلت له يا أبا عمران ما منعك أن تأخذها والله مالامرأتك قميص فقال صدقت يا سليمان ولكن هذا شاب من العرب لم يحنكه السن ولم تحنكه الآداب فكرهت أن يجلس في حيه فيقول أعطيت ابراهيم ألفي درهم فيحبط الله أجره وتذهب دراهمه وممن ذهب الى هذا سفيان الثوري رضي الله عنه كان يشترط على بعض من كان يأخذ منه أن لا يذكره لاشفاقه عليه لا من أجله بل من ذهاب أجره لانه قيل في معنى قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال المن أن يذكره والاذى أن يظهره وقال الجنيد للرجل الخراساني الذي جاءه بالمال وسأله أن يأكله فقال الجنيد بل أفرقه على الفقراء فقال الرجل أنا أعلم بالفقراء منك ولم أختر هذا فقال له الجنيد وأنا أؤمل أن أعيش حتى آكل هذا فقال اني لم أقل لك أنفقه في الخل والبقل وانما قلت أنفقه في الطيبات وألوان الحلاوات وكلما نفد أسرع كان أحب الي فقال الجنيد ومثلك لا يحل أن يرد عليه فقبله فقال الرجل ما ببغداد أحد أعظم منة علي منك فقال الجنيد وما

بعد اذا أحد ينبغي أن يقبل منه شيء الا من كان مثلك وكان السري السقطي يوصل الى أحمد بن حنبل رضي الله عنهما الشيء فيرده فقال له يا أحمد احذر آفة الرد فانها أشد من آفة الاخذ فقال أحمد أعد علي ما قلت فأعاده فقال له أحمد ما رددت عليك الا وعندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي * وعلى الجملة فلا ينبغي أن يأخذ المريد الا من يد زاهد عارف فبذلك يسلم من الآفات ويكفي من جميع المؤنات وقال أبو بكر الدقاق رضي الله عنه منذ أربعين سنة أصحب هؤلاء فما رأيت رفق الاصحابنا الا من بعضهم لبعض أو ممن يحبهم ومن لم تصحبه التقوى والورع في هذا الامر أكل الحرام الصرف وان أراد أن يسأل من مثل هؤلاء فليفعل قال أبو طالب المكي رضي الله عنه كان بشر بن الحرث رضي الله عنه لا يقبل من الناس شيأ وكان بعضهم يقول أحب أن أعلم من أين يأكل فقال له من يخبر أمره أنا أدري من أين يأكل كان له صديق عاقل يعني نظيره في العقل والدين لان بعضهم كان لا يقبل الا من النظراء ولا يقبل من الاتباع وهذا الصديق العاقل الذي كان يقوم بكفايته ولم يكن يظهر أمره ولا يلتقي معه هو السري بن مغلس السقطي رضي الله عنه * قال بشر رضي الله تعالى عنه ما سألت أحدا قط شيأ من الدنيا الا سري السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فأكون قد أعنته على ما يحب وكان سري رضي الله عنه يوجه الى أحمد بن حنبل في حاجاته فيقبل منه وكان اذا ذكر عند أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول ذلك الفتى المعروف بطيب الغذاء انه ليعجبني أمره وان بلغت به الحاجات كل مبلغ وأشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسأل مولاه فلم يقدر له شيء ووقته يضيق عن الكسب لشغله بحاله فعند ذلك يقرع باب السبب ويسأل من دون هؤلاء ممن جهل حاله * جاء في الاثر من جاع فلم يسأل فمات دخل النار وقد سأل الناس عند الحاجة والفاقة نبي الله تعالى موسى والخضر عليهما السلام لقوله تعالى استطعما أهلها وكان أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رضي الله عنهما يسأل من باب أو بابين بين العشائين ويكون ذلك معلوما عند حاجته من يوم أو يومين وكان له مقام في الزهد والتوكل قال أبو طالب ولم يعب هذا عليه عموم ولا خصوص ونقل عن أبي سعيد الخراز رضي الله عنه أنه كان يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شيء لله ونقل عن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه كان معتكفا بجامع البصرة مدة وكان يفطر في كل ثلاثة أيام ليلة وليلة افطاره يطلب من الابواب وكان الثوري يسأل في البوادي من الحجاز الى صنعاء اليمن قال كنت اذكر لهم حديثا في الضيافة قال فيخرجون الي طعاما فأتناول حاجتي وأترك

وربما استحيا العارف) المحقق (أن يرفع حاجته الى مولاه) فلا يطلب منه شيئا (لاكتفائه بمشيئته أي بما تعلقت به مشيئته من اعطاء أو منع أو ضر أو نفع قال الشاذلي قدس الله سره لما سئل عن الكيمياء اخرج الخلق من قلبك واقطع يأسك من ربك أن يعطيك غير ما قسم لك (فكيف لا يستحيي ان يرفعها الى خليقته) فلا يسألون منهم شيئا ولا يرفعون اليهم حاجة * (٢٨) * لانهم فقراء محتاجون ومولاهم هو الغني الحميد

ما يبقى وليجتنب المريد الاكل بالدين وقبول ارفاق النسوان فان قيل كيف يرد ثنا يعطله في الوجوه التي حكمتم عليه بعدم الاخذ فيها وهو انما يأخذ من ربه كما تقدم وهل الراد لذلك الا راد على الله تعالى فكيف يستقيم ذلك فالجواب ان القيام بحق الشريعة والطريقة لابد منه والتوحيد لا ينافي ذلك وقد قيل الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وكل باطن من العلم يخالف ظاهرا من الحكم فهو مردود ووجه صحة الرد للعطاء عند مشاهدة التوحيد ظاهر اذ لا فرق في ذلك بين يد المعطي ويد الآخذ فكما يشهد الآخذ يد الله تعالى في العطاء عند يد المعطي فيأخذ ما يعطاه عند موافقة العلم اتباعا لاذن الله تعالى وأمره يشهد يد الله تعالى في المنع عند يد نفسه بالرد عند مخالفة العلم فلا يأخذه ولا يقبله اتباعا لنهي الله تعالى عن ذلك وعدم اذنه فيه كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش الذي أهدى اليه مع السمن والاقط وكما فعله فتح الموصلي وحسن البصري رضي الله عنهما على ما في روايتهما الحديث الذي ذكر فيه أن رد الهدية رد على الله تعالى وقد تقدم ذكره بلفظه فهذا يدفع ذلك الخيال والله تعالى الموفق لصالح الاعمال وانما أطلت الكلام في هذه المسئلة لان الحاجة ماسة اليها وليعلم من ذلك أن جميع تفاريعها ومسائلها داخل في كلام المؤلف رحمه الله تعالى على حكم الايجاز والاختصار وكلامه فيها من بديع الكلام ومستحسنه ولشيخه أبي العباس المرسي رضي الله عنه في معنى ما ذكره كلام بديع محتوم منتزع من كتاب الله عز وجل نقله عنه في لطائف المنن قال رضي الله عنه للناس أسباب وسببنا نحن الايمان والتقوى قال الله سبحانه ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقد جود المؤلف رحمه الله صنعته وأحسن سياقته في مقصد الارشاد والهداية والله أعلم * وربما استحيا العارف أن يرفع حاجته الى مولاه لاكتفائه بمشيئته فكيف لا يستحيي أن يرفعها الى خليقته) قد تقدم أن من الادب ترك الطلب والسؤال من الله تعالى اكتفاء بمشيئته ورضا بسابق قسمته وأن العارفين المحققين يستحيون من الله تعالى في ذلك فكيف لا يستحيون من مولاهم عز وجل عند سؤالهم

فرفع الهمة عن الخلق وعدم التعرض لهم مما يجتلبه سالكو هذه الطريق فان من دامت عليه خلعة الله خفقها وصانها عن أن تدام له ولا تسلب عنه والمدنس لخلع المواهب حري أن لا تترك له فلا تدنس ايمانك بطمعك في المخلوقين ولا تجعل اهتمامك الا على رب العالمين واتبع ملة ابراهيم في رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به في المنجنيق تعرض له جبريل وقال له ألك حاجة فقال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى فقال له سل الله فقال حسبي

من سؤالي علمه بحالي وشرحيا العارف باقي الفقراء وهم أقسام ثلاثة منهم من يصبر للمخلوقين فاذا احتاج سأل الناس وقيل منهم مع كونه لا يرى ان المعطي فيهم الا مولاه ومنهم من لا يسأل واذا أعطي قبل على الوجه المذكور ومنهم من لا يسأل واذا أعطي لا يقبل قال بعضهم وهذا من الروحانيين فاذا سأل الله تعالى أعطاه وان أقسم عليه أبر قسمه

للمخلوقين وهل أديهم فى ذلك واستحياؤهم من ربهم الا واجب عليهم فلا يسألون منهم شيأ ولا يرفعون اليهم حاجة لانهم فقراء محتاجون ومولاهم هو الغنى الحميد وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا تتعدّ نية همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه ما من نفس ولا قلب الا والله مطلع عليه فى ساعات الليل والنهار فايما نفس أو قلب رأى فيه حاجة الى سواه سلط عليه ابليس وقال الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه من علامات المعرفة أن لا تسال حوائجك قلت أو كثرت الا من الله سبحانه وتعالى مثل موسى عليه الصلاة والسلام اشتاق الى الرؤية فقال رب أرنى أنظر اليك واحتاج مرة الى رغيف فقال رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير وذكر الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ان بعض الفقراء كان يأتى كل يوم ويقف بحذاء الكعبة بعدما يطوف ماشاء الله تعالى ويخرج من جيبه رقعة ينظر فيها فلما كان بعد أيام فعل مثل ذلك ثم تباعد ومات فجاء بعض من يرمقه ونظر فى الرقعة فاذا فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا قال فكان الرجل أصابته الفاقة فصبر ولم يظهر حاله لمخلوق حتى مات وقال أبو بكر الجوهرى رحمه الله تعالى كنت بعسقلان على برج احرس فمر بى رجل عليه جبة صوف متخرقة فقمت اليه مسلما وعانقته وأجلسته وجاريته معه فى فنون من العلم وكان قدماه حافيتين فقلت له لم لا تسأل أصحابنا فى نعل تقيك من الحفاء فقال يا أخى لرد أمس بالحبال وحبس عين الشمس بالعقال ونقل ماء البحر بالغربال أهون على من موقف السؤال وارتجائى من المخلوقين النوال ثم أخرجنى من باب المدينة فانتهى بى الى صخرة منقورة فاذا عليها مكتوب كل من كد يمينك وعرق جبينك فان ضعف يقينك فاسأل المولى يعينك قال فى التنوير واعلم رحمك الله أن رفع الهمة لسالكى طريق الآخرة عن الخلق وعدم التعرض لهم أزين لهم من الحلى للعروس وهم أحوج اليه من الماء لحياة النفوس ومن خلعت عليه خلعة الملك فحفظها وصانها فحرى بأن تدام له ولا تسلب عنه والمدنس لخلع المواهب حرى أن لا تترك له فلا تدنس أيها الاخ ايمانك بطمعك فى المخلوقين ولا تجعلن اعتمادك الا على رب العالمين وكن أيها الاخ ابراهيميا فقد قال أبوك ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه لا أحب الآفلين وما سوى الله آفل اما وجودا واما امكانا وقد قال سبحانه ملة أبيكم ابراهيم أى اتبعوا ملته فواجب على المؤمن أن يتبع ملة ابراهيم ومن ملته رفع همته عن الخلق فانه يوم زج به فى المنجنيق تعرض له جبرئيل عليه السلام فقال له ألك حاجة فقال له أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قال فاسأله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فانظر كيف رفع همته عن الخلق

ووجهها الى الملك الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال على السؤال من الله بل رأى ربه أقرب اليه من جبريل عليه السلام ومن سؤاله فلذلك سلمه من نمروذ ونكاله وأنعم عليه بنواله وافضاله وخصه بوجود اقباله ومن ملة ابراهيم معاداة كل ماشغل عن الله وصرف الهمة بالرد الى الله لقوله تعالى فانهم عدولى الا رب العالمين والغنى ان أردت الدلالة عليه فهو فى اليأس من الناس ولقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه ايست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا أيأس من نفع غيرى لنفسى ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى وهذا هو الكيمياء والاكسير الذى من حصل له يحصل له غنى لا فاقة بعده وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاد له وهو كيمياء أهل الفهم عن الله قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه صحبنى انسان وكان ثقيلا على فبسطته يوما فانبسط فقلت له ياولدى ماحاجتك ولم صحبتنى فقال ياسيدى قيل لى انك تحسن الكيمياء فصحبتك لا تعلم منك ذلك فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكنى أخالك لا تقبل فقال بل أقبل فقلت له نظرت الى الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء فنظرت الى الاعداء فعلمت انهم لا يستطيعون أن يشوكونى بشوكة لم يردنى الله بها فقطعت نظرى عنهم ثم تعلقت بالاحباء فوجدتهم لا يستطيعون أن ينفعونى بشئ لم يردنى الله به فقطعت نظرى عنهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لى انك لا تصل الى حقيقة هذا الامر حتى تقطع يأسك منا كما قطعته من غيرنا ان نعطيك غير ماقسمناه لك فى الازل وقال مرة أخرى لما سئل عن الكيمياء أخرج الخلق من قلبك واقطع يأسك من ربك أن يعطيك غير ماقسم لك قال وليس يدل على فهم العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده وانما يدل على نوره وفهمه غناه بربه وانحياشه اليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الاعمال وتزكو الاحوال قال الله تعالى انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا فحسن الاعمال انما هو بالفهم عن الله والفهم هو ماذكرناه من الاعتناء بالله والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه والدوام بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى انتهى مايتعلق بغرضنا من كلام صاحب التنوير وهو من الكلام النفيس الخطير وأنت رحمك الله اذا تأملته بعين بصيرتك ناصحا لربك فى علانيتك وسريرتك علمت منه ان ماتضمنه عظيم الموقع وانه مستحسن منا ايراده فى هذا الموضع اذ هو منوط بالايمان والتوحيد محتاج اليه كل سالك ومريد فمن راعاه حق رعايته وصرف الى العمل بمقتضاه عنان عنايته فقد تحقق بمحاسن الايمان وكان من ولاية الله تعالى بمكان ومن أهمله وضيعه وجهل قدره وموقعه خيف عليه

الوقوع فى الشرك الخفى والجلى واستحق بذلك أن يطرد عن باب مولاه العلى فيقوى طمعه فى الخلق ويضيق عليه متسعات أبواب الرزق كما قال بعض العارفين المكاشفين رضى الله عنه قيل لى فى نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تبدين فاقة الى غيرى فأضاعفها عليك مكافأة لسوء أدبك وخروجك عن حدك فى عبوديتك انما ابتليتك بالفاقة لتفزع الى منها وتتضرع بها الى وتتوكل فيها على سبكتك بالفاقة لتصير ذهبا خالصا فلا تزيفن بعد السبك وسمتك بالفاقة وحكمت لنفسى بالغنى فان وصلتها بى وصلتك بالغنى وان وصلتها بغيرى قطعت عنك مواد معونتى وحسمت أسبابك من أسبابى طردا لك عن بابى فمن وكلته الى ملك ومن وكلته اليه هلك انتهى ومنهم من يأنف من قبول الرفق على ايدى الخلق وترتفع همته عن ذلك وان لم يكن سؤال ولا طلب * يحكى عن حماد بن سلمة رحمه الله أنه قال كان فى جوارى امرأة أرملة لها أيتام وكانت ليلة ذات مطر فسمعت صوتها تقول يارفيق ارفق قال فخطر ببالى انها أصابتها فاقة فصبرت حتى احتبس المطر فحملت معى عشرة دنانير ودققت عليها الباب فقالت حماد بن سلمة فقلت نعم كيف الحال فقالت بخير وعافية احتبس المطر ودفئ الصبيان فقلت خذى هذه الدنانير وأصلحى بها بعض شأنك قال فصاحت بنية لها خماسية أتريد يا حماد أن تكون بيننا وبين معبودنا واسطة ثم قالت لأمها لما رفعت صوتك باظهار السر علمت ان الله يؤدبنا باظهار الرفق على يدى مخلوق وذكر الشيخ عبد الرحمن السلمى عن ابن عباس بن دهقان قال كنت عند بشر بن الحرث رضى الله عنه وهو يتكلم فى الرضا والتسليم فاذا هو برجل من المتصوفة فقال له يا أبا نصر انقطعت عن أخذ البر من أيدى الخلق لاقامة الجاه فان كنت متحققا بالزهد منصرفا عن الدنيا فخذ من أيديهم لينمحى جاهك عندهم واخرج بما يعطونك الى الفقراء وكن بعقد التوكل تأخذ قوتك من الغيب فاشتد ذلك على أصحاب بشر فقال بشر اسمع أيها الرجل الجواب الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطى لا يأخذ فذلك من الروحانيين اذا سأل الله تعالى أعطاه وان أقسم على الله أبر قسمه وفقير لا يسأل وان أعطى قبل فذلك من أوسط القوم عقده التوكل والسكون الى الله تعالى فهو ممن توضع له الموائد فى حظيرة القدس وفقير اعتقد الصبر وموافقة الوقت فاذا طرقته الحاجة خرج الى عبيد الله وقلبه الى الله بالسؤال فكفارة سؤاله صدقة فقال الرجل رضيت رضى الله عنك * وقال رضى الله عنه

(اذا التبس عليك) أيها المريد (أمران) واجبان أو مندوبان فلم تدر أيهما أولى أن تشتغل به كطلب ما لابد منه من العلم والسعي على العيال وكطلب علم زائد على ما لابد منه واشتغال بنوافل وكصلاة النوافل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا) أي أولى لأنها مجبولة على الجهل فشأنها أبدا انما هو طلب الحظوظ والفرار من الحقوق فاذا وجد المريد من نفسه خفة وميلا عند بعض *(٤٢)* الاعمال دون بعض اتهمها وترك ما خف عليها ومالت اليه وعمل بما استثقلته فان عمل بالاخف كان ذلك معدودا عندهم من نفاق القلب هذا ان لم تصر نفسه مطمئنة فان صارت كذلك عمل بما خف عليها ومالت اليه لكن ينظر حينئذ الى ما هو أكبر فائدة وأعظم مزيدا في حاله فيقدمه على غيره وهناك ميزان آخر تميز به الأولى من غيره مما التبس عليك وهو ان تقدر نزول الموت بك فأي عمل سرك ان تكون مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما عداه باطل فان العبد في هذه الحالة لا يصدر منه الا العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء ومن زجة حظ النفس واتباع الهوى فاذا التبس عليك الاشتغال بالعلم أو بطريق القوم فانظر أيهما تحب ان تكون عليه حال خروج روحك فاشتغل به فان كنت تحب أن تخرج روحك وبيدك الكراس لاخلاصك في طلب العلم وقصدك به وجه الله فاشتغل به وان كنت تكره ذلك وتحب ان تكون في ذلك الوقت مشتغلا بذكر الله مثلا لا بطلب العلم فلا تطلب العلم بل اشتغل بغيره لان ذلك دليل على عدم اخلاصك فيه والكلام في القدر الزائد على ما لابد منه من العلم

(اذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا) هذا ميزان صحيح باعتبار غالب الانفس لانها مجبولة على الجهل والشره فشأنها أبدا انما هو طلب الحظوظ والفرار من الحقوق كما تقدم عند قوله حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي فاذا وجد المريد من نفسه ميلا وخفة عند بعض الاعمال دون البعض اتهمها وترك ما مالت اليه وخف عليها وعمل بما استثقلته قال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي ساعة وسكون القلب الى النفس هو اتباعه لا الاخف عليها دون الاثقل وهو معدود عندهم من نفاق القلب ومن بقي عليه شيء من دواعي الهوى وان قل لا يؤمن عليه من مثل هذا فخفة العمل على النفس انما تكون لاجل موافقة هواها وهواها لا يميل الا الى الباطل فاذا التبس عليك أمران واجبان أو مندوبان ولم تعلم أيهما أوجب أو أفضل لتقدمه على الآخر فانظر أثقلهما على نفسك فاعمل به وانما قلنا باعتبار غالب الانفس لان النفس المطمئنة لا توصف بالجهل ولا بالشره فقد يخف عليها العمل ولا يدل ذلك على أنه باطل فليكن نظر العبد حينئذ الى ما هو أكثر فائدة وأعظم مزية فليقدمه على غيره * وقد ذكر الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه حكاية عجيبة في شره النفس وكونها لا تميل الا الى الباطل قال حدثني بعض اخواني عن بعض هذه الطائفة قال قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من جار لنا حملا مشويا ودعوناه اليه في جماعة من أصحابنا فلما مد يده وأخذ لقمة وجعلها في فيه ثم لفظها ثم اعتزل وقال كلوا أنتم فانه قد عرض لي عارض منعني من الاكل فقلنا لا نأكل ان لم تأكل فقال أنتم أعلم أما أنا فغير آكل ثم انصرف قال فكرهنا أن نأكل دونه فقلنا لو دعونا الشواء وسألناه عن أصل هذا الحمل فلعل له سببا مكروها فدعوناه فلم نزل به نسأله عنه حتى اقر أنه كان ميتة وأن نفسه شرهت الى بيعه حرصا على ثمنه فشواه ووافق

انكم اشتريتموه قال فرميناه للكلاب قال ثم انى لقيت الرجل بعد وقت فسألته
لاى معنى تركت أكله وبأى عارض فقال أخبرك ماشرهت نفسى الى طعام
منذ عشرين سنة للرياضة التى ريضتها به فلما قدمتم الى هذا شرهت نفسى
اليه شرها ماعهدته قبل ذلك فعلمت ان فى الطعام علة فكرهت أكله لاجل
شدة شره النفس اليه قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه فانظر رحمك الله كيف
اتفقا فى شره الناس على قصة واحدة ثم اختلفا بالتوفيق والخذلان فعصم العالم
بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وترك المراقبة أعنى
البائع للجمل وعصم الآخرون للتوفيق بحسن الادب وهو قمع شره النفس عن
الاكل بعد صاحبهم ثم تدارك البائع بعد وقوعه بصدق المشترى وحسن نيته
انتهى وثم ميزان آخر أصح وأكثر تحقيقا من الاول وهو ان يقدر نزول الموت
به فأى عمل سره أن يكون مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما عداه باطل قال فى
لطائف المنن والموت ميزان على الافعال والاحوال كما هو ميزان فى دائرة الوقت
أما الوقت فكما تقدم يعنى انه علامة صحة مرتبة الرعاية وأما الافعال والاحوال
فاذا التبس عليك أمر لاتدرى هل يرضى الله فعله أوتركه أو حالة أنت بها
لاتدرى هل قمت فيها بحق أو قمت فيها بهوى فأورد الموت على ما أنت فيه من
أفعال وأحوال فكل حالة وعمل تثبت مع تقدير ورود الموت عليها ولم تنهزم
فهى حق وكل حالة وعمل يهزمها الموت فهى باطل لان الموت حق والحق يهزم
الباطل ويدمغه لقوله عز وجل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو
زاهق قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب وقل جاء الحق وزهق الباطل ان
الباطل كان زهوقا وما كنت فيه قائما بحق لم يهزمه الموت اذ هو حق والموت
حق والحق لايهزم الحق (قال) وقد تجاذبت الكلام أنا وبعض من يشتغل
بالعلم فى أنه ينبغى اخلاص النية فيه وأنه لايشتغل به الا لله تعالى فقلت له الذى
يقرأ العلم لله هو الذى اذا قلت له غدا تموت لا يضع الكتاب من يده انتهى قلت
وهذا هو فصل الخطاب ونهاية الصواب فان العبد فى هذه الحالة لا يصدر منه الا
العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء وممازجة حظ النفس واتباع الهوى
فهذا هو المطلوب من العبد ولا يستتم له ذلك الا أن يتحقق بما يقدره من حلول
الموت وحصول الفوت وهذا هو معنى قصر الامل الذى هو أصل حسن العمل وهو
أن لا يقدر لنفسه وقتا ثانيا يكون فيه حيا وعند ذلك يخلص عمله من الآفات
ويتطهر من أنواع الرعونات لان توقع الموت فى كل نفس ولحظة يهدم عليه
جميع ذلك كما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى وكل عمل استرسل فيه صاحبه غافلا
عن تقدير وقوع ذلك ان لم يكن متحققا به لم يسلم مما ذكرناه فاذا بعيد من

القيام بالواجبات) فهذا من الصور التى يخف فيها الباطل ويثقل فيها الحق وانما كانت النوافل تخف على النفس دون الفرائض لان العادة انه لا مزية فى القيام بالفرائض لاستواء الناس كلهم فيها بخلاف النوافل فانه اتذكر بها ويحصل لها بها مزية وجاه ومنزلة فى القلوب وهذا هو حال أكثر الناس فتجد الواحد منهم اذا اعتقد التوبة أى صمم عليها لاهمة له الا فى نوافل الصيام والقيام وتكرار المشى الى بيت الله الحرام وما أشبه هذا من النوافل ومع ذلك هو غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا ممتثل لما لزم ذمته من الظلامات والتبعات وما ذاك الا لانهم لم يشتغلوا

الاخلاص من يأخذ فى علم غير متعين عليه الاخذ فيه لا يجتنى ثمرته الا فى ثانى حال ويكون فى الحالة الراهنة متمكنا من ايقاع طاعة تزيد مصلحتها على مصلحة ما أخذ فيه من العلم فيفوز بثوابها ويتنجز له حصول التقرب بها الان فى ذلك فوت نفسه وفارة حظه وآية ذلك أنه قد يعرض له فى حال أخذه فيه غرض دنيوى يكون استحظاء نفسه به أكثر فيقدمه على ما كان آخذا فيه ويتشاغل به من غير مبالاة بما يفوته من ذلك وانما عبرنا بلفظ الاخذ ليدخل فيه تعلم المتعلم وتعليم المعلم فان الامر فيهما واحد وكل عمل لا اخلاص فيه ليس بالله ولا لله مردود على صاحبه مضروب به وجهه وبهذا يتبين لك غرور أكثر الخلق فى علومهم وأعمالهم الا من رحم الله تعالى ولهذا انشاهد أكثر الناس عند نزول الموت بهم يندمون على ما أسلفوه من عمل ويودون ان لو أنسئ لهم فى الاجل وهيهات هيهات فنعوذ بالله من الغفلة فى زمان المهلة فانها مبدأ كل عمل فاسد ومنشؤ وجود الغرة والجهالة لكل عالم وعابد وما ذكرناه من معرفة اختلاف درجات الصالح ليقدم الفاضل فيها على المفضول لا يصلح الا لمن أيده الله بنور اليقين وجبله على النصيحة له فى الدين وكان له حظ وافر من الخوف والحذر وموافقة مولاه فى كل ورد وصدر ولا شك أن هذه المرتبة عزيزة المنال متعذرة الا على الا حاد من الرجال وسبيل من لم يصل اليها مما ذكرناه اذا كان منصفا أن يستعين بنظر من هو أصح منه حالا وأصوب مقالا وفعالا ويفوض جميع أموره اليه ويعتمد اشارته فى كل ما يشير به عليه وعلامة انصافه وجود اتهامه لنفسه وعدم اعتماده على عقله وحدسه ومن لم يكن منصفا فالكلام معه هذيان فاسد وضرب فى حديد بارد وسيأتى مزيد تنبيه على غرور الا خذين فى العلم فى موضع أليق من هذا والله ولى التوفيق ❊ومن علامات اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات) هذه من الصور التى يتبين بها خفة الباطل وثقل الحق على النفس وما ذكره هو حال أكثر الناس فترى الواحد منهم اذا اعتقد التوبة لاهمة له الا فى نوافل الصيام والقيام وتكرار المشى الى بيت الله الحرام وما أشبه ذلك من النوافل وهو مع ذلك غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا ممتثل لما لزم ذمته من الظلامات والتبعات وما ذاك الا لانهم لم يشتغلوا برياضة نفوسهم التى خدعتهم ولم يحظوا بمجاهدة أهوائهم التى استرقتهم وملكتهم ولو أخذوا فى ذلك لكان لهم فيه أعظم شغل ولم يجدوا فسحة لشئ من الطاعات والنفل وقول بعض العلماء من كانت الفضائل أهم اليه من أداء الفرائض فهو مخدوع وقال محمد بن أبى الورد رضى الله عنه هلاك الناس فى حرفتين اشتغال بنافلة وتضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواطأة

برياضة نفوسهم التى خدعتهم ولم يعتنوا بمجاهدة أهوائهم التى استرقتهم وملكتهم

(قيد عليك) الله تعالى (الطاعات) الراتبة عليك كالصلوات الخمس (بأعيان الأوقات) أي بأوقات
معينة ولم يطلق وقتها (كي لا يمنعك عنها وجود التسويف) فانه تعالى لو أطلقها ولم يعين لها أوقاتا
لحملك التسويف على تركها فانك تتكاسل وتقول حتى أفرغ من حاجتي أصلي لاتساع وقتها فربما
مضى يومك أو ليلتك ولم تفعلها بخلاف تقييدها بأوقات معينة فان ذلك يلجئك الى تحصيلها ويحجزك
عن تفويتها (ووسع عليك الوقت) أي وسع أوقاتها عليك ولم يضيقها (كي تبقى لك حصة الاختيار)
فيمكنك فعلها في أول وقتها أو وسطه أو آخره ولا تعد من المضيعين لها اذا أتيت بها في آخر وقتها
مثلا ولتتمكن أيضا من الاتيان بها على * (٤٥) * الوجه الاكمل وهو مواطأة القلب للجوارح فان
الوقت اذ كان متسعا يمكنك أن تخلي عن الشواغل والقواطع المانعة من اجتماع الفكر والحضور مع الله تعالى حال العبادة واستعمال الآداب اللائقة بين يدي الله تعالى حينئذ (علم قلة نهوض العباد الى معاملته) أي الاقبال عليه بطاعته والقيام بحقوق ربوبيته طوعا منهم لما هم عليه من وجود الضعف ولما في نفوسهم من وجود الكسل (فأوجب عليهم وجود طاعته) أي ألزمهم بذلك قهرا عنهم وخوفهم بدخول النار ان لم يفعلوها (فساقهم اليه) أي
الى الاقبال عليه بطاعته وفي نسخة اليها أي الى الطاعة (بسلاسل الايجاب) أي الايجاب الشبيه
بالسلاسل التي توضع في عنق الاسير يجره بها قهرا عنه من أسره الى الموضع الذي يريده وكذلك
الايجاب يسوقهم الله تعالى به الى الطاعة التي يحصل لهم بها ما يسرهم في المستقبل وان كانت شاقة
عليهم في الحال فهو يفعل بهم كما يفعل الولي بالصبي الا تراه كيف يؤدبه ويضربه على استرساله
على مقتضى طبعه وجبلته ويلزمه أمورا شاقة عليه فيفعلها وهو كاره لذلك لاجل تحصيل منافعه
في المستقبل الذي هو جاهل بها الآن فاذا كبر وعقل عرف ذلك عيانا (عجب ربك من قوم يساقون
الى الجنة بالسلاسل) كما يفعل بأسارى الكفار حين يراد منهم الدخول في الاسلام فيقادون الى الجنة
بالسلاسل في رقابهم وهذا معنى حديث قاله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر ولفظه عجب الله من

القلب عليه وانما حرموا الوصول بتضييعهم الاصول (وقال) الخواص رضي
الله عنه انقطع الخلق عن الله بخصلتين احداهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا
الفرائض والثانية انهم عملوا أعمالا بالظاهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها
والنصح لها وأبى الله أن يقبل من عامل عملا الا بالصدق واصابة الحق * قال
الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه فأفضل شيء للعبد معرفته بنفسه ووقوفه
على حده واحكامه لحاله التي أقيم فيها وابتداؤه بالعمل بما افترض عليه بعد
اجتنابه لما نهي عنه بعلم يدبره في جميع ذلك وورع يحجزه عن الهوى في ذلك
ولا يشتغل بطلب نفل حتى يفرغ من فرض لان النفل لا يصح الا بعد حوز
السلامة كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حوز رأس المال فمتى تعذرت عليه
السلامة كان من الفضل أبعد والى الاغترار أقرب انتهى وقال رضي الله عنه

* قيد الطاعات بأعيان الأوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك
الوقت كي تبقى لك حصة الاختيار) أنعم الله عليك فيما أمرك به من الطاعات
الموقتة بالاوقات بنعمتين عظيمتين احداهما تقييدها لك بأعيان الأوقات لتوقعها
فيها فتفوز بثوابها ولو لم يفعل هذا لسوفت بها ولم تعمل بها حتى تفوت فيفوتك
ثوابها والنعمة الثانية توسيع أوقاتها عليك ليبقى لك نصيب من الاختيار حتى تأتي
بالطاعات في حال سكون وتمهل من غير حرج ولا ضيق فلله الحمد على نعمه * علم قلة
نهوض العباد الى معاملته فأوجب عليهم وجود طاعته فساقهم اليها بسلاسل
الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل) لما علم الله تعالى قلة

٣ أقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل والعجب والتعجب استعظام أمر خفي سببه وهو مستحيل عليه تعالى ففيه المذهبان للسلف يقولون ان لله عجبا ولانعلم حقيقته وهو منزه عن معناه المشهور والخلف يؤولون ذلك فيقولون معنى التعجب المنسوب الى الله اظهار عجب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان وهو ان الجنة شانها أن يسارع اليها انفاستها ❊(٤٦)❊ وهؤلاء يرغبون عنها ويمتنعون منها حتى يقادون اليها بالسلاسل كما يقادون الى الامر المكروه وقيل المراد بالتعجب لازمه وهو الاحسان الى المتعجب منه فانك اذا قلت ما اعلم زيدا يلزمه انك تريد الاحسان اليه واكرامه فالمعنى احسن ربك الى هؤلاء القوم حيث دعاهم الى الجنة وساقهم اليها كرها وهذا في حق العامة اما الخاصة فلا يحتاجون الى الايجاب والتخويف والتحذير لان الله تعالى شرح صدورهم ونور بصائرهم وكتب في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعات وبغض اليهم العصيان فلم يحتاجوا الى شئ من ذلك لتمام حريتهم من الاغيار التي تملك القلوب فهم ملازمون لطاعته طوعا بل لوا كرهوا على تركها لم يستطيعوا الصبر عنها وفائدة تكليفهم حينئذ اظهار محبتهم كما يأمر الملك وزراءه الملازمين لحضرته بخدمته زيادة في القرب والتشريف (أوجب عليك وجود خدمته) في الظاهر

نهوض العباد الى معاملته الواجبة له عليهم من اقامة العبودية لمشاهدة الربوبية في حال طواعية منهم اذ في ذلك قرة أعينهم وغاية نعيمهم أوجب عليهم وجود طاعته على حال كراهية منهم لاجل ماخوفهم به ان لم يفعلوا فساقهم بسلاسل تخويفه وتحذيره اليهم واستدرجهم بذلك الى ما فيه نعيمهم مما لا علم لهم به وفعل بهم ما يفعل بالصبي الاتراه كيف يؤدب ويضرب على استرساله على مقتضى طبعه وجبلته ويلزم أمورا شاقة عليه فيفعلها وهو كاره لذلك والغرض انما هو حصوله على منافعه التي هو جاهل بها فاذا كبر وعقل عرف ذلك عيانا وقد عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل كما فعل باسارى الكفار حين يراد بهم الدخول في الاسلام فيقادون الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا عجب الله من أقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل قلت وتعبير المؤلف رحمه الله بالسلاسل والسوق بها واستعماله ذلك في التكاليف الواجبة التي ألزم العباد القيام بها من بديع الاستعارات كما قال الشاعر وهو أبو خراش الهذلي

وليس كعهد الدار يا أم مالك ❊ ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وكذلك تمثيله بالحديث المذكور فيه ذلك والاشارة به الى مقصوده في غاية الحسن ❊ قال بعض العلماء يجوز أن يكون معنى التعجب المنسوب الى الله تعالى فيه اظهار عجب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشأن وهو ان الجنة التي أخبر الله تعالى بما فيها من النعيم المقيم والعيش الدائم والخلود فيها للذي من حكم من صح به من ذوي العقول أن يسارع اليها ويبذل مجهوده في الوصول اليها ويتحمل المكاره والمشقات لينالها هؤلاء يمتنعون عنها ويرغبون عنها ويزهدون فيها حتى يقادوا اليها بالسلاسل كما يقاد الى المكروه العظيم الذي تنفر منه الطباع وتألم منه الابدان وتكرهه النفوس وقد قرأ جماعة من القراء بل عجبت ويسخرون بضم التاء وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان وفلانة في قصة الانصاري الذي قال لامرأته أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح مشهور فالعجب منسوب الى الله تعالى وقد ورد في الكتاب والسنة فهو اذا من الصفات السمعية (أوجب عليك وجود خدمته

وما أوجب عليك الا دخول جنته) هذه عبارة حسنة موافقة لمعنى ما تقدم والمقصود من هذا كله الاعلام بان الله تعالى غنى عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم وان التكاليف كلها انما أوجبها عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم لا غير قات وما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى هو حال عامة الناس الذين من شأنهم التأني وعدم الانقياد للأوامر والنواهي ولذلك احتاجوا الى التخويف والتحذير والالة للحض والمبالغة في التكثير وأما الخاصة منهم فلا يحتاجوا الى شئ من ذلك لان الله تعالى شرح صدورهم ونور بصائرهم وكتب في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم العصيان فلم يقتصروا على ما اقتصر عليه المذكورون من فعل الواجبات واجتناب المحظورات فقط بل أضافوا الى ذلك المبادرة الى أعمال الطاعات والمسارعة الى نوافل الخيرات وبالجملة صارت أعمالهم كلها قربات وذلك لتمام حريتهم وصحة عبوديتهم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه (قال) في التنوير وانما جعل الحق سبحانه الايجاب على العباد علما منه بما هم عليه من وجود الضعف وبما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فاوجب عليهم ما أوجبه لانه لو خيرهم فيما أوجب عليهم لم يكونوا به قائمين الا القليل وقليل ما هم فاوجب عليهم وجود طاعته وفي التحقيق ما اوجب عليهم الا دخول جنته فساقهم الى الجنة بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل قال واعلم رحمك الله انا تلمحنا الواجبات فرأينا الحق سبحانه جعل في كل ما أوجبه تطوعا من جنسه في أي الانواع كان ليكون ذلك التطوع من ذلك الجنس جابرا لما عساه أن يقع من الخلل في قيام العبد بالواجبات وكذلك جاء في الحديث أنه ينظر في مفروض صلاة العبد فان نقص منها شئ كمل من النوافل فافهم رحمك الله هذا ولا تكن مقتصرا على ما فرض الله عليك بل لتكن فيك ناهضة حب توجب اكبابك على معاملة الله تعالى فيما لم يوجبه عليك ولو كان العباد لا يجدون في موازينهم الا فعل الواجبات وثواب ترك المحرمات لفاتهم من الخير والمنة ما لا يحصره حاصر ولا يحزره حازر فسبحان الفاتح للعباد باب المعاملة والمهيئ لهم أسباب المواصلة قال واعلم ان الحق سبحانه علم ان في عباده ضعفاء وأقوياء فاوجب الواجبات وبين المحرمات فالضعفاء اقتصروا على القيام بما أوجب والترك لما حرم وليس في قلوبهم من سلطان الحب ووجود الشغف ما يحملهم على المعاملة من غير ايجاب فمثلهم كمثل العبد يعلم السيد منه أنه ان لم يحاوجه لم يهد اليه شيأ فلذلك وقت سبحانه الاوراد ووظف وظائف العبودية وعرف ذلك بالطالع والغارب والزوال وصيرورة ظل كل شئ مثله في الصلاة وبالحول في الاموال النامية العين والماشية

(وما أوجب عليك) في الحقيقة ونفس الامر (الا دخول جنته) لانه تعالى غنى عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم وانما أوجب الاعمال عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم وهو دخول الجنة لا ليحصل له شرف بذلك وهذا تصريح بما علم قبله لان حاصله انه تعالى انما أوجب على عباده طاعته لقلتهم وضمهم اليها فساقهم اليها بسلاسل الايجاب وسوقهم اليها بذلك انما هو لأمر يرجع اليهم وهو دخول الجنة بدليل الحديث وهو عجب ربك الخ فيؤول المعنى الى أن سوقهم الى طاعته وهو ايجابها عليهم سوق الى الجنة فلم يوجب عليهم الا دخولها وهو ما صرح به هنا

(من استغرب أن ينقذه الله من شهوته) التي استرقته (وان يخرجه من وجود غفلته)
التي استولت عليه
أي من استحكمت
فيه الشهوة والغفلة
واستغرب أن يخرجه
الله منهما (فقد
استعجز) أي فكأنه
استعجز (القدرة
الالهية) أي المنسوبة
الى الاله وفي بعض
النسخ قدرة الالهية
أي نسبها الى العجز
(وكان الله على كل
شئ مقتدرا) أي مع
أنه تعالى وصف
نفسه بالاقتدار على
كل شئ واخراجه
من ذلك من جملة
الاشياء فينبغي له ان
يقصد باب مولاه
بالذلة والافتقار
فعساه يسهل عليه
ما استصعبه ويظهر
فيه ما استغربه
وليعتبر هذا المعنى
بالحكايات التي
تؤثر عن الصالحين
الذين تقدمت لهم
في بدايتهم الزلات
ووقعت منهم قبل
توبتهم الهفوات
فتداركهم الله بلطفه
واصلح أعمالهم وصفى
أحوالهم كفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وأبي عقال بن علوان وغيرهم رضي الله عنهم في

و بوقت حصول المنفعة في الزرع وآتوا حقه يوم حصاده و بعشر ذي الحجة في الحج
و بشهر رمضان في الصيام فوظف الوظائف ووقتها وجعل للنفوس فيها فسحة
الحظوظ والسعي في الاسباب وأهل الله هم أهل الفهم عنه جعلوا الاوقات كلها
وقتا واحدا والعمر كله نفعا الى الله تعالى قاصدا فعلموا أن الوقت كله له فلم يجعلوا
شيأ منه لغيره ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه عليك بورد واحد وهو
اسقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة أن تستعمل محبا الا فيما يوافق محبوبه
وعلموا أن الانفاس أمانات الحق عندهم وودائعه لديهم فعلموا أنهم مطالبون
برعايتها فوجهوا [illegible]هم لذلك وكما أن له الربوبية الدائمة كذلك حقوق ربوبيته
عليك دائمة فربوبيته غير مؤقتة بالاوقات فحقوق ربوبيته عليك ينبغي أن
تكون أيضا كذلك * لذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه ان لكل
وقت سهما يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية انتهى * (من استغرب أن ينقذه
الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الالهية وكان الله
على كل شئ مقتدرا) من استرقته الشهوة واستولت عليه الغفلة فلا ينبغي له أن
يستغرب أن ينقذه الله من أسر شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد
من استحكام ذلك فيه فان في ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية والله تعالى
متصف بالاقتدار على كل شئ وهذا من الاشياء وليعلم العبد ان قلوب العباد
ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا ييأس وليقصد باب مولاه بالذلة والانكسار والافتقار
فعساه يسهل عليه ما استصعبه ويظهر فيه ما استغربه وما ذلك على الله بعزيز
وليعتبر هذا المعنى بالحكايات التي تروى عن الصالحين الذين تقدمت لهم في
بداياتهم الزلات ووقعت منهم قبل توبتهم الهفوات فتداركهم الله تعالى بلطفه
واستنقذهم بجوده وعطفه فأصلح أعمالهم وصفى أحوالهم وأبدل سيئاتهم
حسنات ورفعهم من أسفل سافلين الى أعلى الدرجات كل ذلك في أقرب
زمان واقصر مدة وأوان والحكايات في هذا المعنى عن الشيوخ مثل سيدي
الفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وأبي عقال بن علوان وغيرهم رضي الله
تعالى عنهم معروفة مشهورة * ومن أغرب ما رأيته في هذا المعنى ما رواه عبد
الصمد بن معقل عن عمه وهب بن منبه رضي الله عنهما أن رجلا قتل نفسا فجاء
الى سائح من سائحي بني اسرائيل فسأله عن ذلك قال فرفع له السائح من الارض
عرجونا أبيض قديما حائلا ثم قال له اذا اخضر هذا العرجون قبلت توبتك
وأراد السائح بذلك أن يؤيسه من التوبة لعظم ذنبه فأخذ الرجل العرجون
وهو يطمع في التوبة ويعزم فتاب وجعل يعبد الله تعالى زمانا ويدعو حتى اخضر
ذلك العرجون باذن الله تعالى وقدرته وأغرب من هذا وأعجب ما خرجه مسلم

في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال قتلت تسعة وتسعين نفسا فهل لي من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا أتى نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة قال الحسن ذكر لنا انه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره (وقال) عيسى بن دينار كان يقال ما وفق الله عبدا لعمل الا وهو يريد أن يقبله منه ولا وفق الله عبدا للنزوع عن ذنب الا وهو يريد أن يغفره له * وقد ذكر القاضي يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفار رحمه الله في كتاب التسبب والتيسير لصالح العمل انه أخبره ثقة من أهل العلم قال كان رجل من أهل الادب له أصحاب تجمعه بهم مجالس مكروهة فدعوه ذات يوم فلم يجبهم فقالوا له ما يمنعك من اجابتنا فقال دخلت البارحة في الاربعين وأنا أستحي من شي ثم لزم الخير والعبادة (قال) وروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال وجبت حجة الله على ابن الاربعين وذكر فيه أيضا عن مغيث بن سمي قال كان رجل من بني اسرائيل يعمل بالخطايا فبينما هو يسير ذات يوم ذكر ما سلف من عمله فقال اللهم غفرانك فمات على ذلك الحال فغفر له وذكر فيه أيضا عن رجل من العلماء انه رأى في منامه شيخا وجماعة من الشعراء قد احدقوا به يسألونه قال فقلت له ايها الشيخ اخبرني باحكم بيت قالته العرب فانشدني

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعد

قال فوالله لقد نفعني الله عز وجل بهذا البيت ما ذكرته بعد ذلك عند شهوة أو خطيئة الا ارتدعت عنها وأرجو أن لا يفارقني الانتفاع به ما بقيت ان شاء الله تعالى وفي الكتاب المذكور حكايات مستحسنات في هذا المعنى فطالع ذلك فيه والله المستعان الموفق لا رب غيره * ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك) الظلم اضداد الانوار فما من نور الا وفي مقابلته ظلمة وكل ظلمة على قدر نورها والشئ يعرف بضده كما قيل

(ربما وردت الظلم) أي الشهوات والمعاصي والغفلات (عليك ليعرفك) حال ورودها (قدر ما من) الله (به عليك) أي ما كان قدمن الله به عليك سابقا من الانوار والاقبال على مولاك فتحمده عليها واذا رجعت الى حالك عرفت أن ذلك نعمة عظيمة فيكثر منك الحمد والشكر فقد صارت النقمة نعمة وقد يكون سبب ورودها ما حصل منك من الاعجاب بطاعتك فيوردها عليك لتعرف قدرك ولا تتعدي طورك فلا تتكبر ولا ترى نفسك على أبناء جنسك وهذه نعمة أيضا وقد ترد عليك عقوبة وامتحانا وعلامة ذلك انك كلما خرجت من معصية وقعت في أخرى وهكذا ولا توفق للتوبة ولا تعتقد التقصير من نفسك

وبضدها تتبين الاشياء * فما أورده عليك من ظلمات الحجبة والغيبة فى ليالى الهجر والفرقة فانما ذلك ليعرفك قدر ما من به عليك من أنوار التجلى والحضور فى نهاية القربة والوصلة فجميع ذلك نعم سابغة عليك من غير لم منك بذلك

(من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها) أكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الا اذا فقدوها وذلك لأجل غلبة الغفلة عليهم حين وجودها عندهم قال سرى السقطى رضى الله عنه من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم * وقال الفضيل رضى الله عنه عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض البلغاء اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال آخر شكر النعمة عصمة من حلول النقمة وفى معنى هذا قيل انما يعرف قدر الماء من بلى بالعطش فى البادية لامن كان على شاطئ الانهار الجارية وقيل أيضا الولد العاق المصر على تأبيه انما يعرف قدر الاب يوم وفاة أبيه وقيل نعم الله مجهولة وتعرف اذا فقدت ومن دعاء بعض الصالحين اللهم عرفنا نعمتك بدوامها ولا تعرفها لنا بزوالها قلت ولا دل غلبة الجهل بالنعم الا عند الفقد وتضييع الشكر عليها من العبد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى من هو أسفل منا لئلا نزدرى نعمة الله علينا والسعيد من وعظ بغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أبو هريرة رضى الله عنه انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وروى أيضا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه قال الشيخ أبو حامد رضى الله عنه وكان بعض الصوفية وظف على نفسه كل يوم أن يحضر دار المرضى فيشاهدهم ويشاهد عللهم ومحنهم ويحضر حبس السلطان ويشاهد أرباب الجنايات ومحنهم فى التعرض لاقامة العقوبات ويحضر المقابر فيشاهد أصحاب العزاء وتأسفهم على ما لا ينفع مع اشتغال الموتى بما هم فيه وكان يعود الى بيته ويشتغل بالشكر طول النهار على نعم الله عليه فى تخليصه من تلك البلايا انتهى وكان الربيع بن خثيم رضى الله عنه حفر فى داره قبرا وكان يضع فى عنقه غلا وينام فى لحده ثم يقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ثم يقوم ويقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد وهذا كله موافق لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديثين المذكورين ولا طريق للعبد الغافل الى تعرف النعم الموجودة لديه أبلغ منه فاذا عرف نعم الله تعالى عليه اشتغل بالشكر عليها من قبل أن تزال عنه فلا يكون له سبيل اليها وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها

(من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها) هذا تعليل لما قبله كأنه قال انما كان ورود الظلم معرفا بقدر النعم لان الاشياء انما تتبين باضدادها فعند وجود النقيض يظهر فضل المناقض وانما يعرف قدر نعمة البصر مثلا من ابتلى بالعمى وقد قيل انما يعرف قدر الماء من ابتلى بعطش البادية لامن كان على شاطئ الانهار والاودية الجارية

(لاتدهشك واردات النعم) أي النعم الواردة أي المترادفة عليك (عن القيام بحقوق شكرك) أي شكرك المولى عليها بان ترى عجز نفسك عن توفية ❊(٥١)❊ ذلك فتترك الشكر (فان ذلك مما يحط من وجود قدرك) أي ان الله تعالى قد رفع قدرك وجعل القليل منك كثيرا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فلا تبخس نفسك حقها وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر بسبب كثرة النعم وذلك من الجهل كما لو تركت الشكر عليها لاستقلالها في نظرك فالحامل على ترك الشكر على النعمة أحد أمرين وكل منهما مذموم ومن شكر اللسان ذكر الله ومنه الباقيات الصالحات التي تذكر عقب الصلوات (تمكن حلاوة الهوى) الهوى ميل النفس والمراد به الهوى وهو الشهوات أي تمكن حب شهوات الدنيا (من القلب هو الداء العضال) أي الذي لا تنفع فيه الحيل والاسباب والادوية كالايمان والمعرفة واليقين فان الداء اذا تمكن من القلب لم يبق للدواء محل فلهذا أعضل أمره وتعذر برؤه فلا يفيد فيه الا وارد الهي كما أشار اليه بقوله (لايخرج الشهوة من القلب الاخوف مزعج) يرد على القلب من شهود صفات الجلال ومنشؤه النظر في الآيات المحتوية على ما أعد للعصاة وتذكر نزول الموت به ودخوله للقبر وحيدا وسؤال الملكين مع أهوال [illegible] الحشر والمماـ الذى تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ويجعل الولدان شيبا الى غير ذلك (أوشوق [illegible] يرد على القلب من شهود صفات الجمال ومنشؤه النظر في الآيات المحتوية على ما أعد لاهل [illegible] كره ما أعد

فقد قيدها بعقالها * (لاتدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فان ذلك مما يحط من وجود قدرك) اذا ترادفت نعم الله تعالى عليك فلا ينبغي أن تدهشك عن القيام بشكرها من حيث ترى عجز نفسك عن توفية ذلك وأن لاقبل لك به فتتركه فان الله تعالى رفع قدرك وأعلى أمرك وجعل القليل منك كثيرا وأشهدك من حسن توليه لك ونسبة أفعالك اليه ما يؤذن بعظم سيادتك ورفعة قدرك فلم تبخس نفسك حقها وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر والقيام بمقتضى الامر لاعلى وجه الادب والاتيان من الشكر بما وجب كان الامر في ذلك اليها * قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه مامن نعمة الا والحمد أفضل منها والنعمة التي ألهم بها الحمد أفضل من الاولى لان بالشكر يستوجب المزيد وفي أخبار داود عليه السلام الهي ابن آدم ليس فيه شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن أين يكافئك فأوحى الله تعالى اليه ياداود انى أعطي الكثير وأرضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم أن ما بك من نعمة فمني وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اليه انى بأرض قد كثرت فيها النعم حتى لقد أشفقت على من قبلي ضعف الشكر فكتب اليه عمر انى كنت أراك انك أعلم بالله مما أنت ان الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله تعالى عليها الا كان حمده أفضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل قال الله ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده الخ وأي نعمة أعظم من دخول الجنة * (تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال) القلب محل الايمان والمعرفة واليقين وهذه هي الادوية لامراضه التي أوجبها وجود الهوى والشهوة فاذا تمكن الداء من القلب لم يبق للدواء محل فلذلك أعضل أمره وتعذر برؤه * (لايخرج الشهوة من القلب الاخوف مزعج أوشوق مقلق) الشهوة المتمكنة من القلب لايخرجها الاوارد قوي قاهر غالب

لاوليائه من النعيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الى غير ذلك والمواظبة على
حضور مجالس الذكر والتذكير علاج كبير ونفع كثير في حصول ذلك اذ لا يزال ذلك يعمل في القلب
شيأ فشيأ الى أن يسكنه الخوف والشوق أما اذا لم يكن الاول مزعجا والثاني مقلقا فلا يفيدان تركا ولا
توجها (كما لا يحب العمل المشترك) وهو المشوب بالرياء والتصنع (كذلك لا يحب القلب المشترك)
وهو الذي فيه محبة غير الله والسكون اليه *(٥٢)* والاعتماد عليه ولما كانت المحبة بمعنى
ميل القلب مستحيلة في حقه تعالى أولها على طريقة الخلف بقوله (العمل المشترك لا يقبله) أي لا يثيب عليه لعدم الاخلاص فيه فعدم محبته بمعنى عدم اثابته عليه (والقلب المشترك لا يقبل عليه) أي لا يرضى عن صاحبه ولا يثيبه لعدم وجود الصدق منه فعدم محبته بمعنى عدم الرضا عن صاحبه وعدم اثابته فمن صحح أعماله بالاخلاص وأحواله بالصدق كان محبوبا لله أي مثابا مرضيا عنه والا فلا أما السلف فيثبتون لله محبة
لكن لا نعلم حقيقتها (أنوار اذن لها في الوصول وأنوار اذن لها في الدخول) أي الانوار ويطلب
الواردة على القلوب من خزائن الغيوب وهي معارف وأسرار الهية تنقسم الى قسمين أنوار اذن لها في
الوصول الى ظاهر القلب فقط وأنوار اذن لها في الدخول الى صميم القلب وسويدائه فالانوار الواصلة
الى ظاهر القلب يشاهد القلب معها نفسه وربه ودنياه وآخرته فيكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه
وتارة يحب آخرته [illegible] دنياه والانوار الداخلة الى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها الا وجود
الله عز وجل ف[illegible] سواه ولا يعبد الا اياه قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب
كان العبد [illegible] الدنيا وكان مرة مع ربه ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب أبغض

يرد عليه وذلك اما خوف مزعج أو شوق مقلق وما عدا هذين الامرين لا استقلال
له بذلك (كما لا يحب العمل المشترك كذلك لا يحب القلب المشترك العمل المشترك
لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه) العمل المشترك هو المشوب بالرياء
والتصنع والقلب المشترك هو الذي فيه محبة غير الله تعالى والسكون اليه
والاعتماد عليه فالعمل المشترك معتل بنظر صاحبه الى الناس والقلب المشترك
معتل بنظر صاحبه الى نفسه فالعمل المشترك لا يحبه ولا يقبله ولا يثيب عليه لفقد
الاخلاص منه والقلب المشترك لا يحبه ولا يقبل عليه ولا يرضى عنه لعدم
وجود الصدق فيه فمن صحح أعماله بالاخلاص وأحواله بالصدق كان محبوبا لله
تعالى مثابا مرضيا عنه والا فلا وقال رضي الله عنه * أنوار اذن لها في الوصول
وأنوار اذن لها في الدخول) الانوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب
تنقسم الى قسمين أنوار اذن لها في الوصول الى ظاهر القلب فقط وأنوار اذن لها في
الدخول الى صميم القلب وسويدائه فالانوار الواصلة الى ظاهر القلب يشاهد
العبد معها نفسه وربه ودنياه وآخرته فيكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه وطورا
يسعى في العمل لآخرته وطورا يعمل في أمور دنياه والانوار الداخلة الى صميم القلب
وسويدائه لا يظهر فيها الا وجود الله عز وجل فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه
* قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة
والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب
أبغض العبد دنياه وهجر هواه وفي لفظ آخر اذا كان الايمان في ظاهر القلب
يعني أعلى الفؤاد كان المؤمن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان في باطن
القلب وكان في سويدائه أحبه الحب البالغ * قال الشيخ أبو طالب المكي رضي
الله عنه وعلامة العبد ذلك أن ينظر فان كان يؤثر الله تعالى على جميع هواه

العبد دنياه وهو رهواه اهـ ثم فرع على ما تقدم بقوله (ربما وردت عليك الانوار) أى العلوم والمعارف الالهية (فوجدت القلب محشوا بصور الآثار) أى متعلقا بصور المكونات من أموال وأولاد وغيرهما (فارتحلت من حيث نزلت) أى من المكان الذى نزلت فيه وهو القلب لانها مطهرة مقدسة فلا تحل فى القلب المدنس بالاغيار (فرغ قلبك من الاغيار) أى التعلق بغير مولاك وامح عنه صور الآثار بأن لا تتوجه بسيرك الى غير ربك فلا يكون لك أنس الا به ولا اعتماد الا عليه (يملأه بالمعارف والاسرار) قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وتقدم فى كلام المصنف كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة فى مرآته واذا كان كذلك (فلا تستبطئ منه النوال) أى اعطاء المعارف والاسرار (ولكن استبطئ من نفسك وجود الاقبال) عليه بمحو صور الاغيار من مرآة قلبك بالمجاهدة والرياضة ثم قال (حقوق) كائنة (فى الاوقات) أى الازمنة وتلك الحقوق هى وظائف العبادات الظاهرة من صلاة وصيام وغيرهما (يمكن قضاؤها) أى من فاته شئ من ذلك فى وقته المعين له أمكنه قضاؤه فى وقت آخر (وحقوق الاوقات) هى ما يرد على العبد من قبل الرب من الاحوال فوقت كل عبد ما هو عليه من تلك الاحوال وأوقاته أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية وسمى ما ذكره وقتا لانه يرد فى وقت مخصوص تسمية للشئ باسم زمنه وحقوقها الواجبة عليك فيها هى المعاملات الباطنية التى تقتضيها تلك الاحوال لحقه عليك فى النعمة الحمد والشكر وفى البلية الصبر والرضا وفى الطاعة شهود المنة وفى المعصية الاستغفار والتوبة ولذا يقولون الفقير ابن وقته أى يتأدب معه ويعطيه حقه كما يتأدب الولد مع أبيه وتلك الحقوق (لا يمكن قضاؤها) اذا فاتت (اذ ما من وقت) أى حال (يرد الا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد) هو بمعنى ما قبله أى فلا يسعك الآن توفى حقه فيه لاشتغالك بحقه عن اشتغالك بحق ما فاتك ولذا قال (فكيف تقضى فيه حق غيره) مما فاتك [illegible] لم تقض حق الله فيه) وهو الحق المتعلق بذلك الوقت ولو قال وأنت لم تقض حق ذلك الوقت لكان أوضح وحينئذ فيجب عليك أن

ويغلب محبته على هواه حتى تصير محبة الله هى محبة العبد من كل شئ فهو محب لله تعالى حقا كما أنه مؤمن به حقا وان رأيت قلبك دون ذلك فلك من المحبة بقدر ذلك * قال بعض العلماء ظاهر القلب محل الاسلام وباطنه مكان الايمان فمن ههنا تفاوت المحبون فى المحبة لفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر * ربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت فرغ قلبك من الاغيار يملأه بالمعارف والاسرار) الانوار الالهية قد ترد على القلب فلا تجد فيه موضعا لاستقرارها لما غلب عليه من رعونات البشرية واستحكم فيه من صور الآثار الكونية فترحل من حيث تنزل لانها مقدسة مطهرة فاذا أردت حلول الانوار فيه وتجلى المعارف والاسرار له ففرغه من الاغيار وامح عنه صور الآثار قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة فى مرآته * لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الاقبال) تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا تطالب ربك بتأخير مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخير أدبك والعبارتان متفقتان معنى وان اختلفتا لفظا * (حقوق فى الاوقات يمكن قضاؤها وحقوق الاوقات لا يمكن قضاؤها اذ ما من وقت يرد الا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف تقضى فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه)

تكون مراقبا القلبك حتى تقوم بمراعاة تلك الحقوق التي لا يمكنك قضاؤها ان فاتت ولا تشغل أوقاتك بشهوات نفسك ورعونات بشريتك حتى تضيع حقوق الله الواجبة عليك التي ليس لها خلف تقوم مقامها واذا فاتت لا يمكن قضاؤها ولذا قال * (٥٤) * (ما فات من عمرك لا عوض له) أي لا عودة ولا رجوع له فاذا خليته من العمل الصالح الذي هو وظيفة ذلك الوقت فاتك من السعادة بقدره ولا يمكنك تداركه (وما حصل لك منه لا قيمة له) أي لا يمكن أن يقاوم بشئ لعظم قدره لانك تتوصل به اذا اشتغلت بحق الله فيه الى ملك كبير في الآخرة وشرف عظيم كثير لا يفنى ولذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا من أنفسهم الا بالجد والتشمير

الحقوق الكائنة في الاوقات هي وظائف العبادات الظاهرة من صلاة وصيام وغيرهما فمن فاته شئ منها في وقته المعين له أمكنه قضاؤه في وقت آخر اذ قد جعل له في ذلك مجال رحب فيستدرك فيه ما يفوته من تلك الحقوق والحقوق المضافة الى الاوقات هي المعاملات الباطنة التي تقتضيها أحوال العبد وواردات قلبه المتلونة عليه ووقت كل عبد ما هو عليه من ذلك فالعبد مطالب بحقوق جميع ذلك عند وروده عليه اذ لله تعالى على كل عبد عند كل حال يحل به وارد يرد عليه حق جديد وأمر أكيد ولا يسعه الا أن يوفيه اذ ذاك فان فاته لم يجد مجالا لقضائه ولا يمكنه ذلك فعلى العبد أن يكون مراقبا لقلبه حتى يقوم بمراعاة تلك الحقوق التي لا يمكنه قضاؤها ان فاتت * قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه أوقات العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية ولله تعالى عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه أن هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته المعصية فمقتضى الحق منه وجود الاستغفار والندم ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر والرضا رضا النفس عن الله والصبر مشتق من الاصبار وهو نصب الغرض للسهام وكذلك الصابر ينصب نفسه غرضا لسهام القضاء فان ثبت لها فهو صابر والصبر ثبات القلب بين يدي الرب وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا له يا رسول الله فقال أولئك لهم الامن وهم مهتدون أي لهم الامن في الآخرة وهم المهتدون في الدنيا (ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له) عمر العبد ميدان لاعماله الصالحة المقربة له من الله تعالى والموجبة له جزيل الثواب في الدار الآخرة وهذه هي السعادة التي لها يكدح العبد ويسعى من أجلها وليس له منها الا ما سعى كما قال تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فكل جزء يفوته من العمر خاليا من عمل صالح يفوته من السعادة بقدره ولا عوض له منه قال الجنيد رضي

وفي الحديث ما من ساعة تأتي على العبد لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة وندامة
الله وبقال ان العبد يوم القيامة تعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعا وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة جزاء لما كان أودعه في تلك الخزانة من الاعمال الصالحة والتي لم يعمل فيها شيئا يراها فارغة فيتحسر ويندم حيث لا ينفعه الندم ثم يلقي عليه الرضا والسكون

الله عنه الوقت اذا فات لا يستدرك وليس شئ أعز من الوقت وكل جزء يحصل له من العمر غير خال من ذلك يتوصل به الى ملك كبير لا يفنى ولا قيمة لما يوصل الى ذلك لانه فى غاية الشرف والنفاسة ولاجل هذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضى الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم فى البطالة والتقصير ولم يقنعوا من أنفسهم ولا هم الا بالجد والتشمير وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بقية عمر المرء مالها ثمن يدرك فيها ما فات ويحيي ما أمات وقد نظم بعض الشعراء فى المعنى رحمه الله وأرضاه فقال

بقية العمر عندى مالها ثمن * وان غدا غير محبوب من الزمن
يستدرك المرء فيها كل فائتة * من الزمان ويمحو السوء بالحسن

وقال رجل لعامر بن عبد الله بن قيس رضى الله عنه وهو يريد الجمعة قف حتى أكلمك فقال له لولا أنى أبادر لوقفت لك قال له وما تبادر وقال أبادر خروج روحى * وقال الحسن البصرى رضى الله عنه أدركت أقواما كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم يقول كما لا يخرج أحدكم دينارا ولا درهما الا فيما يعود عليه نفعه فكذلك لا يحبون أن تخرج ساعة من أعمارهم الا فيما يعود عليهم نفعه * وقال السرى السقطى رضى الله عنه جزت من بغداد أريد الرباط الى عبادان لاصوم بها رجب وشعبان فاتفق لى فى طريقى على الجرجانى وكان من الزهاد الكبار فدنا وقت افطارى وكان معى ملح مدقوق وأقراص فقال ملحك مدقوق ومعك ألوان من الطعام لن تفلح ولن تدخل فى سنن المحبين فنظرت الى مزود كان معه فيه سويق الشعير فسف منه فقلت ما دعاك الى هذا قال انى حسبت ما بين المضغ والسف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة وفى الخبر ما من ساعة تأتى على العبد لا يذكر الله تعالى فيها الا كانت عليه حسرة ويقال ان العبد تعرض عليه ساعاته فى اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعا وعشرين خزانة فيرى فى كل خزانة نعيما ولذة وعطاء وجزاء لما كان أودع خزائنه من ساعاته فى الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مرت به فى الدنيا ساعاته التى لم يذكر الله فيها رآها فى الآخرة خزائن فارغة لا عطاء فيها ولا جزاء عليها فيسوءه ذلك ويتحسر عليه كيف فاته حيث لم يدخر فيها شيأ فيرى جزاءه مدخورا ثم يلقى فى نفسه الرضا والسكون وجاء فى الخبر ان أهل الجنة بينما هم فى نعيمهم اذ سطع لهم نور من فوق اضاءت منه منازلهم كما يضئ الشمس والقمر لأهل الدنيا فينظرون الى رجال من فوقهم أهل عليين يرونهم كما يرون الكوكب الدرى فى أفق السماء وقد فضلوا عليهم فى الانوار والجمال والنعيم

ما احببت شيأ) من امور الدنيا (الا كنت له عبدا) لان محبتك للشئ تقتضي انقيادك له وشدة علاقتك به وان لا تبغي به بدلا كما قيل *(٥٦)* حبك للشئ يعمي ويصم وهذا معنى استعباده لك فان احببت غير الله فقد استعبدك ذلك الغير كائنا ما كان (وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا) اي لا يرضى بذلك وفي الحديث تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم والزوجة والخميصة تعس وانتكس وقال الجنيد انك لن تكون على الحقيقة له عبدا وشئ مما دونه لك مسترق وانك لن تصل الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية المكاتب عبد ما بقي عليه درهم (لا تنفعه طاعتك) لانه غني عن العالمين واعمالهم (ولا تضره معصيتك) لتنزهه تعالى عن ان تصل اليه مكروه من خلقه (وانما امرك بهذه) اي الطاعة (ونهاك عن هذه) اي المعصية (لما يعود عليك) من المنافع والمصالح في الدارين وذلك على سبيل التفضل منه لا على وجه الايجاب عليه

المقيم كما فضل القمر على سائر النجوم فينظرون اليهم يطيرون على نجب تسرح بهم في الهواء يزورون ذا الجلال والاكرام فينادونهم هؤلاء يا اخواننا ما انصفتمونا كنا نصلي كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا فاذا النداء من قبل الله تعالى انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكتسون ويذكرون حين تسكتون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تأمنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه رؤي بعضهم مجتهدا فقيل له في ذلك فقال ومن اولى مني بالجهد وانا اطمع ان الحق الابرار والكبار من السلف قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وفي معناه انشدوا

السباق السباق قولا وفعلا * حذر النفس حسرة المسبوق

ما احببت شيأ الا كنت له عبدا وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا) المحبة للشئ تقتضي الانقياد له وشدة العلاقة به وأن لا يبغي به بدلا كما قيل حبك للشئ يعمي ويصم وذلك معنى استعباده للمحب له فمن أحب غير الله عز وجل فقد استعبدك ذلك الغير كائنا ما كان والله لا يحب أن تكون لغيره عبدا ولا يرضى بذلك تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم والخميصة والقطيفة والزوجة وقال محمد بن السماك كتب الي أخ ان استطعت أن لا تكون لغير الله عبدا ما وجدت للعبودية بدا فافعل وقال الجنيد رضي الله عنه انك لن تكون على الحقيقة له عبدا وشئ مما دونه لك مسترق وانك لن تصل الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية وسئل عمن لم يبق عليه من الدنيا الا مقدار مص نواة فقال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم * ومن الحكايات في هذا المعنى ما ذكر عن أبي عبد الله الرازي نزيل نيسابور قال كساني ابن الانباري صوفا ورأيت على رأس الشبلي قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف فتمنيت في نفسي أن يكونا جميعا لي فلما قام الشبلي من مجلسه التفت الي فتبعته وكان من عاداته اذا أراد أن أتبعه أن يلتفت الي فلما دخل داره دخلت فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح عليه القلنسوة ودعا بنار فأحرقهما ومثل هذا انما كان ينكره عليه من لم يعرف مقصوده وفي ذلك شئ كثير وردعنه * لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك وانما أمرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك)

الحق

(لا تزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من عزه ادبار من ادبر عنه) لان عزه صفة من صفاته الجامعة كالالوهية والكبرياء والعظمة وصفاته تعالى في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة والنقصان وهذا تعليل لما قبله من كونه لا يعود عليه نفع من عبيده ولا يلحقه ضرر منهم (وصولك الى الله) الذي يشير اليه أهل هذه الطريقة هو (وصولك الى العلم به) أي الى مشاهدته بعين بصيرتك مشاهدة تغنيك عن الدليل والبرهان و يعبر عن ذلك العلم بالمشاهدة و بعلم اليقين و بالتجلي و بالفيض الرحماني و التعرف العياني و الذوق الوجداني وأهل الشهود متفاوتون فمنهم من يحصل له تجلي الافعال وهو أول التجليات * (٥٧) * عندهم فيفنى فعله وفعل غيره في فعل الله تعالى فلا يرى فاعلا الا هو ويخرج في هذه الحالة عن التدبير والاختيار وهذه أول مراتب الوصول ومنهم من يحصل له تجلي الصفات فيقف في مقام الهيبة والانس بما يشاهده قلبه من الجلال والجمال وهذه رتبة ثانية من رتب الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة فيغيب

٨ عباد ني في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهو أيضا رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة حق اليقين و يكون من ذلك في الدنيا لمع وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى تحظى به روحه وقلبه و نفسه حتى قالبه وهو من أعلى رتب الوصول قال في عوارف المعارف فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه في أول المنزل فاين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الابدي فكيف في العمر القصير الدنيوي اهـ (والا) نرد بالوصول ما ذكرو هو العلم الحقيقي بالله تعالى بطريق الذوق والوجدان بان أردنا به الوصول المتعارف وهو وصول الذوات والاجسام فلا يصح (جل) أي لانه تعالى

الحق تعالى غني من أعمال العاملين لانه منزه عن الاعواض والاغراض فلا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك وانما أمرك ونهاك لما يعود عليك من المصالح والمنافع في الدارين لا غير وذلك على سبيل التفضل منه من غير ايجاب عليه وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل قال في لطائف المنن اعلم رحمك الله ان الله لم يامر العباد بشيء وجوبا أو يقتضيه منهم ندبا الا والمصلحة لهم في فعل ذلك الامر ولم يقتض منهم ترك شيء تحريما أو كراهة الا والمصلحة لهم في ترك ما أمرهم بتركه وجوبا أو ندبا ولسنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى انه يجب على الله رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك عادة الحق وشرعته المستمر فعلها مع عباده على سبيل التفضل فليت شعري اذا قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه ثم انا نظرنا فرأينا كل ما هو واجب أو مندوب اليه يستلزم الجمع على الله وكل منهي عنه أو مكروه يتضمن التفرقة عنه فاذا مطلوب الله من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات هي أسباب الجمع و وسائله فلذلك أمر بها والمعصية هي أسباب التفرقة و وسائلها فلذلك نهى عنها انتهى * لا يزيد في عزه اقبال من أقبل عليه ولا ينقص من عزه ادبار من أدبر عنه) عزة الله تعالى صفة من صفات ذاته وصفاته في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة والنقصان وسبقية الله الملك وقال رضي الله عنه * (وصولك الى الله وصولك الى العلم به والا جل

(ربنا أن يتصل به شئ أو يتصل هو بشئ) لا حسا وهو ظاهر ولا معنى اذ كيف يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير وشرط الاتصال المداناة في الوصف ولا نسبة بين كامل على الاطلاق وناقص على الاطلاق (قربك منه) الذي تشير اليه ﴿(٥٨)﴾ أهل هذه الطريقة و(أن تكون مشاهدا لقربه) منك قربا معنويا فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة في التأدب بآداب الحضرة (والا) نقل ذلك بل أردنا القرب الذي هو من صفات الاجسام (فمن أين أنت ووجود قربه) قربا حسيا فهذا لا يصح (الحقائق) أي العلوم اللدنية التي يقذفها الله تعالى في أسرار العارفين عند تبرأتهم من الدعوى وتحريرهم من رق الاغيار وتعرضهم بسرهم الى نفحات الحق (ترد في حال التجلي) أي تجلي الله على قلوبهم (مجملة) لا تتبين لهم معانيها ولا يدركون جهات حقيقتها لعظم التجلي على قلوبهم (وبعد الوعي) بزوال ذلك التجلي (يكون البيان) أي تتصرف فيها أذهانهم لاعتبار والتأمل فيتبين لهم معناها ويظهر لهم عينا موافقتها لما بأيديهم من العلوم العقلية والنقلية حتى انه ربما يجري على لسان بعضهم كلام كبير لا يلتقي له بالا فاذا أفرغ من ذكره وتأمله وجده صحيحا مثال ذلك ما وقع من الحلاج من قوله ما في

ربنا أن يتصل به شئ أو يتصل هو بشئ) الوصول الى الله تعالى الذي يشير اليه أهل هذه الطريقة هو الوصول الى العلم الحقيقي بالله تعالى وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير السائرين وأما الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه وقال الجنيد رضي الله عنه متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير هيهات هذا ظن عجيب الا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف رحمه الله واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار اليه الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة في التجلي فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى ويخرج في هذه الحالة عن التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما يكاشفه قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجل بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من يرتقي الى مقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذه رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لمع وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى تحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من أعلى مراتب الوصول فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه في أول المنزل فأين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الأبدي فكيف بالعمر القصير الدنيوي * (قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه والا فمن أين أنت ووجود قربه) القرب الحقيقي قرب الله منك قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب وقال تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقال عز من قائل ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وحظك من ذلك انما هو مشاهدتك لقربه فقط فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة وغلبة الهيبة والتأدب بآداب الحضرة وأما أنت فلا يليق بك الا وصف البعد وشهوده من نفسك كما يقول المؤلف رحمه الله تعالى بعد هذا الهي ما أقربك مني وما أبعدني عنك * (الحقائق ترد في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان

الآية الالهية فان من هذا ذلك لعظم التجلي عليه فاذا زال وتأمل فيه وجد معناه صحيحا لان معناه انه لا قائم بالاشياء الا هو سبحانه وهذا معنى صحيح موافق الشريعة وكذا قول بعضهم أنا اللوح أنا القلم فان ذلك لعظم التجلي عليه وغيبته عن حسه بحيث يرى أن نفسه عين تلك الاشياء فاذا زال وتأمل فيه وجد معناه صحيحا أي ان المتجلي على وهو الله *(٥٠٩)* سار سره في اللوح والقلم وغيرهما وأشار بذلك الى المسئلة المتعارفة بينهم من موافقة الحقيقة للشريعة حيث قالوا حقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة * ثم استدل على ذلك بقوله تعالى (فاذا قرأناه) أي اقرأناه لك على لسان جبريل (فاتبع قرآنه) أي فاستمع اقراءه ثم اقرأه بعد ذلك (ثم ان علينا بيانه) أي بيان معانيه لك فقد حصل بيان المعنى بعد قراءته انقارنة التجلي الالهي (متى وردت الواردات) وهي التجليات (الالهية) ويعبر عنها بالاحوال أيضا وقوله (اليك) متعلق بوردت أي وردت على قلبك من قبل الحق فأحدثت فيه احوالا سنية (هدمت) أي أزالت (العوائد عليك) أي الامور التي كنت معتادا لها وهي رعونات نفسك لان لها سلطنة عظيمة فاذا وردت على قلب مشحون بأنواع الخبائث والرذائل أزالت ذلك وأثبتت عوضا منه احوالا علية وأوصافا مرضية (ان) أي لان (الملوك) أي جنودهم (اذا دخلوا قرية افسدوها) أي أزالوا ما تأنس به أهلها من النعيم وكذلك الواردات الالهية شبيهة بجنود الملك اذا حلت قلبا قررت ما فيه وازالته وهذا جواب عما يقال ان العوائد مما جبلت عليه الطبائع فكيف

علينا بيانه) حقائق العلوم اللدنية التي يقذفها الحق تعالى في أسرار العارفين عند براءتهم من الدعوى وتحررهم من رق الاشياء وتعرضهم بالالتجاء والافتقار لما يفتح عليهم المولى يكرمهم الحق تعالى بها تحقيقا للوعد لهم من غير تعلم ولا دراسة وعند ورودها عليهم وتجليها لهم تكون مجملة لا تتبين لهم معانيها ولا يدركون جهات حقيقتها فاذا وردها وتصرفت فيها أذهانهم بالاعتبار والتأمل تبين لهم معناها وظهر لهم موافقتها لما بأيديهم من العلوم العقلية والنقلية من غير مخالفة حتى ان بعضهم ربما يجري على لسانه وبنانه كلام كثير من غير أن يلقي له بالا فاذا فرغ من ذكره أو رسمه يتصفحه ويتأمله فيجده صحيحا مستقيما وقد أخبرني بنحو ذلك من له قدم صدق في هذا الطريق عن نفسه قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه وأصحاب الحقائق يجري بحكم التصرف عليهم ما لا علم لهم به على التفصيل وبعد ذلك يكشف لهم وجهه فربما يجري على لسانهم شيء لا يدرون وجهه ثم بعد فراغهم عن النطق به يظهر لقلوبهم برهان ما دلوه من شواهد العلم بتحقيق ذلك بجريان الحال في ثاني الوقت انتهى كلام الامام أبي القاسم وهو موافق لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى والله تعالى أعلم وكأنه انما أشار بذلك الى المسئلة المتعارفة بينهم من موافقة الحقيقة للشريعة وقد عبروا عن ذلك بعبارات فقد سئل عبد الله بن طاهر الابهري رضي الله عنه عن الحقيقة فقال الحقيقة كلها علم فسئل عن العلم فقال العلم كله حقيقة وقال الشبلي رضي الله عنه الالسنة ثلاثة لسان علم ولسان حقيقة ولسان حق فلسان العلم ما تأدى الينا بالوسايط ولسان الحقيقة ما أوصله الله الى الاسرار بلا واسطة ولسان الحق ليس اليه طريق وقال رويم رضي الله عنه أصح الحقائق ما قارن العلم وقال أبو بكر الوراق رضي الله عنه كنت في تيه بني اسرائيل فوقع في قلبي ان علم الحقيقة يخالف علم الشريعة فاذا شخص تحت شجرة ام غيلان صاح بي وقال يا أبا بكر كل حقيقة تخالف الشريعة فهي كفر * واشارة المؤلف رحمه الله بالآية التي ذكرها الى هذا المعنى بينة *(متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت العوائد عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) الواردات

تريد الواردات وحاصل الجواب أن الوارد له القهر كما أشار وصح ذلك بقوله (الوارد يأتي من
حضرة قهار) أي ان له القهر والغلبة لوروده من حضرة اسمه القهار والقهار وهو الغالب الذي لا
يغلب (لاجل ذلك لا يصادمه شيء) من رعونات البشرية (الادمغه) أي أزاله ومعناه في الاصل أصاب
دماغه بالضرب ويلزم منه اتلافه واذهابه وهو أيضا حق ورد على باطل والباطل لا ثبات له مع الحق
قال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق كيف يحتجب الحق) أي الله (بشيء)
من الموجودات العلوية والسفلية (والذي) أي والحال * (٦٠) * ان الذي (يحتجب) الله تعالى
(به هو) أي الله (فيه ظاهر) أي ظاهر فيه تشاهده أرباب البصائر (وموجود حاضر) مدرك لهم فكيف يكون ما هو ظاهر فيه حجابا له حتى يستدل عليه به هل ذلك الا من عمى البصائر وعدم رؤيته في كل شيء كما تقدم (لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور) بقلبك مع الله حال فعله بأن تكون ملاحظا أنك حاضر بين يديه غير غائب عنه كأنك تراه كما في الحديث فان ذلك دليل على قبوله ولا
يلزم من فقد الدليل فقد المدلول ولذلك قال (فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته) وانما
أي ثمرة قبوله أي علامته (عاجلا) أي حال فعله ومن علامة قبوله أيضا وجدان حلاوته واستلذاذ
قلبه به حال فعله كما مر وقوله كيف يحتجب الحق الى هنا معترض بين الكلام على الوارد ثم تممه بقوله
(لا تزكين واردا) أي لا تفرح به وتمدحه في سرك (لا تعلم ثمرته) فاذا أورد عليك وارد الهي أي تجلي الهي
ملك قلبك ويعبر عنه بالحال لكن لم يتأثر قلبك به بحيث تحب الاقبال على المولى وتنهض لطاعته
والقيام بحقوق ربوبيته فلا تفرح بذلك الوارد لأن ثمرته انما هي تأثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة
بصفات محمودة كما مر فان لم يوجد هذا عندك فلا تفرح به فان في ذلك نوعا من الاغترار (فليس المراد
من السحابة الامطار

الالهية على العبد تمحو عنه جميع رعوناته وتهدم عليه مستمر عاداته ولها سلطنة
عظيمة على ذلك فاذا وردت على قلب مشحون بانواع الخبائث والرذائل أزالت
ذلك عنه بمرة وأثبتت عوضا عن ذلك أحوالا عليه وأوصافا مرضية أنشدني
سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه في هذا المعنى

لو عاينت عيناك يوم تزلزلت * أرض النفوس ودكت الاجبال
لرأيت شمس الحق يسطع نورها * حين التزلزل والرجال رجال

الارض أرض النفوس والجبال جبال العقل والشمس شمس المعرفة والاشارة
بالآية الى هذا المعنى بينة * (الوارد يأتي من حضرة قهار لاجل ذلك لا يصادمه
شيء الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) الوارد موسوم
بسمة القهر والغلبة لوروده من حضرة القهار الغالب على أمره لاجل ذلك
لا يصادمه شيء من رعونات البشرية الا دمغه وأزاله وهو أيضا حق ورد على باطل
والباطل لا ثبات له مع الحق والاشارة بالآية الى هذا المعنى بينة * (كيف يحتجب
الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر) قد أشبع المؤلف
رحمه الله تعالى الكلام على هذا المعنى في أول الكتاب وأتى فيه بالعجب العجاب
وقد نبهنا عليه هنالك * (لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما
قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا) العمل الذي لا يجد صاحبه حضورا فيه
ينبغي له أن لا ييأس من قبوله فان ذلك الى الله تعالى فقد يقبل من العمل ما لم
تدرك ثمرته عاجلا من وجدان حضور أو حلاوة أو غير ذلك ولو لم يكن الا قصد
التقرب به وسقوطه عن نظره وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا عمل
أرجى للقلوب * (لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الامطار

وانما المراد منها وجود الاثمار) أي انه امرادة لوجود الاثمار الذى اقتضاه وجود امطار ها لمجرد وجود امطارها وكذلك الوارد مراد (٦١) لثمرته لا لوجوده فلا تفتقد نفسك فيه فان كثيرا ممن يحصل

واغا المراد منها وجود الاثمار) الوارد مراد لثمرته لا لوجدان حظ نفسك منه كما ان السحابة مرادة لوجدان الاثمار الذى اقتضاه وجود امطارها لا لمجرد وجود امطارها وثمرة الوارد انما هي تأثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة كما تقدم فان لم تعلم وجوده فاذا فيك فلا تترك الوارد ولا تفرح به فان فى ذلك نوعا من الاغترار والانخداع ابدسة الاظهار فكن على حذر منه * (لا تطلبن

بقاء الواردات بعد ان بسطت أنوارها وأودعت أسرارها فلك فى الله غنى عن كل شئ وليس يغنيك عنه شئ) أنوار الواردات المنبسطة على العبد هى تكييف ظاهره وباطنه بكيفيات العبودية وأسرارها المودعة فيه بما لاح له من عظمة الربوبية فاذا أفادك الوارد هذه الفوائد فلا تطلبن بقاءه فى حال كونه ولا تأس على فقده اذا فقدته فان لك فى الله غنى عنه وعن غيره وليس لك غنى عن الله تعالى فى شئ من الاشياء كما قال الشاعر

لكل شئ اذا فارقته عوض * وليس لله ان فارقت من عوض

قال أبو عبد الله بن عطاء الله رضى الله عنه اياك أن تلاحظ مخلوقا وأنت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا ويدخل فى هذا المعنى الذى ذكره ابن عطاء الله رضى الله عنه جميع الاغيار والانوار والمقامات والاحوال والدنيا والآخرة والنعم الباطنة والظاهرة فلا تلاحظ شيأ من ذلك ولا تركن اليه ولا تعتمد عليه بقي أو ذهب فان ذلك قادح فى اخلاص التوحيد قال فى التنوير واعلم أن البارى سبحانه انما يدخلك فى الحال لتأخذ منها لا لتأخذ منك وانما جاءت تحمل هدية التعريف من الله اليك فيها فتوجه اليها باسمه المبدئ فأبدأها وأبقاها حتى اذا أوصلت اليك ما كان لك فيها فلما أدت الامانة توجه اليها باسمه المعيد فأرجعها وتوفاها ولا تطلبن بقاء رسول بعد أن بلغ رسالته ولا أمين بعد أن أبلغ أمانته وانما يفتضح المدعون بزوال الاحوال وبعزلهم عن مراتب الانزال هنالك يبدو العوار وتنهتك الاستار فكم من مدع الغنى بالله وانما غناه بطاعته أو بنوره أو فتحه وكم من مدع العز بالله وانما اعتزازه بمنزلته وصولته على الخلق معتمدا على ما ثبت عندهم من معرفته فكن عبد الله لا عبد العلل وكما كان الله لك ربا ولا علة فكن عبده ولا علة لتكون له كما كان لك انتهى * وقال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه عبد هو فى الحال بالحال وعبد هو فى الحال بالمحول فالذى هو

عندهم تلك الاحوال القلبية يغترون بها وربما تركوا الاعمال الظاهرة مع وجود عقلهم (لا تطلبن بقاء الواردات أى التجليات والاحوال القلبية (بعد ان بسطت أنوارها) عليك وأنوارها هى تكييف ظاهرك وباطنك بكيفيات العبودية (وأودعت) فيك (أسرارها) وهى ما لاح فى قلبك من عظمة الربوبية فاذا أفادك الوارد هذه الفوائد فلا تطلبن بقاءه حال وجودها ولا تحزن على فقده اذا فقدته (فلك فى الله غنى عن كل شئ وليس يغنيك عنه شئ) كما قيل لكل شئ اذا فارقته عوض * وليس لله ان فارقت من عوض فالله تعالى انما أدخلك فى الحال لتأخذ منها الا لتأخذ منك لانها جاءت حاملة لهدية التعريف من الله اليك فاذا أوصلت اليك ما كان فيها فلا تطلب بقاءها اذ لا تطلب بقاء رسول بعد ان بلغ رسالته ولا أمين بعد أن أدى أمانته فان طلبت بقاءها كنت عبد الحال لا عبد المحول * ثم أقام دليلا على ذلك بقوله

فى الحال بالحال عبد الحال والذى هو فى الحال بالمحول عبد المحول وامارة من هو فى الحال بالحال أن يأسى عليها اذا فقدها و يفرح بها اذا وجدها والذى هو فى الحال بالمحول لا يفرح بها اذا وجدت ولا يحزن عليها اذا فقدت وفى الاشارات عن الله سبحانه لا تركنن الى شئ دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك فان ركنت الى العلم تتبعناه عليك وان أويت الى العمل رددناه عليك وان وثقت بالحال وقفناك معه وان أنست بالوجد استدرجناك فيه وان لحظت الى الخلق وكلناك اليهم وان اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك فأى حيلة لك وأى قوة معك فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا ﴿ (تطلعك الى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له واستيحاشك لفقدان ماسواه دليل على عدم وصلتك به) وجدان العبد لربه ووصوله اليه هو غاية مطالبه ومنتهى آماله ومآربه وبه يفوز بالنعيم ويحظى بالملك العظيم وعند ذلك ينسى كل محبوب ويلهى عن كل مفروح به ومرغوب وهذه هى صفة أهل التفريد الذين استتروا فى ذكر الله المجيد كما روى عن أبى عبد الله البسرى رضى الله عنه قال سألت رجلا بالاكام ما الذى أجلسك فى هذا الموضع فقال لى وما سؤالك عن شئ ان طلبته لم تدركه وان لحقته لم تقع عليه فقلت تخبرنى ما هو فقال على بأن مجالسة الله تستغرق نعيم الجنان ثم قال أواه قد كنت أظن أن نفسى ضجرت ومن الخلق هربت فاذا أنا كذاب فى مقالى لو كنت محبا لله صادقا ما اطلع على أحد فقلت أما علمت أن المحبين خلفاء الله فى أرضه مستأنسين بخلقه يحثونهم على طاعته فصاح صيحة وقال لى يا مخدوع لو شممت رائحة الحب وعاين قلبك ما وراء ذلك من القرب ما احتجت أن ترى فوق ما رأيت ثم قال يا سماء ويا أرض اشهدا أنى ما خطر على قلبى ذكر الجنة والنار قط ان كنت صادقا فأمتنى فوالله ما سمعت له كلاما بعدها وخفت أن يسيء الى الظن من الناس من قتله فتركته ومضيت فبينما أنا على ذلك واذا أنا بجماعة فقالوا ما فعل الفتى فسكت عن ذلك فقالوا ارجع فان الله قد قبضه فصليت معهم عليه فقلت لهم من هذا الرجل ومن أنتم قالوا ويحك هذا رجل به كان قد يمطر المطر قلبه على قلب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أما رأيته يخبر عن نفسه أن ذكر الجنة والنار ما خطر على قلبه فهل كان أحد كذا الا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فقلت من أنتم قالوا نحن السبعة المخصوصون من الابدال قلت علمونى شيأ قالوا لا تحب أن تعرف ولا تحب أن يعرف انك ممن يحب أن لا يعرف وفى مثل هذا الحال أنشدوا

كانت لقلبى أهواء مفرقة * فاستجمعت اذ رأتك العين أهوائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده * وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى

(تطلعك الى بقاء غيره) من الواردات المذكورة (٦٣) وغيرها كالانوار والمقامات والنعم الباطنة والظاهرة (دليل على عدم وجدانك له) اذ لو وجدته فى قلبك واجتمع عليه سرك لم تطلب بقاء غيره (واستيحاشك لفقدان ماسواه) كالواردات المذكورة (دليل على عدم وصلتك به) أى وصولك اليه اذ لو وصلت اليه لنسيت كل محبوب ولم تستوحش عند فقد شئ سواه فالسالك اذا وردت على قلبه الواردات الالهية وبسطت فيه أنوارها وأودعت فيه أسرارها وحدثته نفسه بأنه من الواصلين فان كان يتطلع ويتشوف الى شئ من الاغيار المحبوبة أو يستوحش لفقدانه فذلك دليل على عدم تحققه [illegible]ـام الشريف [illegible] ـيد قدس سره انك لن تكون له على الحقيقة وبك اوشئ مما سواه لك تعرج واتك ان تصل الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية

تركت

(النعيم) أي نعيم الدنيا [illegible] حرة أي التنعم والتلذذ بما فيهما من الملابس والمطاعم [illegible] ر والولدان والقصور (وان تنوعت مظاهره) أي مواضع ظهوره وهي الامور المذكورة التي يتنعم بها ظاهرا (فانما هو) أي النعيم بمعنى التنعم والتلذذ (بشهوده) تعالى (واقترابه) أي انما يكون نعيما حقيقيا اذا كنت حال ملابستك لتلك الاشياء مشاهدا له وحاضرا معه فان لم تكن بتلك الحالة فليس ذلك بنعيم حقيقة بل هو عذاب (والعذاب) أي التألم (وان تنوعت مظاهره) من الضرب والجحيم والسلاسل وغيرها (انما هو) أي العذاب بمعنى التألم (بوجود حجابه) تعالى أي انما يكون تألما حقيقة اذا كنت حال ملابستك * (٦٣) * لتلك الاشياء محجوبا عنه وكان غائبا عنك فان كنت مشاهدا له فليس ما أنت فيه عذابا حقيقة بل هو نعيم (فسبب العذاب) أي التألم (وجود الحجاب واتمام النعيم) أي النعيم التام أي التلذذ (والتنعم بالنظر الى وجهه الكريم) أي مشاهدته بعين البصيرة في الدنيا وبالبصر في الآخرة وحاصله ان النعيم محصور (في شهود الرب والتألم في الحجاب عنه وأما ما يتنعم به ظاهرا أو يعذب به ظاهرا فليس بنعيم ولا عذاب بالنظر الى ذاته (ما تجده القلوب

تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك يا ديني ودنياي

وقد سئل أبو سليمان الداراني رضي الله عنه عن أقرب ما يتقرب به العبد الى الله تبارك وتعالى فقال أقرب ما يتقرب به اليه أن يطلع الله على قلبه وهو لا يريد من الدنيا والآخرة غيره فهذه هي العلامة الصادقة والدلالة القاطعة على التحقق بهذا المقام العظيم فان كان له شعور بشيء من الاغيار المحبوبة فتطلع الى بقائها أو استوحش لفقدانها فذلك دليل على عدم تحققه بذلك فليعرف منزلته وحده وليعمل في تصحيح هذا المقام جهده ((قال رضي الله عنه)) النعيم وان تنوعت

مظاهره انما هو لشهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو لوجود

حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب واتمام النعيم بالنظر الى وجهه الكريم) مظاهر النعيم المتنوعة هي ما ورد من أنواع الثواب في الدار الآخرة من الحور والقصور والولدان والغلمان والمآكل والمشارب والملابس الى غير ذلك من أنواع المسرات واللذات ومظاهر العذاب المتنوعة هي ما ورد من أنواع العقاب فيها من الجحيم والحميم والزقوم والحيات والعقارب والسلاسل والاغلال والانكال وغير ذلك من أنواع الآلام والعقوبات وليس وجود النعيم والعذاب بسبب وجود هذه الاشياء ومباشرتها للمنعم والمعذب وانما ذلك لما تضمنته وظهر فيها من وجود قرب الله تعالى وشهوده للمنعم أو وجود حجابه واعراضه عن المعذب فهذان الامران هما حقيقة النعيم والعذاب على التحقيق

((ما تجد القلوب من الهموم والاحزان فلاجل ما منعت من وجود العيان))

من الهموم والاحزان) الدنيوية (فلاجل ما منعت من وجود العيان) أي معاينة الرب ومشاهدته بعين البصيرة والالم يحصل عندها هم ولا حزن على فوات شيء من الدنيا فوجدانها ما من نتائج رؤية النفس واعتبارها وبقاء حظها فلو غاب الشخص عن رؤية نفسه بمعاينة سيده لكان دائم الفرح والسرور كما قال تعالى لا تحزن ان الله معنا فمن استنار قلبه بنور المعرفة لا يكون عنده غم أبدا ولكن في وجود الهموم والاحزان لمن لم يبلغ هذا المقام اذا لم يقدر على دفعها عنه فوائد جليلة لانها توجب خمود النفس وصفاء القلب وزوال الاشر والبطر والفرح بالدنيا والهم ما يتعلق بما يكون في المستقبل والحزن ما يتعلق بما يكون في الماضي ويصح أن يكون هذا شاملا للامور الاخروية أيضا فأهل النار لا يحصل لواحد منهم هم ولا حزن الا اذا لم يشاهد مولاه فمن شاهده لم يحصل عنده ذلك بل يكون العذاب في حقه عذوبة

وجود الهموم والاحزان الدنيوية والاخروية من لتألم برؤية النفس واعتبارها ورعاية حظها وهو الذى منع العبد من وجود العيان فاذا فنى عن رؤية نفسه وذهب عن مراعاة حظه لتفرغ بوجود العيان ولم يكن له هم ولا حزن البتة بل يكون متصل الحبور دائم الفرح والسرور كما قال تعالى لا تحزن ان الله معنا فالمعية المذكورة لا يجتمع معها حزن وهذه وهى ما قلناه من وجود العيان والعيان والله أعلم درجة فوق درجة اليقين كما قال الشاعر

كبر العيان على حتى انه * صار اليقين من العيان توهما

(قال) الشبلى رضى الله عنه من عرف الله لا يكون له غم أبدا وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يا داود ان محبتى فى خلقى أن يكونوا روحانيين والروحانية علم هو أن لا يغتموا وأنا مصباح قلوبهم يا داود لا يمزج الهم قلبك فينقص ميراث حلاوة الروحانيين وسيأتى فى كلام المؤلف رحمه الله أوحى الله الى داود عليه السلام بى فافرح وبذكرى فتنعم فباستنارة القلب بنور المعرفة واحتظائه بوجود العيان والرؤية يخرج منه الهم ويحل محل الروحانية على أن فى وجود الهموم والاحزان ان لم يبلغ هذا المقام اذا لم يقدر على دفعها عن نفسه فوائد جزيلة لا ينبغى أن يستحقر من قبل انهما موجبة لخمود النفس وصفاء القلب وزوال الاشر والبطر والفرح بالدنيا ثم هى كفارات ان كانت فى الامور الدنيوية ودرجات ان كانت فى الامور الاخروية والهم متعلق بما يكون فى المستقبل والحزن متعلق بما يكون فى الماضى *(من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك) وجدان الكفاية من الرزق وعدم الزيادة عليها والنقصان منها من نعم الله تعالى التامة الكاملة على العبد لما له فى ذلك من حصول جميع المصالح الدينية والدنيوية أما مصالح الدين فى عدم الزيادة على الكفاية فظاهر اذ لو وجدها ربما أوجب له ذلك طغيانا كما قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فالاستغناء هو وجود الزيادة على الكفاية وهو سبب الطغيان والطغيان أصل كل معصية لله عز وجل وقصة ثعلبة بن حاطب حين طلب الدعاء من النبى صلى الله عليه وسلم أن يرزقه الله مالا وما آل اليه أمره أمر مشهور وقال سعيد بن أبى وقاص رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الخفى وفى حديث أبى الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما طلعت شمس ولا غربت الا بجنبيها ملكان يناديان ويسمعان الخلائق غير الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى أو كما قال صلى الله عليه وسلم وأما مصالح الدنيا فى ذلك فسيأتى التنبيه عليها فى قول المؤلف رحمه الله تعالى ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه وأما

(من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك) من غير زيادة ولا نقصان (ويمنعك ما يطغيك) أى يوقعك فى الطغيان وهو كثرة المال قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وفى الحديث ما قل وكفى خير مما كثر وألهى أما ما نقص عن الكفاية فقد يكون معه اشتغال عن طاعة الرب فليس ذلك من تمام النعمة ولما كان ذلك هو المناسب لحال المريد الصادق لم يقل ويمنعك ما يطغيك أو [illegible] رزقك من كفايتك

مصالح الدين عند وجود الكفاية وعدم النقصان منها فمن أجل توصله بذلك الى الاستعانة بها على طاعة الله تعالى ولاجل ذلك عظمت النعمة بها على العبد قال الله تعالى وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا أى لاتنس نصيبك فى الآخرة أن تتوصل اليه بما آتاك الله من الدنيا وأما مصالح الدنيا فى ذلك فظاهر لايحتاج الى التنبيه عليه اذبذلك يحصل له طيب العيش وراحة القلب والبدن وصيانة الوجه عن ذل المسئلة عند وجود الحاجة والفاقة فعلى العبد أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة ويقنع بما أباح له من هذه المنة الجسيمة فيستعمل بذلك راحة نفسه والاستغناء عن بنى جنسه ويحصل له بذلك حلاوة الزهد فى الامور العاجلة وتجافى القلب عن زهراتها فان طلب الزيادة من الدنيا ولم يقنع بما قسم له منها خيف عليه من اقتحام المهالك اذيجره الحرص والطمع الى ذلك (قال) بعض العارفين كل من لايعرف قدر ما زوى عنه من الدنيا ابتلى بأحد وجهين اما بحرص مع فقر يتقطع به حسرات أو رغبة فى غنى نفسه شكر ما أنعم به عليه وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس وغنى النفس عن الدنيا شرف الاولياء المختارين وعز أهل التقوى من المؤمنين المحسنين ولقد صدق الشاعر فى قوله

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة * فان زدت شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

(يحكى) عن بنان الجمال رضى الله عنه أنه قال كنت مطروحا طاويا على باب بنى شيبة سبعة أيام لم أذق شيأ فنوديت فى سرى أن من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله عينى قلبه وقال عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه ذكر لى ان فى خراب أيلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم ازل أطلبها حتى وجدتها فى خربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهى محلوقة الرأس فلما نظرت الى قالت لى من غير ان أكلمها مرحبا بك ياعبد الواحد قال فقلت لها رحب الله بك وعجبت من معرفتها لى ولم ترنى قبل ذلك فقالت ما الذى جاء بك ههنا قلت جئت لتعظينى قالت واعجبا لواعظ يوعظ ثم قالت ياعبد الواحد اعلم أن العبد اذا كان فى كفاية ثم مال الى الدنيا اسلبه الله سبحانه وتعالى حلاوة الزهد فيظل حيران والها فان كان له عند الله نصيب عاتبه وحيا فى سره فقال عبدى أردت أن أرفع قدرك عند ملائكتى وحملة عرشى وأجعلك دليلا لاوليائى وأهل طاعتى فى أرضى فملت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتنى فورثتك بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى عبدى ارجع الى ما كنت عليه أرجع اليك ما كنت تعرفه من نفسك قال ثم تركتنى وولت عنى فانصرفت وبقلبى حسرة

منها * وفي بعض الكتب ان أهون ما أصنع بالعالم اذا مال الى الدنيا ان أسلبه حلاوة مناجاتي * وذكر أبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله في كتاب النصائح له عن أبي عبد ربه الشامي ثم الدمشقي انه كان من أكثر أهل دمشق مالا فخرج مسافرا فأمسى الى جانب نهر ومرعى فنزل به قال فسمعت صوتا يكثر حمد الله تعالى في ناحية المرج فاتبعته فوافيت رجلا ملفوفا في حصير فسلمت عليه فقلت من أنت يا عبد الله فقال رجل من المسلمين فقلت فما حالك هذه فقال حال نعمة يجب علي حمد الله عليها قال فقلت وكيف وانما أنت في حصير قال ومالي لا أحمد الله تعالى وقد خلقني فأحسن خلقي وجعل منشئي ومولدي في الاسلام وألبسني العافية في أركاني وستر علي ما أكره ذكره ونشره فمن أعظم نعمة ممن أمسى في مثل ما أنا فيه فقلت له ان رأيت رحمك الله أن تقوم معي الى المنزل فانا نزول على النهر هناك قال ولم قلت لتصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير قال مالي فيه من حاجة فراودته على أن يتبعني فأبى فانصرفت وقد تقاصرت في نفسي ومقتها اذ لم أخلف بدمشق رجلا يكاثرني في غنى وأنا ألتمس الزيادة فقلت اللهم اني أتوب اليك من سوء ما أنا فيه فبت لا يعلم اخواني ما أجمعت عليه فلما كان من السحر رحلوا كنحو رحلتهم فيما مضى وقدموا الى دابتي فصرفتها الى دمشق فقلت ما أنا بصادق في التوبة ان مضيت الى متجري فسألني القوم فأخبرتهم وعاتبوني على المضي فأبيت فلما قدم دمشق وضع يده يتصدق بماله فما زال يفرقه في سبل الخيرات حتى احتضر فما وجدوا عنده الا قدر ثمن الكفن زاد غير أبي ابراهيم وكان يقول يعني أبا عبد ربه المذكور والله لو ان نهركم يعني نهر دمشق سال ذهبا ما خرجت اليه ولا أخذت شيأ منه ولو قيل لي من مس هذا العمود مات لقمت اليه وعانقته شوقا الى الله ورسوله *(ولا يقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه) درء المفاسد عند العقلاء أهم من جلب المصالح فمن زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا فرضي بذلك وقنع منها باليسير ولم يتطلع الى زيادة من مال أو جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لانه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن بتركه لما يفيد حصول مصلحة الفرح الذي يزول عن قرب واعتاض من ذلك الراحة الدائمة كما قيل

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا
فان صلاح المرء يرجع كله * فسادا اذا الانسان جاز به الحدا

وقيل لبعضهم لم لا تغتم فقال لاني لا أقتني ما يغمني فقده فالمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير كما قيل

على قدر ما أولعت بالشئ حزنه * ويصعب نزع السهم مهما تمكنا

يحكى أن رجلا حمل الى بعض الملوك قدحا من فيروزج مرصعا بالجوهر لم ير له

(ايقل ما تفرح به) من المال وغيره (يقل ما تحزن عليه) فمن زوي الله عنه فضول الدنيا فرضي بذلك وقنع منها باليسير ولم يتطلع الى زيادة من مال أو جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لانه دفع عنها مفسدة وجود الحزن بتركه ولم ينظر الى حصول مصلحة الفرح بوجود الذي يزول عن قريب ودرء المفاسد مقدم عند العقلاء على جلب المصالح فالمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير

نظير ففرح الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة وفقرا قال وكيف ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل اليك فى أمن من المصيبة والفقر فاتفق أنه انكسر القدح يوما فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وأمثال هذه المصيبة وأعظم منها نازلة بكل من له علاقة بشئ من أسباب الدنيا فانها ان لم تؤخذ منه بغصب أو سرقة أو جائحة نازلة فلا بد أن يؤخذ هو عنها بالموت الهاذم للذات المنغص للشهوات فان كان له ألف محبوب مثلا نزل به عند الموت ألف مصيبة فى وقت واحد لانه كان يحبها كلها وقد سلبت منه فى كرة واحدة ولذلك كان الزهد فى الدنيا من قضايا العقل * قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه للعقل ألف اسم ولكل اسم منها ألف اسم وأول كل اسم منها ترك الدنيا وقال الحسن رضى الله عنه كيف يسمى عاقلا وهو يسعى ويبتهج فى الدنيا ومباهاة أهلها فى المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أولئك هم الخاسرون وأولئك هم الغافلون وأولئك هم الجاهلون وأنشدوا

أيها المرء ان دنياك بحر * طافح موجه فلا تأمننها
وسبيل النجاة فيه مبين * وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وقال أبو على الثقفى رضى الله عنه أف من أشغال الدنيا اذا أقبلت وأف من حسراتها اذا أدبرت والعاقل من لا يركن الى شئ اذا أقبل كان شغلا واذا أدبر كان حسرة وقد قيل فى معناه

ومن يحمد الدنيا لشئ يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وقيل لابى القاسم الجنيد رضى الله عنه متى يكون الرجل موصوفا بالعقل فقال اذا كان للامور مميزا ولها متصفحا وعما يوجبه عليه العقل باحثا يلتمس بذلك طلب الذى هو أولى ليعمل به ويؤثره على ما سواه فاذا كان كذلك فمن صفته ركوب الفضل فى كل أحواله بعد احكام العمل بما فرض الله عليه وليس من صفة العقلاء اغفال النظر لما هو أحق وأولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير فمن كانت هذه صفته بعد احكامه لما يجب عليه من عمله وترك التشاغل بما لو ترك العمل بما يفنى وينقضى وذلك صفة لكل ما احتوت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل له عن أمور الآخرة التى يدوم نعيمها ونفعها ويتأبد سرورها ويتصل بقاؤها وذلك أن الدين يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه وما سوى ذلك زائل متروك ومفارق موروث يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه كذلك صفة العاقل لتصفحه الامور بعقله والاخذ منها بأوفرها قال الله

تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب بذلك وصفهم الله تعالى وذووا الالباب هم ذووا العقول وانما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله به للاخذ باحسن الامور عند استماعها وأحسن الامور هو أفضلها وابقاها على أهلها نفعا فى العاجل والآجل والى ذلك ندب الله عز وجل من عقل فى كتابه انتهى كلام الجنيد رضى الله عنه وهو فى غاية الحسن ونهاية التحقيق وفيه مناسبة لما كان بصدده من التنبيه على كلام المؤلف رحمه الله تعالى فرأيت ذكره ههنا لائقا والله تعالى الموفق للعمل بمنه وكرمه * (ان أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك) هذه من أمثلة ما تقدم لان الولاية مآلها الى الحزن بسبب وقوع العزل عنها ومقتضى نظر العقل ترك الولاية المفروح بها لئلا يقع فى العزل المحزون به * (ان رغبتك البدايات زهدتك النهايات ان دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن) بدايات الامور ظواهرها ترغب الجاهل فيها وتدعوه اليها لانها رائقة الحسن مليحة الظاهر فيغتر الجاهل بذلك فتقوده الى ما فيه ضرره وهلاكه ونهايات الامور بواطنها تزهد العاقل وتنهاه عنها لما أشهدته من سماجتها وقبح باطنها فيعتبر العاقل بذلك فيهرب منها ويسلم من شرها وقد تقدم هذا المعنى عند قوله الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة قال وهب بن منبه رضى الله عنه صحب رجل بعض الرهبان سبعة أيام ليستفيد منه شيأ فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت فى اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد فيها رأس كل خير والتوفيق فيها نجاح كل بر فاحذر رأس كل خطيئة وارغب فى رأس كل خير وتضرع الى ربك أن يهب لك نجاح كل بر قال وكيف أعرف ذلك قال كان جدى رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة أشياء شبهها بالماء المالح يغر ولا يروى ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبالبرق الخلب يضر ولا ينفع وبسحاب الصيف يضر ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بنضرته ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام النائم يرى السرور فى منامه فاذا استيقظ لم يجد فى يده شيأ الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل فدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا واحدا فشبهتها بالغول التى تهلك من أجابها وتترك من أعرض عنها فرأيت جدى فى النوم فقال لى يا بنى أنت منى وأنا منك قال فبأى شئ يكون الزهد فى الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف

(ان أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك) هذه من افراد ما قبلها لان الولاية مآلها الى الحزن بسبب وقوع العزل عنها بموت أو غيره ومقتضى نظر العقل ترك الولاية المفروح بها لئلا تقع فى العزل عنها فيحصل عندك غاية الهم والحزن (ان رغبتك) فى الولاية (البدايات) أى بداياتها من كونها رائقة الحسن مليحة الظاهر وان كل من تلبس بها حسن حاله وتطاول بين الناس وتيسر معاشه (زهدتك) فيها (النهايات) فان نهايتها فراقها بعزل أو موت فيحصل لك مزيد الضرر دنيا وأخرى لان الولايات قل من يسلم فيها بدينه وذلك مما يحمل العاقل على الزهد فيها والهرب منها (ان دعاك اليها ظاهر) أى ظاهر حالها من تيسر الملابس والمآكل عند التلبس بها (نهاك عنها باطن) أى باطن حالها من كونها شاغلة عن الله ومن حصول الضرر لكل من تلبس بها وهذا فى المعنى يرجع لما قبله فالظاهر يرجع للبدايات والباطن

الراهب

الراهب وقال خذها ولا أراك تخاني الا متجردا بفعل دون قول فكان ذلك آخر العهد به * وقال محمد بن على الترمذى رضى الله عنه لم تزل الدنيا مذمومة فى الامم السالفة عند العقلاء منهم وطالبوها مهانين عند الحكماء الماضين وما قام داع فى أمة الا وقد حذر من متابعة الدنيا وجمعها والحب لها الا ترى مؤمن آل فرعون كيف قال اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد وقال انما هذه الحياة الدنيا متاع أى لن تصل الى سبيل الرشاد وفى قلبك محبة الدنيا وطلب لها والحكايات والآثار فى أحوال الدنيا وغرورها وشرورها أكثر من أن تحصى ولا شئ أبين فى ذلك من قول الله تعالى فى صفتها اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور * انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا للاكدار تزهيدا لك فيها) ورود الاغيار والاكدار الدنيوية على العبد نعم من الله تعالى عليه لان ذلك لا محالة يدعوه الى الزهادة فى الدنيا والتجافى عنها ويصرف عنه وجود الغباوة والجهالة لاجل تمسكه بالخيال وما يستضر به فى الحال والمآل لان الموجب لرغبته فيها وحرصه على نيلها انما هو ما يتوهمه فيها من الحصول على منيته وبغيته وقضاء غرضه من شهوته ونهمته من غير مكدر ولا منغص ولو تصور له حصوله على هذه الاشياء على حسب ما يحبه ويهواه كان ينبغى له أن يرغب عنها عوضا عن الرغبة فيها ان كان عاقلا لان مآل أمرها الى الفناء والزوال والافتقار والانقضاء والارتحال وقد قالوا شر لا يدوم خير من خير لا يدوم وقال الشاعر

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه ارتحالا

أرى الدنيا لمن كان فيها * تدور فلا تديم عليه حالا

ثم هى مانعة له من سعادة الآخرة والقرب من الله عز وجل الذى هو غاية طلب الطالبين ونهاية رغبة الراغبين فكيف وهو معرض فيها لانواع المصائب والفجائع ووقوع الاغيار والاكدار فما من أحد فيها الا وهو فى كل حال ووقت غرض لأسهم ثلاثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية فاذا نزل به ذلك عادت النعمة نقمة وانقلبت الحبرة عبرة وصارت الفرحة ترحة وهكذا شأن الدنيا أبدا فلا يفى مرجوها بمخوفها ولا يقوم خيرها بشرها ولقد صدق الشاعر فى قوله

ان الليالى لم تحسن الى أحد * الا أساءت اليه بعد احسان

وصدق أيضا من قال

(انما جعلها) أى الدنيا (محلا للاغيار) كالامراض والمحن والبلايا وقوله (ومعدنا للاكدار) بمعنى ما قبله (ليزهدك فيها) لان الموجب لرغبتك فيها انما هو ما تتوهم من حصول اغراضك ومطالبك فيها من غير تكدير ولا تنغيص وهو لا يكون أبدا حتى لو فرض ذلك لكان اللائق بك الزهد فيها والرغبة عنها لان مآل أمرها الى الفناء والزوال ولشغلها اياك غالبا عن الله تعالى لا يقال الزهد فيها يحصل بنصح الواعظ وتذكيره لانا نقول علم الله أنك

ماقام خيرك يازمان بشدة * أولى بنا ماقل منك وما كفى
نزمن اذا أعطى استرد عطاءه * واذا استقام بدا له فتحرفا

وقد كتب علي بن أبي طالب الى سلمان رضي الله عنهما انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون فيها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور أشخص منها الى مكروه وقال بعض البلغاء دار الدنيا كاحلام المنام وسرورها كظل الغمام وأحداثها كصوائب السهام وشهواتها كسموم السمام وفتنتها كالامواج الطوام وقال أبو العتاهية

هي الدار دار الاذى والقذى * ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها * لمت ولم تقض منها الوطر
أيا من يؤمل طول البقا * وطول الخلود عليه ضرر
اذا ما كبرت وفات الشباب * فلا خير في العيش بعد الكبر

أنشد أبو منصور الثعالبي رحمه الله في ذم الدنيا

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها * ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها * ومكروهها ان ماتأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا * وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب * شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يؤنس الناس حسنه * ولكن له أسرار سوء قبائح

فاذا علم العبد هذا كله علم اليقين وتمكن من قلبه غاية التمكين لم يتصور منه مع ذلك وجود رغبة البتة لانه اذ ذاك يجمع بين خيبتين وخسارتين ويأتيه الموت وهو صفر اليدين من منافع الدارين وذلك هو الخسران المبين * قال أبو هاشم الزاهد رضي الله عنه ان الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريدين به دونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض عنها وأهل المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون والى الآخرة مشتاقون وقيل أوحى الله تعالى الى الدنيا تضيقي وتشددي على أوليائي وترفهي وتوسعي على أعدائي تضيقي على أوليائي حتى لا يتعرفوا بك عني وتوسعي على أعدائي حتى يشتغلوا بك عني فلا يتفرغوا الى ذكري (علم أنك لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها) النصح المجرد لا يقبله الا من لم يستحكم فيه حب العاجل والانس بلذاتها الفانية وكان كريم الطبع سهل القياد وأما من رسخت فيه تلك الخبائث وتمكنت من باطنه وكان لئيم السجية صعب القيادة فلابد في قصد

(علم) الله (أنك لا تقبل النصح المجرد) عن الامراض والبلايا والمحن لان النصح المجرد لا يقبله الا من لم يستحكم فيه حب العاجلة والانس بلذاتها الفانية أما من كان كذلك فلابد في قصد هدايته من زيادة على النصح والوعظ (فذوقك من ذواقها) أي مما شأنه ان يذاق فيها وهو تلك الامراض والبلايا والمحن (ما يسهل عليك فراقها) فان العبد اذا نزل به شيء من ذلك تمنى الموت ومفارقته الدنيا وهو نعمة من الله عليه وان لم يعرف ذلك لغلبة طبعه عليه وقد تقدم مثل هذا عند قوله من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان

(العلم النافع) وهو العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه والعلم بكيفية التعبد له والتأدب بين يديه فهذا
هو العلم (الذي ينبسط في الصدر شعاعه) * (٢٠١) * فيتسع وينشرح للإسلام (ويكشف به عن القلب

هدايته وإرشاده من زيادة على النصح والوعظ وهو وجود ما يقهرهم ويجبره
وليس ذلك إلا ما ذكرناه فاعرف قدر النعمة عليك بذلك واعمل بمقتضاها وسلم
لربك في حكمته وقدرته وحسن ظنك به وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من لم
يقبل على الله بملاطفة الإحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان (العلم النافع هو
الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب قناعه) العلم النافع هو
العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه والعلم بكيفية التعبد له والتأدب بين يديه فهذا
هو العلم الذي ينبسط في الصدر شعاعه فيتسع وينشرح للإسلام ويكشف عن
القلب قناعه فتزول عنه الشكوك والأوهام وفي حكمة داود عليه وعلى نبينا
الصلاة والسلام العلم في الصدر كالمصباح في البيت وقال محمد بن علي الترمذي
رضي الله عنه العلم النافع هو الذي قد تمكن في الصدور وتصور وذلك أن النور
إذا أشرق في الصدور وتصورت الأمور حسنها وسيئها أو وقع بذلك ظل في
الصدور فهو صورة الأمور فيأتي حسنها ويجتنب سيئها فذلك العلم النافع من
نور القلب خرجت تلك العلائم إلى الصدور وهي علامات الهدى والعلم الذي قد
تعلمه فذلك علم اللسان إنما هو شيء قد استودع الحفظ والشهوة غالبة عليه قد
أحاطت به وأذهبت بظلمتها ضوءه وقال أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله
عنه العلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد في الدنيا وما يقرب من
الجنة وما يبعد عن النار والخوف من الله والرجاء فيه وآفات النفوس وطهارتها
وهو النور المشار إليه أنه نور يقذفه الله في قلب من يشاء دون علم اللسان المنقول
والمعقول وقال مالك بن أنس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور
يقذفه الله تعالى في القلوب انتهى وإنما منفعة العلم أن يقرب العبد من ربه
ويبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وإرادته قال الجنيد
رضي الله عنه العلم أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك وهذه عبارة مختصرة وجيزة
جمع فيها رحمه الله مقصود علم الصوفية وهي معرفة الله تعالى وحسن الآداب
بين يديه وهذه هي العلوم التي ينبغي للإنسان أن يستغرق فيها عمره الطويل
ولا يقنع منها بكثير ولا قليل وقد قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من
لم يتغلغل في هذه العلوم يعني علوم الصوفية مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم
وما سوى هذه العلوم قد لا يحتاج إليها وربما أضر بصاحبها مداومته عليها وقد
استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر المشهور منه من علم لا ينفع ثم ذكر
المؤلف رحمه الله تعالى عبارة أخرى في بيان العلم النافع وتعريفه بلازمه فقال

قناعه) أي غطاؤه وغشاوته فتزول عنه الشكوك والأوهام قال مالك بن أنس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذفه الله تعالى في القلوب وإنما نفعة العلم أن يقرب العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وإرادته وقال المهدوي قدس سره العلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد في الدنيا وما يقرب إلى الجنة ويبعد عن النار والخوف من الله والرجاء فيه وآفات النفوس وطهارتها وهو النور المشار إليه أنه نور يقذفه الله في قلب من يشاء دون علم اللسان والمعقول والمنقول اهـ وجمع ذلك الجنيد قدس سره في قوله العلم أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك أي هو
معرفة الله وحسن الأدب بين يديه ثم ذكر المصنف عبارة أخرى في بيان العلم النافع وتعريفه بلازمه

فقال (خير العلم ما كانت الخشية معه) والخشية الخوف مع الاجلال وقيل هي الاجلال مع التعظيم وقيل
الخوف مع العلم أي خير العلوم ما لزمه خشية الله تعالى * (٧٣) * وتصاحبه وهو العلم المتقدم لان
الله تعالى أثنى على العلماء بذلك فقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم لا خشية معه لا خير فيه ولا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة ويلزم من مصاحبة الخشية له الوقوف على حدود الله وملازمة طاعته والوثوق به والاعراض عن الدنيا وعن طالبيها والتقليل منها ومجانبة أبواب أربابها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم والتواضع ومجالسة الفقراء وتعظيم أولياء الله تعالى بخلاف العلم الذي لا تصاحبه خشية فانه يكون لرغبة في الدنيا والتملق لأربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكبار وطول
الامل ونسيان الآخرة فان العالم اذا أحب الدنيا وأهلها وجمع منها فوق حدود
الكفاية يغفل عن الآخرة وعن طاعة الله بقدر ذلك ثم ذكر عبارة أخرى من معنى ما تقدم فقال

*(خير العلم ما كانت الخشية معه) خير العلوم ما لزم وجود الخشية لله تعالى لان الله تعالى أثنى على العلماء بذلك فقال عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم لا خشية معه فلا خير فيه بل لا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة قال الربيع بن أنس رحمه الله في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء من لم يخش الله فليس بعالم ألا ترى ان داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قال ذلك بانك جعلت العلم خشيتك والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يؤمن بك قال في لطائف المنن وشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية لله تعالى وشاهد الخشية موافقة الامر فاما علم تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكبار وطول الامل ونسيان الآخرة فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الانبياء وهل ينتقل الشيء الموروث الى الوارث الا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه ومثل من هذه الاوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا في تكثير العقوبة لديه انتهى وكان سهل بن عبد الله رضي الله عنه يقول لا تقطعوا أمرا من أمور الدنيا والدين الا بمشورة العلماء فتحمدوا العاقبة عند الله تعالى قيل يا أبا محمد من العلماء قال الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله تعالى على نفوسهم وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصيته وشاور في أمرك الذين يخشون الله تعالى وقال الواسطي رضي الله عنه ارحم الناس العلماء لخشيتهم من الله تعالى واشفاقهم مما علمهم الله عز وجل وقال في التنوير في قوله صلى الله عليه وسلم طالب العلم تكفل الله له برزقه اعلم أن العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز أو في السنة انما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء انما هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والراسخون في العلم وقل رب زدني علما وقوله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وقوله العلماء ورثة الانبياء وقوله هنا طالب العلم تكفل الله برزقه انما المراد بالعلم في هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس وذلك يتعين بالضرورة لان كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أجل من أن يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك في غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على

حدود الله وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما امر الله به
اذا كان تعلمه لله تعالى انتهى وقد تقدم المعيار الصادق على محمد صورى التعلم
والتعليم لله عند قوله اذا التبس عليك أمران وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى
رضى الله عنه كل علم لا يورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة
عليهم ولا يعينه على حسن معاملة الله تعالى ودوام مراقبته وطلب الحلال وحفظ
الجوارح وأداء الامانة ومخالفة النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذى
لا ينفع وهو الذى استعاذ منه النبى صلى الله عليه وسلم فقال أعوذ بك من علم
لا ينفع ووصف الله تعالى العلماء بالخشية فقال انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال رجل للشعبى أيها العالم فقال انما العالم من يخشى الله تعالى وقال بعض
السلف من ازداد علما فليزدد خشوعا وقال رجل للجنيد أى العلم أنفع قال ما دلك
على الله تعالى وأبعدك عن نفسك قال والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواضع
ودوام المجاهدة ورعاية السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله والاعراض عن
الدنيا وعن طالبيها والتقلل منها ومجانبة أبواب أربابها وترك ما فيها على من
فيها من أهلها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة الفقراء وتعظيم
أولياء الله تعالى والاقبال على ما يعنيه فان العالم اذا أحب الدنيا وأهلها وجمع
منها فوق الكفاية يغفل عن الآخرة وعن طاعة الله تعالى بقدر ذلك قال الله عز
وجل يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال النبى
صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه
الا فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال فضيل بن عياض العالم طبيب الدين ودواء
الدنيا داء الدين فاذا كان الطبيب يجر الداء الى نفسه فمتى يبرئ غيره فاذا وفق
الله العالم من العلماء للاقبال على الله وعلى أوامره والاعراض عن الدنيا وما فيها
أو من فيها فأول ما يلزمه أن يعرف نعم الله عليه فى ذلك ويقوم بواجب الشكر
ويزيد تواضعا واجتهادا ويعلم أنه محمول على ذلك وأن ذلك بتوفيق من الله تعالى
لا بمجاهدة منه فان مجاهدته أيضا ومعرفته لنعم الله عليه بزيادة توفيق الله فاذا
كان العالم بهذا المحل من الدين كان اماما يقتدى به فى أحكام الظاهر وأحوال
الباطن يهتدى بنوره كل من صحبه ويستضىء بعلمه كل من اتبعه ويكون حجة لله
على عباده وبركة فى بلاده ومن قاده علمه الى طلب الدنيا وطلب العلو فيها
وطلب اتباع الرياسة واستتباع الخلق فهو العالم الذى هو غير نافع وهو العلم
المغتر به ولا حسرة أعظم من أن يهلك العالم بما يرجو به نجاته ونحن نعوذ بالله من
الخذلان انتهى ثم عبر المؤلف رحمه الله تعالى بعبارة أخرى من معنى ما تقدم فقال

(العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك) العلم الذى تلازمه الخشية لك لانك

(العلم ان قارنته الخشية فلك) منفعته فى الدنيا والآخرة (والا فعليك) مضرته فيهما قال سفيان الثورى انما يتعلم العلم ليتقى به الله وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى الله به فان اختل هذا القصد وفسدت نية طالبه بان استشعر به التوصل الى منال دنيوى من مال أو جاه فقد بطل أجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية اه

تنتفع به فى دنياك وآخرتك وليس ذلك الاماذكرناه والعلم الذى لا خشية فيه عليك لانك تستضر به فيهما وهذا هو الفرق بين علماء الآخرة وعلماء الدنيا من حيث ان علماء الآخرة موصوفون بالخشية والرهبة وعلماء الدنيا موسومون بالامن والعزة وقد بين علماؤنا رضى الله عنهم حال الفريقين وأوضحوا أمرهم بالنعوت والعلامات وأطالوا فى ذلك النفس لما شاهدوا من انتشار الفساد فى الارض بسبب جهل الناس بالعلم النافع أى شئ هو فمن أراد الشفاء فى ذلك واستيفاء الكلام عليه وما فى ذلك من الاخبار والآثار فعليه بالنظر فى كتاب العلم من كتاب احياء علوم الدين لابى حامد الغزالى رضى الله عنه ولباب ذلك ماذكره المؤلف رحمه الله تعالى ههنا وقد قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه كان العلماء ربيع الناس اذا نظر اليهم المريض لم يسره أن يكون صحيحا واذا نظر اليهم الفقير لم يود أن يكون غنيا وقد صاروا اليوم فتنة على الناس قال هذا فى زمانه الصالح فكيف لو أدرك زماننا هذا فانا لله وانا اليه راجعون واعلم أنه قد ورد فى الكتاب والسنة من فضل العلم والعلماء مالا يحصى كثرة ولا يرجى حصول ذلك الا ان صحت فيه نيته وصحة نيته فى ذلك أن يكون غرضه فيه طلب مرضاة الله تعالى واستعماله فيما ينفع عنده وايثاره الخروج عن ظلمة الجهل الى نور العلم فهذه هى النية الصحيحة التى تحمد عاقبتها آجلا وتجتنى ثمرتها فى طاعة الله عاجلا وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل يوم لا أزداد فيه علما يقربنى من الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وقال الحسن رضى الله تعالى عنه كان الرجل اذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك فى تخشعه ولباسه وبصره ولسانه وصلاته وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا بما فيها لو كانت له ليضعها فى الآخرة وليأتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق والباطل فاذا كان ذلك لم ينفع فيه الا دعاء كدعاء الغريق * وقال سفيان الثورى رضى الله عنه انما يتعلم العلم ليتقى به الله وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى الله به فان اختل هذا المقصد وفسدت نية طالبه بان يستشعر به التوصل الى منال دنيوى من مال أو جاه فقد بطل أجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال الله عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أبو هريرة رضى الله عنه من تعلم علما لا يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ريحها وكان الحسن رضى الله عنه يقول والله ما طلب هذا العلم أحد الا كان حظه منه ما أراده به وقال الحسن عقوبة العالم موت القلب

تقبيل الهوماموت القلب قال طالب الدنيا بعمل الآخرة فاذا انضاف الى هذا
الغرض أن يتصدى به الى تولي الاعمال السلطانية كائنة ما كانت أو يتوصل به
الى اكتساب مال من حرام أوشبهة فقد تعرض لغضب الله تعالى وسخطه وباء باثمه
وآثام المقتدين به وكان الجهل اذ ذاك خيراله من العلم وأحمد عاقبة وقال أبوعمر
ابن عبد البر رحمه الله تعالى وروينا عن الاوزاعي رضي الله عنه قال شكت
النواويس الى الله عزوجل ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله تعالى اليها
بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه قال وروينا عن الفضيل بن عياض وأسد
ابن الفرات قال بلغني ان الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم
القيامة قبل عبدة الاوثان قال فضيل بن عياض رضي الله عنه لان من علم ليس
كمن لم يعلم قلت والغالب على طلبة العلم في هذه الاعصار هذا الوصف المذموم
لان حب الدنيا قد استولى عليهم واستهواهم والحرص على التقدم والترؤس
قد املكهم فأصمهم وأعماهم ولذلك أمارات وعلامات لا تحصى ولا تخفى وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج في آخر الزمان رجال
يختلسون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من
العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تبارك وتعالى أبي تغترون أم على
تجترئون في حلفت لابعثن على أولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران رواه عنه أبو
هريرة رضي الله عنه وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال أنزل الله تعالى في بعض الكتب أوأوحى الله تعالى الى بعض
الانبياء عليهم الصلاة والسلام قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل
ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون للناس مسوك الكبوش وقلوبهم
كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر اياي يخادعون
وبي يستهزؤن لأتيحن لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران وفي بعض الاخبار
المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن
الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة من
أبدانهم شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود واعلم
ان العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخلف انما هو العلم الذي يؤدي صاحبه الى
الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان وتوافق
الاسرار والاعلان الى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها وايثار
الآخرة عليها والموالاة في الله والمعاداة فيه والحرص على التفطن للاسباب
الباعثة له على الاستقامة ولزوم الادب بين يدي الله تعالى فيراعيها حفظا وطلبا
ومعرفة الاسباب المضادة له عن ذلك فيرفضها رفضا وهربا الى غير ذلك من

الصفات العلية والمناحي السنية فبهذا كله يحصل له فوائد العلم وثمراته الدنيوية والاخروية فاذا خلا طالب العلم منها أوعن بعضها فان كان ما يطلبه علما حقيقيا كان حجة عليه وان كان رسميا كان وبالا واصلا اليه والعياذ بالله من ذلك * قال فى لطائف المنن ربما غر الغافل من طلبة العلم من قال طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله وليس فى قول هذا القائل ما يسترو ح اليه من طلب العلم للرياسة والمنافسة به وانما أخبر هذا القائل عن أمرمن به عليه وفتنة سلمه الله منها لا يلزم أن يقاس عليه فيها غيره وذلك بمثابة من به مرض مزمن فى الحى أعيا علاجه الاطباء وضاق عليه خلقه فأخذ خنجرا وضرب به مراق بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعى فقطعه فخرج الداء منه فهذا لا يستصوب العقلاء فعله وان نجحت عاقبته وليست سلامة العواقب رافعة للعتب عن الملقين أنفسهم الى التهلكة * ليس الخاطر محمودا وان سلما * وقال فى مواضع أخرولا يغرنك أن يكون به انتفاع للبادى والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما أشرف الوسيلة وما أخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات فى طلب العلم فمكث أربعين سنة أوخمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة فلم يصل صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما أن المقصود بالطهارة وجود الصلاة ولقد سأل رجل الحسن البصرى رضى الله عنه عن مسئلة فأفتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقهاء فزجره الحسن وقال ويحك وهل رأيت فقيها انما الفقيه الذى فقه عن الله أمره ونهيه قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول الفقيه من انفتق الحجاب عن عين قلبه والرجل الذى سأل الحسن البصرى هو فرقد السنجى والله أعلم وقد روى عنه فى صفة الفقهاء كلام أتم مما ذكره صاحب كتاب لطائف المنن * قال فرقد السنجى سألت الحسن عن مسئلة فاجابنى عنها فقلت له ان الفقهاء يخالفونك فقال لى ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعرض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد فى العبادة المقيم على سنة المصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينبذ من هو فوقه ولا يسخر من هو دونه ولا يأخذ على علم علمه الله له حطاما قلت وعلى المعلم أن يتفقد أحوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه الا لمن يتوسم فيه الخير والصلاح اذ بذلك تستقيم له النيات والمقاصد التى ذكرناها ولا يبذل لمن سوى هذا ممن علم حاله أوجهله قال رجل لسفيان الثورى رضى الله

عنه امك ان نشرت ما معك من العلم رجوت أن ينفع الله به بعض عباده وتوجهو على ذلك فقال سفيان الثوري والله لو أعلم بالذي يطلب هذا العلم لا يريد به الا ما عند الله لكنت أنا الذي آتيه في منزله فأحدثه بما عندي من أرجو أن ينفعه الله به وقد سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال له السائل أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من النار فقال له اترك اللجام واذهب فان جاء من يستحقه وكتمته فليلجمني به وفي قوله عز من قائل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم تنبيه على أن حفظ العلم ممن يفسده ويستضر به أولى كما قيل

ومن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقد حكى عن بعض الامم السالفة أنهم كانوا يختبرون المتعلم مدة في أخلاقه فان وجدوا فيه خلقا رديئا منعوه من العلم أشد المنع وقالوا انه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق الردىء فيصير العلم آلة شر في حقه وقد قالت الحكماء زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وهذا كله صحيح مجرب فينبغي اذا العالم أن لا يهمله بل يراعيه ويمتثله ولا اعتبار بما يتوهمه في تعليمهم من وجود المصالح على تقدير حصول توفيق الله تعالى لهم لان يعملوا ببعض ما يتعلمونه من العلم الصحيح ان كانت لهم ولاية حكم أو غير ذلك فان المفاسد التي تقع بسبب ذلك لهم في خاصة أنفسهم والمفاسد التي تتعدى منهم الى غيرهم أكثر ودرء المفاسد أهم عند العقلاء من جلب المصالح أما المفاسد التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة وأخلاقهم اللئيمة بما يطلبونه من العلم لانهم يستشعرون بذلك التوصل الى جميع مطالبهم الدنيوية على غاية الكمال والتمام فاذا استشعروا بذلك توجهوا بهممهم اليه وعكفوا بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتصور منهم ذلك فاذا حصلوا على شيء من ذلك وظهرت لهم مخايل وصولهم الى اغراضهم المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا به وكلما ازدادوا علما ازدادوا فرحا واغتباطا بما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط في غاية الذم منهم لان ذلك متعلق بأسباب الدنيا وهي بمنزلة السم القاتل الذي يوجب موت قلوبهم وقسوتها وبعدها عن التأثر بالمواعظ والحكم كما قيل

اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة * كالارض ان سبخت لم ينفع المطر

وعند ذلك تنتعش نفوسهم وتتقوى صفاتها وتظهر آثار ذلك على ظواهرهم من التكالب على الدنيا والركون الى من هي عنده من أبنائها المترفين وليس لهم ما يتوسلون به اليهم سوى علمهم فيحتالون على تحصيل اقبالهم عليهم وصرف

وجوههم اليوم بالتفنن عندهم بأنواع من الحيل ولا يسألون فى ذلك من الرذائل والتصنع والنفاق والدهان ويجرهم ذلك الى أنواع من المحظورات وضروب من العصيان مع ما يحصل بهم فى ذلك من الذل والهوان فاذا نالوا ذلك أو بعضه حصل لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم فخرجوا من الحرية الى استعباد الاغيار واستبدلوا بالجهل النافع العلم الضار وقد قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه لو أن أهل العلم اكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام وأهله ولكنهم أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم اذ سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما فى أيدى الناس فذلوا وهانوا على الناس انتهى ولله در الشاعر رحمه الله حيث يقول

يقولون لى فيك انقباض وانما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد أرى * ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى * لاخدم من لاقيت الا لاخدما
أأغرسه عزا وأجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

وقال وهب بن منبه رضى الله عنه لعطاء الخراسانى كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة فى علمهم فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة فى دنياهم فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل ينفق ماله على علمه ويكسب الرجل اليوم بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة فى باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من أهل العلم فسادا فى الباطن والظاهر فانظر رحمك الله الى ما ذكره هؤلاء الفضلاء تجده لازما لطلبة هذا الزمان وليس الخبر كالعيان ثم بعد وقوع هذه المفاسد بهم وبلوغها بهم الى سوء أدبهم يتعذر عليهم بعد ذلك سلوك طريق الحق لما استحكم فى قلوبهم من علامات سوء الخاتمة فقد قيل التعمق فى الباطل قطع لامال الرجوع عنه فكل ما كان بعد المسافة من الحق أتم كان اليأس من الرجعة أوجب وأعظم الوبال عليهم اغترارهم بحالهم واستحسانهم لسيئ أعمالهم واعتقادهم أنهم سالكون سبيل النجاة فى الدار الآخرة ونيل الثواب فيها وانهم هم الذين حازوا الرتب

الشريفة والمناقب المنيفة التي اختص بنيلها العلماء الذين هم ورثة الانبياء وليس عندهم من المعرفة وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذا الغرور ولانهم لم يسلكوا طريق ذلك ولم يهتدوا الى مسالك فهذا هو الفساد الذي يختص بهم ولا يشاركون غيرهم فيه واما الفساد الذي يتعدى الى غيرهم فأظهر من كل ظاهر وناهيك بمن ملكته نفسه أشد ملك واستعبدته أشد استعباد هل يبقى عليه شيء من الشر أو نوع من أنواع الفساد الا ويقع فيه اذا تمكن منه ومن دقيق ما يسري عنهم من الفساد من غير قصد منهم لذلك وقوع الاغترار للجهلة والاغمار بمشاهدة حالهم فانهم يشاهدونهم قد حازوا من رتب الدنيا ما أرادوه ويتوهمونهم نالوا شرف الآخرة بما أفادوه واستفادوه فيحملهم ذلك على الاقتداء بهم في طلب العلم ان كانوا ممن فيه قابلية لذلك فيقعوا فيما وقعوا فيه من المهالك أو يؤديهم ذلك الى محبتهم وموالاتهم واتخاذهم أربابا يسمعون منهم ويطيعونهم في أوامرهم ونواهيهم ثم يخرج بهم استحسان حالهم الى الداء الدفين وهو مسارقة طباعهم الدنيئة وأخلاقهم الرديئة فان نفوس العامة قابلة لذلك ومهيئة له بمنزلة الصبي الذي ترسخ فيه أخلاق آبائه ومنازعهم ومذاهبهم وعند ذلك يبطل في حقهم ما هو مقصود من بعثة الرسل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وحب الفقر والمسكنة وايثار التواضع والذلة والتخلق بأخلاق الايمان والاسلام وشدة الحذر من ارتكاب المناهي والآثام ثم يؤل ذلك بهم الى الشرك الخفي والجلي ثم يحيق بهم المكر السيء والعياذ بالله تعالى ويكون وبال جميع ذلك راجعا الى العالم لتيسير أسباب ذلك على يديه ولقد صدق ابن المبارك رحمه الله حيث يقول

وهل أفسد الدين الا الملوك * واحبار سوء ورهبانها

فباعوا النفوس ولم يربحوا * ولم تغل في البيع أثمانها

لقد رتع القوم في جيفة * يبين لذي العقل انتانها

وروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال ان الدين قد استضاء اضاءة هذه ثم أخذ كفا من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال والذي نفسي بيده ليجيئن أقوام يدفنون العلم هكذا كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو القدم بالقدم والنعل بالنعل قلت ومنشأ وجود هذه المفاسد خراب بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب فقد اليقين منها وانكساف أنوار الايمان فيها وافلاسهم من حقائق ذلك وعدم اختصاصهم بشيء منه فصاروا بذلك مأسورين لاهوائهم منقادين لاغراضهم وآرائهم فسدت بذلك نياتهم ومقاصدهم والاعمال

بالنيات فاذا كانت النيات صالحة كانت الاعمال صالحة وترتب عليها آثار الصلاح وانعطف من ذلك على القلوب مزيد اشراق وحميد اخلاق يؤذن ذلك بوجود القرب من الله ونيل درجة المحبة منه فاذا كانت النيات فاسدة كانت الاعمال أيضا فاسدة وترتب عليها آثار فاسدة وانعطف من ذلك على القلوب زيادة ظلمة ورداءة همة تقتضي البعد من الله تعالى وحصول المقت منه وطلب العلم عمل من الاعمال معرض للصحة والاعتلال وليت شعري هؤلاء الذين استغرقوا أعمارهم في طلب العلم والآثار وأتعبوا أنفسهم بالدراسة والنظر وقطعوا أيامهم ولياليهم بالجوع والسهر وسمحت نفوسهم بفراق ملذوذاتها والبعد عن جميع مألوفاتها هل بعثهم على ذلك باعث الدين أو باعث الهوى ولا شك ان باعث الدين غير متصور منهم بل هو محال في حقهم لما قدمناه من خراب البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور ذلك منهم وهم لم يعملوا على تخلصهم من التكاليف الواجبة عليهم في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا ذلك البتة وان ادعوا أنهم على أحوال لا يصعب عليهم فيها حكم يحتاجون الى تعرفه والقيام به فهم مخادعون ومن أين لهم ذلك والعلم به لا يحصل ضرورة فلا بد لهم من استفادته ولا عناية لهم بهذا أيضا وانما كان يتصور منهم باعث الدين لو توفرت اغراضهم كلها عليهم ووصلوا الى ما يمكنهم الوصول اليه من شهواتهم ولذاتهم بسبب ما من أسباب الدنيا ثم يصرفون ما فضل من أوقاتهم عن محاولة هذه المطالب ونيلها الى طلب العلم عوضا عن البطالة التي يتبرم بها صاحبها ويدعوه فراغه من أشغال دنياه الى قطع ذلك الوقت بلهو ولعب أو ارتكاب معصية وذنب لا البطالة التي يكون فيها استراحة لنفسه واستجمام لعقله وحسه ففي هذه الحال قد يصح باعث الدين من أمثال هؤلاء وأما الحال التي وصفناها فلا يتصور عليها باعث الا الدنيا المجردة المجاوزة للحد في الذم والمقت بمنزلة من هو حريص على الاتساع في الدنيا وتحصول على غاية ملاذها فانه يعمل فيما يوصله الى ذلك وان كان فيه هلاكه فتراه يرتكب الاخطار ويخوض لجج البحار ويجوب البراري والقفار ويهون عليه في جنب ما يأمله كل مشقة تصيبه وبلية تنزل به ولو لم يفعل هذا لم يحصل الاعلى سد الرمق والاقتصار على البلغ والعلق فكذلك هؤلاء الذين كلامنا فيهم لو لم يتصور وافي خواطرهم الحصول على كليات اغراضهم من اتساع مالهم وجاههم في دنياهم ووصولهم مع ذلك الى رفيع الدرجات في عقباهم لم يبلغوا ذلك المبلغ في الاجتهاد والاقتصروا على بعضه وهذه كلها أمور بينة لا اشكال فيها عند من له أدنى تمييز وفهم وليس المانع لاكثر من ينتسب الى العلم من العمل بمقتضى ما ذكرناه خفاءه عليهم كيف وهم

يعتقدون محنته ويسلمون حاصله وحقيقته في الاسما من عند ما ينعل في قلوبهم بعض ظلماتها وتخرج عن عظيم غمراتها امابنذكير مذكر من الخارج أو وعظ واعظ في قلوبهم من قبل الحق ثم يرجعون في سائر أوقاتهم الى مألوفاتهم ومعتاداتهم وانما المانع لهم من ذلك اذا راد الله تعالى بالمشيئة والقدرة واستشاره بالخذلان والنصرة فاذا أراد الله تعالى أن يضل عبدا من عباده لم ينصره عقل ولم ينفعه علم قال الله عز وجل ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ وفي مثل هذا الموطن تبطل أحكام الاسباب وتتحقق أرباب الحقائق العظمة والجلال والعزة والكمال لرب الارباب فليعتبر بما ذكرناه أرباب الأبصار وليسلموا أحكام الواحد القهار لعلهم بذلك يهتدون الى منهج التحقيق حين يضل غيرهم عن سواء الطريق

مصائب قوم عند قوم فوائد * وليقل العبد المؤمن اذا نظر اليهم واعتبر بما جرى من سوء القضاء عليهم الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم به وفضلني عليهم تفضيلا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به هذا وفضلني عليه وعلى كثير ممن خلق تفضيلا عافاه الله من ذلك البلاء كائنا ما كان وعلى المعلم الناصح لنفسه السالم في عقله وحسه العامل على تصحيح أعماله وهمه المشفق على دينه الذي هو مسوط لحمه ودمه أن يتأمل هذه المفاسد ويقايس بما توهمه من المصالح الناشئة عن تعليمه بزعمه ويدقق النظر في ذلك كما يدققه في أكثر المسائل التي لا يحتاج اليها ولا يقدم على التعليم في هذه الازمنة ذوات العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب ذلك عليه من غير تردد ولا تجويز وقوع خطأ في نظر ولا سبيل له الى هذا ولا يسعه خلاف ذلك اذا كان منصفا قال بعضهم رأيت سفيان الثوري حزينا فسألته عن ذلك فقال وهو ونديم مصرنا الا تجرا لابناء الدنيا قلت وكيف ذلك قال يلزمنا أحدهم حتى اذا عرف بنا وحل عنا وجعل عاملا أو حاجبا أو قهرمانا أو جابيا يقول حدثنا سفيان الثوري وعليه أيضا أن يحرص على مخالفة نفسه فيما تدعوه اليه من التعليم لان كل ما تستلذه النفس وبوافق غرضها محجوب بالآفات والعلل التي تقدح في اخلاص الاعمال واخلاص الاعمال شرط في وجود القبول وعند ذلك يذهب عملها طائلا ولا ينال بسببه طائلا وقد تقدم من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم للعمل عند قوله ما قل عمل برز من قلب زاهد وتقدم أيضا الكلام على اتهام النفس في دعائها الى ما ظاهره خير عند قوله اذا التبس عليك أمران ولينعل الحزم في ذلك من بشر بن الحرث الحافي رضي الله عنه كان يقول أنا أشتهي أن أحدث ولو ذهب

(متى آلمك) أي أوجد عندك الالم والغم (عدم اقبال الناس عليك أو توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله) أي اقنع بعلمه (فيك) واكتف به عن ﴿(٨٢)﴾ علمهم بحالك المقتضي لاقبالهم عليك وعدمه لك فان كنت عند الله مخلصا في أعمالك مقبولا فأي شئ يضرك من كونك عند الخلق ليس على ذلك الوصف حتى يتوجهوا اليك بالذم والاذى وان كنت حقيرا ممقوتا لعدم اخلاصك فأي شئ ينفعك من اقبالهم عليك ورضاهم عنك وثنائهم عليك (فان كان لا يقنعك علمه) بأن أحببت ان تدخل مع علمه علم غيره حتى يطلع على اخلاصك وأعمالك فيعظمك ويقبل عليك (فمصيبتك) الحاصلة لك (بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك) الحاصلة (بوجود الاذى منهم) بذمك والاعراض عنك لان عدم القناعة بعلمه تعالى يردك اليهم فهو مصيبة ولابد واذاهم يردك اليه فهو فائدة في الواقع ونعمة وان كان مصيبة في الظاهر فلا ينبغي للمريد ان يكون مطمح نظره الا الى مولاه فلا يفرح الا باقباله عليه ولا

مولاه ٣

عن شهوة الحديث لمحدث وكان سبب تركه طلب الحديث انه سمع أبا داود الطيالسي يحدث عن شعبة انه كان يقول الاكثار من هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فلما سمعه منه قال انتهينا انتهينا ثم ترك الرحلة في طلب الحديث وأقبل على العبادة وروى أيضا مثل هذا الكلام عن مسعر بن كدام فاذا كان الاكثار من طلب الحديث بهذه المثابة عند امامي المحدثين في زمانهما مع ما فيه من الفوائد الاخروية فما ظنك بغيره من محدثات العلوم ومبتدعاتها ولقد ذكر الشيخ الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله باسناده الى عبد الله بن مسلمة القعنبي رحمه الله قال دخلت على مالك بن أنس رضي الله عنه فوجدته باكيا فسلمت عليه فرد علي السلام ثم سكت عني يبكي فقلت له يا أبا عبد الله ما الذي أبكاك فقال لي يا ابن قعنب أبكي لله على ما فرط مني ليتني جلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الامر بسوط ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا الرأي وهذه المسائل وقد كان لي سعة فيما سبقت اليه قال هذا فيما كان آخذا فيه من المسائل المحققة المبنية على أصول صحيحة غير ملفقة فما ظنك بما انتشر بعده من الهذيان الذي صار بحكم العادة واقتضاء العصبية وتمالئ الناس على الضلال وتقليد الرؤساء الجهال دينا قويما وصراطا مستقيما وعلى كل واحد من العالم والمتعلم أن يشتغل بما هو أهم عليه مما هو مأمور به ومسؤل عنه من مراقبة ربه واصلاح نفسه وقلبه فله في ذلك شغل شاغل عما يفرق همه ويقسي قلبه وينسيه ذكر ربه عز وجل قال وهب بن منبه ذكر طلب العلم عند مالك بن أنس فقال ان طلبه لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ماذا يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ومن حين تمسي الى حين تصبح فلا تؤثرن عليه شيأ وكان سفيان الثوري يقول لاهل العلم الظاهر طلب هذا ليس من زاد الآخرة وكان يقول ليس طلب الحديث من عدة الموت لكنه علة يتشاغل به الرجل وكان يقول لولا أن للشيطان فيه حظا ما ازدحم عليه يعني العلم فهذه نبذة قصدت الى بثها في الموضع اللائق بها من هذا التنبيه ليتنبه بها من سبق له من الله زوال العمى عن بصره ومراجعة خوفه وحذره من المعلمين والمتعلمين وليتبين بها كلام المؤلف رحمه الله غاية التبيين وبالله الذي لا اله سواه نستعين

(متى آلمك عدم اقبال الناس عليك أو توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم) العبد لا ينبغي أن يكون مطمح نظره الا الى

يحزن الا بما راضه عنه ولا ينظر الى الخلق في الاقبال ولا الاعراض ولا المدح ولا الذم فانهم لا يغنون عنه من الله شيأ فان آلمه عدم اقبالهم عليه أو توجههم بالذم اليه فليرجع الى ما بينه وبين ربه وليكتف بعلمه بحاله ولا يحب أن يدخل مع علمه ❊(٨٣)❊ علم المخلوقين حتى يعظموه وقال ابراهيم التيمي لبعض أصحابه ما يقول الناس في قال يقولون انك مراء فقال لان طاب العمل قال بشر اكتفي والله بعلم الله فلم يحب أن يدخل مع علم الله علم غيره وقال بشر الحافي سكون القلب الى قبول المدح له أشد عليه من المعاصي (انما أجرى الاذى على أيديهم) اليك أيها المريد (كي لا تكون ساكنا اليهم) أي معتمدا عليهم في تحصيل نفع أو دفع ضر تاركا لجناب مولاك وقوله (أراد ان يزعجك عن كل شئ) بتوجه الخلق اليك (بالاذى (حتى لا يشغلك عنه شئ) هو بمعنى ما قبله قال في لطائف المنن اعلم ان أولياء الله حكمهم في بداياتهم أن تسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم المزايا ولئلا يساكنوا هذا الخلق باعتماد او يميلوا اليهم باستناد ومن آذاك فقد أعتقك من رق احسانه ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ثم قال وتسليط الخلق على أولياء الله في مبادى ظهورهم سنة الله في أحبابه وأصفيائه اهـ وقال الاستاذ أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره آذاني انسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرأيت يقال لي من علامة

مولاه فلا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن الا الا عراضه عنه ولا ينظر الى المخلوقين في اقبال ولا اعراض ولا مدح ولا ذم فانهم لا يغنون عنه من الله شيأ وقد تقدم هذا المعنى في قوله رحمه الله غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك فمتى آلمه عدم اقبالهم عليه أو توجههم بالذم اليه فليرجع الى ما بينه وبين ربه فان كان قانعا بعلمه راضيا بقسمته كان له في ذلك أعظم سلوان عما يفوته من جهة المخلوقين بل لا يجد وقعا في قلبه لما عسى أن يكون منهم من اقبال أو اعراض وان لم يكن راضيا ولا قانعا فمصيبته بذلك أعظم من مصيبته بأذى الناس له بل لا مصيبة له في أذى الناس البتة عند من عرف سر ذلك على ما يذكره المؤلف الآن رحمه الله تعالى قال ابراهيم التيمي رضي الله عنه لبعض أصحابه ما يقول الناس في فقال يقولون انك مراء فقال الآن طاب العمل فقال بشر رضي الله عنه اكتفي والله بعلم الله فلم يحب أن يدخل مع علم الله علم غيره وقال بشر الحافي سكون النفس الى قبول المدح لها أشد عليها من المعاصي ❊ انما أجرى الاذى على أيديهم كي لا تكون ساكنا اليهم أراد أن يزعجك عن كل شئ حتى لا يشغلك عنه شئ ❊ وجود أذى الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لا سيما من اعتاد منهم الملاطفة والاكرام والبر والاحترام لان ذلك يفيده عدم السكون اليهم وترك الاعتماد عليهم وفقد الانس بهم فيتحقق بذلك عبوديته لربه عز وجل قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه آذاني انسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرأيت يقال لي من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالي بهم وقال بعض العارفين الصيحة من العدو سوط الله يضرب به القلوب اذا ساكنت غيره ولولا ذلك لرقد العبد في ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله عظيم وقال سيدي أبو محمد عبد السلام شيخ سيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما في دعائه اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم اني أسألك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون لي ملجأ الا اليك وقال أبو الحسن الوراق النيسابوري رضي الله عنه الانس بالخلق وحشة والطمأنينة اليهم حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم وهن والثقة بهم ضياع واذا أراد الله بعبد خيرا جعل أنسه به وبذكره وتوكله عليه وصان

سره عن النظر اليهم وظاهره عن الاعتماد عليهم وقد قالوا الزهاد يخرجون المال
من الكيس تقربا الى الله تعالى وأهل الصفاء يخرجون الخلق والمعارف من
القلب تحققا بالله عز وجل قال في لطائف المنن اعلم ان أولياء الله تعالى حكمهم
في بداياتهم أن يسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتكمل فيهم المزايا وكي
لا يساكنوا هذا الخلق باعتماد أو يميلوا اليهم باستناد ومن أحسن اليك فقد
استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا
فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا الله له كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان
الخلق وليتعلق بالملك الحق قال وقد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه اهرب
من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم
يصيبك في بدنك ولأن تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك ولعدو تصل
به الى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله ومن اقبالهم عليك ليلا واعراضهم
عنك نهارا ألا تراهم اذا أقبلوا فتنوا قال وتسليط الخلق على أولياء الله في مبدا
طرقهم سنة الله في أحبابه وأصفيائه قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه اللهم ان
القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا
فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب
عنك فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك قال ومما يدلك على أن ذلك سنة الله
في أحبائه وأصفيائه قوله تعالى وزلزلوا الآية وقوله تعالى حتى اذا استيأس
الرسل الآية وقوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا الآيتين وقوله أذن
للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى انتهى
وكذلك من استحلى حالا أو ساكن مقاما فمن سنة الله تعالى مع أوليائه تشويش
ذلك عليهم وهو من غيرته على قلوبهم لئلا تستأنس بغيره ولئلا تتقيد بسواه وقال
الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن المقاطع المشكلة السكون الى
استحلاء ما يلاقيك به من فنون تقريبك وكأنه في خلال ما يناجيك يناغيك فانه
بكل لطيفة يصفيك ويطريك وتحتها خدع خافية ومن أدركته السعادة كاشفه
بشهود جلاله وجماله لا بثباته لي لطيف أحواله وما يخصه به من افضاله واقباله
وأداء الطاعات على وجه الاستحلاء معدود عندهم من الشهوة الخفية ومن هذا
المعنى ما ذكر عن سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه لما دخل على شيخه
أبي محمد عبد السلام في أول ما لقيه وسأله عن حاله قال له أشكو الى الله من برد
الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار فقال له الشيخ أبو
الحسن أما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه وأما
شكواك من برد الرضا والتسليم فلم أفهمه فقال أخاف أن تشغلني حلاوتهما
عن الله سبحانه (وقال) سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه الالطف حجاب

عن

انه ذ [illegible] جيه كثرة أحد إثرها ثم لا يبالى بهم اه (اذا علمت) أيها المريد (أن الشيطان لا يغفل عنك) اى عن اضلالك واغوائك ومحاربتك لقوله تعالى لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقد ورد أن لكل أحد من الناس شيطانا واضعا خرطومه ﴿(٨٠)﴾ على قلبه فاذا غفل عن ذكر الله تعالى وسوس له

واذا ذكر خنس أى تأخر واستتر (فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده) وهو الله تعالى أى عن الاعتصام والاحتماء به سبحانه وتعالى فانه يكفيك همه لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق بهذه الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبودية له والتوكل عليه والالتجاء والافتقار اليه والاستعاذة به كيف لا ينصره على عدوه قال ذو النون المصرى ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يراه فاستعن بالله عليه وعن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بنى آدم مادامت الارواح فيهم فقال له الله عز وجل وعزتى وجلالى لا أبرح أغفر لهم ما استغفرونى

عن اللطيف يعنى السكون اليه والوقوف عنده وشدة الفرح به ولذلك قال سرى السقطى رضى الله عنه لو أن رجلا دخل الى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الاشجار عليها من جميع ما خلق الله من الاطيار فخاطبه كل طائر منها بلغته وقال السلام عليك يا ولى الله فسكنت نفسه الى ذلك كان فى أيديها أسيرا وقال بعضهم لا يكون الصوفى صوفيا حتى لا تقله أرض ولا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق ويكون مرجعه فى جميع أموره الى الحق وقيل الفقير من لا دنيا له ولا آخرة فان عرض على مالك قال ليس من رجالى وان سلم الى رضوان قال لا أهتدى اليه وليس من رجالى وان قلت من هو وما الذى يدعى به قال ليس ممن يدعى بشئ وقال محمد بن الحسن رضى الله تعالى عنه بينا أنا أدور فى جبل لبنان اذ خرج شاب قد أحرقه السموم والرياح فلما نظر الى ولى هاربا فتبعته وقلت له عظنى بكلمة فقال احذره فانه غيور لا يحب أن يرى فى قلب عبده سواه وكتب الجنيد رضى الله عنه الى بعض اخوانه من أشار الى الله وسكن الى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه فان انتبه وانقطع عمن سكن اليه ورجع الى ما أشار اليه كشف الله ما به من المحن والبلوى وان دام على سكونه نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه وألبس لباس الطمع فتزداد رغبته فيهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم فتصير حياته عجزا وموته كمدا ومعاده أسفا ونحن نعوذ بالله من السكون لغيره

﴿اذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده﴾ الشيطان عدو مسلط على الانسان ومقتضى ذلك أن لا يوجد منه غفلة ولا فترة عن التزيين والاغواء والاضلال قيل لبعضهم أينام ابليس فقال لو نام لوجدنا راحة فاذا علمت أنه لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده وهو الله عز وجل وذلك بتحقيق عبوديتك له وتوكلك عليه وافتقارك فى كل أحوالك اليه واستعاذتك به من شر عدوك وعدوه فبذلك تخرج من سلطنته وتنجو من غائلته قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وقال الله عز وجل انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق بهذه الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبودية له والتوكل

عليه والالتجاء والافتقار اليه والاستعاذة والاستجارة به كيف يكون لعدوّ الله عليه سلطان والله حبيبه وولي حفظه ونصره ولولا ما أمرهم الله تعالى بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن هو حتى يستعاذ بالله منه * قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فقوم فهموا من هذا الخطاب انهم أمروا بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك ان الشيطان لكم عدو أي وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبته فكفاهم من دونه وقال أبو حازم رضي الله عنه ومن الشيطان حتى يهاب والله لقد أطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر وقال بعضهم الشيطان منديل هذه الدار يعني يمسح به أقذار النسب وهي نسبة الشرور وأنواع المعاصي والفساد اليه أدبا مع الله عز وجل وهذا سر ايجاده كما قال الله تعالى وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وقوله تعالى هذا من عمل الشيطان وأما ان له حولا وقوة يضر بها أو ينفع فلا * قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه ما خلق الله عز وجل خلقا أهون علي من ابليس ولولا ان الله أمرني أن أتعوذ منه ما تعوذت منه أبدا وقيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان فقال وما الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا اليه فكفانا من دونه وسئل بعضهم بم تدفع ابليس فقال لا أدفع من لا أعرف فأما ان أهملت ذلك وغفلت عنه ولم تعبأ به غلبك لا محالة لثبوت سلطنته عليك ووصوله بالوسوسة اليك قال أهل العلم ان لكل أحد من الناس وسواسا موكلا به مستبطنا قلبه واضعا رأسه أو قال خرطومه عليه فاذا غفل العبد وسوس واذا ذكر الله خنس أي تأخر واستتر وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الشيطان قديم وأنت حديث والشيطان كبير وأنت سليم الناحية والشيطان لا ينساك وأنت لا تزال تنساه وله من نفسك عليك عون وقيل صدر ابن آدم مسكن له ومجراه من ابن آدم مجرى الدم وأنت لا تقاومه الا بعون الله تعالى وقال مالك بن دينار رضي الله عنه ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله وفيه يقول القائل

أشكو عدوا كيده براني * ولا أراه حيثما يراني
وعند ما أنساه لا ينساني * يا سيدي ان لم تغث سباني

وقال ذو النون المصري رضي الله عنه ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الارواح فيهم قال له ربه وعزتي

(جعله) الله (لك عدوا) قال تعالى ان الشيطان لكم عدو الآية (ليحوشك به اليه) لانك اذا عرفت
أنه لا طاقة لك على مقابلته بنفسك لما أنت عليه من غاية الضعف والعجز اضطررت لامحالة الى الاستعانة
عليه بمولاك القوي المتين ووجد منك الالتجاء اليه والانتصار به والتوكل عليه في دفعه عنك فعداوة
الشيطان هي التي ردك الله بها اليه ❊ (٨٧) ❊ وجعلك بها عاكفا عليه وهذا هو غاية المقصود وهذا في حق

وجلالي لأبرح أغفر لهم ما استغفروني ❊ جعله لك عدوا ليحوشك به اليه وحرك
عليك النفس ليدوم اقبالك عليه ❊ عداوة الشيطان لك نعمة عظيمة من الله
عليك اذ من مقتضاها كما قلناه أن لا يغفل عنك وأن يبذل جهده في محاربتك
ومقاتلتك بنفسه وبجنده وبخيله ورجله ولا طاقة لك على مقاتلته بنفسك لانك
في غاية الضعف والعجز فيضطرك الحال لامحالة الى الاستعانة عليه بمولاك القوي
المتين فيوجد منك حينئذ الالتجاء اليه والانتصار به والتوكل عليه في دفعه عنك
فعداوة الشيطان هي التي ردك الحق تعالى بها اليه وجعلك بها عليه وهذا هو
غاية المقصود وكذلك حركة النفس بالحمل على متابعة الهوى والشهوة بما جعل
فيهما من الطبع والجبلة نعمة عظيمة أيضا وان كانت أعدى الاعداء لك اذ
بواسطتها يتوصلون اليك ويأمرها يعملون فيما يعود بالضرر عليك من قبل انك
لا تقدر على مجاهدتها وقهرها لها الممتزج بلحمك ودمك الامن هو أقوى منك
وليس ذلك الا مولاك فقد دعاك بهذا الى دوام الاقبال عليه والعكوف بالهم
عليه وكأن المؤلف رحمه الله تعالى قصد في هذه الكلمات الى ذكر الاعداء
الاربعة المذكورين في قول الشاعر

اني بليت باربع يرمينني ❊ بالنبل عن قوس لها توتير
ابليس والدنيا ونفسي والهوى ❊ يارب أنت على الخلاص قدير

وبين في كلامه وجود عداوتهم ووجوه الاحتراز منها وتمم ذلك ببيان أن تلك
العداوة وان عظمت من أعظم الوسائل الى أسنى المطالب لمن أريد بذلك ووفق
له وأتى بجميع ذلك في ألفاظ بديعة مختصرة وجيزة محررة فاعرف قدر هذا
الفصل واعترف لواضعه بكمال النبل والفضل وقال رضي الله عنه ❊ من أثبت
لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فمتى أثبت لنفسك
تواضعا فأنت المتكبر) اثبات التواضع يقتضي وجود الرفعة لامحالة اذ لو كانت
معدومة لكان ضدها وهو الضعة ثابتا موجودا ولا ينتفي عن العبد التكبر
الا بوجود الضعة ووجود الضعة لا يحتاج الى اثبات من العبد لانه ثابت في نفسه

غير المحبوبين الذين صرفوا هممهم الى جناب الحق أمامهم فلا يحتاجون الى عدو يحوشهم لان تعلقهم به كالطبيعي فيهم فلا يلتفتون الى ابليس ولولا أمر الله تعالى لهم بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن هو حتى يستعاذ بالله منه (وحرك عليك النفس) بطلب متابعة الهوى والشهوة (ليدوم اقبالك عليه) لانك لا تقدر أيضا على مجاهدتها وقهرها الممتزج بلحمك ودمك الا من هو أقوى منك وليس ذلك الا مولاك فقد دعاك بهذا الى دوام الاقبال عليه والعكوف بالهم عليه لاسيما وهي
أعدى أعدائك اذ بواسطتها يتوصل اليك ولانها عدو من داخل البيت وعداوة العدو الذي من داخل
البيت أشد ولذا سمى صلى الله عليه وسلم جهادها بالجهاد الأكبر (من أثبت لنفسه تواضعا) بأن خطر
بباله أنه متواضع (فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع) أي ليس اثباته ناشئا (الا عن) شهود (رفعة)
كان يستحقها وأنه تنازل عنها الى مادونها (فمتى أثبت لنفسك رفعة) فمن اثبات التواضع (فأنت
المتكبر حقا) ولا ينتفي عنك التكبر الا بوجود الضعة حقيقة بأن [illegible] لنفسك مرتبة ولا قيمة ثم قال

(ليس المتواضع الذى اذا تواضع) أى فعل افعال المتواضعين بأن جلس فى أسفل المجلس مثلا (رأى أنه فوق ماصنع) أى انه يستحق الجلوس فى صدر ﴿٨٨﴾ المجلس مثلا (ولكن المتواضع) هو (الذى اذا تواضع) أى فعل افعال المتواضعين بان جلس قريبا من صدر المجلس مثلا (رأى أنه دون ماصنع) وانه يستحق ان يجلس فى أسفل المجلس مثلا والحاصل ان المتواضع حقيقة هو الذى لا يثبت التواضع لنفسه لانه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته ما يمنعه من ذلك ومن كان متصفا بهذه الصفة لو فعل من أفعال المتواضعين ماشاء لم يثبت بذلك لنفسه تواضعا لانه يرى نفسه دون ماصنع من ذلك لغلبة ذلك الشهود عليه فان أثبته لنفسه ورأى نفسه فوق ماصنع مما يقتضى وجود صفة التواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة ولذا قال الشبلى من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وقال ذلى عطل ذل اليهود
ومن علامة التحقق بهذا الخلق ان لا يغضب اذا عوتب أو انتقص ولا يكره أن يذم أو يقذف بالسكاتر ولا يحرص على أن يكون له عندهم قدر وجاه ولا يرى لنفسه موضعا فى قلوب الناس

فالتواضع الذى أثبته العبد لنفسه لا ينفى عنه وجود التكبر بالضرورة وأيضا فان لفظة التواضع تؤذن بذلك فان التواضع تفاعل من الضعة وأكثر باب التفاعل موضوع لاظهار الصفة وليست كذلك كالتناوم والتناكر والتفارج والتماوت وغير ذلك فصفة التواضع لا تقتضى حقيقة الضعة وعدم الرفعة ولا يلزم من وجودها ذلك والمطلوب من العبد انما هو أن يتصف بذلك حقيقة لا اظهارا فقط بان ينتفى عنه وجود الرفعة بالكلية وحينئذ يبرأ العبد من التكبر ولا يكون له وجود البتة (ليس المتواضع الذى اذا تواضع رأى انه فوق ماصنع ولكن المتواضع الذى اذا تواضع رأى انه دون ماصنع) هذا بيان آخر لما ذكره من ان العبد المتواضع حقيقة لا يثبت التواضع لنفسه لانه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته ما يمنعه من ذلك وهذا هو التواضع الحقيقى وهو شهوده لذلك ووجده به وظهور آثاره على ظاهره بل شهوده لذلك ووجده به مما يقدح فى حقيقة تواضعه كما قال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه من وجد ذوق ذله فى ذله فهو متعزز وفيه بقية فهذا العبد المتصف بهذه الصفة لو فعل من أفعال المتواضعين ماشاء لم يثبت بذلك لنفسه تواضعا لانه يرى نفسه دون ماصنع من ذلك لغلبة ذلك الشهود والوجد عليه فان أثبته لنفسه ورأى ان نفسه فوق ماصنع مما يقتضى وجود صفة التواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة ولذلك قال الشبلى رضى الله عنه يوما فى بعض كلامه ذلى عطل ذل اليهود وقال من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه لا يتواضع العبد لله حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد رضى الله عنه مادام العبد يظن ان فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل أحد على قدر معرفته بربه وبنفسه * وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه لو اجتمع الخلق على أن يضعونى كاتضاعى عند نفسى ما قدروا عليه وقال أبو يونس بن عبيد الله رضى الله عنه وقد انصرف من عرفات لم أشك فى الرحمة لولا أنى كنت فيهم وقيل لمحمد ابن مقاتل ادع الله لنا فبكى وقال ياليتنى لم أكن أنا سبب هلاككم ومن علامات التحقق بهذا الخلق أن لا يغضب اذا عيب أو انتقص ولا يكره أن يذم ويقذف بالسكاتر ومن علامات تحققه به أيضا ان يشتد حرصه على أن لا يكون له جاه وقدر عند الناس ويلتزم الصدق فى حاله بان لا يرى لنفسه موضعا فى قلوبهم

قلوبهم وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ادفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه وحكى عن أبى الحسين بن الكرنبى أستاذ الجنيد رضى الله عنهما ان رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعامه ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى أدخله داره فى المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد ريضت نفسى على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيعود ويرمى له عظم فيجيب ولورددتنى خمسين مرة ثم دعوتنى بعد ذلك لاجبتك قال أبو طالب المكى رضى الله عنه وحدثت عن بعض الصوفية أنه وقف على رجل وهو يأكل فمد يده وقال ان كان ثم شئ لله تعالى فقال اجلس فكل فقال أعطنى فى كفى فاعطاه فى كفه فقعد فى مكانه يأكل فسأله عن امتناعه من الجلوس معه فقال ان حالى مع الله تعالى الذل فكرهت أن أفارق حالى قال وكان هذا ربما مد يده الى الهراس فيجعل فيها هريسة ومن أغرب ما رأيت فى التواضع ما ذكره صاحب كتاب عوارف المعارف قال رأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب وكنت معه فى سفره الى الشام وقد بعث بعض أبناء الدنيا له طعاما على رؤس الاسارى من الافرنج وهم فى قيودهم فلما مدت السفرة والاسارى ينتظرون الاوانى حتى تفرغ قال للخادم أحضر الاسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم وأكل وأكلوا وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله تعالى والانكسار فى نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بايمانه وعلمه وعمله * وأغرب من هذا ما ذكره صاحب كتاب بغية الطالب ومنية الراغب أبو الحسن على ابن عتيق بن يوسف القرطبى رحمه الله عن أبيه انه رأى الشيخ الفقيه أبا محمد بن عبد الله عبد الرحمن بن مفيد وكان من الفقهاء العلماء وهو يمشى فى يوم شات كثير الطين فاستقبله كلب يمشى على الطريق التى كان عليها قال فرأيته قد لصق بالحائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز وحينئذ يمشى هو فلما قرب منه الكلب قال فرأيته قد ترك مكانه الذى كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمشى فوقه قال فلما جاوزه الكلب وصلت اليه فوجدته وعليه كآبة فقلت له ياسيدى انى رأيتك صنعت الآن شيأ استغربته كيف رميت بنفسك فى الطين وتركت الكلب يمشى فى الموضع النقى فقال لى بعد ان عملت له طريقا تحتى تفكرت فقلت ترفعت على الكلب وجعلت نفسى أرفع منه بل هو والله أرفع منى وأولى بالكرامة لانى عصيت الله تعالى وأنا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له فنزلت عن موضعى وتركته يمشى عليه وأنا الآن أخاف المقت من الله الا

(التواضع الحقيقي هوما) أي انكسار وانهضام (كان ناشئا عن شهود عظمته تعالى وتجلي صفته)
يعني ان شهود عظمة الله تعالى وتجلي صفاته على العبد هو الذي يوجب له وجود التواضع الحقيقي
لان ذلك هو الذي يخمد النفس ويذيبها ويبطل أمانيها فما تجلى الله تعالى لشئ الا خضع له فلا ينقطع
من القلب شجرة الكبر وحب الرياسة الا به ونخرج بالحقيقي التواضع المتقدم وهو الذي ينشأ من
الفكر لنقص النفس وعيوبها فانه ليس حقيقيا لانه قد يكون مشوبا بشئ من الكبر والعجب ولذا قال
الجنيد قدس الله سره التواضع عند أهل التوحيد تكبر *(٩٠)* قال الغزالي ولعل مراده
ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيأ حتى يضعها اه فهو غائب عن نفسه وحسه بما يشاهده من عظمة ربه قال في عوارف المعارف لا يبلغ العبد حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وعند ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب اه ثم علل ما تقدم بقوله

أن يعفو عني لاني رفعت نفسي على من هو خير مني * التواضع الحقيقي هو ما كان
ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته) شهود عظمة الله تعالى وتجلي صفته هو
الذي يوجب للعبد وجود التواضع الذي ذكرناه لان ذلك هو الذي يخمد
النفس ويذيبها ويبطل أمنيتها فما تجلى الله تعالى لشئ الا خضع له فلا تنقلع من
القلب شجرة الرياسة والكبر الا به لا بما يتكلفه العبد ويتعاطاه بنفسه من
أعمال وأحوال قال الجنيد رضي الله عنه التواضع عند أهل التوحيد تكبر وقال
الشيخ أبو حامد رضي الله عنه ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها
والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيأ حتى يضعها أو يرفعها وقال ذو النون المصري
رضي الله عنه من أراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله فانها تذوب وتصغر
ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة عند
هيبته ومن أشرف التواضع أن لا ينظر الى نفسه دون الله تعالى وفي كتاب
عوارف المعارف واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور
المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر
والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها
(لا يخرجك عن الوصف الا شهود الوصف) هذه عبارة مليحة موافقة لمعنى ما تقدم
الآن والوصف المذكور أولا وصف العبد والوصف المذكور ثانيا وصف الرب
تبارك وتعالى (المؤمن يشغله الثناء على الله تعالى عن ان يكون لنفسه شاكرا
وتشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا) شكر النفس رؤية نسبة

(لا يخرجك عن الوصف) أي عن أوصاف نفسك كالكبر والعجب (الا شهود الوصف) أي
شهود صفة ربك كعظمته فالوصف المذكور أولا هو وصف العبد والمذكور ثانيا هو وصف الرب
وهذه قاعدة كلية شاملة لما تقدم ولغيره فلا خروج للعبد عن صفات نفسه الا بشهوده لصفات ربه فمن
شهد كبرياء الحق لم يبق به كبر ومن شهد غناه لم يبق له غنى ومن شهد قدرته لم تبق له قدرة فيبقى بربه
لا بنفسه فان من شهد أوصاف ربه لم يبق له خبر عن نفسه (المؤمن) الكامل (يشغله الثناء على الله)
أي وصفه بالاوصاف الجميلة ونسبة الاوصاف الحميدة اليه (عن ان يكون لنفسه شاكرا) أي معظما
لها بنسبة الافعال الجميلة والاحوال الحميدة اليها فاذا قال انا صليت أو صمت ونسب الافعال الجميلة
اليه لم يكن مؤمنا كاملا لان ذلك فعل الله تعالى والعبد مظهر لذلك فقط ظهر فيه الفعل فلا معنى
للاشتغال بالثناء على المظهر عن الثناء على الفاعل المعطي المنان فالمؤمن الكامل لا ينسب الافعال

الافعال الجميلة والاحوال الحميدة اليها وذلك ثناء عليها وهو مضادة للثناء على الله تعالى وذكر حظها من اعتقاد أن لها حقا على ما يفعله من الطاعات وهو مضادة للقيام بحقوق الله تعالى فالمؤمن الحقيقي لا يلتفت الى نفسه فى نسبة شئ من المحاسن اليها وفى طلب حظ عليه لها بل يشغله الثناء على الله تعالى والحرص على توفية جميع حقوقه عن جميع ذلك ﴿ليس المحب الذى يرجو من محبوبه عوضا ولا يطلب منه غرضا فان المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له﴾ المحبة تقتضي من المحب بذل كلياته وجزئياته فى مرضاة محبوبه من غير طلب حظ يناله منه فهذا مما يلزم وجود المحبة كما قيل

ان المحب اذا أحب حبيبه * تلقاه يبذل فيه مالا يبذل

بل يرى ما فعل من ذلك غاية الحظ وموافقة رضا محبوبه نهاية السعادة والبخت كما قال أبو حفص عمر بن الفارض رحمه الله تعالى

مالى سوى روحى وباذل روحه * فى حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد اسعفتنى * يا خيبة المسعى اذا لم تسعف

ولذلك قيل المحبة الايثار وهو أن لا يدع لمحبوبه ميسورا الا بذله ولا ممكنا الا استعمله ولا يبقى لنفسه ولا لحظه نفسا ولا سكنة ولا يستثني من كل مالا بد منه مسمة وأنشدوا

لئن بقيت فى العين منى قطرة * فانى اذن فى العاشقين ذليل

وقال أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببته حتى لا يبقى لك منك شئ وقال أبو يعقوب السوسي رضى الله عنه حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله تعالى وينسى حوائجه اليه وقيل لبعض المحبين وكان قد بلغ المجهود فى بذل ماله ونفسه حتى لم يبق منه بقية ما كان سبب حالك هذه فى المحبة فقال كلمة سمعتها من خلق لخلق عملت فى هذا البلاء قيل وما هى قال سمعت محبا خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت تعرض عنى بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبنى فأى شئ تنفق على فقال يا سيدى املكك ما أملك ثم أنفق عليك روحى حتى أهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بخلق الخالق وعبد لمعبود فكان هذا سببه فهذا الذى ذكرناه من لوازم المحبة الحقيقية وأما رجاء العوض وطلب الغرض فهذا حال من مقامه الرجاء وليس من مقام المحبة المخصوصة فى شئ قال الشاعر

من لم يكن بك فانيا عن حظه * وعن الهوى والانس بالاحباب
فلانه بين المراتب واقف * لمنال حظ أو لحسن مآب

وقال آخر

وما أنا بالباغى عن الحب رشوة * ضعيف هوى يرجو عليه ثوابا

الحسنة والاحوال السنية الى نفسه ولا يلتفت اليها فيكون لها شاكرا أى معظما بل يغيب عن ذلك بنسبتها الى موجدها ومنشئها وهو الله تعالى (وتشغله حقوق الله) أى الحرص على توفية حقوقه تعالى (عن أن يكون لحظوظه ذاكرا) أى ملتفتا لها بأن يعبد الله تعالى لذاته لا لطمع فى جنته أو هرب من ناره فانه (ليس المحب) الحقيقى (الذى يرجو من محبوبه عوضا) على عمل يعمله فلا يقصد باعماله الصالحة جنة ولا نجاة من نار (أو يطلب منه غرضا) من الاغراض الدنيوية والاخروية (فان المحب) أى الحقيقى (من يبذل لك) أى يعطيك (ليس المحب) الحقيقى (من تبذل له) لان المحبة الحقيقية أخذ جمال المحبوب لحبة القلب

فلا يصير عند المحب التفات لغير محبوبه فمن عبده تعالى لجنته فليس محبا له بل للجنة

(قال) أبو محمد رويم من أحب العوض بغض العوض اليه محبوبه وقيل أوحى الله عز وجل الى عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام انى اذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى وقال بعض المحبين كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين فى الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخشن ويتثنين فنظرت اليهن نظرة فعوقبت أربعين يوما قال ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن فى الحسن والجمال وقيل لى أنظر اليهن قال فسجدت وغمضت عينى فى سجودى لئلا أنظر اليهن وقلت أعوذ بك مما سواك لاحاجة لى بهن فلم أزل أتضرع الى الله تعالى حتى صرفهن عنى وذكر الشيخ الحافظ أبو نعيم رضى الله عنه قال ميسرة الخادم غزونا فى بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبى واذا هو مقنع بالحديد فحمل على الميمنة حتى ثناها وعلى الميسرة حتى ثناها وحمل على القلب حتى ثناه ثم أنشد يقول

أحسن بمولاك سعيد ظنا * هذا الذى كنت له تمنى
تنح ياحور الجنان عنا * مالك قاتلنا ولا قتلنا
لكن الى سيدكن اشتقنا * قد علم السر وما أعلنا

قال فحمل فقاتل حتى قتل منهم عددا كثيرا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فاذا هو قد حمل على الناس وأنشأ يقول

قد كنت أرجو ورجائى لم يخب * أن لا يضيع اليوم كدى والطلب
يامن ملا تلك القصور باللعب * لولاك ماطابت ولا طاب الطرب

فحمل وقاتل فقتل منهم عددا كثيرا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل الثالثة على الناس ثم أنشأ يقول

يالعبة الخلد قفى ثم اسمعى * مالك قاتلنا فكفى وارجعى
ثم ارجعى الى الجنان واسرعى * لا تطمعى لا تطمعى لا تطمعى

فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ولاجل ماذكرناه من اقتضاء مقام المحبة بذل كلية البذل من المحب لزم وقوع الابتلاآت والمطالبات به حتى يحصل له توفية حقوق هذا المقام على التمام ولهذا قال بعضهم أول مايقول الله عز وجل للعبد اطلب العافية والجنة والاعمال وغير ذلك فاذا قال لا ما أريد الا أنت قال له من دخل معى فى هذا فليدخل باسقاط الحظوظ ورفع الحدوث وثبوت القدم وذلك يوجب له العدم وقال بعض العلماء اذا رأيت تحبه ورأيته يبتليك فاعلم انه يريد أن يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه طولعت بشئ من المحبة فقال له يابنى هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرته عليه فقال لا قال لا تطمع نفسك فى المحبة فانه لا يعطيها أحدا حتى يبلوه وقال بعض علمائنا رضى الله تعالى عنهم كل أهل المقامات يرجون أن يعفو عنهم ويسمح لهم الا من ادعى المعرفة والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة مطالبة وفى كل حركة وسكون ونظرة وخطرة لله ومع الله وقال

(لولا ميادين النفوس) أي شهواتها وعاداتها وألوفاتها الشبيهة بالميادين أي مواضع ركض الخيل بجامع الجولان في كل فكما ان الخيول تجول في الميادين كذلك النفوس تجول في مشتهياتها والمعنى لولا هذه الشهوات التي تخوض فيها النفوس وتتعشقها (ما تحقق سير السائرين) أي ما تصور سير ولا سلوك الى حضرة ملك الملوك لانه تعالى أقرب لكل أحد من نفسه قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد فالبعد الذي يوجب السير الى المحبوب وسلوك الطريق للوصول اليه قائم بك أيها العبد وهو شهواتك واذا عدمت منك لم تحتج الى سير ولا سلوك لان البعد الذي * (٩٣) * يحتاج الى ذلك منفي عنه سبحانه وتعالى حسيا كان أو معنويا كما أشار الى ذلك بقوله (اذ لا مسافة) حسية (بينك وبينه حتى تطويها رحلتك) أي ارتحالك لان المسافة الحسية لا تكون الا بين متماثلين يصل أحدهما الى صاحبه (ولا قطعة) بضم القاف أي انقطاعا وعداوة (بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك) لان الانقطاع والعداوة لا يكونان الا بين متضادين متعاديين فيحتاج أحدهما الى الوصلة والمودة واين أنت من الله حتى تعاديه والحاصل أنك عند انتفاء الشهوات منك لا تحتاج الى سير لان السير الى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحو آثار دواعيها وغلبة أحكام طبيعتها وجبلتها حتى تطهر من ذلك وتحصل لها أهلية القرب من الله تعالى وتصل الى سعادة لقائه ولولا معاناة هذه الاشياء لم يتحقق السير والسلوك كيف والحق أقرب اليك من نفسك * فالبعد الحسي وهي المسافة التي تطويها رحلتك والبعد المعنوي وهي القطعة التي تمحوها وصلتك محالان في حقه تعالى لنفي المثلية في الاول وعدم الضدية في الثاني فنفسك هي الحجاب الاعظم عن الله وبمجاهدتها وقمعها وموتها تصل الى الله * وقال أبو مدين من لم يمت نفسه لم ير الحق وقال الاستاذ أبو العباس لا يدخل

ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه وكان له مقامات في المحبة رفيعة قلت ذات يوم رب ان كنت أعطيت أحدا من المحبين لك ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذلك فقد أضر بي القلق قال فرأيت في النوم انه أوقفني بين يديه فقال يا ابراهيم أما استحييت مني أن تسألني ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق دون لقاء حبيبه أم هل يستريح المحب الى غير معشوقه قال فقلت يارب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني كيف أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك انتهى فللمحبين دقائق خطرات ولطائف ملاحظات يظهر لهم بذلك الشوق في صفاء حبهم والبعد في مواطن قربهم فهم يفرون منها ويخرجون عنها مخافة أن تسترق بشيء من ذلك قلوبهم بأدنى ميل أو مساكنة فيوجب لهم ذلك السقوط من مقامهم الرفيع الذي أهل لهم وأهلوا له ولذلك قال محمد بن سهل بن عبد الله رضي الله عنه جناية المحب عند الله تعالى أشد من معصية العامة وهو أن يسكن الى غير الله أو يستأنس بسواه وقيل أوحى الله تعالى الى داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام يا داود اني حرمت على القلوب أن يدخلها حبي مع حب غيري ويحكى ان الله تعالى قال لموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام نعم العبد برخ هو لولا أن فيه عيبا قال يارب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن أحبني لم يسكن الى شيء (ويروى) ان عابدا عبد الله في غيضة دهرا طويلا فنظر الى طائر قد عشش في شجرة يأوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت ذلك الطائر قال ففعل فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك أبدا

(لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين اذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك) السير الى

الله تعالى وقطع عقبات النفس ومحو آثارها ودواعيها وغلبة أحكام طبيعتها
وجبلتها حتى تطهر من ذلك وتحصل لها أهلية القرب من الله تعالى وتصل الى
سعادة لقائه ولولا معاناة هذه الاشياء لم يتحقق السير والسلوك كيف والحق
تعالى أقرب الى العبد من نفسه فالبعد الحسي وهو المسافة التي تطويها رحلته
والبعد المعنوي وهي القطعة التي تمحوها وصلته محالان في حقه تعالى لنفي
الثلاثية في الاول وعدم العندية في الثاني وهذه الالفاظ التي عبر عنها المؤلف رحمه
الله تعالى من السير والميادين والرحلة والوصلة وفي معناها السير والسلوك
والذهاب والرجوع هي عبارات استعملتها الصوفية في أمور معنوية تجوّزوا بها
عن أمور حسية ومرجع جميع ذلك كله الى علوم ومعاملات يتصف بها العبد
لا غير وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف ههنا وما تقدم له قلنا غير ما مرة من ان
النفس هي الحجاب الاعظم للعبد عن الله تعالى وان بمجاهدتها وقمعها وموتها
تنال سعادة لقاء الله تعالى صحيح المعنى (قال) بعضهم ما الحياة الا في الموت أي
ما حياة القلب الا في اماتة النفس وقيل النعمة العظمى الخروج عن النفس لان
النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى وقال سيدي أبو مدين رضي الله عنه من
لم يمت لم ير الحق وقال سيدي أبو العباس رضي الله عنه لا تدخل على الله الا من
بابين باب الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعي ومن باب الفناء الذي تعنيه هذه
الطائفة وعن حاتم الاصم رضي الله عنه أنه قال من دخل في مذهبنا هذا فليجعل
في نفسه اربع خصال من الموت موت أحمر وموت أسود وموت أبيض وموت أخضر
فالموت الابيض الجوع والموت الاسود احتمال أذى الناس والموت الاحمر مخالفة
النفس والموت الاخضر طرح الرقاع بعضها على بعض وقال سهل بن عبد الله رضي
الله عنه للنفس سر ما ظهر ذلك السر على أحد من خلقه الا على فرعون فقال أنا
ربكم الاعلى ولها سبعة حجب سماوية وسبعة حجب أرضية فكلما يدفن العبد نفسه
أرضا أرضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفنت النفس تحت الثرى وصل القلب
الى العرش يعني اذا خالفتها وفارقتها وسبيل المريد الى الوصول الى موت النفس
انما يكون بتقديم الافتقار والالتجاء والرغبة الى مولاه في أن يعينه ويقوّيه على
أمر نفسه ويسهل عليه طريق سلوكه ويستعمل هذا في كل حال ووقت ويجعله
عمدته فيما هو بسبيله وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله ما توقف مطلب أنت
طالبه بربك وقال بعض العارفين لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وانما
يكون الخروج من النفس بالله ثم يشتغل بمراعاة حدود الشريعة والطريقة
في ظاهره وباطنه والتزام آدابهما ولكل عبد عمل مخصوص يقتضي لا محالة حكما
مخصوصا يقوم بحقه وذلك يختلف باختلاف أحوال الناس فحركات العبد

وحركاته

على الله الا من بابين باب الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعي وباب الفناء الذي تعنيه هذه الطائفة وعن حاتم الاصم من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه اربع خصال من الموت موت أحمر وهو مخالفة النفس وموت أسود وهو احتمال أذى الناس وموت أبيض وهو الجوع وموت أخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض ولا بد للمريد في هذه الطريق من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تأديب نفسه وتخلص من هواه فيسلم نفسه اليه ويلازم طاعته والانقياد اليه في كل ما يشير به عليه من غير ارتياب ولا تأويل ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقد استوفينا آداب المريد مع الشيخ وبينا من يصلح للشيخة في غير هذا الكتاب

وسكنته هى أعماله الظاهرة ومقصوده وهمه وارادته هى أعماله الباطنة وكل واحد من القسمين ينبغى أن يأخذ فيه بعزائم الامور ويجتنب الرخص التى هى من شأن العلمة والجهور وحسبما تقدم عند قوله من جهل المريد أن يسىء الادب فتؤخر العقوبة عنه فعمل الظاهر ان كان واجبا فليبادر الى فعله ولا يتوان عنه وليقم بجميع آدابه اللازمة له و يلتحق بذلك ما كان مندوبا اليه اذا علم فى أى مرتبة هو وانما اشترطنا هذا الشرط لان المندوبات التى تعترضه يحتاج فيها الى تقديم الاولى فالاولى والاهم فالاهم منها فان لم يعمل على هذا وقدم ما ليس بأهم كان متبعا الهوى لا موجب العلم وليأخذ فى ذلك بالقصد من غير افراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وفى حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا وان أفضل العمل أدومه وان قل وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر وان يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وبشروا وان كان حراما فليبادر الى تركه واجتنابه وليقطع عن نفسه جميع أسبابه ويلتحق بذلك ما يكون مكروها وان كان مباحا فهذا هو محل نظر المريد فعليه أن يأخذ بالعزيمة فيه وليقف على حدود الضرورة منه وليكن اجتنابه لما يشتد ميل النفس اليه ويعظم حرصها عليه أكثر من اجتنابه لما فقد منه ذلك ويختلف ذلك باختلاف الاشخاص فرب شخص تميل نفسه الى ما لا تميل اليه نفس شخص آخر فليشتغل المريد بقطع ذلك وزوال علاقته من قلبه بالرياضة والمجاهدة وليستمر على ذلك حتى يكون وقوفه على ما لا بد له منه على وجه الطاعة والقربة لا على سبيل الهوى والشهوة ومما يشتد ميل نفوس أكثر الناس اليه ما يكون بسبب تناوله واستعماله مراعاة نظر الخلق والجرى على عوائدهم السيئة ومراسمهم المذمومة ومجاهدة النفس فى مثل هذا عسيرة جدا لاسيما من ابتلى بحب الجاه والرياسة وقبول الخلق فى ولاية حكم أو نشر علم أو غير ذلك فانها أشد الشهوات علاقة بالقلب وأضرها بالمريد فيجب عليه أن يعتنى بذلك ويبالغ فى تطهير ظاهره وباطنه منه مما يتعاطاه من أعمال وأحوال وقد نبهنا على هذا المعنى فى أول الكتاب عند قول المؤلف رحمه الله تعالى ادفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه ويتعين على المريد فى رياضته ومجاهدته أن يمنع حواسه ويكف جوارحه عن التطلع والجولان فى مظان وجدان شهواته وسيئ عاداته وأن لا يجامعها ولا يتفق معها فان ذلك منشأ كل شر ومنبع كل فساد وضر كما قيل

ان السلامة من سلمى وجارتها * أن لا تمر على حال بواديها

فيراقب ربه ويحفظ جوارحه وقلبه فان الانسان قد يتحرك مثلا في طلب الخير والعمل من أعمال البر فيتفق أن تقع بصره على شئ له فيه هوى وشهوة فتميل نفسه اليه بالشره والمحبة فيتكدر عليه وقته ويظلم نابه ويختل عليه في لحظة ما كابد أمره في سنة مثلا وكذلك سائر حواسه وقد شبه العلماء رضى الله عنهم النفس في مثل هذا بدابة استعارها رجل من ربها ومالكها ليتصرف بها في حاجاته وكانت دابة جموحا صعبة المراس فجاز بها المستعير في بعض تصرفاته على دار مولاها فنزعت الى داره سيدها فانه لامحالة يحتاج الى صرف عنانها فان تقاعست ضربها بالسوط والعصا حتى يصرفها بذلك عما نزعت اليه وقد يكون عليه في ذلك تعب ومؤنة وسبب ذلك اغماه وخطوره بها على دار مولاها الذي ألفته واعتادته ولولم يمر بها عليه لسلم ولم يحتج الى معاناة ولامكابدة فان تغافل عنها حتى أدخلت يديها في عتبة الباب واستمكنت منها ثم أراد منعها من الدخول لم تطعه بوجه بل اقتحمت به باب الدار كرها وربما جرحت رأسه وآلمته وسبب ذلك اغماه وتمكينها من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها فكذلك حال النفس قال

فالنفس ان أعطيتها هواها * فاغرة نحو هواها فاها

فلذلك كانت الخلوة والعزلة من أوجب الواجبات على المريد فان نفسه اذ ذاك تكون ساكنة هادئة قد نسيت عوائدها وفترت دواعيها وبمداومته على ذلك يحصل له من التزكية والتحلية والاستقامة والطمأنينة ماهو المقصود بالرياضة والمجاهدة فان اعتراه شئ مما ذكرناه اختل عليه حاله واحتاج من أجل ذلك الى المجاهدة الشاقة والرياضة الصعبة وأنى له مع ذلك تلافي مافاته وقد قالوا وقفة المريد شر من فترته (قال) الامام أبو القاسم القشيري رضى الله عنه والفرق بين الوقفة والفترة ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة خروج عن السير باستيلاء حالات الكسل وكل مريد وقف في ابتداء ارادته لايجئ منه شئ انتهى كلامه رحمه الله فبدايات الامور هي التي يجب أن يراعيها المريد والله ولى التوفيق والتسديد ولاغنى للمريد في هذا القسم عن تحصيل مايحتاج اليه من العلوم الشرعية على ماينبغي وعمل الباطن يرجع حاصله الى أمر واحد وهو اخلاص التوحيد لله عز وجل باعتقاد العبودية له وذلك بأن يحمل نفسه على الاستسلام لاحكام الله تعالى وترك المنازعة والتدبير والاختيار بين يديه وهذا المعنى هو الذي ضمنه المؤلف رحمه الله كتابه التنوير في اسقاط التدبير فليستعن المريد على ذلك به ولايقصد برياضته ومجاهدته التوصل الى شئ من الكرامات وخرق العوائد وأنواع الاجابات فان ذلك فتنة وبلية قاطعة عليه طريق

العبودية (قال) أبو عثمان المغربي رضي الله عنه من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خاليا من جميع الأذكار الاذكر ربه وخاليا من جميع الارادات الارضا ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب وان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنة أو بلية (وقال) الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه من عمل لجد أو يرى لم يفتح له بشئ حتى يكون قصده تحقيق العبودية والقيام بما يجب عليه من حقوق الربوبية (قال) صاحب كتاب عوارف المعارف من دخل الخلوة معتلا في دخوله دخل عليه الشيطان وسوّل له أنواع الطغيان وامتلأ من الغرور والمحال وظن انه حصل على حسن الحال قال وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها وأقبلوا على ذكر من الاذكار واستجمعوا نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة في جمع الهم لها تأثير في صفاء الباطن مطلقا فكل ما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتج تنوير القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بالاخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبئ صفاء في النفس يستعان به على اكتساب علوم رياضية مما يعتني به الفلاسفة والدهريون وكلما أكثر من ذلك كثر البعد من الله تعالى ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية أو بما قد يتراءى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه كل الركون ويظن انه قد فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليست هي المقصودة من الخلوة لقول بعضهم الحق يطلب منك الاستقامة وأنت تطالبه بالكرامة وقد يفتح على الصادقين بشئ من خرق العادات وصدق الفراسة وتبين ما يستحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم عدم ذلك وانما يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة وما يفتح من ذلك على الصادقين يصير سبب مزيد انتفاعهم والداعي لهم الى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود من العبادات ذكر الله تعالى وترك متابعة الرسول ثم يتدرج من ذلك الى التلحد والتزندق نعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لاقوام خيلات يظنونها وقائع ويسمونها بوقائع المشايخ من غير علم

بحقيقة ذلك انتهى كلامه رحمه الله وهو فى غاية الحسن ونهاية التحقيق فبمداومة العبد على مثل هذه الاساليب التى ذكرناها مشاهد التوفيق ربه عز وجل وتأييده له يحصل له من الله مزيد كثير وعند ذلك يتطهر باطنه من جميع الآفات وخبائث الصفات وتستنير سريرته بأنوار المكاشفات والملاطفات وقد عبر الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه عن طريق موت النفس بعبارات صحيحة مليحة فقال قتل النفس فى الحقيقة التبرى من حولها وقوتها أو شهود شئ منها ورد دواعيها اليها وتشويش تدبيرها عليها وتسليم الامور الى الحق سبحانه بجملتها وانسلاخها من اختيارها وارادتها وانمحاء آثار بشريتها عنها فأما بقاء الرسوم والهياكل فلا خطر لها ولا عبرة انتهى فهذه هى السبيل الى موت النفس المفضى الى حضرة القدس لكونه جاريا على مقتضى الشريعة والحقيقة اللتين بأنوارهما يهتدى كل سالك ومريد ولا بد للمريد فى هذه الطريقة من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تهذيب نفسه وتخلصه من هواه فليسلم نفسه اليه وليلزم طاعته والانقياد اليه فى كل ما يشير به عليه من غير ارتياب ولا تأويل ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقد قال أبو على الثقفى رضى الله عنه لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ أو امام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب نفسه ورعونات أعماله لا يجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات (وقال) سيدى أبو مدين رضى الله عنه من لم يأخذ الادب من المتأدبين أفسد من يتبعه وقال المؤلف رحمه الله فى لطائف المنن انما يكون الاقتداء بولى دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته فى وجود خصوصيته فألقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك فى كائنها ودقائقها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك فى طريقك حتى تصل الى الله يوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك معرفة اساءة نفسك الهرب عنها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه قال فان قلت فأين من هذا وصفه لقد دللتنى على أغرب من عنقاء مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان الدالين وانما يعوزك وجدان الصدق فى طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك فى آيتين من كتاب الله تعالى قال الله سبحانه أمن يجيب المضطر اذا دعاه وقال سبحانه فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف الى الامن لوجدت ذلك أقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت الى

الله اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك انتهى وفى كلامه رحمه الله تنبيه على أن الشيخ من منح الله وهداياه للعبد المريد الصادق اذا صدق فى ارادته وبذل فى مناصحة مولاه جهد استطاعته لا على ما قد يتوهمه من لا علم عنده وعند ذلك يوفقه الله تعالى لاستعمال الآداب معه لما أشهده من عالى مرتبته ورفيع درجته (قال) سيدى أبو مدين الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من هذبك باخلاقه وأدبك باطراقه وأنار باطنك باشراقه الشيخ من جمعك فى حضوره وحفظك فى مغيبه وقال المؤلف رحمه الله فى لطائف المنن وليس شيخك من سمعت منه انما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته انما شيخك الذى أثرت فيك اشارته وليس شيخك من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله انما شيخك الذى نهض بك حاله شيخك هو الذى أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذى مازال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك الى الله فنهضت اليه وسار بك حتى وصلت اليه ولا زال محاذيا لك حتى القاك بين يديه فزج بك فى أنوار الحضرة وقال ها أنت وربك اه وآداب المريد مع الشيخ والشيخ مع المريد كثيرة مذكورة فى كتب الائمة الصوفية رضى الله عنهم ومن أبلغ ذلك وأوجزه ما ذكره الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه قال فشروط المريد أن لا يتنفس نفسا الا باذن شيخه ومن خالف شيخه فى نفسه سرا أو جهرا فسوف يرى عنه من غير ما يحبه سريعا ومخالفة الشيوخ فيما يسرونه منهم أشد مما يكابدونه بالجهد وأ كثر لان هذا يلتحق بالخيانة ومن خالف شيخه لم يشم رائحة الصدق فان برز منه شئ من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والافصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه الى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم فى الغرامة ما يحكم به عليه فاذا رجع المريد الى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فان المريدين عيال على شيوخهم فرض عليهم أن ينفقوا من قوت احوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم انتهى وقال الشيخ العارف محيي الدين أبو العباس البونى رحمه الله اياك أن تحقر فعلا يخطر لك أن لا تلقيه الى الشيخ طاعة كان أو معصية على أى نوع برز لك ولو اختلف عليك ألف مرة فى ساعة واختلفت اليك ألف ساعة فى الخاطر ليعلمك الدواء الذى ترجع به أو يحمل عنك بهمته قال ولقد رأيت تلميذا من أصحاب شيخنا الامام تاج العارفين أبى محمد عبد العزيز بن أبى بكر القرشى المهدوى رحمه

الله تعالى وكنت جالسا عنده فدخل عليه فقير وفي يده باقلاة فقال له ياسيدي اني وجدت هذه الباقلاة فما أصنع بها فقال له اتركها حتى تفطر عليها فقلت ياسيدي حتى الباقلاة يعلم بها قال ياولدي لو خالفني في لحظة من خطراته لم يفلح أبدا فاذا جوهدت النفس بهذه المجاهدات وقوتلت بهذه المقاتلات رجعت عن جميع مألوفاتها الدنيئة وعاداتها الرديئة وزال عنها النفور والاستكبار ودانت لمولاها بالعبودية والافتقار وتركت أعمالها وصفت أحوالها وهذه هي خاصيتها التي خلقت لاجلها ومزيتها التي شرفت من قبلها وانما ألفت سوى هذه لمرض أصابها من الركون الى هذا العالم الادنى والانس بالشهوات التي تزول وتفنى حتى امتنع عليها ما خلقت لاجله من موجب سعادتها وغاية شرفها وافادتها فلما تعالجت بما ذكرناه عادت الى الصحة والى طبعها الاصلي فألفت العبودية والتزمتها وصارت بذلك مطمئنة صالحة لان يقال لها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي * قال الشيخ العارف أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه النفس المطمئنة هي التي تخلصت من السوء ولم يبق بينها وبين السوء نسبة وكانت مباديها في الاكتساب الايمان والرضا المكتسب فلما صفت وتطهرت من جميع المخلوقات وزال عنها الحجاب الذي هو صفة الخلق سمعت النداء من مكان قريب فأجابت لعدم الحجاب فخرجت للواهب والرضا الوضعي الوهبي الذي قال الله فيه رضي الله عنهم ورضوا عنه فدخلت في رضا الله المطلوب الموهوب وفي عباده وجنته لا في جنتها بوصف كسبها وأعمالها اهـ وعلامة وصول المريد الى هذا المقام الحميد أن تستوي عنده الاحوال ولا يتأثر باطنه بما يواجه به من قبح الافعال والاقوال لاستغراق قلبه في مطالعة حضرة الكمال * قال أبو عثمان الحيري رضي الله عنه لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في أربعة أشياء في المنع والعطاء والعز والذل * وقال محمد بن خفيف رضي الله عنه قدم علينا بعض أصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت أخدمه وآخذ منه الطشت طول مرضه فتفترت مرة فقال لي نمت لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله فقال كقوله رحمك الله وحكي عن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال ما سررت في الاسلام الا مرات معدودات كنت في مركب يوما وكان به رجل يحكي الحكايات المضحكة فيضحك منه الناس وكان يقول رأيت وقتا في معركة الترك علجا فقلت هكذا وكان يأخذ بلحيتي ويمر يده على حلقي هكذا والناس يضحكون منه ولم يكن في ذلك المركب عنده أحد أصغر مني

ولا أحقر فسررت بذلك وكان يوم آخر كنت جالسا فجاء انسان وصفعني من غير سبب ويوم آخر كنت جالسا فجاء انسان و بال على * وكان في وقت حاتم الاصم رضي الله عنه رجل يسيء القول فيه وفي أصحابه ويواجههم كل يوم بالقبيح فوقع عليه جذع من السقف في بعض الايام في حال مواجهة القوم بالسب والشتم فمات فقال الحمد لله فقيل له هذا خلاف ما أمرنا به فقال ما حمدت الله شماتة بموته بل حمدت الله اذ لم أسر بنكبته * هذا وأشباهه من أحوالهم معلوم ضرورة * وأبلغ من هذا كله محبة الموت وكراهية البقاء في الدنيا شوقا الى لقاء المولى قال بعضهم حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها فاذا وجد المريد هذه العلامات في نفسه فقد خرج من عالم جنسه و وصل الى حضرة قدسه وكان كما قال الشاعر

لك الدهر طوع والانام عبيد * فعش كل يوم من زمانك عيد

وكما قال سيدي أبو العباس بن العريف رضي الله عنه في هذا المعنى

بدا لك سر طال عنك اكتتامه * ولاح صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيبه * ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنبت * على مركب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه * شهي الينا نثره ونظامه
اذا سمعته النفس طاب نعيمها * و زل عن القلب المعنى غرامه

وأنشدوا في معناه أيضا رضي الله عنهم أجمعين

قولي لا مالي ألا فابعدي * قد أنجز الاحباب لي موعدي
قد كنت قبل اليوم مستأنسا * من نخل مشفق مسعد
اذا نسيم الوصل من نحوهم * هب فلي عندك ظل ندي
وحيث لاحت لي اعلامهم * فليس لي فقر الى مرشدي

وان لم يجدها في نفسه فليستمر على سلوكه ومجاهداته ولا يغتر بما قد يتراءى له من سيء حالاته فانه لم يصل بعد ولم يحصل له من هوى نفسه فقد وليس طريق موت النفس بقطع جميع الارفاق عنها وردها الى الاجتزاء بالخشن والنخالة والمبالغة في التقشف والتقلل مع قطع النظر عن أحوال القلب وهممه وقصور اراداته وترك الالتفات الى ما يحمد منها وما يذم فذلك كله غلو وبدعة وقد غلط في ذلك طوائف من الناس عملوا عليه في رياضاتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك اخلاص العبودية لربهم فأداهم ذلك الى اختلال عقولهم وانحلال قوى أبدانهم ولم يحصلوا من أمرهم على فائدة وذلك لجهلهم بالسنة

(جعلك) أيها الانسان (فى) زبدة (العالم المتوسط بين ملكه وملكوته) أى جعلك العالم المتوسط بين عالم الملك وهو عالم الشهادة وعالم الملكوت وهو عالم الغيب فالانسان ليس من عالم الملك محضا ولا من عالم الملكوت محضا بل هو متوسط بينهما حسا ومعنى أما حسا فلأن الله تعالى خلقه بين السماء والارض وغيره من الحيوانات وغيرها مخلوق لاجل انتفاعه به وأما معنى فلان الله تعالى خلقه فى أحسن تقويم وجعله متضمنا لاسرار جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار بذلك روحانيا جسمانيا سماويا أرضيا ولذا يقال له العالم الاصغر ويقال انه نسخة من العوالم ففيه من صفات الملائكة العقل والمعرفة والعبادة ومن صفات الشياطين الاغواء والتمرد والطغيان ومن صفات الحيوانات أنه فى حالة الغضب يكون أسدا وفى حالة غلبة الشهوة يكون خنزيرا لايبالى أين يلقى نفسه وفى حالة الحرص على الدنيا والشره يكون كلبا وفى حالة الاحتيال والخداع *(١٠٢)* يكون ذئبا ومن صفات النبات والاشجار أنه يكون فى مبدئه رخوا ناضرا يانعا وفى آخره يابسا أسود ومن صفات السماء أنه محل الاسرار والانوار ومجمع الملائكة ومن صفات الارض أنه محل لنبات الاخلاق والطباع ومنه اللين والخشن ومن صفات العرش أن قلبه محل التجلى واللوح أنه خزانة العلوم والقلم أنه ضابط لها والجنة أنه اذا حسنت أخلاقه تنعم به جليسه والنار انه اذا قبحت أخلاقه احترق به جليسه وكنت وانما جعلك كذلك (ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته) وأنها كلها مسخرة اليك ومخلوقة لاجل انتفاعك بها فينبغى لك أن ترفع همتك عنها وتشتغل بمولاك قال أبو العباس المرسى الاكوان كلها عبيد مسخرة لك وأنت عبد الحضرة فهذا يتعلق بالتوسط الحسى على مامر وأشار الى مايتعلق بالتوسط المعنوى بقوله (وانك جوهرة تنطوى عليك أصداف مكوناته) أى أصداف هى مكوناته أو مكوناته الشبيهة بالاصداف جمع صدفة وهى مافيه الجوهرة وانطواؤها عليه من حيث ان صفات جميعها فيه على مامر ولم يخلق على هذه الصفة الا الانسان فلذا خلقه الله على صفاته وجعله خليفة فى تنفيذ أمره ونهيه وجعل له وجهتين وجهة الى الحق ووجهة الى الخلق وأما الملائكة ومن فى معناهم من الروحانيين فليس لهم الا الوجهة الاولى وهذا فى جملة كل انسان لكن لايظهر له الا بعد الرياضة والمجاهدة ويسمى حينئذ الانسان الكامل وهذه أسرار لاتدرك الا بالذوق ولاتفشى لغير أربابها ثم أشار الى خاصية أخرى لذلك الانسان بقوله

ومما كان عليه سلف هذه الامة * جعلك فى العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة تنطوى عليك أصداف مكوناته) خلق الله تعالى الانسان فى أحسن تقويم وأتم تسوية وتعديل وجعل بنيته متضمنة أسرار جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار لذلك روحانيا جسمانيا أرضيا سماويا ولذلك يقال له العالم الاصغر وهذا هو الذى يظهر لى فى معنى جعلك فى العالم المتوسط بين عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة وعالم الملكوت هو عالم الغيب فلا جرم لما كان الانسان بهذه المثابة من كونه نخبة جميع الموجودات الجسمانيات والروحانيات كان الاكوان كلها له باعتبار احاطتها وحفظها له بمنزلة القشر والصوان الذى يحفظ الشئ ويصونه وكان هو بمنزلة الجوهرة النفيسة التى تحويها الصدفة والمقصود من هذا أن يعرف الانسان جلالة قدره وفخامة أمره فيعلو بهمته الى المراتب السامية اللائقة به وذلك باخلاص العبودية لربه عز وجل وقطع النظر عن كل ماسواه وينظر فى هذا المعنى الى ماقال الشاعر

لقد كنت كرسيا وعرشا وجنة * ونارا وأفلاكا تدور وأنجما

(انما وسعك الكون) أى العالم السفلى وهو الارض (من حيث جثمانيتك) بضم الجيم أى جسمك لأن جسمك بعض الكون محتو وفيه ومصالحه غير خارجة عنه (ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك) أى روحك لأنها ليست من هذا العالم ولا مناسبة بينها وبينه فلا تصلح أن تتعلق بشئ منه بل لا تصلح أن تتعلق الا بالمولى سبحانه والحاصل أن الانسان مجموع *(١٠٣)* شيئين جسم وروح وبين الجسم والكون مناسبة ومجانسة فهو متوقف على الكون فان تعاطى منه ما يقوم به بقى فى هذا العالم والا هلك حسبما جرت به العادة الالهية وليس بين الروح والكون مجانسة ولا مناسبة فلا تصلح أن تكون متعلقة به بل بالمكون وهو المولى جلت قدرته وحينئذ ينبغى السعى فى تكميلها بالاذكار والرياضات حتى تزول عنها الكدورات البشرية وتصلح لتعلقها بحضرة الرب الذى هو شأنها الاعظم وأما الجسم فلا ينبغى الاهتمام بما يصلحه فان الله متكفل به ولابد ولذا قيل * ياخادم الجسم كم تشقى بخدمته * وتطلب الربح مما فيه خسران * عليك بالنفس فاستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم انسان (الكائن فى الكون) أى الموجود فى الدنيا (ولم تفتح له ميادين الغيوب) أى لم يفتح قلبه للعلوم والمعارف الشبيهة بالميادين (مسجون بمحيطاته) أى بشهواته ولذاته وعاداته المحيطة به من المآكل والملابس والمشارب (ومحصور فى هيكل ذاته) أى هيكل هو ذاته النفسانية والمراد شهواته ولذاته فهو مرادف لما قبله

وكنت من السر المصون سريرة * وأدركت هذا بالحقيقة ادراكا
ففيم التمادى فى الحضيض تثبطا * مقيما مع الاسرى أما آن اسراكا

وكان الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه يقول الاكوان كلها عبيد مسخرة لك وأنت عبد الحضرة * وقد ورد فى بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم أنا بدك اللازم فالزم بدك * وفى بعض الآثار المروية عن الله عز وجل يا ابن آدم خلقت الاشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تشتغل بما هو لك عمن أنت له وقال الواسطى رضى الله عنه فى معنى قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم قال بأن سخرنا لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا فى تخير شئ ويتفرغوا الى عبادة ربهم

(انما وسعك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك) انما وسعك الكون من حيث جثمانيتك لوجود المناسبة والمجانسة ووسعه لك باعتبار ما ذكرناه انما هو باكتفائك به وقضاء أوطارك منه ووقوف أملك فى نيل حاجاتك عليه ولا خاصية لك فى هذا أيها الانسان لأن مرتبتك أجل من ذلك وانما لم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لعدم المناسبة فلا يسعك حينئذ ولا يناسبك الا التعلق بالمكون وهذه هى خاصيتك التى فيها سموك وعلوك ورفعة قدرك فلم تهملها وتحط منها الى أسفل سافلين قال أبو عبد الله بن الجلاب رضى الله عنه من دلت همته عن الاكوان وصل الى مكونها ومن وقف بهمته على شئ من الخلق فاته الحق لانه أعز من أن يرضى معه شريكا وسئل أحمد بن خضرويه رضى الله عنه أى الاعمال أفضل فقال رعاية السر عن الالتفات الى شئ سوى الله *(الكائن فى الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور فى هيكل ذاته)* فمن لازم الكون وبقى معه وقصر همته عليه ولم تفتح له ميادين الغيوب الملكوتية ولا خلص سيره الى فضاء مشاهدة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور فى هيكل ذاته وهذه هى صفات أصحاب النار كما قال الله تعالى أحاط بهم سرادقها وليس فى جهنم عذاب أعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال الله تعالى واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وما ذكرناه هو حال من بقى مع نفسه وعمل على نيل حظه كائنا ما

كان وفي بعض الآثار المروية عن الله عز وجل عبدي اجعلني مكان همك أكفك كل هم ما كنت بك فأنت في محل البعد وما كنت بي فأنت في محل القرب فاختر لنفسك ❊ أنت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك) فرق ما بين كونك مع الاكوان وكون الاكوان معك فان كونك مع الاكوان يقتضي تقييدك بها وحاجتك اليها فأنت بذلك عبد لها ثم هي خاذلتك ومسلمتك أحوج ما تكون اليها وهذه حالة خسيسة يقتضيها عدم شهودك للمكون وكون الاكوان معك يقتضي ملكك لها واستغناءك عنها فأنت حينئذ حر عنها وهي محتاجة اليك وخادمة لك ومتبركة بك حتى الجمادات والحيوانات ❊ قال الشبلي رضي الله عنه ليس يخطر المكون ببال من عرف المكون انتهى وهذه حالة نفيسة يقتضيها شهودك للمكون قال بعض المشايخ رضي الله عنهم أنا أدخل السوق والاشياء تشتاق الي وأنا عن جميعها حر وعن الزين الكبير رضي الله عنه قال كنت مع ابراهيم الخواص في بعض أسفاره فاذا عقرب تسعى على فخذه فقمت لاقتلها فمنعني وقال دعها كل شيء مفتقر الينا ولسنا مفتقرين الى شيء وقال محمد بن المبارك الصوفي رحمه الله كنت مع ابراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس فنزلنا في وقت القائلة تحت شجرة رمان فصلينا ركعتين فسمعت صوتا من أصل الرمان يا أبا اسحق أكرمنا بأن تأكل منا شيأ فطأطأ ابراهيم رأسه فقال ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا اليه ليتناول منا شيأ فقلت يا أبا اسحق لقد سمعت فقام فأخذ منها رمانتين فأكل واحدة وناولني الاخرى فأكلتها وفي غير هذه الحكاية ان الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامض وأنها تطعم في كل عام مرة ففعلت وارتفعت وحلا رمانها وصارت تطعم في كل عام مرتين وكانت السباع تجيء الى سهل بن عبد الله رضي الله عنه فيدخلهم بيتا عنده ويضيفهم ويطعمهم اللحم وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت في البادية مرة فسرت في وسط النهار فوصلت الى شجرة وبالقرب منها ماء فنزلت فاذا أنا بسبع عظيم قد أقبل فلما قرب مني اذا هو يعرج فهمهم وبرك بين يدي ووضع يده في حجري فنظرت فاذا يده منتفخة فيها قيح ودم فأخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح ومسحته وشددت على يده خرقة فمضى فاذا أنا به بعد ساعة جاء ومعه شبلان يبصبصان لي وحملا الي رغيفا وقال بعضهم أشرفت على ابراهيم بن أدهم وهو في بستان يحفظه وقد أخذه النوم واذا حية في فيها طاقة نرجس تروحه بها ❊ وحكي عن أبي اسحق الصعلوكي رحمه الله تعالى قال خرجت مرة الى الحج فبينما أنا في البادية اذ تهت فلما جن علي الليل وكانت ليلة قمراء فسمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا

(أنت مع الاكوان) أي موقوف معها ومستند اليها وهي مستعبدة لك (ما لم تشهد المكون) فيها (فاذا شهدته) فيها (كانت الاكوان معك) أي كنت مستغنيا عنها ومالكا لها وهي محتاجة اليك وخادمة لك فاذا طلبت منها شيأ حصل واذا قلت للشيء كن كان باذن الله تعالى ولذا كان بعض الاولياء يقول للسماء أمطري فتمطر وللريح هبي فتهب وسبب ذلك غيبته عنها بشهود مكونها ومعلوم أن حالة الشهود يغيب فيها الولي عن حسه وعن بشريته ولا يلزم من ذلك فناؤها ولذا قال

(لا يلزم من ثبوت الخصوصية) أى ما يخصك الله به من القوة والقدرة على التصريف فى المكونات والكشف عن أحوالها وغير ذلك (عدم وصف البشرية) كفقر وضعف وعجز وذل وجهل لان الوصف البشرى أمر ذاتى لازم للعبد والامور الذاتية اللازمة يستحيل عدمها ثم ضرب لذلك مثلا من المحسوسات بقوله (انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار) أى كشمس النهار المشرقة (ظهرت فى الافق) أى نواحى السماء (وليست منه) أى ليست من ذاتياته وكما أن شمس النهار اذا ظهرت على الآفاق الظلمة كما استنارت واذا غربت رجعت * (١٠٥) * الى حالها من الظلمة لان النور ليس ذاتيا لها بل هو عرض والامور العرضية لا تزيل الذاتيات كما مر كذا الاوصاف البشرية القائمة بذاتك كالفقر والعجز والضعف شبيهة بالليل فاذا ظهر عليها شمس التجلى بأن تجلى الله عليك بصفة الغنى والقدرة استنارت ذاتك أى حصل لها نور بالغنى والقدرة واذا قبض عنها ذلك رجعت الى حالها والى هذا أشار بقوله (تارة تشرق شموس أوصافه) أى أوصافه تعالى الشبيهة بالشموس (على ليل وجودك) أى على

١٤ عباد

أوصافك الذاتية الشبيهة بالليل فتظهر خصوصيتك فتكون قادرا بالله قويا به غنيا به وهكذا فاذا تجلى عليك بصفة القدرة حدث فيك قوة فطحت عزك أو بصفة العلم حدث فيك علم غطى جهلك وهكذا (وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك) من العجز والضعف والجهل وغير ذلك فلا تظهر خصوصيتك ولذا كان عليه الصلاة والسلام تارة يظهر عليه وصف القوة والقدرة فيطعم الفا من صاع وتارة يظهر عليه وصف العجز فيشد الحجر على بطنه من الجوع وكذا ورثته من الاولياء (فالنهار) وهو تلك الخصوصيات التى ظهرت عليك (ليس منك واليك) أى ليس من أوصافك الذاتية (ولكنه وارد عليك)

اسحق قد انتظر تك من الغداة قال فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما عرفته ومنها ما لم أعرفه فقلت من أين أنت فقال من مدينة شمساط كنت فى عز وثروة فطالبتنى نفسى بالعزلة فخرجت وقد أشرفت على الموت فسألت الله تعالى أن يقيض لى وليا من أوليائه فارجو أنك هو قال فقلت له ألك ولدان قال نعم واخوة واخوات فقلت هل اشتقت اليهم والى ذكرهم فقال لا الا اليوم أردت أن أشم ريحهم فاحتوشتنى السباع والبهائم وبكين معى وحملن الى هذه الرياحين قال فبينما أنا فى تلك الحالة ترق له قلبى اذا بحية أقبلت فى فمها طاقة ترجس فقالت دع شرك عنه فان الله تعالى يغار على أوليائه قال فغشى على فما أفقت حتى خرجت نفسه رحمة الله تعالى عليه ورضوانه ثم وقع على سبات فانتبهت وأنا على الجادة قال فدخلت مدينة شمساط بعد ما حججت فاستقبلتنى امرأة فما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتنى قالت يا أبا اسحق كيف رأيت الشاب فانى انتظرك منذ ثلاث فذكرت لها القصة الى أن قلت قال أردت أن أشم ريحهم فصاحت وقالت آه بلغ الشم الشم وخرجت نفسها فخرجت أتراب لها عليهن المرقعات والفوط فتكفلن أمرها وتولين شأنها رضى الله عنهم أجمعين فهكذا حال من يكون عظيم الهمة شريف الارادة والنية لا يساكن أحدا من المخلوقات ولا يوطن نفسه على شئ من المصنوعات فيتكفل الله تعالى بامره ويجعل الكون خادما له بأسره رزقنا الله تعالى واياكم ما رزقهم ووفقنا كما وفقهم بجوده وكرمه

* لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت فى الافق وليست منه تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك فالنهار ليس منك واليك ولكنه وارد عليك) ثبوت الخصوصية للعبد لا يلزم منه

من حضرة الحق سبحانه فان شاء الله أبقاه وان شاء الله أزاله ولذا ترى بعض الاولياء في بعض الاحيان عندهم قوة بطش وفي بعضها يكونون عاجزين ومع هذا شموس أنوار قلوبهم وهي المعارف والاسرار لا تغيب ولا تغرب كما مر وانما الذي يغيب هو الخصوصيات التي تظهر على ظواهرهم وهي الشموس المرادة هنا فلا تعارض ثم قال (دل بوجود آثاره) أي مكوناته ومصنوعاته المتقنة المحكمة (على وجود أسمائه) اذ لا يصدر ذلك الا من قادر مريد عالم (وبوجود أسمائه على * (١٠٦) * ثبوت أوصافه) من القدرة والارادة والعلم (وبثبوت أوصافه على وجود ذاته اذ محال أن يقوم الوصف بنفسه) وهذا حال السالكين فان أول ما ظهر لهم الآثار وهي الافعال فيستدلون بها على الاسماء وبالاسماء على الصفات وبالصفات على وجود الذات وهم الذين يقولون ما رأينا شيأ الا رأينا الله بعده وأما المجذوبون فبالعكس كما أشار الى ذلك بقوله (فارباب الجذب يكشف لهم) أولا (عن كمال ذاته) أي عن ذاته الكاملة فيدركون عيانا ادراك ذوق (ثم يردهم الى شهود صفاته) بأن يشاهدوا ارتباطها بالذات (ثم يرجعهم الى التعلق بأسمائه بأن يشاهد وا تعلقها بالآثار (ثم يردهم الى شهود آثاره) أي صدورها من الاسماء فاول ما ظهر لهم عن حقيقة الذات المقدسة ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق بالاسماء ثم أنزلوا الى شهود الآثار وهم الذين يقولون ما رأينا شيأ الا رأينا الله قبله (والسالكون على عكس هذا) كما مر (فنهاية السالكين) وهي شهود الذات المقدسة والكشف عن كمالها (بداية المجذوبين

عدم وصف البشرية لان الوصف البشري أمر ذاتي لازم للعبد والامور الذاتية اللازمة يستحيل عدمها وانقلابها وانما اللازم من ذلك عدم غلبة أحكام ذلك الوصف على العبد فقط لاجل الوارد الغالب فان قدر ذهاب هذا الوارد الغالب بقي وصف البشرية غالبا قاهرا وكان العبد في يديه أسيرا * ومثال ذلك من المحسوسات اشراق شمس النهار على الآفاق المظلمة لتزيل آثار ظلمانيتها فتستنير بذلك وتشرق فاذا غابت الشمس رجعت الى حالها من الظلمة لان النور ليس بذاتي لها وهو معنى قوله وليست منه ومعنى الخصوصية المذكورة هو ما يخص الحق تعالى به أولياءه من ظهور أوصافه العلية ونعوته القدسية عليهم ليغطي بذلك أوصاف نفوسهم الدنيئة الرديئة عنهم لئلا تظهر آثار كدوراتها في صفاء أوقاتهم كما تقدم من قوله اذا أراد أن يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته فاذا أشرقت أنوار ذلك الوارد على ليل وجودهم ذهبت بظلمات نفوسهم وبقوا في نهار الوصلة والقربة من غير حول منهم ولا قوة وهو معنى قوله فالنهار ليس منك واليك وان غابت عنهم تلك الانوار المشرقة رجعوا الى أصلهم ولزموا الوقوف على حدهم وكانوا في ليل القطيعة والحجبة كما كانوا قبل ذلك والغرض من هذا الرد على طوائف غلطت في هذا الامر وتغالت وزعمت أن القرب من الله تعالى والوصول اليه انما يكون بعدم أوصاف البشرية وزوالها بالكلية واتصافه بصفات الربوبية بدلا منها وفسرت بهذا ما عبر به المشايخ من الفناء والبقاء فوقعوا من ذلك في ضلال وتزندق نعوذ بالله من ذلك والمعنى الصحيح من ذلك انما هو ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ورضي عنه ههنا * دل بوجود آثاره على وجود أسمائه وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه وبثبوت أوصافه على وجود ذاته اذ محال أن يقوم الوصف بنفسه فارباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم الى شهود صفاته ثم يرجعهم الى التعلق بأسمائه ثم يردهم الى شهود آثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين

و بدايتها سالكين نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه) عباد الله المخصوصون بالقرب منه والوصول اليه ينقسمون الى قسمين سالكين ومجذوبين فشان السالكين الاستدلال بالاشياء عليه وهم الذين يقولون ما رأينا شيأ الا ورأينا الله بعده وشأن المجذوبين الاستدلال به على الاشياء وهم الذين يقولون ما رأينا شيأ الا رأينا الله قبله ولا شك أن الدليل أبدا أظهر من المدلول فأول ما ظهر للسالكين الآثار وهي الافعال فاستدلوا بها على الاسماء وبالاسماء على الصفات وبالصفات على وجود الذات فكان حالهم الترقي والصعود من أسفل الى أعلى وأول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقدسة ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق بالاسماء ثم أنزلوا الى شهود الآثار فكان حالهم التدلي والتنزل من أعلى الى أسفل فما بدأ به السالكون من شهود الآثار اليه انتهاء المجذوبين وما ابتدأ به المجذوبون من كشف حقيقة الذات اليه انتهاء السالكين لكن لا بمعنى واحد فان مراد السالكين شهود الاشياء لله ومراد المجذوبين شهود الاشياء بالله فالسالكون عاملون على تحقيق الفناء والمحو والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقاء والصحو ولما كان شأن الفريقين النزول في تلك المنازل المذكورة لزم التقاؤهما في طريق سفرهما السالك مترق والمجذوب متدل ﴿لا يعلم قدر أنوار

هو بداية السالكين) وهي التعلق بالآثار وشهودها واستنادها الى الله (نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد) أي ليسا متحدين من كل وجه فان نهاية السالكين وان كان فيها جذب لكنه مصحوب بالتمكن وعلم أحوال الطريق ومعرفة دقائق النفوس فانهم لم يصلوا الى ذلك الا بعد معاناة وتعب ومشقة بخلاف بداية المجذوبين فانها ليست معها تمكن فلذا يحصل لهم الغيبة وتصدر منهم أفعال لا يدرون ما هي ويتركون الفرائض ويفعلون أفعالا منكرة في الشرع ولا يعاقبون على ذلك لتغطية عقولهم التي عليها مدار التكليف بالانوار وبداية السالكين ليس معها شهود لكمال الذات ولا الاسماء والصفات بخلاف نهاية المجذوبين فانهم لم يحصل لهم حالة الصحو الا بعد مشاهدة ذلك فالسالكون عاملون في ترقيهم على طريق الفناء والمحو والمجذوبون مسلوك بهم في تدليهم طريق البقاء والصحو

واذا كان كذلك (فربما التقيا في الطريق هذا) أي السالك (في ترقيه) من الخلق الى الحق (وهذا) أي المجذوب (في تدليه) من الحق الى الخلق فربما اجتمعا في تجلي الاسماء أو الصفات بأن يكون كل منهما مشاهد الاسمائه تعالى مثلا لكن المجذوب اذا انتقل من ذلك ينتقل الى الآثار والسالك الى الصفات والسالك أفضل من المجذوب للانتفاع به بخلاف المجذوب فاذا أراد الله تكميل حاله أصحاه وكل من علم السالك والمجذوب وهبي ذوقي وان كان مبدأ علم الاول استدلاليا كما يؤخذ من قوله دل بوجود آثاره الخ فالمجذوب ما دام في جذبه لا يصلح للمشيخة لعدم مروره على المقامات ومعرفته بغوائل النفوس ولاشتغاله بحاله عن حال غيره كما ان السالك اذا لم يصل الى درجة المشاهدة والتدلي لا يصلح للمشيخة لنقصه وانما يصلح لها من جمع بينهما سواء تقدم سلوكه على جذبه أو بالعكس وقد يمر المجذوب على المقامات بسرعة ويعرف غوائل النفوس كذلك فيصلح للمشيخة مع جذبه لكن هذا في بعض المجاذيب كالسيد أحمد البدوي نفعنا الله به لا في كل مجذوب (لا يعلم قدر أنوار

القلوب والاسرار) أى السرائر أى الانوار المشرقة عليها وهى العلوم والمعارف اللدنية وما هو مودع فيها من أنوار الحق (الا فى غيب الملكوت) أى الملكوت الغائب عنا وهو عالم الآخرة فمن آمن بالغيب وسعى فى تهذيب نفسه حتى حصلت عنده تلك الانوار شاهد الحظ الاوفر هنالك وان كان مهانا فى الدنيا غير معتنى به فيها (كما لا تظهر أنوار السماء) وهى أنوار الكواكب (الا فى شهادة الملك) أى الملك المشاهد وهو عالم الدنيا لحصول المناسبة بين هذه الاشياء (وجدان ثمرات الطاعات) وهى الانوار التى تحصل فى قلوبهم وتشرق على ظواهرهم والتلذذ بها فى حال فعلها (عاجلا) أى فى الدنيا (بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها عاجلا) أى ※(١٠٨)※ بشائر من الله تعالى عاجلة بوجود الجزاء عليها فى الدار الآخرة وانها مقبولة عند الله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول ولما كان يفهم من هذا أن العمل قد يكون لقصد الجزاء وانه محمود دفع ذلك بقوله (كيف تطلب العوض) أى الجزاء (على عمل هو متصدق به عليك) أى ان هذا غير لائق منك لان الانسان لا يطلب الجزاء من الغير الا اذا فعل معه ما يعود نفعه على ذلك الغير وذلك مفقود هنا لان نفع تلك الاعمال عائد عليك لا على الرب سبحانه لانه غنى عنك وعن اعمالك وكما أن الجزاء يكون على العمل يكون أيضا على الصدق أى الاخلاص فيه وهو غير لائق أيضا ولذا قال (أم كيف تطلب الجزا على صدق) أى اخلاص فى العمل (هو مهديه اليك) وعبر بالتصدق والاهداء تنبيها على ما ذكر وهو ان ذلك العمل والاخلاص فيه لم يكن الا لمنفعتك فطلب العوض والجزاء اذن على ذلك فى غاية القبح ولذا صدر الكلام بكيف المفيدة للاستفهام التعجبى تقبيحا لذلك الوصف واستعمل لفظ الصدقة فى الاعمال الظاهرة والهدية فى الصدق الذى هو من الاعمال الباطنة وعليه مدار قبول الاعمال الظاهرة اشعارا بتباينهما فى الشرف كتباين الصدقة والهدية فان الاولى يقصد بها الفقراء والثانية الاغنياء فتدل على شرف

القلوب والاسرار الا فى غيب الملكوت كما لا تظهر انوار السماء الا فى شهادة الملك) أنوار القلوب والاسرار المشرقة عليها من سماء التوحيد والمعرفة لا يعرف قدرها الا فى غيب الملكوت وهو عالم الآخرة وهناك يحصل تمام هذه الانوار فمن آمن بالغيب كان له من ذلك الحظ الاوفر كما ان أنوار السماء المشرقة على ظواهر الاجرام لا تظهر الا فى شهادة الملك وهو عالم الدنيا وذلك لحصول المناسبة بين هذه الاشياء ※ (وجدان ثمرات الطاعة عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها عاجلا) ما يجده العاملون بطاعة الله تعالى فى أعمالهم عاجلا من مزيد الايمان واليقين وتنسم روح الانس ولذيذ القرب ولطيف الوصل بشائر من الله تعالى عاجلة بوجود الجزاء عليها فى الدار الآخرة بانها مقبولة عند الله تعالى وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول

(كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك) العمل الذى يصح طلب العوض والجزاء عليه هو ما عملته لينتفع به غيرك ولم يحصل لك بذلك منفعة ولم يندفع عنك بسببه مضرة والاعمال الدينية المطلوبة منك ظاهرا او باطنا بخلاف هذا كله اذ هى مسلوبة عنك منسوبة الى ربك خلقها واختراعها عائد ثمرة ذلك ومنفعته عليك فى ظاهرك وباطنك وهو غنى عنك وعنها ولذلك عبر عنها بالتصدق والاهداء تنبيها على أن ذلك لم يكن الا لمنفعتك فطلب العوض والجزاء اذا على عمل هذه صفته فى غاية القبح ولذلك صدر المؤلف رضى الله تعالى عنه كلامه

المهدى اليه (قوم تسبق أنوارهم أذكارهم) وهم المجذوبون المرادون فلما واجهتهم الأنوار حصلت منهم الأذكار بلا تكلف ولا تعمل بل بسهولة وخفة (وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم) وهم المريدون السالكون وذلك لأن شأنهم المجاهدة *(١٠٩)* والمكابدة فيأتون بالأذكار في حال تكلف منهم وتعمل ليحصل بها الأنوار فالأولون وصلوا بكرامة الله تعالى الى طاعة الله ويصدق عليهم قوله تعالى يختص برحمته من يشاء والآخرون وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله ويصدق عليهم قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الآية ثم ذكر عبارة أخرى لبيان حال الفريقين بقوله (ذاكر ذكر ليستنير قلبه) وهو السالك (وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا) وهو المجذوب فالذكر له كالنفس الطبيعي بل أسهل بخلاف الأول وتقدم أن السالك أتم من المجذوب لأن الأول عرف طريقا توصل بها الى الله وناله فيها غاية التعب والمشقة والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء على أن المجذوب لا طريق له وهو كذلك بالنسبة لأغلب المجاذيب والا فبعضهم له طريق طوتها عناية الله تعالى له فسلكها مسرعا الى الله عاجلا كما مر فلم تفته الطريق وانما فاته مقاساتها وطول أمدها ثم أشار الى ما ينعطف على العارف والسالك جميعا بقوله

بكيف ليخلو من ذلك الوصف * قال الواسطي رضي الله تعالى عنه مطالبة الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل وسئل أبو العباس بن عطاء الله رضي الله عنه عن أقرب شيء الى مقت الله تعالى فقال رؤية النفس وأفعالها وأشد من ذلك مطالبة الأعواض على أفعالها واستعمال المؤلف رحمه الله تعالى لفظ الصدقة في الأعمال الظاهرة ولفظ الهدية في الصدق وعليه مدار الأعمال الباطنة أشعارا بتباينهما في الشرف كتباين الصدقة والهدية * قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم وقوم تساوى أذكارهم وأنوارهم وقوم لا أذكار ولا أنوار نعوذ بالله من ذلك ذاكر ذكر ليستنير به قلبه فكان ذاكرا وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا والذي استوت أذكاره وأنواره فبذكره يهتدي وبنوره يقتدي) سبقية الأذكار للأنوار هو حال المريدين السالكين وذلك لأن شأنهم المجاهدة والمكابدة فهم يأتون بالأذكار في حال تكلف منهم وتعمل ليحصل لهم بذلك زوائد الأنوار والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وسبقية الأنوار للأذكار هو حال المريدين المجذوبين لأنهم يقامون في السهولة والخفة فهم لما واجهوا بالأنوار حصلت منهم الأذكار بلا تكلف ولا تعمل قال في لطائف المنن حاكيا عن شيخه أبي العباس المرسي وقال رضي الله تعالى عنه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله تعالى الى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله قال الله سبحانه وتعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب قال ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول اليه فسار يطوى مهامه نفسه وبيداء طبعه الى أن وصل الى حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من فاجأته عناية الله تعالى من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله تعالى يختص برحمته من يشاء فالأول حال السالكين والثاني حال المجذوبين فمن كان مبدؤه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان مبدؤه المواصلة والى وجود المعاملة ولا تظن أن المجذوب لا طريق له بل له طريق طوتها عناية الله تعالى له فسلكها مسرعا الى الله تعالى عاجلا وكثيرا ما تسمع عند مراجعة المنتسبين للطريق أن السالك أتم من المجذوب لأن السالك عرف طريقا توصل اليه والمجذوب ليس كذلك وهذا

(ما كان ظاهر ذكر) أي ذكر ظاهر (الا عن باطن شهود وفكر) أي الا عن شهود للولي باطنا وفكر فيه فكل من المجذوب والسالك لم يذكر ظاهرا الا بعد مشاهدة للرب باطنا وفكر فيه وان كان المجذوب يدرك ذلك والسالك قد لا يدركه لغلظ بشريته فلم ينفذ النور السابق بالكلية والا لما أمكن منه الذكر وقد تقدم قوله لولا واردها كان ورد فلولا التجلي لم يكن التحلي والمراد بالذكر هنا سائر الاعمال الظاهرة وعبر به عنها لانه روحها ولاشتمالها عليه فكل من الشهود والفكر يرجع للمجذوب والسالك ويحتمل رجوع الاول للاول والثاني للثاني ثم بين ذلك المعنى بقوله (أشهدك) أي تجلى لقلبك فشهدته على حسب ادراكك (من قبل ان يستشهدك) أي يطلب منك *(١٦٠)* أن تشهد بعظمته وجلاله بذكرك وعبادتك فان الذكر والعبادة شهادة منك بعظمة المذكور والمعبود واعتراف بوحدانيته (فنطقت بالهيته) أي بما يدل على الوهيته (الظواهر) أي الجوارح الظاهرة وهذا راجع للثاني وهو الاستشهاد وقوله (وتحققت باحديته القلوب والسرائر) راجع للاول وهو الاشهاد ويحتمل أن معنى ذلك ان الله تعالى كشف الارواح في عالم الغيب عن الوهيته و[illegible] واحاطة [illegible] ثم لما أظهرها في عالم الشهادة بأن ركبها في الاجسام طلب منها على لسان الانبياء الشهادة له بالوهية فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت الشهادة منها لما استشهدت تبعا لشهودها لما أشهدت فقوله أشهدك أي في عالم الارواح وقوله من قبل ان يستشهدك أي يطلب منك الشهادة بعد أن ركبها في الاجسام فنطقت بالوهيته الظواهر أي الجوارح الظاهرة نطقا حقيقيا في اللسان وحاليا في غيره وقوله فنطقت مفرع على محذوف أي فلما طلب منها الشهادة على لسان الانبياء نطقت وتحققت باحديته أي جزمت بكونه واحدا لا شريك له القلوب والسرائر جزم
سريرة كامر

بناء على أن المجذوب لا طريق له وليس الامر كما زعموا فان المجذوب طويت الطريق له ولم تطو عنه ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه وانما فاته متاعبها وطول أمدها والمجذوب كمن طويت له الطريق الى مكة والسالك كالسائر اليها على أكوار المطايا اهـ ما ذكره في حال الجذب والسلوك وهو حسن قل ان يوجد لغيره فلذلك أوردته ههنا بكماله

* ما كان ظاهر ذكر الا عن باطن شهود وفكر) اعمال الظاهر تكون تبعا لما يكون في الباطن وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر والذكر الظاهر لا محالة ثمرة باطن الشهود والفكر ثم بين هذا المعنى بقوله

* أشهدك من قبل أن يستشهدك فنطقت بالهيته الظواهر وتحققت باحديته القلوب والسرائر) كشف الله تعالى القلوب والاسرار في غيب الغيب بحقائق وحدانيته واحاطة قيوميته فلما أشهدها ذلك اضمحلت وتدكدكت وتلاشت وتحققت بذات الاحدية فلما أظهرها في عالم الشهادة ملتبسة بالاجسام والهياكل طلب منها الشهادة له بالالهية فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت الشهادة منها لما استشهدت تبعا لشهودها لما أشهدت فالعبد من حيث سره وقلبه بوصف الجمع ومن حيث ظاهره وجسمه بنعت الفرق ولا بد في هذا الطريق من وجود الجمع والفرق وقد قالوا كل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد رضي الله عنه في معنى الجمع والتفرقة

وتحققتك في سري فناجاك لساني * فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان

ان يكن فيبك التعـ*ـاظم عن لحظ عياني فلقد صيرك الوجد من الاحشاء داني

ذهب الجنيد رضي الله عنه الى ان قربه بالوجد جمع وغيبه في البشرية تفرقة

(*أكرمك بكرامات ثلاث جعلك ذاكراله ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به اذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك) أكرم الله تعالى عبده المؤمن بثلاث كرامات جمع له فيها كل المفاخر والمحامد أولها كونه ذاكراله بأن أجرى ذكره على قلبه ولسانه ومن أين له ذلك وبأي وسيلة ناله لولا فضل الله تعالى وكرمه وثانيها كونه مذكورا به فيقال هذا عبد الله ووليه وصفيه ومختاره وذلك بما أكرمه الله به من تحقيق النسبة اليه وهي اثبات الخصوصية له وقد تقدم معنى الخصوصية وثالثها كونه مذكورا عنده وهذه هي غاية الاكرام ومنتهى الفضل والانعام قال الله تعالى ولذكر الله أكبر قيل معناه ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله وفي حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقرأ عليك القرآن قال قلت يا رسول الله سماني لك ربك قال نعم فقرأ علي قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفي حديث أبي حبة البدري رضي الله عنه قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب الى آخرها قال جبريل عليه السلام ان ربك يأمرك أن تقرئها أبيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ان جبريل عليه السلام أمرني أن اقرئك هذه السورة فقال أبي أوذكرت ثم يا رسول الله قال نعم فبكى أبي وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ان ذكرني

(أكرمك) أيها العبد الذي أشهدك مولاك ثم استشهدك فذكرته بلسانك وعباداتك ووحدته بقلبك وسرك (بكرامات ثلاث) جمع لك بها كل المفاخر والمحامد الاولى انه (جعلك ذاكراله) بلسانك وعباداتك الظاهرية والباطنية (ولولا فضله لم تكن اهلا لجريان ذكره عليك) لانك مجبول على النقص والتكسل والفتور ومفصول ذلك منة وفضل عليك ومن اين انت حتى تكون محلا لذكره وموضعا للطاعة والتعلق به (و) الثانية انه (جعلك مذكورا به) بان يقال هذا ولي الله وصفيه ومختاره وذاكره (اذ حقق) أي * (١٢١) * أثبت (نسبته) أي خصوصيته (لديك) وهي ما أظهره عليك من أنوار الذكر الذي استنار به ظاهرك وباطنك فتحقق الخصوصية لديك سبب في ذكرك به أي انتسابك له بمنزلة كانت له أدنى نسبة عنده لله من ملوك الدنيا تراه يصونها ويحفظها ويفرح بها ويجد في نفسه انبساطا عند تذكرها فكيف بهذه النسبة العظيمة التي صرت تذكر بها في الملأ الأعلى وعند المؤمنين الى آخر الدهر فان من مات من العلماء والصالحين الذين كثر ذكرهم لله تعالى يبقى الثناء عليه ولا ينقطع ذكره والدعاء له ومن مات من غيرهم مات ذكره معه ويحتمل أن قوله اذ حقق في قوة التفريع على ما قبله والمعنى جعلك مذكورا به فحقق نسبته لديك أي انتسابك له فيكون ذكرك به تحقيقا لنسبتك له (و) الثالثة أنه (جعلك مذكورا عنده) لحديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه (فتمم نعمته عليك) بذكرك عنده قال تعالى ولذكر الله أكبر قيل معناه ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله

(ورب عمر اتسعت اماده) أى غاياته وأزمنته (وقلت امداده) بفتح الهمزة أى فوائده وذلك كأعمال الغافلين عن الله المشتغلين بشهوات نفوسهم فانها وان كانت طويلة فى الحس فهى قصيرة فى المعنى لقلة أمدادها (ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده) وذلك كأعمار الذاكرين فانها وان كانت قصيرة حسا فهى طويلة معنى لكثرة أمدادها وذلك ※(١١٢)※ هو معنى البركة فى العمر كما يأتى للمصنف ففوائد العمر لا يلزم أن تكون على قدر آماده أى أزمنته وحجمها بل قد يحصل لصاحب العمر القصير من الفوائد ما لا يحصل لمن هو أطول منه بأضعاف مضاعفة (من بورك له) أى من أراد الله أن ينزل البركة (فى عمره) رزقه الاقبال على مولاه ف(أدرك فى يسير من الزمن من منن الله ما لا يدخل تحت دوائر العبارة) أى تحت العبارة الشبيهة بالدوائر بجامع الاحاطة بما تحويه (ولا تلحقه الاشارة) أى لا تصل اليه والمعنى اذا أراد الله تعالى أن يبارك فى عمر ولى من أوليائه رزقه من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام أوقاته فيبادر الى الأعمال الصالحة فى جميع ساعاته فيدرك فى يسير من الزمان مما يمتن به المولى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة أى ما لا تحيط به العبارة لكثرته وشهرته فتعجز عنه العبارة ولا تلحقه الاشارة أى لا تصل اليه لرقته وغاية صفائه فيرتفع له فى شهر مثلا ما لا يرتفع لغيره فى ألف شهر بمنزلة ليلة القدر العمل فيها لمن صادفها خير من العمل فى ألف شهر قال بعضهم كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر وكان أبو العباس المرسى قدس الله سره يقول أوقاتنا كلها ليلة قدر وهل وهذا معنى ما روى البر يزيد فى العمر

فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وان تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة وعن أبى هريرة وأبى سعيد يشهدان به على النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم حين يجرى فى اللوح المحفوظ بذكرك لمت طربا

※(ورب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده)

الامداد الالهية التى يمد الحق تعالى بها عباده المؤمنين زيادة فى ايمانهم وتقوية لايقانهم لا أثر فيها لطول العمر ولا قصره فلا تنقص بذلك ولا تزيد به ولا تقل ولا تكثر وانما ترد عليهم من خزائن الفضل والكرم بحسب قوة استعدادهم وكمال قابليتهم ويختلف هذا باختلاف تراكيب خلقهم ومجبول فطرهم ولا مدخل للزمان فى هذا الا بالعرض وبهذا فضلت هذه الامة على سائر الامم على قصر أعمارهم وطول أعمار غيرهم ※ قال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه قلت لأبى سليمان الدارانى رضى الله عنه قد غبطت بنى اسرائيل قال بأى شئ قلت بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالأوتار قال ما ظننت الا وقد جئت بشئ لا والله ما يريد الله لنا أن تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق فى عشرة أيام نال ما نال ذلك فى عمره

※(من بورك له فى عمره أدرك فى يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة)

البركة فى العمر أن يرزق العبد من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام أوقاته وانتهاز فرصة امكانه خشية فواته فيبادر الى الأعمال القلبية والبدنية ويستفرغ فى ذلك مجهوده بالكلية وفى أثناء ذلك يصل اليه من المنح الالهية وتشرق عليه من الانوار الربانية ما تعجز العبارة عنه ولا تنتهى الاشارة اليه وكل ذلك فى زمن

(الخذلان) هو عدم التوفيق والمعونة (كل الخذلان) أي الخذلان التام (أن تتفرغ من الشواغل) الدنيوية بأن يكون عندك ما يكفيك من الدنيا (ثم لا تتوجه اليه) بالاشتغال بما يقرب من حضرته العلية (وتقل عوائقك) التي تمنعك من الاشتغال بما يقرب من مولاك بأن يكون عندك ما يكفيك من القوت ولو مع الضيق (ثم لا ترحل اليه) بالاشتغال بما يقرب منه فهو بمعنى ما قبله ومقتضاه أن من لم يكن عنده ما يكفيه من الدنيا وكان يحتاج الى التكسب فاشتغل به ولم يتوجه الى الله ولم يرحل اليه فليس عنده كل الخذلان بل بعضه وهو كذلك لأن التوجه الى الله * (١١٣) * والرحلة اليه مطلوب من كافة الخلق وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالواجب على كل أحد أن يرمي بالعوائق والشواغل خلف ظهره ويقبل على مولاه وقد قيل سيروا الى الله عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة وقال تعالى انفروا خفافا وثقالا (الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار) أي في الاغيار وهي مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته من السماء والارض وغيرهما الشبيهة بالميادين وفي نسخة ميادين الاعتبار أي

١٥ عباد في جولان القلب في صنوف المخلوقات وأنواع المكونات لاستخراج ما فيهما من العلوم وما انطوت عليه من العبر والآيات الموصلة الى العلم بالله تعالى وما له من صفات الكمال ونعوت الجمال وغير ذلك فاذا تفكر في وجود المخلوقات هداه ذلك التفكر الى وجود موجدهم وهذا تفكر العامة واذا تفكر في الحسنات وما يترتب عليها من الثواب والقرب من المولى فعلها وازداد رغبة فيها أو في السيئات وما يترتب عليها من أنواع العذاب تركها ولم يقربها وهذا تفكر العابدين واذا تفكر في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها ازداد زهدا فيها وهذا تفكر الزاهدين واذا تفكر في الآلاء والنعماء ازداد محبة في المنعم بها جل جلاله وهذا تفكر العارفين وخرج بالتفكر في مصنوعات الله التفكر في ذاته فانه منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم

يسير وعمر قصير ينتفع له في شهر مثلا ما لا ينتفع لغيره في ألف شهر بمنزلة ليلة القدر والعمل فيها لمن صادفها خير من العمل في ألف شهر قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر كان سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه يقول أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة القدر فهذا هو البركة في العمر لا تطويله وزيادة مدته وقيل هذا المعنى في تأويل ما روي في الخبر البر يزيد في العمر * الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل اليه) من الخذلان أن تصدك العوائق والشواغل عن التوجه الى الله تعالى والرحيل اليه بل الواجب عليك أن تبادر الى ذلك وترمي بالعوائق والشواغل خلف ظهرك كما قيل سيروا الى الله عز وجل عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله أحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس فان زالت شواغلك وقلت عوائقك ثم قعدت عن التوجه والرحيل فهذا هو الخذلان كل الخذلان أعاذنا الله منه * قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه فراغ القلب من الاشغال نعمة عظيمة فاذا كفر عبد هذه النعمة بان فتح على نفسه باب الهوى وانجر في قياد الشهوات شوش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجد من صفاء لبه * الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار) الفكرة التي ألزمها العبد وحض عليها هي سير القلب في ميادين الاغيار فقط وهي مخلوقات الله ومصنوعاته وأما الفكرة في ذات الله تعالى فلا سبيل اليها يعتبر المتفكرون في آياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر قوما فقال ما لكم فقالوا نتفكر في الخالق قال

تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره (الفكرة سراج القلب اى كالسراج الحسى اى المصباح الذى يضئ فيه فيستنير به وبالنور تنجلى حقائق الامور فيظهر به الحق حقا والباطل باطلا فيعرف به عظمته تعالى وجلاله ويطلع على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويعرف وجوه الحيل فى التحرز منها الى غير ذلك (فاذا ذهبت فلا اضاءة له) فالقلب الخالى عن الفكرة خال من النور لانه كالبيت المظلم ولا يكون فى القلب المظلم الا الجهل * (١١٤) * والغرور (الفكرة) وهى السير فى ميادين الاغيار (فكرتان فكرة تصديق وايمان) اى فكرة ناشئة عن اصل التصديق الذى هو الايمان بان يكون المتفكر عنده ذلك وقصده بالفكرة الترقى وزيادة اليقين ولذا تسمى فكرة الترقى وتكون للسالكين (وفكرة شهود وعيان) اى فكرة ناشئة عن ذلك وتسمى فكرة التدلى وتكون للمجذوبين (فالاولى لارباب الاعتبار) اى المستدلين بالآثار على المؤثر وهم السالكون فى حال ترقيهم فان فكرتهم ناشئة عن التصديق والايمان (والثانية لارباب الشهود والاستبصار) اى المستدلين بالمؤثر على الآثار وهم المجذوبون فى حال تدليهم فان فكرتهم ناشئة عن الشهود والعيان وهذا لمن اراد الله تكميل حاله منهم كامر والا فبعضهم يدوم جذبه وعدم صحوه بل هو الاغلب فيهم وقد تقدم هذا عند ذكر المجذوب والسالك والنوعان المذكوران بالنسبة للمشتغلين بالله واما غيرهم وهم العامة ففكرتهم لتحصيل التصديق والايمان لا لزيادته (وقال رضى الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه) وحاصل هذا الكتاب انه يتضمن حال السالك فى اول ابتداء سفره الى انتهائه وحصوله فى مستقره وذكر آداب السلوك والوصول

تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره * قال الامام ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم فاذا سلم الفكر من الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق ثم فكر الزاهدين فى فناء الدنيا وقلة وفائها للطلاب بها فيزدادون بالفكر زهدا فيها وفكر العابدين فى جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر العابدين فى الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للخالق سبحانه وقال الجنيد رضى الله عنه اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد وفى بعض النسخ الفكرة سير القلب فى ميادين الاعتبار ومعناه ظاهر * الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له) القلب الخالى من الفكرة خال من النور مظلم بوجود الجهل والغرور وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما نفع القلب شئ مثل عزلة يدخل بها فى ميادين فكرة * (الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان وفكرة شهود وعيان فالاولى لارباب الاعتبار والثانية لارباب الشهود والاستبصار) تقدم الآن ان الفكرة سير القلب فى ميادين الاغيار وسيره على وجهين صعود ونزول فالصعود لارباب الاعتبار وهى فكرة ناشئة عن التصديق والايمان وهذا للسالكين وهو حال ترقيهم وهو نعت المستدلين بالآثار على المؤثر والنزول لارباب الشهود والاستبصار وفكرتهم فكرة ناشئة عن الشهود والعيان وهذا للمجذوبين وهو حال تدليهم وهو وصف المستدلين بالمؤثر على الآثار وقد تقدم هذا المعنى عند ذكر المجذوب والسالك (وقال رضى الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه) هذا كتاب يتضمن ذكر حال السالك من اول ابتداء سيره الى انتهائه وحصوله فى مستقره وذكر آداب السلوك والوصول وقد اتى رحمه الله تعالى فى ذلك بعبارات صحيحة فصيحة واستعارات حسنة مليحة على طريقة وعظية اذا سمعها السامع طرب لها قلبه وهام فيها عقله ولبه وما ذاك الا لما عاق

(أما بدت في البدايات) أي بدايات الأمور (مجلات النهايات) أي يظهر فيها حال النهايات والمجلات بفتح الميم والجيم وتشديد اللام جمع مجلة كذلك أي محل التجلي والظهور كالمرآة والمجالي المظاهر التي تتجلى فيها الأمور والمراد أن بداية المريد تعرف منها نهايته فإذا كان عنده في بدايته قوة توجه مواجهة في العبادات والرياضات كان دليلا على أنه ينتهي الى فتح عظيم وأنه يصل الى مقصوده في أقرب مدة ومن كان عنده ضعف في ذلك كان *(١١٥)* فتحه ووصوله على حسب حاله (وان من كانت بالله بدايته) بأن تكون مجاهداته ومكابداته وأنواع رياضاته مصحوبة بالاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه (كانت اليه نهايته) أي كانت نهايته الى الوصول الى الله تعالى بأن ينكشف له انفراد الله بالقيومية وتوحده بالديمومية وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن انكشافا يظهر له به عدمية ذاته وتلاشيه وتدكدكه واضمحلاله وقد تقدم هذا المعنى في قوله من علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله في البدايات (والمشتغل به هو الذي أحببته) أيها المريد الصادق (وسارعت اليه) وهو الأعمال الصالحة التي تقربك من مولاك وتوصلك الى معرفته أي فلا تحتقر ذلك الشغل بل كن قرير العين به فانه لا ينبغي الاشتغال الا به (والمشتغل عنه) أي الذي ينبغي الاشتغال عنه وعدم التوجه اليه (هو المؤثر عليه) أي هو حظوظك العاجلة ومراداتك الزائلة التي تركتها وآثرت عليها غيرها وهو اقبالك على مولاك واشتغالك بخدمته فينبغي لك أن تطيب نفسك عنه ولا تندم على مفارقته لأنه لا ينبغي الاشتغال به فهذا الكلام القصد منه تهييج السالك وانهاض همته بمدح ما أقبل عليه وذم ما أعرض عنه.

بها من أنوار قلب المتكلم وقد قال فيما تقدم كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز (أما بدت في البدايات مجلاة النهايات) المجلات محل التجلي والظهور فالسالك في ابتداء سلوكه يتجلى له أمر نهايته (وان من كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته) هذا بيان ما ذكره ومعنى كون بدايته بالله أن تكون مجاهداته ومكابداته وأنواع رياضته مصحوبة بالاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه والانقطاع اليه فبذلك يصح له وينفذ في توجهه وسلوكه كما تقدم عند قوله ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ومعنى كون انتهائه الى الله أن يكشف له انفراد الله تعالى بالقيومية وتوحده بالديمومية وانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن انكشافا يظهر له به عدمية ذاته وتلاشيه وتدككه واضمحلاله قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فاذا صحت للمريد تلك البداية بما ذكرناه وصل الى هذه النهاية وقد تقدم هذا المعنى في قوله من علامة النجح في النهايات الرجوع الى الله تعالى في البدايات (والمشتغل به هو الذي أحببته وسارعت اليه والمشتغل عنه هو المؤثر عليه) المشتغل به أيها المريد السالك انما هو عملك على التقرب من ربك عز وجل والتوسل اليه بالطاعة والعبودية له وهو الذي أحببته وسارعت الى اجابة دعوته فيحق عليك أن لا تستقل ذلك الشغل بل تكون به قرير عين والمشتغل عنه انما هو متابعة حظوظك العاجلة ومراداتك الزائلة وهو الذي يستحق الايثار عليه اذ هو فان مضمحل لا حقيقة له فلتطب عنه نفسا ولا تمل فيه عقلا ولا حسا وهذا الكلام تهييج للسالك وانعاش لقوته وانهاض لهمته قال الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن الصقلي رضي الله عنه سمعت عبد الله بن اسحق الغافقي يقول ما انتفعت الا بدعاء رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام بالهجر فاذا رجل يسف التراب فقلت مجهود أو مجنون ثم قلت له يا هذا أتسف التراب قال فقال لي أو تراب هو ثم ناولني قال فما

(ومن أيقن ان الله يطلبه) للقيام بخدمته والاقبال على وظائف عبوديته (صدق الطلب) أي صدق في الطلب (اليه) أي توجه اليه بصدق واجتهد في الاقبال على ما يرضيه أتم اجتهاد لان ثمرة ذلك الطلب عائدة عليه لا على المولى سبحانه فلم لا يصدق في طلبه واجتهاده و يترك حظوظ نفسه ومراداته ان كان من أهل العقل والمعرفة (ومن علم أن الامور بيد الله) ومنها ما يحاوله من القيام بخدمة المولى (انجمع قلبه عليه (بالتوكل عليه) أي توكل عليه في تيسير أمره وتسهيل ما يقربه الى حضرته فان ذلك لا يكون الا منه سبحانه لان الامور كلها بيده وليس * (١١٦) * للعبد مدخل فيها فالقسم الاول وهو قوله

شكت انه سوى او فهذا انا اشك أيهما قال فقلت ولى الله وجثوت على ركبتى وقلت ادع الله لى فقال لى عرفك الله قدر ما تطلب حتى يهون عليك ما تترك

(وان من أيقن أن الله يطلبه صدق الطلب اليه ومن علم ان الامور بيد الله انجمع بالتوكل عليه) العبد مطلوب له به عزوجل باقامة وظائف العبودية له وذلك بما اختصه به عز وجل من العقل والفهم وما رزقه من المعرفة والعلم وثمرة ذلك الطلب عائدة الى العبد فلم لا يصدق العبد في طلبه واجتهاده اذا أيقن بذلك والامور كلها بيد الله تعالى ومن ذلك سعيه وكدحه فلم لا يتوكل عليه في ذلك فيجتمع همه و يتيسر أمره اذا علم بذلك فالقسم الاول قيام بمقتضى الشريعة والقسم الثاني وفاء بحق الحقيقة (وانه لا بد لبناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه وأن تسلب كرائمه) ذكر هذا المعنى تسلية للعبد عما يفوته في حال سلوكه من حظوظه وشهواته لانه اذا علم ان هذه الاشياء لا بد أن تزال عنه أو يزال عنها ولو بعد حين وكل ما هو آت قريب لم يغتبط بما يكون مآل أمره الى ذلك ويكون طيب النفس بتركه وتهديم الدعائم وسلب الكرائم من الاستعارات البديعة (فالعاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى قد أشرق نوره وظهرت تباشيره) فرح العبد بالاشياء الفانية هو موجب لازيادة في همه وغمه اذا فقدها قال سيدى سهل بن عبدالله رضى الله عنه من فرح بغير مفروح به استجلب حزنا لا انقضاء له وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ليقل ما تفرح به قال تحزن عليه فالعاقل لا يفرح

صدق الطلب اليه قيام بمقتضى الشريعة والثاني وهو كون الامور بيد الله وانه ينبغي التوكل عليه قيام بحق الحقيقة فقوله عليه تنازع فيه كل من الفعل والمصدر (وانه) بكسر الهمزة عطفا على ان البدايات وفتحها عطفا على ان الامور الخ (لا بد لبناء هذا الوجود) أي المبنى هو هذا الوجود (ان تنهدم دعائمه) أي اركانه فشبه الوجود بقصر له اركان وهي تخييل (وان تسلب كرائمه) أي نفائس[illegible] منه والقصد بهذا تسليته عما يفوته في حال سلوكه من حظوظه وشهوته لانه اذا علم ان الدنيا لا تدوم لاحد بل لا بد ان تزال عنه أو يزال عنها ولو بعد حين وكل ما هو آت قريب لم يغتبط بما يكون مآل أمره الى ذلك و يكون طيب النفس بتركه (فالعاقل من كان بما هو أبقى) وهو الدار الآخرة (أفرح منه) أي أشد فرحا من نفسه (بما هو يفنى) وهو الدنيا فاذا كانت الدنيا فانية والآخرة هي الدائمة الباقية فلا ينبغي الفرح بالاولى لفنائها ومن فرح بالفاني فني فرحه ولا عبرة بفرح يفنى و يزول ومن فرح بالباقي دام فرحه وذلك هو الفرح المعتبر وحاصله ان العاقل هو الزاهد وأما الراغب في الدنيا فليس بعاقل بل هو جاهل وفي قوله أفرح اشعار بان المطلوب كون الفرح بهذا أشد لان الفرح بالآخر ينتفي بالكلية لانه أمر طبيعي ثم أشار الى ثمرة التحقيق في مقام الزهد بقوله (قد أشرق نوره) أي أشرق نور زهد ذلك العاقل في قلبه (وظهرت تباشيره) على وجهه فان النور اذا أشرق في القلب ظهر على الجوارح وكان ذلك مبشرا له بالقبول

(فصرف) أي فبسبب ذلك النور الذي أشرق في قلبه وتبين له به ما هو حق صرف أي أعرض (عن هذه الدار مغضيا) أي غير ملتفت اليها بقلبه وأتى بذلك لان الاعراض قد يكون معه التفات وقوله (واعرض عنها موليا) تفسير لما قبله (فلم يتخذها وطنا) أي لم يستوطنها بظاهره على جهة التمتع والتلذذ (ولا جعلها سكنا) أي لم يساكنها بباطنه على جهة المحبة لها ويحتمل ان يحمل الوطن والسكن بمعنى واحد (بل انهض الهمة فيه الى الله) أي أسرع وحرك

الهمة الى الوصول اليه (وسار فيها) أي في الدنيا (مستعينا به) أي بالله لا باعماله المدخلة (في القدوم عليه) أي الاقبال عليه والوصول الى حضرته قال بعضهم من توهم ان عملا من اعماله يوصله الى مأموله الاعلى والادنى فقد ضل عن طريقه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن ينجي أحدا منكم عمله فما لا ينجي من الخوف كيف يوصل الى المأمول ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذي يرجى له الوصول اه (فما زالت مطية عزمه) أي عزمه الشبيه بالمطية (لا يقر قرارها) لعدم ما يعوقها وهو التعلق بغير الله سبحانه من الدنيا وكل ما يعوق السالك عن الوصول من الكرامات والمكاشفات والاحوال والمقامات فان ذلك يوقف مطيته عن السلوك والقرار موضع الاستقرار ومعنى كون قرارها لا يقر انها اذا نزلت في موضع ترحل عنه ولا تتخذه وطنا فلا يسكن قلبه الى شيء من ذلك كما هو مقتضى التحقق في مقام الزهد وقوله (دائما تسيارها) أي سيرها كالتفسير لما قبله (الى ان أناخت) أي حلت واستقرت (بحضرة القدس) أي التنزيه وهي حضرة الرب سبحانه (وبساط الانس) أي البساط الذي كل من جلس عليه حصل له الانس وهو تلك الحضرة فشبهها بحضرة ملك عظيم يسترجي الوفود اذا [illegible] اليه وجلسوا على بساطه ثم بين صفات تلك الحضرة بقوله (محل المفاتحة) أي الفتح عن القلوب

بذلك ولا يحب به بل يكرهه ويبغضه وانما يكون فرحه بالامور الباقية التي لا تفنى فلما أشرق نور ذلك في قلبه وظهرت تباشيره على وجهه واشراق النور وظهور التباشير نتائج تحققه في مقام الزهد (فصرف عن هذه الدار مغضيا وأعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا) فلما كان العبد على هذا الوصف صرف عن هذه الدار الدنيوية أي مال عنها مغضيا جفنه عن أقذائها من غير ميل لا بذلك معرضا عنها بوجه قلبه قد ولاها دبره من غير التفات اليها وهذا مبالغة في نبذها واطراحها فلم يتوطنها بظاهره على سبيل التمتع بها والاستبشار ولم يساكنها بباطنه على جهة المحبة لها والايثار بل نزلها منزلة السجن والمضيق ووطن نفسه فيها على تحمل ما يطيق وما لا يطيق وهذه علامات على تحققه بالزهد في الامور الفانية التي هي بغيضة له فلما وصل الى ذلك حصل له من طهارة قلبه وصفائه به ما حمله على التعلق بمولاه الباقي الدائم فعزل دنياه معبرا يعبره اليه كما سيقوله المؤلف الآن (بل انهض الهمة فيه الى الله تعالى وسار فيها مستعينا به في القدوم عليه) هذا ابتداء سفره بقلبه الى الحضرة العلية وبدأ بانهاض الهمة الى ربه والاستعانة به في القدوم عليه وهو أساس أمره كما تقدم قال الشاعر

اذا لم يعنك الله فيما تريده * فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك في كل مسلك * ضللت ولو أن السماك دليل

قال أبو محمد الجريري رضي الله عنه من توهم أن عملا من أعماله يوصله الى مأموله الاعلى أو الادنى فقد ضل عن طريقه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن ينجي أحدا منكم عمله فما لا ينجي من الخوف كيف يوصل الى المأمول ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذي يرجى له الوصول * (فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها دائما تسيارها الى أن أناخت بحضرة القدس وبساط الانس محل المفاتحة

(والمواجهة) أى الاقبال من الله عليه (والمجالسة) بأن يصير الله سبحانه حاضر امعه (والمحادثة) بالقى
بكلمة في سره المعارف والاسرار (والمشاهدة) بان يشاهده بعد غيبته عن حسه (والمطالعة) أى بان يتمكن
من المشاهدة ويطلع على علوم الغيب فان الشخص اذا دخل الى حضرة ملك عظيم من ملوك الدنيا يحصل له
أولا المفاتحة بان يفاتح ذلك الملك بالسلام ويفاتحه بالرد ثم المواجهة بأن يقبل عليه بوجهه فقد يكون حال
السلام معرضا عنه ثم المجالسة بان يجلسه بين يديه ثم المحادثة أى التكلم معه لان ذلك ثمرة المجالسة ثم المشاهدة
لان ذلك الملك قد يكون صاحب جلال فلا يلزم من الجلوس بين يديه والمحادثة معه مشاهدته بل يطرق
جليسه رأسه من هيبته ثم المطالعة التي هي (١١٨) تمكن المشاهدة أو يراد بالمشاهدة مشاهدة الاحوال
الظاهرة وبالمطالعة
مشاهدة الاحوال
الباطنة فانه لا يعرف
حال الملك باطنا
الا بعد شدة التأمل
فهذا الحال من وصل
الى حضرة ملك من
ملوك الدنيا وكذلك
السالك اذا وصل الى
حضرة المولى سبحانه
فانه يقابله بانواع
من الفتوحات
والكرامات والتحف
السنية والعلوم
والمعارف الربانية
التى لا يعرف تفاصيلها
الا من وصل هنالك
وذاق مذاق أهل القرب والتمكين جعلنا الله واياكم منهم بمنه وكرمه آمين (فصارت الحضرة) الادب
أى حضرة الرب [illegible] معشش قلوبهم) أى الموضع الذى تسكن فيه قلوبهم كعش الطير (اليها يأوون)
وقوله (وفيها يس[illegible]) كالتفسير لما قبله أى فصارت حضرة محبوبهم معشش قلوبهم ومستوطنهم فى
ذهابهم وايابهم وههنا حصل لهم التحقق بمقام الفناء والمحو وهذا مقام الجمع وهذا هو انتهاء سفرهم
وصعودهم ثم بعد ذلك يتحققون بمقام البقاء وهو مقام الفرق ويؤمرون بمخالطة الخلق وهو المراد
بقوله (فاذا نزلوا الى سماء الحقوق) أى الحقوق الواجبة عليهم عند مخالطة الخلق الشبيهة بالسماء بجامع
صعوبة الارتقاء الى كل (أو أرض الحظوظ) أى حظوظ أنفسهم التى تلابسهم ويحصل لهم الارتفاق بها
الشبيهة بالارض بجامع سهولة الاستقرار على كل (فبالاذن والتمكين) أى لا بشهوتهم ومرادهم والا فلو
خير وا بين مقامهم فى تلك الحضرة والخروج منها الى مخالطة الخلق لم يختاروا الا بقاءهم فيها ولذا لما
أمر الله أبا يزيد بالخروج الى ارشاد الناس صاح صيحة عظيمة فقال الله تعالى للملائكة ردوا على عبدى
فانه لا طاقة له على مفارقتى قال بعضهم وكان فى ذلك الوقت لم يحصل له قوة ورسوخ فى مقام الفرق ثم بعد ٣

والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة فصارت الحضرة معشش
قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون) هذه استعارات مليحة استعملها فى سفر
القلب الى حضرة الرب وقد تقدم معنى ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس
ما تحقق سير السائرين وحضرة القدس وبساط الانس هما موضع محط الرحال
وبلوغ الاوطار والآمال من قبل ان السالك تمحى عنه رسوم بشريته وتبطل
أحكام آنيته وتنكشف له اذ ذاك أوصاف معروفه كرأى العين ويكون سره
مع الله تعالى بلا أين فلما وصل الى هذه الحضرة العلية ونال هذه المنقبة السنية
قوبل بانواع من الكرامات والالطاف وفنون من تحف السادات والاشراف
وهى معانى هذه الالفاظ الستة التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى ولا تعرف الا
بالذوق وكذلك التفرقة بين معانيها فحينئذ ألقى السائرون عصا سيرهم وحمدوا
عاقبة أمرهم وصارت حضرة محبوبهم معشش قلوبهم ومستوطنهم فى ذهابهم
وايابهم الى ظلالها يأوون اذا صلى غيرهم بنيران هواه وفى دار اقامة فيها يسكنون
حين يزعج سواهم عن متعة دنياه وههنا حصل لهم التحقق بمقام الفناء والمحو
وهذا هو انتهاء سفرهم بمعنى الصعود والترقى *(فاذا نزلوا الى سماء الحقوق أو
أرض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء

٣ فتلك قوامها وأجرد بر لذا قال المصنف فبالاذن والتمكين اذ لا يلزم من مجرد الاذن التمكين اي التمكن في
مقام البقاء بان يحصل لهم القوة على مخالطة (١١٩) الخلق وتحمل اذاهم (والرسوخ في اليقين) اي وبع
رسوخهم في اليقين
بالله ومعرفتهم به
معرفة ذوقية (فلم
ينزلوا الى الحقوق
بسوء الادب والغفلة
اي فلم يخالطوا الخلق
الا مع التأدب التام
لانهم يرون الله فيهم
ومع التيقظ وعدم
التيقظ وعدم الغفلة
عن موجدهم فاذا
آذاهم شخص تحملوه
لله الذي اوجده
ورأوا ان الذي سلطه
عليهم هو مولاهم
لذنب فعلوه لا يليق
بمقامهم واذا اكرمهم
شخص شكره ومع
رؤيتهم ان الذي
حركه قلبه للاكرام
هو مولاهم فهذه
وشبهها هي الحقوق
الواجبة عليهم عند
التنزول ومخالطة
الخلق (ولا الى) اي
ولم ينزلوا الى (الحظوظ)
ويتعاطوها (بالشهوة
والمتعة) بضم الميم
اي على سبيل شهوة
نفوسهم لها وتمتعهم بها (بل دخلوا في ذلك كله) من الحقوق والحظوظ (بالله) اي مستعينين به (ولله)
اي لا لحظ انفسهم (ومن الله) اي من عنده لا من عند انفسهم (والى الله) اي متوسلين اليه في نيل مرادهم
ثم السفر الاول وهو السير الى حضرة المولى يقال له سفر الترقي والثاني وهو التنزول منها الى مخالطة الخلق

الادب والغفلة ولا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة بل دخلوا في ذلك بالله ولله ومن
الله والى الله) هذا هو سفر التدلي والتنزول وبه يتحققون بمقام البقاء والصحو فاذا
نزلوا من سدرة منتهاهم الى سماء الحقوق وهي حقوق الله عليهم مما امرهم به او
نهاهم عنه ليقوموا بذلك فعلا او تركا او الى ارض الحظوظ وهي حظوظ نفوسهم
التي تلابسهم ويحصل لهم الارتفاق بها فانما يكون نزولهم الى ذلك بالاذن
والتمكين والرسوخ في اليقين ومعنى ذلك ان يدخلوا في الاشياء بمراد الله تعالى
لا بمراد انفسهم ويجدون الاذن من الله تعالى لهم بما يشرق في قلوبهم من النور
الذي يجعله الله علما على ذلك وقد ذكره سيدي ابو الحسن في بعض كلامه قال
رضي الله عنه ومعنى الاذن للولي نور ينبسط على القلب يخلقه الله فيه وعليه
فيمتد ذلك النور على الشيء الذي يريده فيدركه نور مع نور او ظلمة تحت ذلك النور
ينبئك ان تأخذ ان شئت او تترك او تختار او تدبر او تعطي او تمنع او تقوم او تجلس
او تسافر او تقيم هذا باب المباح المأذون فيه بالتخيير فاذا قارنه القول تأكد
الفعل المباح بمراد الله تعالى فان قارنته نية صحيحة لفعل زال عنه حكم المباح
وصار مندوبا وان ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب فلا يخلو ان يلوح
عليه لائح الغضب بانقباض القلب فاحذر ذلك وتجنبه فانه المحظور او يكاد ولا
تقطع ذلك الا ببينة من كتاب الله تعالى او سنة او اجماع او خلاف اقلد قلدته
كمالك والشافعي او غيرهما من العلماء الراسخين فالحكم اذا على اصل صحيح وان
تمكن الظلمة شبه غيم لا يتصدع معه القلب ولا يتفزع به الذهن فتباعد عنه فانه
يكاد ان يكون مكروها ولا تحكم بعقلك ورأيك فقد ضل من ههنا خلق كثير
ولا تفت احدا وان استفتاك واعط الورع حقه ولا تقف ما ليس لك به علم فان
تأدبت ههنا فعن قريب تأتيك البينة من ربك والشاهد يتلوها منه انتهى كلام
سيدي ابي الحسن وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى الا ان ما فيه من
التفصيل لم يتعرض له المؤلف بل بقي الامر في ذلك مجملا كما تراه وتقديره فاذا نزلوا
الى الحقوق واستعملوا فيها لم ينزلوا اليها بسوء ادب ولا غفلة وهو ان لا يشهدوا
قيامهم بها من انفسهم او يطلبوا ثوابا عليها من ربهم وان نزلوا الى الحظوظ لم
ينزلوا اليها بشهوة غالبة قاهرة لهم ولا منفعة يقصدون الى نيلها في دنياهم بل
دخلوا في ذلك بالله مستعينين ولله عابدين ومن الله آخذين والى الله متوسلين قد
تولى الله تعالى ادخالهم في الاشياء واخراجهم منها واوجدهم ذلك وعزل عنهم

بقاله سفر التدلي والى ذلك أشار المصنف بقوله (وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق)
(المدخل والمخرج في الاصل بمعنى الادخال والاخراج وقد عبر بهما هنا عن السفرين المذكورين فالمدخل
هو سفر الترقي لانه دخول على الله عز وجل في حالة فنائه عن رؤية غيره والمخرج هو سفر التدلي لانه خروج
الى الخليقة لفائدتي الارشاد والهداية في حال بقائه بربه وتحققه في هذين المقامين اعني مقام الفناء والبقاء
هو معنى صدقية مدخله ومخرجه فالمدخل الصدق أن يشاهد حول الله وقوته في سفر الترقي فتنتفي عنه
بذلك نسبة الاعمال الى نفسه والمخرج الصدق أن يستسلم لربه *(١٢٠)* ويقاد اليه في سفر التدلي
فيرضى بما نقله اليه ولا تتشوف نفسه الى البقاء مع ما نقل عنه ولذا قال (ليكون نظري الى حولك وقوتك اذا أدخلتني واستسلامي وانقيادي اليك اذا أخرجتني) أي ليحصل ذهابي عن رؤية نفسي في النسبة والوقوف مع الحظ في المدخل أشاهد حولك وقوتك فتنتفي عني بذلك النسبة الى نفسي وفي المخرج استسلم اليك فينتفي عني بذلك مراعاة حظي (واجعل لي من لدنك) أي من
عندك بلا واسطة ولا علة من نفسي (سلطانا) أي حجة قاهرة (نصيرا) أي مقويا ومعينا تعالى
وهو مستمد الهي يأتي من حضرة الحق سبحانه فلا يصادمه شئ الا دمغه وذهب به (ينصرني) على نفسي
(وينصر بي) أجانبي و[illegible]اذ بالي من الاخوان والرفقاء (ولا ينصر علي) نفسي ولا احدا من
أعدائي الباطنية والظا[illegible]سر النصرة المطلوبة في حق نفسه بقوله (ينصرني على شهود نفسي بأن
لا أشاهد لها فعلا ولا حركة ولا سكونا بل أشاهد ان المحرك المسكن هو انت (ويغنيني عن دائرة
حسي) أي عما يدور به حسي ويدركه وهو المكونات فلا أتعلق بها ولا أشاهد منها نفعا ولا ضرا بل
أشاهد ان النافع الضار هو أنت وهؤلاء الذين نصرهم الله تعالى ونصر بهم ولم ينصر عليهم هم
الضنائن الذين اذا ظهر واحد منهم في عصر حصل به النفع التام لاهله وأمدهم الله بسببه وهم
لا يشعرون ومما كتب به الى بعض الاخوان أيضا

ملكية نفوسهم لهم وصاروا أحرارا كراما *(وقل رب أدخلني مدخل صدق
وأخرجني مخرج صدق ليكون نظري الى حولك وقوتك اذا أدخلتني
واستسلامي وانقيادي اليك اذا أخرجتني) المدخل والمخرج الادخال والاخراج
وقد عبر بهاتين العبارتين عن السفرين المذكورين فالمدخل هو سفر الترقي لانه
دخول على الله عز وجل في حالة فنائه عن رؤية غيره والمخرج هو سفر التدلي لانه
خروج الى الخليقة لفائدتي الارشاد والهداية في حال بقائه بربه وتحققه في هذين
المقامين أعني مقام الفناء والبقاء هو معنى صدقية مدخله ومخرجه وانما طلب
هذا ليحصل له به ذهابه عن رؤية نفسه في النسبة والوقوف مع الحظ ففي المدخل
يشاهد حول الله تعالى وقوته فينتفي عنه بذلك النسبة الى نفسه وفي المخرج
يستسلم لربه وينقاد اليه فينتفي عنه بذلك مراعاة حظه *(واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا ينصرني وينصر بي ولا ينصر علي ينصرني على شهود نفسي ويغنيني عن
دائرة حسي) طلب من الله تعالى النصرة له ليستقيم أمره وطلب منه النصرة به
ليكمل حاله فالنصرة له هي ملاك أرباب البدايات من السالكين اذ بذلك يتيسر
عليهم قطع عقبات النفس ومحو دواعي الهوى والحس والنصرة به هي مقتضى
حال أرباب النهايات من المجتهدين لان بذلك يحصل لهم مرتبة الامامة ومقام
الارشاد والهداية وكل واحد من القسمين نصرة على شهود النفس وفناء عن
دائرة الحس وأخرج النصرة عليه من السؤال والطلب لان ذلك من الخذلان
وعدم التوفيق وهو غلبة أحكام نفسه وبقاؤه مع دائرة حسه * وقال رضي الله

(ان كانت عين القلب) وهى البصيرة المشابهة للعين الباصرة (تنظر الى ان الله واحد فى منته) أى نعمته أى هو المعطى لها وحده (فالشريعة تقتضى أنه لابد من شكر خليقته) فلذا أوصل الحق اليك نعمة على يد انسان سواء كانت دينية كالعلوم والمعارف ودنيوية فعليك فى ذلك مراعاة الحقيقة بان ترى أن تلك النعمة من الله وحده وان من أجراها على يديه مقهور مجبور على ايصالها اليك فتحمد الله سبحانه على ذلك ومراعاة الشريعة بأن *(١٢١)* تشكر من وصلت اليك على يده فتدعوله وتثنى عليه امتثالا لامر الله وعملا بما جاءت به الشريعة ففى الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ولان الله اختصه بان اقامه فى ذلك وأهله له (وان) أى وأخبرك ان (الناس فى ذلك) أى فى حال ورود النعمة عليهم على يد أحد (على ثلاثة أقسام غافل) عن الله (منهمك فى غفلته) أى متناه فيها ((قويت دائرة حسه) يعنى ان ملحظه ومنظره المكونات فقط مع الغفلة عن الرب (وانطمست حضرة قدسه) أى حضرة التنزيه والمراد بها بصيرته التى هى منبع تنزيه الله

تعالى عنه مما كتب به لبعض اخوانه *(ان كانت عين القلب تنظر ان الله واحد فى منته فالشريعة تقتضى أنه لابد من شكر خليقته) اذا أوصل الحق تعالى اليك نعمة على يد انسان سواء كانت دينية أودنيوية فعليك فى ذلك وظيفتان احداهما أن تشهد انفراد الله تعالى بذلك فلاترى النعمة الامنه وحده وترى من سواه ممن أجراها على يديه مقهورا ومجبورا على ذلك مسلطا عليه الدواعى والبواعث حتى لم يجد انفكاكا عنه وهذا هو حق التوحيد والثانية أن تشكر من وصلت اليك على يده بان تدعوله وتثنى عليه امتثالا لامر الله تعالى وعملا بما جاءت به الشريعة قال الله تعالى أن اشكر لى ولوالديك وفى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وفى حديث اسامة بن زيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر الناس لله أشكرهم للناس ولان الله تعالى اختصه بأن أقامه فى ذلك وأهله له ومن أسمائه تعالى الشكور فليتخلق العبد بذلك وهذا هو حق الشرع *(وان الناس فى ذلك على ثلاثة أقسام غافل منهمك فى غفلته قويت دائرة حسه وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا فشركه جلى واما استنادا فشركه خفى) هذا هو بيان أحوال الناس بالنسبة الى مشاهدة التوحيد ورؤية الوسايط والعبيد فبدأ بذكر عامة الناس وهم الغافلون المنهمكون فى غفلتهم أصحاب الظواهر والرسوم الذين قويت دائرة حسهم فقيدتهم ووقفوا معها وانطمست حضرة قدسهم فأبعدتهم ولم يحلوا بها فنظروا الاحسان من المخلوقين فتعبدوا لهم وطمعوا فيهم ولم يشهدوه من رب العالمين فكفروا انعمه واستوجبوا سخطه ونقمته ثم هم فى ذلك على قسمين أحدهما أن يعتقدوا ذلك بقلوبهم أنه منهم ومن قبلهم وهذا هو الشرك الجلى الذى يخرج

 عباد فى تعالى عن كل مالا يليق به (فنظر الاحسان) صادرا (من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا) بان يعتقد ان المؤثر والمعطى هو العبد حقيقة (فشركه جلى) يخرجه عن دائرة الايمان الى دائرة الكفر (واما استنادا) بان يعتقد ان المعطى هو الله تعالى ولكن اسند ذلك الى المخلوقات على جهة كونها أسبابا غير مؤثرة ولولاهم لم يحصل الاعطاء فاذا قيل له من الذى أعطاك مثلا قال الله ولكن لولا فلان الذى جاء من قبله لم يحصل لعطاء اذ لولا الاسباب ما كانت المسببات (فشركه خفى) لانه أشرك مع الله غيره وهو المخلوق ولم يغب عن الله تعالى فهو مؤمن لكن يخشى عليه الكفر والعياذ

بالله تعالى (وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق) فلم يشعر بهم ولا يلتفت اليهم (وفنى عن الاسباب) وهم المخلوقات فلم ير لهم فعلا (بشهود مسبب الاسباب) وهو الله تعالى (فهو عبد مواجه بالحقيقة) وهي حضرة الرب سبحانه لشهوده لها (ظاهر عليه سناها) أي نورها وضياؤها (سالك الطريقة) أي طريقة القوم وسلوكه لها باعتبار الاصل والا فمواجهته بالحقيقة لا تكون الا بعد سلوكه لها ولذا قال (قد استولى على مداها) أي غايتها ونهايتها ثم هذا *(١٢٢)* انما استغرق في الحقيقة على الوجه المذكور

وان كان كاملا بالنسبة لاهل الغفلة فهو ناقص بالنسبة لا كمل منه من أهل المعرفة ولذا قال (غير انه غريق الانوار) أي غريق في بحار التوحيد (مطموس الآثار) أي مطموسة بصيرته عن رؤية الآثار والوسائط والعبيد أي غائب عن رؤية ذلك والشعور به (قد غلب سكره) وهو عدم احساسه بالآثار (على صحوه) وهو وجود احساسه بها (وجمعه) وهو رؤيته مده (على ... وهو رؤية الخلق مع الحق فهو في مقام الجمع لا في مقام الفرق (وفناؤه) وهو واستهلاكه في وجود الحق (على

صاحبه عن دائرة الاسلام ويوقعه في الكفر والعياذ بالله والثاني أن يحصل ذلك منهم استنادا أي اعتمادا على غير الله وركونا اليه سواء مع سلامة عقدهم وصدورهم وهذا هو الشرك الخفي الذي يخرج صاحبه من حقائق الايمان ويدخله في أبواب النفاق ونعوذ بالله من الشرك جليه وخفيه *وصاحب

حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفنى عن الاسباب بشهود مسبب

الاسباب فهو عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك للطريقة قد استولى

على مداها غير انه غريق الانوار مطموس الآثار قد غلب سكره على صحوه

وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته على حضوره) هذا هو حال الخاصة من أرباب الحقائق وهم الذين غابوا عن الخلق بشهود الملك الحق فلم يقع لهم شعور بهم ولا التفات اليهم وفنوا عن الاسباب برؤية مسبب الاسباب فلم يروا لها فعلا ولا جعلا فهم مواجهون بحقيقة الحق ظاهر عليهم سناها أي نورها وضياؤها سالكون طريقة الحق قد استولوا على مداها أي وصلوا الى غايتها ومنتهاها الا انهم غرقوا في بحار أنوار التوحيد مطموس عليهم آثار الوسائط والعبيد أي مغلق عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلب سكرهم وهو عدم احساسهم بالاغيار على صحوهم وهو وجود احساسهم بها وجمعهم وهو ثبوت وجود الحق فردا على فرقهم وهو ثبوت وجود الخلق وفناؤهم وهو استهلاكهم في شهود الحق على بقائهم وهو شعورهم بالخلق وغيبتهم وهو ذهاب أحوال الخلق عن نظرهم على حضورهم مع الخلق ومعاني هذه الالفاظ كما تراه متقاربة وهي ألفاظ تداولها الصوفية المحققون بينهم وعبروا بها في كتبهم ووضعوها على معان اختصوا بفهمها ليتعرف بعضهم من بعض ما يتخاطبون به ولهم ألفاظ كثيرة غيرها وكأن المؤلف رحمه الله تعالى أراد أن لا يخلو كتابه عن ذكر شئ

منها *وأكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا فلا جمعه يحجبه

عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه يصده عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن

بقائه) وهو شعوره بالخلق فهو في مقام الفناء الذي هو مقام الجمع لا البقاء الذي هو مقام الفرق فناته قوله (وغيبته على حضوره) كالتفسير لما قبله (وأكمل منه عبد) جمع بين الامرين كالنبي صلى الله عليه وسلم وكمل ورثته وسبب ذلك انه (شرب) من المدد الالهي ومن كؤس التوحيد (فازداد صحوا) بعد سكره عن رؤية الاغيار (فازداد حضورا فلا جمعه) وهو رؤية الحق (يحجبه عن فرقه) وهو رؤية الخلق يحجبه عن جمعه ولا فناؤه يصده عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن

تو أنه يعطى كل ذى قسط قسطه) فيشكر الحق والخلق ولا يغيب عن الرب فى حال من الطفة الخلق وقوله (ويوفى كل ذى حق حقه) بمعنى ما قبله وهؤلاء هم خاصة الخلق الذين حازوا رتبة الاكملية فتمكنوا فى المقامات وملكوا أحوالهم ومنهم أبو بكر رضى الله عنه ولذا قال المصنف (وقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها لما نزلت براءتها من الافك) أى الكذب (على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى فى القرآن العظيم (يا عائشة اشكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم) لان براءتك بسببها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تحصل الا ببركته فيستحق الشكر منك (فقالت والله لا اشكر الا الله) لأنها فى ذلك الوقت غائبة عن احساسها * (١٢٣) * منغمسة فى الانوار لم ترغير الله (دلها أبو بكر رضى الله عنه على المقام الاكمل مقام البقاء المقتضى لاثبات الآثار (أى النظر للخلق ومن جملتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى النظر اليهم شكرهم ثم استدل على أنه ينبغى شكرهم بقوله (وقد قال تعالى ان اشكر لى ولوالديك وقال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله) بالنصب وفاعل الشكر هو العبد والرفع أى لا يثيب الله (من لا يشكر الناس) ولا يرضى له ذلك فينبغى شكر الله لانه الذى حرك قلب العبد وشكر العبد لانه واسطة والضار هو الوقوف معه والغيبة عن الرب (وكانت هى) أى عائشة (فى ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها) أى مأخوذة عن احساسها غائبة عن حكم بشريتها والاصطلام حالة تعترى العبد من تجلى الله عليه بصفة القهر فتغيبه عن احساسه (غائبة عن الآثار) وهم المخلوقات (فلم تشهد الا الواحد القهار) وفى قوله وكانت فى ذلك الوقت اشارة الى ان ذلك ليس حالا لازما لها فى جميع أوقاتها بل ترقت عنه الى مقام الفرق وهو رؤية الخلق مع الحق * وقال رضى الله عنه لما سئل عن قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة قرة العين كناية عن غاية الفرح والسرور واللذة فكأنه يقول وجعلت غاية فرحى وسرورى ولذتى فى الصلاة لمشاهدة الرب فيها اهل ذا خاص به أم لغيره من أمته منه شرب بكسر الشين وقوله ونصيب تفسير مرادف أجاب

فانه يعطى كل ذى قسط قسطه ويوفى كل ذى حق حقه) هذا هو حال خاصة الخاصة الذين حازوا رتب الاكملية وهم قوم شربوا بكؤس التوحيد فازداد محوهم وغابوا عن الاغيار فازداد حضورهم فملكوا الاحوال وتمكنوا فى مقامات الرجال فلم يغلبهم محو عن على ولم يحجبهم شئ عن شئ بل وفوا حقوق جميع المراتب واعطوها ما لها من قسط واجب وذلك لاتساع نظرهم ونفوذ بصرهم وهذه هى صفة الصديق رضى الله تعالى عنه فى القصة التى يذكرها الآن (وقد قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لعائشة رضى الله عنها لما نزلت براءتها من الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا أشكر الا الله دلها أبو بكر رضى الله تعالى عنه على المقام الاكمل مقام البقاء المقتضى لاثبات الآثار وقد قال الله تعالى أن اشكر لى ولوالديك وقال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس وكانت هى فى ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها غائبة عن الآثار فلم تشهد الا الواحد القهار) هذا مثال هذين القسمين وقد أشبع المؤلف رحمه الله تعالى الكلام فيه والمعنى فى ذلك بين لا حاجة بنا الى مزيد تذييه الاقوال وكانت هى فى ذلك الوقت مصطلمة أى منقطعة عن شاهدها وهو حكم بشريتها مستوفاة عن احساسها بالكلية والاصطلام نعت الحيرة ومحل القهر وصفة الدهشة وفى قوله وكانت هى فى ذلك الوقت اشعار بأن ذلك لم يكن حالا لازما لها فى جميع أوقاتها بل كان ذلك فى وقت مخصوص وواقعة مخصوصة

(ان) بكسر الهمزة ان كانت من كلام المصنف وفتحها ان كانت من كلام غيره (قرة العين) اى غاية الفرح والسرور (بالشهود) اى شهود جلال الحق سبحانه وجماله (على قدر المعرفة بالمشهود) وهو الحق سبحانه (فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس معرفة) أحد ذلك كمعرفته فليس قرة عين كقرته) وحاصل الجواب ان قرة العين ليست خاصة به صلى الله عليه وسلم بل كما تكون له تكون لغيره لكن قرة عينه أعظم من قرة عين غيره ومعلوم ان قرة العين لا تحصل الا لمن ذهبت عنه الوساوس النفسانية والشيطانية اما من كان مغمورا فيها فقليل ان تحصل له قرة عين أو حضور قلب بين يدى الحق سبحانه وتعالى (وانما قلنا ان قرة عينه) صلى الله عليه وسلم (فى صلاته بشهوده جلال مشهوده) وهو الحق (لانه قد أشار الى ذلك بقوله فى الصلاة ولم يقل بالصلاة اذ هو صلى الله * (١٢٤) * عليه وسلم لا تقر عينه بغير ربه)

وذلك صحيح اذ حالها رضى الله عنها هو حال الكمال فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعد وفاته كهو حال أبيها رضى الله عنهما وذلك معلوم من اخبارها وسيرها رضى الله تعالى عنها * وقال رضى الله عنه لما سئل عن قوله صلوات الله عليه وسلامه وجعلت قرة عينى فى الصلاة هل ذلك خاص به أم لغيره منه شرب ونصيب فأجاب (ان قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود فالرسول صلوات الله عليه وسلامه ليس معرفة غيره كمعرفته فليس قرة عين كقرته وانما قلنا ان قرة عينه فى صلاته بشهوده جلال مشهوده لانه قد أشار الى ذلك بقوله فى الصلاة ولم يقل بالصلاة اذ هو صلوات الله عليه وسلامه لا تقر عينه بغير ربه وكيف وهو يدل على هذا المقام و يأمر به من سواه بقوله صلوات الله عليه وسلامه اعبد الله كأنك تراه ومحال أن يراه و يشهد معه سواه فان قال قائل قد تكون قرة العين بالصلاة لانها فضل من الله وبارزة من عين منة الله فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال سبحانه قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا الآية فاعلم أن الآية قد أومأت الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب اذ قال فبذلك فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم فليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك أنت بالمتفضل كما قال فى الآية

ومن الغير الصلاة (وكيف) تقر عينه بغير ربه (وهو) أى والحال انه (يدل على هذا المقام) وهى المرتبة الاولى من مراتب الاحسان (و يأمر به من سواه بقوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه ومحال أن يراه و يشهد معه سواه) ومن السوى صلاته فيغيب عن نفسه وحسه وعن أفعاله ولا يراها صادرة منه بل يرى الفاعل لها هو الله تعالى (فان قال قائل قد تكون قرة العين بالصلاة لانها فضل من الله وبارزة من عين منة الله تعالى) أى لا لعلة وجعلها بارزة من نفس المنة مبالغة والا فهى بارزة من الله بمنته لا لعلة (فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال الله سبحانه وتعالى قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا) ففى ذلك اشارة الى انه لا مانع أن يفرح الانسان بالصلاة و يكون قرة عينه بها فما المانع من كون فرحه صلى الله عليه وسلم بها (فاعلم) مرتب على ما تقدم وهو قوله فان قال قائل وفى بعض النسخ حذف قوله فان قال قائل فيحتاج الى تقديرها وترتب الجواب عليها كأنه قال ان قيل ذلك فاعلم (أن الآية قد اومأت) أى اشارت اشارة خفية (الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب) وهو المعنى الذى يخفى على كثير من الناس (اذ قال) الله تعالى (فبذلك فليفرحوا) أى الامة (وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم فليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك أنت بالمتفضل) وهو الله تعالى (كما قال الله تعالى فى الآية

(الاخرى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) الصلاة هى اجل ما يصف الله تعالى به عباده ويهديه اليهم وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أوتى عبد فى الدنيا خيرا من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما ففيها يحصل لهم الخلوة معه والانفراد بالمجالسة له والانقطاع اليه وفيها ترتفع عن قلوبهم الحجب والاستار ويتجلى فيها حقائق الاسرار وتشرق فيها شوارق الانوار وفيها تكون المناجاة والمصافاة كما تقدم وهى صلة بين العبد وبين ربه عز وجل قال محمد بن على الترمذى رحمه الله الصلاة عماد الدين وأول شئ فرضه الله على المسلمين وفى الصلاة اقبال الله على العبيد ليقبلوا اليه فى صورة العبيد تذللا وتسليما وتبذلا وتخضعا وتخشعا وترغيبا وتملقا فالوقوف تذلل والتكبير تسليم والثناء والتلاوة تبذل والركوع تخضع والسجود تخشع والجلوس ترغب والتشهد تملق فاقبل العبيد الى الله بهذه الصورة ليقبل الله عليهم بالترحم والتعطف والتقبل والتكرم والتقرب فليس شئ من أمر الدين أعظم من هذه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وقال فى حديث آخر الصلاة نور وقال لا يزال الله مقبلا على العبد بوجهه مادام فى صلاته وان الله لينصب الى أحدكم وجهه مادام مقبلا عليه انتهى ولاجل هذه الفوائد كانت الصلاة مفزع ذوى الفاقات والضرورات من أرباب القلوب فيغنيهم وجودها عن كل مرغوب ويتسلون بها عن كل محبوب قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا الآية فواجب اذا أن تكون قرة أعين عباد الله فيها وبها وقرة العين عبارة عن الروح والراحة وكمال النعيم واللذة التى تحصل من غاية الموافقة والملايمة الا انها تختلف باختلاف أحوال الناس فى مراتبهم ومقاماتهم فمن عظمت منزلته وعلت مرتبته كانت ملايمته وموافقته فى شهود التوحيد وكمال التجريد المشار اليه فى قوله صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه اذ محال أن يراه ويشهد معه سواه كما قال المؤلف رحمه الله تعالى وفيما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى قوله لعروة بن الزبير رضى الله عنهما انا كنا نتراءى الله بين أعيننا وكان هذا لما خطب اليه عروة بن الزبير ابنته وهو فى الطواف فلم يكلمه ابن عمر ولم يرجع اليه بشئ ثم اعتذر له بعد ذلك بهذا الكلام فصاحب هذه الحال تكون قرة عينه فى الصلاة لا بها لما تتضمنه من التجلى التام والشهود الحقيقى ومن كانت منزلته دون ذلك كانت ملايمته وموافقته فى شهود النعم ووجود الفضل والكرم وكانت قرة عينه بها لا فيها لانها فضل من الله وبارزة من منه الله كما قال المؤلف رحمه الله تعالى فلا شك أن معنى قرة العين فى الوجه الاول أحق به وأنسب وأليق لان صاحبه فان عن نفسه باق بربه ومن كان على هذا الوصف

لاخرى قل الله) معناه المطابقى قل الله أنزله أى القرآن ومعناه الاشارى المراد هنا قل الله أى افرح به لا بغيره (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) وهو فرحهم بغير الله سبحانه ويؤخذ من ذلك ان قرة العين قد تكون بنفس الصلاة للعلة السابقة لكن ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم لانه فان قرة عينه انما تكون بمشاهدة محبوبه وغيره يشاركه فى ذلك على حسب مقامه كما مر * وقال رضى الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه

(الناس في) حال (ورود المنن) أي النعم عليهم من الله (١٢٦) تعالى (على ثلاثة أقسام فرح بالمنن

لامن حيث مهديها ومنشئها) وهو الله (ولكن) فرحه (بوجود متعته فيها) أي بسبب تمتعه بها وحظوظه ونيل غرضه بها (وهذا من الغافلين) شبيه بالبهائم الذين سيأكلون ويشربون غافلين عن مولاهم (يصدق عليه قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) يعني أنه ربما كان توارد النعم استدراجا من الله تعالى كما أعطى نعمة ازداد غفلة ولم يشكر المولى عليها حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر (وفرح بالمنن) أي النعم (من حيث أنه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة ممن أوصلها) وهو الله تعالى فيشكر سبحانه عليها ولم يغب عنه لكن حاله ناقص من حيث أنه ملتفت الى النعمة وعنده فرح بها وان كان ذلك من حيث بروزها عن الحق (يصدق عليه

فهو من المخلصين الذين لا سلطانة عليهم للعدو اللعين ومن زالت سلطنته عنه في صلاته لم يحتج الى مدافعته ومراجعته وكانت صلاته ملزومة بالحضور والخضوع والدوام والخشوع وعند فقدان العبد لحديث نفسه ووسوسة عدوه تحصل له غاية النعيم واللذة ويتحقق في حقه معنى قرة العين بخلاف الوجه الآخر فان صاحبه لم يفن عن نفسه فضلا عن أن يرتقي الى درجة البقاء بربه فلم ينقطع عنه حديث النفس ولا وسواس العدو فيحتاج لا محالة الى مجاهدة ومدافعة فيتشوش نعيمه وتتكدر لذته فيضعف معنى قرة العين في حقه قال الشيخ العارف أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه وقرة العين لا تكون لمجاهد ولا لمن يدفع الشيطان عنه بل هي لمن استراح من المجاهدة والدفع ولما كانت منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند ربه عز وجل أشرف المنازل ومرتبته في المعرفة به أرفع الرتب بحيث لا يتصور أن يشاركه في ذلك غيره أو يحل به سواه كانت قرة عينه في صلاته على حسب ذلك فمن قال ان ذلك خاص به لانفراده بالمرتبة العليا والخاصية الكبرى فقوله صحيح وعليه يدل ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة بعد قوله انما حبب الي من الدنيا الطيب والنساء ولاشك أن حبه لهذين الامرين ليس على قياس حب غيره لهما وانما ذلك لوجود الخاصية التي اقتضت منه ذلك الا ترى أنه أبيح له ما لم يبح لغيره من عدد الحرائر وأمن لاجل ذلك من وقوع مفسدة التباغض والتشاجر بسبب اجتماع الضرائر واستعماله صلى الله عليه وسلم الطيب وحبه له انما هو للقائه الملائكة التي تناجيه والا فهو في ذاته غني عن الطيب واستعماله كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه ما مسست حريرا ولا خزا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت رائحة قط مسكا ولا عنبرا أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان حاله في هذين الامرين على ما ذكرناه مع أنه لم يذكر فيهما سوى لفظ الحب وهما من لذات الدنيا فكيف يكون حاله في الامر الثالث مع أنه عبر فيه بقرة العين وهي غاية المحبة وهو من أعمال الآخرة وقيل معنى قوله من الدنيا أي في الدنيا ومن قال ان لغيره منه شربا ونصيبا على المعنى الذي يليق بهذا الغير فلقوله وجه وجواب للمؤلف رحمه الله تعالى يحتمل لهذين الوجهين والله أعلم بما أراده منهما أو من غيرهما * وقال

المؤلف رضي الله عنه فيما كتب به لبعض اخوانه * (الناس في ورود المنن على

ثلاثة أقسام فرح بالمنن لا من حيث مهديها ومنشئها ولكن بوجود متعته فيها

وهذا من الغافلين يصدق عليه قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة

وفرح بالمنن من حيث أنه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة ممن أوصلها يصدق عليه

قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفرح بالله ماشغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل شغله النظر الى الله عما سواه والجمع عليه فلا يشهد الا اياه يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) تضمن هذا الفصل بيان ما يحمد من أحوال الناس وما يذم عند ورود النعم عليهم وحصول الفرح اذذاك لهم وينبنى عليه ما يكون من ذلك شكرا وما لا يكون وقد قسمهم المؤلف ثلاثة أقسام وجعلهم طرفين وواسطة قسم فى غاية الدناءة والخسة وهم الذين فرحوا بالنعم من حيث ان فيها قضاء أوطارهم ونيل أغراضهم والتمتع بشهواتهم ولذاتهم فأحوال هؤلاء مذمومة تجدها أشبه شئ بهم الانعام والبهائم وهذه أحوال أهل الطرد والبعد والاستدراج والمكر حسبما أشار اليه فى الآية الكريمة التى ذكرها المؤلف رحمه الله فى هذا القسم وهذه الاحوال بعيدة من الشكر منافية له وقسم فى غاية الشرف والجلالة وهم الذين فرحوا بالمنعم فقط ولم يلتفتوا الى ظواهر النعم لاجل ان فيها متعتهم ولذتهم ولا الى بواطنها من كونها دلائل على عناية الله تعالى بهم حيث من بها عليهم فأحوال هؤلاء محمودة جدا لانهم غابوا عن الاغيار العدمية وتحققوا بحقائق الوحدانية كما أشار اليه فى الآية الكريمة التى ذكرها المؤلف رحمه الله فى هذا القسم وحال هؤلاء هى الشكر الحقيقى الخالص الخالى من المزج والشوب لان المشاهد للمنعم فان عن حظوظ نفسه فهو يرى الاشياء كلها نعما فلا تفرقة عنده بين وجود ولا عدم ولا عطاء ولا منع ولا يخاف عليه من التغير والانقلاب لتغير الافعال والاسباب ما يخاف على غيره لبقاء حظه قال أبو محمد الجريرى رضى الله عنه من رأى النعم ولم ير المنعم فقد حجب عن الشكر ومن رأى المنعم بغيبة النعم فقد شكر وقال الشيخ أبو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه كل من لم يشاهد المنعم فى النعمة كانت النعمة فى حقه استدراجا لانه يؤديه الى أن يسكن اليها فاذا نزعت منه لزمه أن يتغير عليها ومنهم من حصل له نصيب من الشرف والجلالة وحظ من الدناءة والرذالة وهم الذين فرحوا بالنعم لكونها منة من الله تعالى عليهم فمن حيث شهودهم للمنة من ربهم شرفوا وجلت أقدارهم وكانت أحوالهم محمودة وهى شكر منهم لائق بهم ومن حيث نظرهم لانفسهم وبقاؤهم مع حظوظهم كان لهم نصيب من الدناءة والخسة فانحطوا بهذا الوصف عن مراتب الاعلين وارتقوا بالوصف الاول عن أحوال الادنين فخوطبوا وانما خوطب به عامة المؤمنين وأوساطهم فى الآية الكريمة التى ذكرها المؤلف رحمه الله فى هذا القسم وقد ضرب الامام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه فى كتاب الشكر لهذه الاقسام الثلاثة مثلا فقال الملك الذى يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس على انسان

(ماشغله) عنه (من المنن ظاهر متعتها) أى التمتع بها (ولا باطن منتها) أى لم يلتفتوا الى ظاهر النعم من أجل ان فيها لذتهم ولا الى باطنها من حيث كونها دلائل على عناية الله تعالى بهم حيث من بها عليهم كما هو حال القسمين الاولين فان القسم الاول التفت الى ظاهر النعمة من أجل ان فيها لذتهم وغابوا عن المنعم بها والقسم الثانى التفت الى باطنها من حيث بروزها عن الله عز وجل وان فى حصولها لهم اعتناء منه تعالى بهم (بل شغله النظر الى الله) تعالى (عما سواه والجمع عليه) أى جمعية قلبه عليه (فلا يشهد الا اياه يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون)

يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه أحدها أن يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به وانه مركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له فى الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده فى صحراء فأخذه لكان فرحه به مثل هذا الفرح الوجه الثانى أن يفرح به لا من حيث انه فرس بل من جهة ما يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس فى صحراء أو أعطاه له غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائه عن الفرس أصلا ولاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل فى قلب الملك الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه فيخرج به فى خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقى الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله فى قلب الملك محل من يعطيه فرسا ويعتنى به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة نفسها بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى وهذه حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثانى داخل فى معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التى تستحثه على الانعام فى المستقبل وهذه حال الصالحين الذين يعبدون الله تعالى ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام فى الفرح الثالث وهو أن يكون فرح العبد بنعم الله عز وجل من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول فى جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذه هى المرتبة العليا وأماراته أن لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث انه يحمله فى صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلى رضى الله عنه الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة ولذلك قال الخواص رضى الله عنه شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات فى البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ فى حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلى

(وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود قل للصديقين) أى كثيرين الصدق في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم (بي فليفرحوا) أى فليفرحوا بي لا بغيري حيث كنت ربا وكانوا لى عبيدا خالصين من حكم بشريتهم ولذا قيل ان عتبة الغلام دخل يوما على رابعة العدوية وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته على * (١٢٩) * خلاف عادته فقالت له يا عتبة ماهذا التيه والعجب الذى لم أره فى شمائلك قبل هذا اليوم فقال يا رابعة ومن أولى بهذا التيه مني وقد أصبح لى مولى وأصبحت له عبدا (وبذكري فليتنعموا) أى لا يتنعمون الا بذكري لا بلذات الدنيا وشهواتها فان المشتغل بذكر الله يحصل عنده من اللذة والانس بالله مالا يوازيه لذة من لذات الدنيا (والله تعالى يجعل فرحنا واياكم) أيها الاحباب الناظرين فى هذا الكتاب (به) تعالى (وبالرضا منه) أى الانعام بدوام المشاهدة (وأن يجعلنا من أهل الفهم عنه)

الاشياء المرة كما قيل

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

فاذن هو شرط الفرح بنعمة الله عز وجل فان لم تكن لذا بل فعزوان لم يكن هذا فالدرجة الثانية أما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله عز وجل لينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها اليه انتهى كلام الامام أبي حامد الغزالي وهو في غاية البيان والوضوح وهو كالتفسير لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى

ولذلك أوردته ههنا بكماله * (وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام

يا داود قل للصديقين بي فليفرحوا وبذكري فليتنعموا) بهذا تحققت صديقيتهم وعلا ارتفاع رتبتهم على من دونهم قيل ان عتبة الغلام دخل في بعض الايام على رابعة العدوية رضي الله عنها وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته بخلاف ماسبق من عادته فقالت له يا عتبة ماهذا التيه والعجب الذى لم اره في شمائلك قبل اليوم فقال يا رابعة ومن أولى بهذا التيه مني وقد أصبح لى مولى وأصبحت له عبدا * وقال بعضهم كنت مسافرا الى مكة فبينما أنا أمشى اذ رأيت شيخا بيده مصحف وهو ينظر فيه ويرقص فتقدمت اليه فقلت يا شيخ ماهذا الرقص قال دعني عنك قلت في نفسي عبد من أنا وكلام من أتلو وبيت من أنا قاصد فاستغرقني الوجد فرقصت وأنشد في هذا المعنى

قوم تخالجهم زهو بسيدهم * والعبد يزهو على مقدار مولاه

تاهوا برؤيته عما سواه له * يا حسن رؤيتهم في حسن ما تاهوا

ويجوز أن يكون المراد بقوله وبذكري فليتنعموا أى بذكري اياهم في الازل حيث لا وجود لهم والا فان الذكر المنسوب اليهم محل الآفات والعلل

وهم أجل رتبة من أن يكون نعيمهم بشئ ملتبس بهم * (والله تعالى يجعل

فرحنا واياكم به وبالرضا منه وأن يجعلنا من أهل الفهم عنه وأن لا يجعلنا من

وهم الذين يفهمون عن الله مراده منهم وهو اقبالهم عليه واشتغالهم بخدمته ويفهمون عنه انه حاضر معهم فيراقبونه في حركاتهم وسكناتهم ويفهمون عنه انه قائم بالاشياء وانها عدم محض فلا يلتفتون اليها في جلب نفع ولا دفع ضرر ويفهمون عنه انه معهم بذاته لا بعلمه كما يفهمه الجمهور من أهل الدليل والبرهان الى غير ذلك مما هو مقرر عند أهل الشهود والعيان (وأن لا يجعلنا من

الغافلين) الذين اشتغلوا بالأكوان عن المكون ولم يفهموا مراد الله منهم فلم يقبلوا على طاعته وان أقبلوا عليها فبظاهرهم دون قلوبهم (وأن يسلك بنا مسالك المتقين) الذين يتقون ما سواه سبحانه فلا يلتفتون الى غيره في جلب ولا دفع ولا يغيبون عنه طرفة عين وهذه أعلى مراتب التقوى ودون ذلك اتقاء معاصي الجوارح وشهوات النفوس ودون ذلك اتقاء الشرك (بمنه وكرمه) أي لا بعلة تحمله على ذلك كالباء الداخلة (وقال رضي الله عنه) وفي بعض النسخ * (١٣٠) * ومن مناجاته (الهي أنا الفقير في

حال (غناي فكيف لا أكون فقيرا في) حال (فقري) يعني ان صفتي الذاتية هي الفقر والاحتياج والغنى أمر عارض والعارض بصدد الزوال (الهي أنا الجاهل في) حال (علمي) لان ما عندي من العلم قليل فهو في حكم العدم وأيضا فهو عارض عليها والعارض بصدد الزوال كما مر (فكيف لا أكون جهولا) أي كثير الجهل (في) حال (جهلي) وأتى بصيغة المبالغة لما في ذلك من ضم جهل الى جهل وحاصله ان العبد صفته الذاتية هي النقص والكمال عارض له والعارض نقصان في التحقيق وتقديمه هذا

التضرع والافتقار بين يدي دعائه ليكون ذلك أرجى للاجابة قال سهل بن عبد الله عن ما أظهر عبد فقره الى الله في وقت الدعاء في شئ يحل به الا قال الملائكته لولا أن لا يحتمل كلامي لأجبته لبيك اه (الهي ان اختلاف تدبيرك) فقد يكون العبد فقيرا فيدبر الله له الغنى وبالعكس ويكون مريضا فيدبر الله له الصحة وبالعكس فالمراد بالتدبير المدبر أي المقدر ولذا عطف عليه للتفسير قوله (وسرعة حلول مقادرك) أي المقدرة على العبد (منعا عبادك العارفين بك

الغافلين وان يسلك بنا مسالك المتقين بمنه وكرمه) هذا دعاء حسن موافق لمعنى ما تقدم وهو بين لا يحتاج الى تبيين ولا تنبيه عليه فالله تعالى يحقق لنا ذلك بفضله واحسانه انه أرحم الراحمين * (وقال رضي الله عنه الهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيرا في فقري الهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولا في جهلي) العبد موصوف بصفات النقص وهي ذاتية له والكمال العارض له والمنسوب اليه نقصان على التحقيق ومن ثم كان ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى من كونه فقيرا في غناه وجاهلا في علمه صحيحا مستقيما وكأنه قصد رضي الله عنه بهذا الاعتراف بدوام الاضطرار ولزوم الفاقة والافتقار وانه لا استغناء له عن مولاه عز وجل ولا ينفك من الاحتياج اليه والتعلق به والسؤال والطلب منه في كل حال من أحواله كما قال بعضهم

انى اليك مد الانفاس محتاج * لو كان في مفرقي الاكليل والتاج

وهذا منه دليل على تحققه في مقام العبودية التي اقتضتها عظمة الربوبية وتقديمه لهذه المعاني بين يدي دعائه ومناجاته في غاية الحسن * قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه ما طلبت من الله شيأ الا وقدمت اساءتي امامي يريد رضي الله عنه حتى لا اطلب من الله شيأ بوصف يستحق به العطاء بل لا يكون طالبه وجود فضله الا بفضله وقال أبو عثمان رضي الله عنه في قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية التضرع في الدعاء أن لا تقدم اليه أفعالك وصلواتك وصيامك وقيامك وقراءتك ثم تدعو على أثره انما التضرع أن تقدم اليه افتقارك وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك ثم تدعو بلا علاقة ولا سبب فيرفع دعاءك * وقال الواسطي رضي الله عنه تضرعا بذل العبودية وخلع الاستطالة وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ما أظهر عبد فقره الى الله تعالى في وقت الدعاء في شئ يحل به الا قال للملائكته لولا أنه لا يحتمل كلامي لأجبته لبيك

* الهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقادرك منعا عبادك العارفين بك

عن السكون) منك (الى عطاء) أي عن سكونهم الى عطاء يصدر منك فاذا أفيضت عليهم العطايا الدنيوية كالاموال أو الدينية كالمعارف والاسرار والمكاشفات لا يلتفتون اليها لانها بصدد الزوال يمكن زوالها واتيان ضدها كما وقع لكثير في غابر الزمان بل لا يلتفتون الا الى المولى ولا يغيبون عنه و يكونون بقاء ذلك وزواله عندهم على حد سواء (واليأس منك في بلاء) فاذا قام بهم بلية بدنية كمرض أو فقر أو دينية كمعصية لا ييأسون من زوالها باتيان ضدها كما وقع لغيرهم (الهي مني) أي يصدر مني (ما يليق بلؤمي) الذي ركبت عليه وهو مبارزتي اياك بالمعاصي التي تليق بي فان شأن الانسان عدم الوفاء بحقوق ※(١٣١)※ الرب (ومنك) أي و يصدر منك (ما يليق بكرمك) وهو التجاوز والعفو عني وقبول أعذاري والتفضل والاحسان ودفع الآلام (الهي وصفت نفسك باللطف والرأفة) أي شدة الرحمة (بي قبل وجود ضعفي أفتمنعني منهما) أي من قيام أثرهما بي وحصوله لدي (بعد وجود ضعفي) فاللطف والرأفة صفتان لله عز وجل اتصف بهما في الازل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته وهما مقتضيان لوجود أثرهما فيما لا يزال بعد وجود ذات العبد وصفاته وهو اسباغ نعمه عليه وايصال افضاله اليه فكيف يتصور اذ ذاك منعه اياهما واللطف يرجع للعلم والرأفة للارادة (الهي ان ظهرت المحاسن مني) وهي أنواع الطاعات والصفات المحمودة (فبفضلك) لا بحولي وقوتي (ولك المنة) أي الامتنان (علي) لعدم استحقاقي لذلك والامتنان مذموم الا من الله أو الرسول أو الوالد أو الشيخ (وان ظهرت المساوي مني) وهي ضروب المعاصي والصفات المذمومة (فبعدلك) لا بطريق الظلم لان المالك يفعل في ملكه ما يشاء (ولك الحجة علي) بأن تقول لي لم فعلت ذلك يا عبدي وليس لي حجة أحتج بها عليك كأن أقول لك ان ذلك بتقديرك وحكمك لان ذلك شأن الجاهل بك أما العالم بك فيقول ان المالك يفعل في ملكه ما يشاء لا يسئل عما يفعل

عن السكون الى عطاء واليأس منك في بلاء) تلوين الاحكام على العباد يقتضي أن لا يساكنوا الحالة السارة يكونون عليها ولا ييأسوا في حال ضارة تنزل بهم من وجود الراحة والفرح وهذا محض تعلق بالله عز وجل وهو نعت العارفين

※الهي مني ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك) لؤم العبد الذي ركب عليه يقتضي منه مبارزة مولاه بالعظائم والكبائر وكرم المولى الذي هو متصف به يقتضي منه التجاوز والعفو عن عبده وقبول عذره وهذا الكلام من ألطف وجوه السؤال والرغبة وهو من آداب الدعاء * يحكى أن رجلا قال لبعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قل له كم أخالفه وأعصيه وهو لا يعاقبني فأوحى الله تعالى الى ذلك النبي قل لفلان لتعلم اني انا انا وأنت أنت ※الهي وصفت نفسك باللطف والرأفة بي قبل وجود ضعفي أفتمنعني منهما بعد وجود ضعفي) اللطف والرأفة وصفان لله عز وجل اتصف بهما في الازل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته وهما مقتضيان لوجود آثارهما فيما لا يزال بعد وجود ذات العبد وصفاته وهي اسباغ نعمه عليه وايصال افضاله اليه فكيف يتصور اذ ذاك منعه اياهما ※الهي ان ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي وان ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجة علي) ظهور المحاسن على العبد وهي أنواع الطاعات والحسنات والصفات المحمودات فضل من الله تعالى والمنة له عليه لعدم استحقاقه لذلك وظهور المساوي منه وهي ضروب المعاصي والسيئات والاوصاف المذمومات عدل من الله تعالى اذ له أن يفعل بعبده ما يشاء والحجة له

(الهي كيف تكلني الى نفسي وقد توكلت لي) ومن كنت وكيله لا تحوجه الى غيرك (وكيف أضام) أي يحصل لي ضيم وذل (وأنت الناصر لي أم كيف أخيب) بعدم الظفر بآمالي (وأنت الحفي بي) أي اللطيف ولطفه بعبده علمه بدقائق مصالحه وخفايات مآربه وايصال ذلك اليه برفق فالوكيل والناصر والحفي من أسماء الله تعالى وهي مقتضية لوجود آثارها من الكفاية والنفعة والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك ذلك عن العبد عند وجود حاجته كما تقدم في اللطف والرأفة (ها أنا أتوسل اليك بفقري اليك) أي أجعل فقري اليك وسيلة أتشفع به عندك في القبول لا بأعمالي المدخولة وأحوالي المعلولة ولذا سئل أبو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير أن يقدم به على ربه سوى فقره وقال أبو يزيد نوديت في سري خزائننا مملوأة من الخدمة فان أردتنا فعليك بالذلة والافتقار * ثم رجع عن جعل الفقر وسيلة يتشفع به الى المولى فقال (وكيف أتوسل اليك بما هو محال أن يصل اليك) وهو الفقر المذكور فكأنه يقول ان [illegible] الفقر يتوسل به اليك فانا أتوسل به لكنه لا يتوسل به اليك لان التوسل لان المتوسل به يكون بينه وبين المتوسل اليه علاقة ومناسبة كالوزير والسلطان ولا مناسبة بين الفقر الذي هو نعت العبد وبين الرب الذي له الغنى الاكبر وأيضا توسل العبد بفقره يقتضي شهوده له واعتماده عليه فيكون حينئذ من الاحوال المعلولة وهي لا تصل الى الله بمعنى انه لا يرضاها ولا يقبلها ولذا قيل ان أبا الحسن الشاذلي قدس الله سره لما دخل على شيخه عبد السلام قال له يا أبا الحسن بماذا تلقى الله قال بفقري فقال له والله لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الاعظم ولا تصح حقيقة الفقر الا بالغيبة عن الفقر والا كنت غنيا بفقرك اهـ فاذن لا وسيلة الا الله بسواه

عليه لانه رب وهو عبد ومناجاة العبد لمولاه بهذا الكلام من أحسن المناجاة وهي مقتضية لوجود اسعافه له وموالاة الطافه عليه لما فيها من الثناء على الله تعالى على بساط قربه وذكر صفاته العلية والتعلق بها والاعتراف له بالنعم الظاهرة والباطنة ولما فيها أيضا من رؤية ضعف النفس والاقرار عليها بالنقص والقصور وانزالها منزلتها من الذلة والمهانة وقد قال بعضهم تعلق شاب باستار الكعبة وقال الهي لا لك شريك فيؤتى ولا وزير لك فيرشى ان أطعتك فبفضلك ولك المنة علي وان عصيتك فبعدلك ولك الحجة علي فباثبات حجتك علي وانقطاع حجتي لديك الا ما غفرت لي فسمع هاتفا يقول الفتى عتيق من النار * الهي كيف تكلني الى نفسي وقد توكلت لي وكيف أضام وأنت الناصر لي أم كيف أخيب وأنت الحفي بي) الوكيل والناصر والحفي اسماء الله عز وجل وهي مقتضية لوجود آثارها من وجود الكفاية والمنفعة والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك ذلك عن العبد عند وجود حاجته كما تقدم في اللطف والرأفة والضيم في اللغة معناه انتقاص الحق والحفي هو اللطيف ولطفه بعبده علمه بدقائق مصالحه وخفيات مآربه وايصال ذلك اليه برفق قال الله تعالى الله لطيف بعباده * ها أنا أتوسل اليك بفقري اليك) التوسل التقرب والوسيلة ما يتقرب به وأعظم وسائل العبد الى مولاه هو تحققه بما توجبه عبوديته وهو فقره اليه في كل حال من أحواله فلا يرى لنفسه حسنة يقتضي بها ثوابا ولا يدلي بحجة يستدفع بها عن نفسه عقابا قال أبو يزيد رضي الله عنه نوديت في سري فقيل لي خزائننا مملوأة من الخدمة فان أردتنا فعليك بالذلة والافتقار وسئل أبو حفص رضي الله عنه بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير ان يقدم به على ربه سوى فقره *(وكيف أتوسل اليك بما هو محال أن يصل اليك) بين

(أم كيف أشكو اليك حالي وهي لا تخفى عليك) وشكوى الحال لا تصح الا لمن لا يعلمها والله تعالى لا يخفى عليه شئ ولذا قال الخليل عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي وقولهم لا شكوى الا فشأن الغافلين المحجوبين (أم كيف أترجم لك بمقالي) أي أعبر عما في ضميري بأن أقول أعطني كذا والترجمة في الاصل التعبير باللسان عما في الضمير لتفهيم *(١٣٣)* المخاطب (وهو منك برز اليك) أي أنت الذي اطلقت اللسان وأطلقته بذلك فالترجمة برزت منك وترجع اليك لانك المسؤل والعبد لا مدخل له في ذلك فكيف تنسب اليه الترجمة وأيضا فهو تعالى عالم باحوال العبد والترجمة لا تكون الا لمن لا يفهم حال المترجم والمراد بالترجمة هنا مطلق السؤال (أم كيف تخيب آمالي) أي ما أؤمله وأرجوه (وهي قد وفدت اليك) أي توجهت بالسير اليك كما يتوجه الوافدون بالسير الى الكرام وفي بعض النسخ عليك ولا شك أنه تعالى كريم جواد متفضل لا يخيب من قصده فليكن العبد على يقين بحصول مطلوبه وان لم يسأل ولم يطلب ولما كانت هذه التعجبات تقتضي نسبة النقص الى نفسه وذلك غير لائق بالعارفين المحققين لما فيه من رؤية النفس وملاحظة حالها والبقاء معها والمحقق لا يرى غير الله والاحوال كلها حسنة من حيث نسبتها اليه أتى بقوله (أم كيف لا تحسن أحوالي) الباطنية والظاهرية وهي الاعمال الصالحة (وبك قامت واليك) أي صدرت منك ورجعت اليك لانك المقصود بها فمن تحقق في مقام المعرفة رأى أحواله كلها حسنة لوجود قيامها بالله ورجوع أمرها

المتوسل به والمتوسل اليه نسبة تامة ووصلة حقيقية وهي التي اقتضت له وجود التوسل ولا نسبة ولا وصلة بين الفقر الذي هو نعت العبد وبين الرب الذي له الغنى الاكبر وأيضا توسل العبد بفقره يقتضي شهوده له واعتداده به واعتماده عليه ورؤية العبد لاحواله وسكونه اليها علة فيها والاحوال المعلولة لا تليق بالحضرة الالهية ولا تصل الى الله تعالى بمعنى انه لا يرضاها ولا يقبلها فالفقر لا يصح التوسل به من هذا الوجه أيضا والى هذا المعنى يشير ما يحكى عن سيدي أبي الحسن الشاذلي حين دخل على شيخه أبي محمد عبد السلام رضي الله عنهما فقال له يا أبا الحسن بماذا تلقى الله تعالى قال له بفقري قال له الشيخ والله لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه بالاسم الاعظم ولا تصح حقيقة الفقر الا بالغيبة عن الفقر والا كنت غنيا بفقرك اه فاذن لا وسيلة الى الله بسواه *(أم كيف أشكو اليك حالي وهي لا تخفى عليك) شكوى الحال لا تصح الا لمن هي غائبة عنه وهو غير عالم بها والله تعالى لا يخفى عليه شئ وقد قال ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام حسبي من سؤالي علمه بحالي *(أم كيف أترجم لك بمقالي وهو منك برز اليك) الترجمة بالمقال هي التعبير باللسان عما في الضمير ليقع التفهيم بذلك للمترجم له والله تعالى هو الذي أنطق اللسان وأطلقه بذلك فالترجمة من الله تعالى برزت واليه مآل أمرها والعبد لا مدخل له في ذلك فكيف ينسب اليه الترجمة ونسبة ذلك الى الله تعالى دليل على احاطة علمه باحوال العبد فكيف يصح في حقه معنى الترجمة *(أم كيف تخيب آمالي وهي قد وفدت اليك) الآمال الوافدة الى الله تعالى لا يخيبها من قبل انها وافدة اليه ومتعلقة به ومنقطعة عما سواه والله تعالى كريم جواد متفضل منعم فليثق العبد بذلك وليكن على يقين منه وان لم يسأل ولم يطلب *(أم كيف لا تحسن أحوالي وبك قامت واليك) من تحقق بالمعرفة رأى أحواله كلها حسنة لوجود قيامها بالله ورجوع أمرها اليه وهذه كلها أنواع من التعجب تعجب بها المؤلف رحمه الله نفسه من نفسه فيما هو بصدده من سؤاله وطلبه بسبب ترقيه في المعرفة التي أوجبت له رؤية

ويه (الهي ما الطفك) أي ما أكثر لطفك أي رفقك (بي مع عظيم جهلي) بعواقب الامور فقد يكون في نزول
الامراض والبلايا لي أنواع من اللطف وأنا جاهل بعاقبة ذلك فلذا أطلب الصحة والعافية (وما أرحمك بي)
أي أكثر احسانك لي (مع قبيح فعلي) أي مع افعالي القبيحة المقتضية عدم الاحسان فهذا أمر يتعجب
منه (الهي ما أقربك مني) بذاتك كما يقوله أهل المعرفة والشهود أو بعلمك كما يقوله غيرهم من أهل
الجحود (وما أبعدني عنك) بصفاتي التي اقتضت عدم شهودي اياك وهذا تواضع منه قدس الله سره * ثم
ترقى فقال (الهي ما أرأفك) أي أشد رأفتك أي رحمتك (بي فما الذي يحجبني عنك) فان من شاهد رأفة
ربه به غاب بهذا الشهود عن رؤية نفسه وصفاتها فلذلك لم يظهر له

نفسه وقصوره في أحواله الاولى * (الهي ما الطفك بي مع عظيم جهلي وما أرحمك بي مع قبيح فعلي) شهود العبد لهذا المعنى مزيد عظيم يوجب له الخجل والانكسار فيستحسن منه حينئذ الاعتراف بالنعم فقط * (الهي ما أقربك مني وما أبعدني عنك) شهود المؤلف رحمه الله تعالى شدة قرب الله تعالى منه لما رأى من بعد الاغيار عنه ودفعها اليه كما سيأتي في قوله قد دفعتني العوالم اليك وشهوده لبعده من الله عز وجل من حيث أنه في الطلب له والطلب للشئ دليل على فقد الطالب له وبعده عنه فالمشاهدة الاولى أوجبت له ملازمة باب مولاه وانقطاع طمعه عن كل ما سواه والمشاهدة الثانية أوجبت له التلطف في سؤال التقريب والاستغناء عن طلب القرب ومن دعاء سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه يا قريب أنت القريب وأنا البعيد قربك آيسني من غيرك وبعدي منك ردني لطلب لك فكن لي بفضلك حتى تمحو طلبي بطلبك يا قوي يا عزيز * (الهي ما أرأفك بي فما الذي يحجبني عنك) الرأفة أشد من الرحمة ولما شاهد رأفة ربه به غاب بهذا الشهود عن رؤية نفسه وصفاتها فلذلك لم يظهر له سبب لوجود حجابه عنه * (الهي قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الاطوار أن مرادك مني أن تتعرف الي في كل شئ حتى لا أجهلك في شئ) كان المؤلف رحمه الله يقول اختلاف الآثار علي وتنقلات الاطوار بي من الصحة والمرض والغنى والفقر والعز والذل والقبض والبسط والطاعة والعصيان والفقد والوجد وغير ذلك من مختلفات أحوالي التي هي من شؤونك التي تنزلها بي علمت

سبب لوجود حجابه عنه (الهي قد علمت باختلاف الآثار) وقوله (وتنقلات الاطوار) مرادف لما قبله أي قد علمت باختلاف الآثار علي وهي تنقلات الاطوار بي من الصحة والمرض والغنى والفقر والعز والذل والبسط والقبض والوجد والفقد وغير ذلك من شؤونك التي تنزلها بي (ان مرادك) مني بذلك (ان تتعرف الي) أي ان اعرفك (في كل شئ) معرفة خاصة (حتى لا أجهلك في شئ) ولو كان الامر على خلاف هذا او الزمتني حالة واحدة منها
ارتضيها لنفسي واختارها لكانت معرفتي ناقصة ومشاهدتي قاصرة بيان ذلك ان الله تعالى اذا
أنزل بي مرضا أو فاقة عرفت في ذلك الوقت أنه لا يقدر على دفعه الا هو وانه الذي أمرضني وأفقرني
فاصبر على ذلك واذا أنزل بي صحة أو غنى عرفت انه المنعم علي والمعطي لي فاشكره وهكذا ولو فرض أنه
ادام لي حالة واحدة كالصحة والغنى لم أعرف المولى في حالة المرض أو الفقر فكنت جاهلا به من حيث
المرض أو الفقر أي لم أعرف بطريق الذوق انه لا يقدر على كشف الكربة الا هو فتكون معرفتي
ناقصة فينبغي للعبد أن لا يغفل عن مولاه في عطاء ولا منع ولا عز ولا ذل ولا غنى ولا فقر ولا قبض ولا بسط
ولا فقد ولا وجد الى غير ذلك

منها ان اراد تلك بى أن تتعرف الى فى كل شئ تعرفا خاصا فى حالة خاصة حتى أشاهد وحدانيتك وعظمتك وجمالك وكمالك وجلالك بحيث لا يتصور منى جهل بما أنا فيه قابل لمعرفته من جميع ذلك ولو كان الامر على خلاف هذا والزمتنى حالة واحدة أرتضيها النفسى واختارها لكانت معرفتى ناقصة ومشاهدتى قاصرة فأنا الآن أتقلب فى جنة معجلة أتبوأ منها حيث أشاء فقد استغرقنى ما أنا فيه من عظيم النوال وشغلنى ذلك عن الدعاء والسؤال وطلب السكون على ما أرتضيه من الاحوال فلك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة والخفية والجلية قال بعضهم فى الدنيا جنة معجلة من دخلها لم يشتق الى جنة الآخرة ولا الى شئ ولم يستوحش من شئ قيل وما هى قال معرفة الله تعالى وقال مالك بن دينار رضى الله عنه خرج الناس من الدنيا و لم يذوقوا أطيب الاشياء قيل وما هو قال المعرفة ثم قال

ان عرفان ذى الجلال لعز * وضياء و بهجة وسرور
وعلى العارفين أيضا بهاء * وعليهم من المحبة نور
فهنيأ لمن عرفك الهى * هو والله دهره مسرور

وقد روى أنه رؤى صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها مكتوب اذا أحسنت كل شئ فلا تظنن انك أحسنت شيأ حتى تعرف الله عز وجل وفى يد الآخر كنت قبل ان اعرف الله عز وجل اشرب واظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب قال فى التنوير بعد كلام ذكره وانما قلنا ان الحالة زائلة عنك لا محالة فان مراده أن ينقلك فى الاطوار ويخالف عليك الآثار ليتعرف اليك فى كل حالة خاصة بتعرف خاص فاذا أردت أن يديمك على حالة واحدة فقد أردت أن يسلك بك غير الكمال فكأنه يقول لك لا تطلب منى أن اقيمك فى حالة واحدة فانى لا أفعل ذلك معك أتريد أن تبقى ربوبيتى معطلة الآثار ولكن سلنى ان اشعرك لطفى حيثما أردتك وحيثما أقمتك حتى تكون فى ولى قال الله سبحانه وتعالى يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شان أى يمنع ويعطى ويضع ويعلى ويقبض ويبسط ويعز ويذل الى غير ذلك من مختلفات آثاره فكأنه سبحانه وتعالى يقول لك يا عبدى لا تأس على شئ مادمت لك ولا تفرح بشئ وأنا لست لك فأنا المعوض لك عما سواى وماسواى لا يغنيك عنى ولا تكن ممن يعبدنى بالعلل فتكون من عبيد الحروف بل اعبدنى لى فانى بكمال الغنى موصوف وبدوام الافضال معروف قال الله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة لان الذى طلبه عز أنا عنه فمادام له وهو ماطلبنا حتى نكون له ومن عبد ملما سواه فهو عبد ماسواه ومن عبده لاجل جوده و نعمائه فهو عبد

(الهي كما اخرسني لؤمي) اى مخالفتي وعصياني فان ذلك يقتضي عدم انطلاق لساني بالطلب منك لان
العاصي لا يكون الا بعد التودد والتودد الى المولى بطاعته وذلك مفقود عندي لكن كما خرست (انطقني
كرمك) فاني اذا لاحظت انك كريم والكريم لا يتوقف احسانه على التودد اليه انطلق لساني بالطلب
منك (وكلما آيستني) اي اوقعتني في اليأس من الاستقامة (اوصافي) الذميمة التي اقتضتها الطبيعة
والجبلة فانها تقتضي اليأس من الاستقامة على طريق الحق ومن القيام بحقوق الربوبية (اطمعتني) اى
جعلتني طامعا في ذلك (منتك) اي امتنانك واحسانك الذي شمل البار والفاجر (الهي من كانت محاسنه)
اي اعماله الصالحة (مساوي) لعدم خلوها من دقائق العجب والرياء فهي محاسن بحسب الظاهر وعند الناس
مساوي في الواقع وعند الله (فكيف لا تكون مساويه) اى (١٣٦) عيوبه واعماله السيئة (مساوي) اي عيوبا
تامة عظيمة وقد اختلف الخبر والمبتدا بهذا الاعتبار ويحتمل ان المعنى فكيف لا تكون مساويه في الواقع ونفس الامر مساوي عنده فهو لا يعتقد الكمال من نفسه ولا ينظر الى عيوبه بعين الاحتقار فلا يعدها عيوبا كما هو حال الغافلين (ومن كانت حقائقه) اى علومه ومعارفه التي يعرفها الناس مني (دعاوى) عندي وفي اعتقادي (فكيف
لا تكون دعاويه دعاوى) فيه ما تقدم وكانه يقول انا في جميع الاحوال معتقد للتقصير من نفسي (الهي
وترج العفو من الله وليس لي حالة اعتقد بها الكمال وهذا مثل ما تقدم من ان الكمال المنسوب الى العبد
نقصان على التحقيق فما ظنك بنقصانه (الهي حكمك) اي قضاؤك (النافذ) وقوله (ومشيئتك القاهرة)
تفسير لما قبله ووصف المشيئة بذلك لانها ان تعلقت بحصول نقمة وبلية كانت قاهرة او بحصول نعمة
وعطية كانت غير قاهرة (لم يترك لذي مقال مقالا) فاذا كان ذا قول سديد بان كان ينطق بالحقائق ويتكلم في
العلوم العرفانية لم يغتر بذلك فقد يحكم الله وتنفذ مشيئته بسلب غيره كبلعام بن باعورا (ولا لذي حال
حالا) فاذا كان ذا حال حميد بان كان يحصل له كشف عن امور تحصل في الكون او تطيعه بعض الجمادات
والعناصر لم يغتر بذلك فقد يحكم الله ونفذت مشيئته بسلب غيره كما هو مشاهد كثيرا فهذا المعنى يوجب
للعبد التحقق في مقام الخوف وعدم الاغترار بشيء من اقواله واحواله لنفوذ حكم الحق تعالى وقهر مشيئته

جوده ونعمائه لان من احب شيئا فهو عبد ما احبه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس
واذا شيك فلا انتقش فكن عبد الله في كل شيء عطاء ومنعا وعزا وذلا وغنى
وفقرا وقبضا وبسطا وفقدا ووجدا وشدة ورخاء وفناء وبقاء الى غير ذلك من
مختلفات الآثار وتنقلات الاغيار انتهى كلامه رحمه الله وقد احسن فيه غاية
الاحسان كله جزاه الله تعالى خيرا * (الهي كما اخرسني لؤمي انطقني كرمك وكما
آيستني اوصافي اطمعتني منتك) لؤم العبد ومخالفته وعصيانه يخرس لسانه
عن السؤال والطلب وكرم المولى وفضله واحسانه ينطقه بذلك واوصاف العبد
الذميمة التي اقتضتها طبيعته وجبلته تؤيسه من حصول الاستقامة على طريق
الحق ومنن الله تعالى التي شملت البر والفاجر تطمعه في ذلك * (الهي من كانت
محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي ومن كانت حقائقه دعاوى
فكيف لا تكون دعاويه دعاوى) هذا مثال ما تقدم من ان الكمال المنسوب
الى العبد نقصان على التحقيق فما ظنك بنقصانه * (الهي حكمك النافذ
ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا ولا لذي حال حالا) شهود هذا
المعنى يوجب للعبد مقام الخوف والتحقق فيه فان كان ذا قول سديد وحال
حميد لم يقطع ببقاء ذلك ولم يغتر بما هنالك لنفوذ حكم الحق تعالى وقهر مشيئته

(الهي كم من طاعة) ظاهرية (بنيتها) أي اقمتها على الوجه المأمور به في الظاهر بان وفيت بجميع شروطها واركانها وآدابها (وحالة شيدتها) أي زينتها وصنتها عما يكدر صفاءها بان اخلصت فيها اخلاصا تاما والحالة هي الطاعة فعطفها عليها من عطف المرادف أي ولما فعلت هذين الامرين من البناء والتشييد رأيت اني تحصنت بحصن حصين وآويت الى ركن متين لكن (هدم اعتمادي عليها) في النجاة من العذاب ودخول الجنة دار الثواب (عدلك) أي النظر الى عدلك فان مقتضاه انك تفعل ما تشاء ولا تبالي باعمال العاملين فجوزت ان تعاقبني على تلك الطاعة (بل أقالني منها) أي من الاعتماد عليها والتعلق بها (فضلك) أي النظر الى فضلك وكرمك واحسانك فصرت معتمدا عليه ومتعلقا به لا بطاعتي فصار التعلق * (١٣٧) * والاعتماد على الاحسان والفضل لا على الطاعة ونعم البدل والعوض (الهي أنت تعلم وان لم تدم الطاعة مني فعلا جزما) أي ان عدم دوامها فعلا مجزوما به لعجزي عن ذلك ومقتضى العبودية ان أداوم عليها فانا مقصر (فقد دامت محبة وعزما) أي انا مداوم عليها من حيث محبتي لها وعزمي عليها وأنت تعلم بذلك فلا تؤاخذني بتقصيري بل مداومتي على هذا الوجه فضل عظيم والا فكم من شخص محروم ليس عنده

18 عباد في فعل ولا محبة ولا عزم فالواو الداخلة على أداة الشرط زائدة ومتعلق العلم هو جواب الشرط كما تقرر ثم تردد في وقوع العزم منه بقوله (الهي كيف أعزم) أي يقع مني عزم على فعل الطاعات وترك المنهيات (وأنت القاهر) فيمكن ان يقع مني عزم على ذلك ثم يصدني عنه قهرك فيكون العزم لا فائدة فيه ولا يعتد به (وكيف لا أعزم وأنت الآمر) لي بالعزم على ذلك ومقتضى الامر المبادرة الى العزم فانا متحير وعاجز عن تدبير أمري ولا يسعني الا التسليم اليك والاعتماد عليك ولذا كان العارفون لا يجزمون بشيء من الاشياء بل يفوضون الامر الى الله تعالى فقد قالوا العارف لا عزم له (الهي ترددي في الآثار) أي المكونات على سبيل التعلق بها والاستناد اليها او على سبيل الاستدلال بها على الله تعالى (يوجب بعد المزار) أي الوصول اليك ومشاهدتك (فاجمعني عليك) أي أوقفني بين يديك (بخدمة) أي طاعة من أذكار ورياضات ومجاهدات (توصلني اليك) وتقطع

الهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل اقالني منها فضلك) الطاعة صفة ظاهر العبد والحالة صفة باطنه وبناؤه للطاعة هو اقامتها على الوجه المامور به من الوفاء بجميع أركانها وشرائطها وما يتعلق بها من حقوق وآداب وتشييده للحالة هو تزيينها وتطهيرها وصيانتها عما يكدر صفاءها ويكسف ضياءها وكأنه لما فعل هذين الامرين رأى انه تحصن بحصن حصين وأوى الى ركن متين لكن لما شاهد عدل الله تعالى هدم عليه ذلك لان مقتضاه أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يبالي باعمال العاملين فلما شاهد فضله وكرمه أقاله من ذلك بان جعل له من التعلق به والاعتماد عليه بدلا منه وعوضا عنه ونعم البدل والعوض فسبحان المتفضل المنان الهي أنت تعلم وان لم تدم الطاعة مني فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما) جعل عزمه على الطاعة ومحبته لها وان لم يدم عليها فعلا احدى وسائله وذلك صحيح وكم من شخص قد طردوا بعد فلم يكن عنده عزم ولا فعل جزم الهي كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لا أعزم وانت الآمر) استبعد من نفسه وقوع العزم منه وجعل مستند ذلك شهود القهر لان من شهد قهره بطل عزمه لانه الغالب واستبعد أيضا عدم العزم وجعل مستند ذلك شهود الامر لان من شهد أمره بادر الى امتثاله وتحرز من اغفاله واهماله الهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني اليك) شكا

التعلق بالآثار من ولي فلا تعلق بمكاشفات ولا أحوال ومقامات كما تقدم في قوله لا ترحل من كون
الى كون الخ ولا استدل بها على موجدها كما قال (الهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده
أي ثبوته وتحققه خارجا (مفتقر اليك) وهو المكونات فانها في ذاتها عدم محض كما مر (أيكون لغيرك
من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك) فان * (١٣٨) * الدليل يكون أظهر من المدلول
حتى يستدل به عليه فأصحاب النظر والاستدلال عالمهم قبيح بالنسبة الى أصحاب الشهود والعيان ويقال لهم عوام بالنسبة لهم كما تقدم عند قوله شتان بين من يستدل به ومن يستدل عليه * ثم ترقى في نفي الاستدلال بقوله (متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار) أي المكونات (هي التي توصل اليك) أي الى معرفتك ولذا قال مريد لشيخه يا أستاذ [illegible] فقال ويحك وهل يطلب مع العين أين (الهي عميت عين) المراد بها عين البصيرة وهذا يحتمل أن يكون اخبارا وأن
يكون دعاء بدوام العمى لان أصله حاصل (لا تراك عليها رقيبا) أي حفيظا مراقبا لها فمن رأى الله
رقيبا عليه يعلم جميع أحواله لا يخفى عليه منها شيء استحيا منه وهابه أن يراه على ما يكرهه منه ومن
لم يكن على هذا الوصف عميت عين بصيرته فبارز مولاه بأنواع القبائح من غير اكتراث ولا مبالاة
ولذا ورد في الحديث أفضل ايمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان

الى مولاه عز وجل طال تردده في الآثار وهي الاكوان وأخبر أنه يوجب له بعد المزار وهو البعد عن شهود التوحيد وكمال المعرفة وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا ترحل من كون الى كون ثم سأله وطلب منه أن يختصر له طريق سلوكه ويقربه عليه ويجمعه من مفترقات الآثار بخدمة تظهر فيها عبوديته ويصل بها الى مولاه من غير تردد ولا طول

(الهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك) هذا تعريض لأحوال المستدلين على ربهم وهم أصحاب النظر والاستدلال بالنسبة الى أهل المقام الآخر وهم أرباب الشهود والعيان قال أبو بكر محمد بن علي الكتاني رضي الله عنه وجود العطاء من الحق شهود الخلق بالحق لأن الحق دليل على كل شيء ولا يكون شيء دونه دليلا عليه قال في لطائف المنن وأرباب الدليل والبرهان عوام عند أهل الشهود والعيان قدسوا الحق في ظهوره أن يحتاج الى دليل عليه وكيف يحتاج الى الدليل من نصب الدليل وكيف يكون معرفا به وهو المعرف له قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف أم كيف يعرف بشيء من سبق وجوده وجود كل شيء وقال مريد لشيخه يا أستاذ أين الله فقال له ويحك أيطلب مع العين أين وقد تقدم هذا المعنى عند قوله شتان بين من يستدل به ويستدل عليه

(الهي عميت عين لا تراك عليها رقيبا) الرقيب الحفيظ فمن رأى الله تعالى رقيبا عليه يعلم جميع أحواله ولا يخفى عليه منها شيء استحيا منه وهابه أن يراه على ما يكرهه منه وقد قيل اذا عصيت مولاك فاعصه بموضع لا يراك ومن لم يكن على هذا الوصف وغفل عن نظر الله تعالى اليه عميت عين بصيرته فبارز الله تعالى بأنواع القبائح والفضائح من غير اكتراث ولا مبالاة وقد سئل بعضهم بم يستعين الرجل على حفظ بصره من المحظورات قال بعلمه بأن رؤية الحق سبحانه له تسبق نظره الى تلك المحظورات قال الله عز وجل وما تكون في شأن وما تتلو منه

(وخسرت صفقة) أى تجارة (عبد لم يجعل له من حبك نصيبا) أى حبك له أو حبه لك والاول هو الاصل فى الثانى قال تعالى يحبهم ويحبونه وحب الله لعبده احسانه اليه وثناؤه عليه وحب العبد لله طاعته وموافقة أمره وتعظيمه وهيبته والمحب ايه بقلبه اليه فمن أعطاه الله من ذلك الحب نصيبا فقد فاز ومن حرمه منه وتعلق بالدنيا فقد خسرت تجارته وهى تلك الامور الدنيوية التى يتقلب فيها أى خسر فى تجارته وكانت تجارته خاسرة لا عيوقبها (الهى امرت بالرجوع الى الآثار) أى المكونات من الاموال والعيال وغيرهم أى ملابستها ومخالطتها بعد غيبتى (١٣٩) عنها بالوصول اليك ومشاهدتك فان المريد اذا وصل الى المولى غاب عن الاكوان ثم اذا خالطها بمقتضى الامر ربما اشغلته عن مولاه واحتجب بها عنه فلذا قال (فارجعنى اليها) مكسوا (بكسوة الانوار) أى بكسوة هى الانوار الالهية التى تمنع من تعلق بها واحتجابى بها عنك (وهداية الاستبصار) أى هداية ناشئة عن الاستبصار أى الشهود بعين البصيرة (حتى أرجع اليك منها) أى أشاهدك فيها وفى بعض النسخ فيها وهى بمعنى ما قبلها (كما دخلت اليك منها) بالاستدلال بها عليك والاعتبار بها فان المريد حينئذ محجوب عن مولاه فينتقل فى الآثار حتى يصل اليه والضمير فى الموضعين للآثار لا بالمعنى المتقدم بل بمعنى الموجودات من السماء والارض وما بينهما ولو حذف ذلك هنا لكان أولى (مصون السر عن النظر اليها) أى التعلق بها فى اعتقاد نفع أو دفع ضرر وقوله (ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها) بمعنى ما قبله ويحتمل ان صون السر عن النظر اليها وعدم التفات شئ منها فى نظره ورفع الهمة فى الاعتماد عليها وعدم التعلق بها فيما ذكروا والحاصل انه سأل المولى انه اذا أرجعه الى الاكوان والتلبس بها يرجعه اليها على حالة هى مضادة للحالة التى كان عليها قبل السلوك وهى كونه

وين قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه * قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه خوفهم بما عرفهم من اطلاعه عليهم فى جميع أحوالهم ورؤيته لما يسلفونه من فنون أعمالهم والعلم بانه يراهم يوجب استحياءهم منه وهذا هو حال المراقبة فالعبد اذا علم بان مولاه يراه استحيا منه وترك متابعة هواه ولا يحوم حول ما نهاه وعنه فى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ايمان المرء أن يعلم ان الله معه حيث كان (وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا) حب الله تعالى لعبده هو رحمته له وثناؤه عليه واحسانه اليه وحب العبد لربه عز وجل طاعته وموافقة أمره وتعظيمه وهيبته والحب المضاف الى الكاف فى قوله من حبك يحتمل أن يضاف الى الفاعل والى المفعول والظاهر كونه مضافا الى الفاعل لانه أبلغ وأمدح ولان محبة الله تعالى لعبده أصل محبة العبد له قال الله تعالى يحبهم ويحبونه فمن أعطاه الله تعالى من الحب المذكور نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز بقرة العين ومن حرمه ذلك فقد خسرت صفقته وبان عيبه وخيبته وفى بعض الكتب المنزلة على بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام يا عبدى أنا لك محب فبحقى عليك كن لى محبا وحكى عن بعضهم أنه قال اشتريت جارية فسمعتها فى شطر الليل وهى تقول الهى بحبك اياى الا ما غفرت لى فقلت لها لا تقولى هكذا ولكن قولى بحبى اياك فقالت يا سيدى بمحبته اياى من على بالاسلام وايقظنى لعبادته وكثير من عباده نيام قال زيد بن أسلم ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول له اصنع ما شئت فقد غفرت لك (الهى أمرت بالرجوع الى الآثار فارجعنى اليها بكسوة الانوار وهداية الاستبصار حتى أرجع اليك منها كما دخلت اليك منها مصون السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها

مكسوا بكسوة الانوار وهداية الاستبصار فانه اذا رجع اليها على هذه الحالة لم تؤثر فيه ولم تحجبه عن
مولاه وهذا المعنى غير ما تقدم في قوله فاذا انزلوا *(١٤٠)* الى سماء الحقوق الخ كما هو ظاهر مما قررناه

انك على كل شيء قدير) الآثار التي أمر العبد بالرجوع اليها بعد
وصوله الى صريح المعرفة وخالص التوحيد هي المكونات التي يلزمه اذا تلبس
بها حق أو يكون له فيها منفعة وحظ فسأل الله تعالى أن يرجعه اليها على حالة
شريفة مضادة للحالة التي كان عليها قبل السلوك وهي كونه مكسوا بكسوة
الانوار وهي أنوار اليقين ومؤيدا بهداية الاستبصار وهي العلم الراسخ المتين
فاذا رجع العبد الى الآثار على هذا الاسلوب والمعيار لم تؤثر فيه ولم تأخذه منه
لكمال حريته عنها وكان رجوعه الى مولاه في مآل أمره في مثل دخوله فيها عليه
في ابتداء أمر سلوكه مصون السر عن النظر اليها بعين الاستحسان مرفوع الهمة
عن الاعتماد عليها في نوال أو احسان وقد تقدم هذا المعنى عند قوله فان نزلوا الى
سماء الحقوق أو أرض الحظوظ الى آخره وقال رضي الله عنه (الهي هذا ذلي ظاهر
بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك) هذا انطراح منه على مولاه ومبالغة في بث
شكواه وتلطف في سؤال رحماه ومثل هذا يرجى اجابة الدعاء واستحقاق جزيل
العطاء وقد قالوا أبواب الملوك لا تقرع بالايدي بل بنفس المحتاج * وقال بعضهم
قلت للنهرجوري أجد في قلبي قسوة وقد شاورت فلانا فأشار علي بالصوم فلم تزل
وشاورت آخر فأشار علي بالسهر فلم تزل فقال النهرجوري رضي الله عنه خلطابك
أحضر الملتزم اذا نام الناس وتضرع وقل تحيرت في أمري فخذ بيدي ففعل
فزالت القسوة وقال الشاعر

ومارمت الدخول عليه حتى * حللت محلة العبد الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها * وصنت النفس عن قال وقيل
وذل العبد للمولى غناء * وغايته الى العز الطويل

وذل العبد لمولاه غاية العز والفخر وقال ذو النون المصري رضي الله عنه ما أعز
الله عبدا بعز هو أعز له من أن يدله على ذل نفسه وما أذل الله عبدا بذل هو أذل له
من أن يحجبه عن ذل نفسه (منك أطلب الوصول اليك) هذه صفة العارفين
المحققين لا يسبق نظرهم الا الى الله ولا يطلبون الا منه ولا يكون مطلبهم الا
الوصول اليه لا غير (وبك أستدل عليك) أي لا بغيرك لانك الظاهر قبل وجود
كل شيء ظاهر بل بظهورك خفيت المظاهر وقيل لبعض العارفين بم عرفت
ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقال أبو القاسم النصراباذي
رضي الله عنه الاشياء أدلة منه ولا دليل عليه سواه وقال أحمد بن أبي الحواري
رضي الله عنه لا دليل على الله سواه وانما العلم يطلب لآداب الخدمة (فاهدني

سابقا (انك على كل شيء قدير) ومنه تحصيل تلك المطالب السنية (الهي هذا ذلي ظاهر بين يديك) وهو في الحقيقة عين العز والفخر قال ذو النون المصري ما أعز الله عبدا بعزه وأعزه من أن يدله على ذل نفسه وما أذل الله عبدا بذل هو أذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه اهـ وقوله (وهذا حالي لا يخفى عليك) يعني ما قبله والقصد بذلك طلب حصول مطالبه من مولاه (منك اطلب الوصول اليك) أي اطلب منك لا من غيرك الوصول اليك لا غيره من المطالب الدنيوية والاخروية وهذا مطلب العارفين كما مر (وبك استدل عليك) أي استدل عليك واعرفك بك لا بغيرك من الدليل والبرهان

قيل لبعض العارفين بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقال بعضهم
لا دليل على الله سواه وانما العلم يطلب لآداب الخدمة فاهدني بنورك

بنورك) أي بنور تقذفه في قلبي اهتدي به (اليك) أي الى معرفتك معرفة خاصة (وأقمني بصدق العبودية بين يديك) أي أقمني بين يديك بأن تجعلني حاضر القلب معك حال كوني مصاحبا لصدق العبودية، أي للعبودية الصادقة بأن لا يظهر علي شيء من أوصاف الربوبية بل أكون متصفا بغاية العجز والذل والضعف والفقر ولا يظهر علي شيء من قوة أو عز أو قدرة أو غنى (الهي علمني من علمك المخزون) اضافة ذلك العلم اليه اضافة تشريف والعلم المخزون هو العلم اللدني * (١٤١) * الذي اختزنه عنده فلم يؤته الا للمخصوصين من أوليائه قال تعالى في شأن الخضر عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله وقال بعضهم هو أسرار الله يبديها الى أنبيائه وأوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة اهـ (وصني) أي احفظني عن رؤية الاغيار أو عن أباحة تلك العلوم والاسرار (بسر اسمك المصون) أي اسمائك المصونة أي المحفوظة عن الابتذال والاهانة فانه لا يجوز ان يدخل بها في بيت الخلاء مثلا أو عن ان يسمى بها غيره سبحانه وسرها أنوار وتجليات تحصل لمن يذكرها (الهي حققني بحقائق أهل القرب) أي أعطني مقامات أهل القرب منك الذين تحققوا في مقام الفناء فبطل في حقهم رؤية الاسباب وزال عنهم كل حجاب فلم يروا غيرك واكتفوا بتدبيرك عن تدبير أنفسهم وبعلمك عن الشكوى لغيرك (واسلك بي مسالك أهل الجذب) وهم المحبوبون المرادون فكأنه يقول اجذبني اليك حتى يسهل علي سلوك الطريق وأصل اليك في أقرب مدة وأجمل لذة وحلاوة في الاعمال كما هو حال أهل الجذب الذين أخرجتهم عن حكم انفسهم وتوليتهم

بنورك اليك) وهو نور الايمان واليقين (وأقمني بصدق العبودية بين يديك) حتى أكون ممتثلا لامرك مستسلما لقهرك (الهي علمني من علمك المخزون) اضافة العلم الى الله ههنا اضافة تشريف والعلم المخزون هو العلم اللدني الذي اختزنه عنده فلم يؤته الا المخصوصين من الاولياء كما قال الله تعالى في شأن الخضر عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى فاذا نطقوا به لا ينكره الا أهل الغرة بالله قال بعضهم هي أسرار الله تعالى يبديها الى أنبيائه وأوليائه وسادة النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهي من الاسرار التي لم يطلع عليها أحد الا الخواص وقال أبو بكر الواسطي رضي الله عنه في قوله تعالى والراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من مدخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النظر فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة (وصني بسر اسمك المصون) المصون المطلوب هو صيانته عن رؤية الاغيار بما يتجلى لقلبه من سر الاسرار

* (الهي حققني بحقائق أهل القرب) حقائق أهل القرب هي الفناء في التوحيد والتحقق بالتجريد فتبطل في حقهم رؤية الاسباب ويزول عن مطمح نظرهم كل ستر وحجاب كما قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه في حزبه الكبير وأقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوه وكيف لا يحجب عن مضرة الاعداء من غيبته عن منفعة الاحباء كلا اني أسألك أن تغيبني بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عني انك على كل شيء قدير (واسلك بي مسالك أهل الجذب) أهل الجذب هم المحبوبون ومسالكهم في غاية السهولة

بفضلك وعنايتك من غير مجاهدة منهم ولا مكابدة (الهي اغنني بتدبيرك) لي (عن تدبيري وباختيارك لي عن اختياري) لان في تدبيري احوال نفسي واختياري شيئا من الاشياء بمقتضى شهوتي وميلي منازعة لك في ربوبيتك لانك المنفرد بالتدبير والاختيار (واوقفني على مراكز اضطراري) المراكز جمع مركز وهو موضع الاستقرار والثبوت أي مواضع اضطراري كالذل والعجز والفقر شبهت بالمواضع التي يستقر فيها فهي مواضع اعتبارية ينبغي للعبد ان لا يفارقها بل يلازمها كما يلازم الشخص مكانه الذي يستقر فيه ومعنى توقيفه عليها ملاحظتها (١-٤-٣) وعدم غيبته عنها أي اجعلني ملاحظا افتقري وعجزي وذلي التي هي مواضع اضطراري او ملازمتها وتحققه بها أي اجعلني ملازما لها ومتحققا بها واضافتها الاضطراري باعتبار كونها يحصل عندها اضطرار العبد للمولى واحتياجه له (الهي أخرجني من ذل نفسي) من اضافة المصدر للمفعول أي من كوني أذل نفسي لغيرك بالطمع والحرص اولفاعل أي من كون نفسي تذلني وتوقعني فيما لا يليق (وطهرني من شكي وشركي) الشك ضيق الصدر عند احساسه بامر مكروه فاذا ضاق اظلم القلب واصابه الهم والحزن وطهارته منه بوجود ضده وهو اليقين اذ به يتسع الصدر وينشرح فيستنير القلب ويجد الروح والفرح بالله تعالى وبقدر ما يصيبه من نور اليقين يكون انشراحه واتساعه والشرك تعلق القلب بالاسباب عند غفلته عن المسبب ونسيانه له ومبدأ ذلك هيجان الشهوة عن استيلاء ظلمة الشك على القلب فيفزع حينئذ الى الاسباب التي يتوصل بها الى بغيته اذ لا يرى غيرها وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق في قلبه فتطمئن بذلك نفسه وتسكن من الشره والطيش الذي اصابها وكلما قوي نور التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك اكثر (قبل حلول رمسي) أي قبري

لا تعب عليهم فيها ولا مشقة بل يجدون اللذة والحلاوة في اعمالهم وذلك من قبل انه اخرجهم من اسر نفوسهم وتولاهم بكلاءته ورعايته من غير مجاهدة منهم ولا مكابدة * (الهي اغنني بتدبيرك عن تدبيري وباختيارك لي عن اختياري واوقفني على مراكز اضطراري) المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقتدار هو الله عز وجل فمن كان له دعوى في شيء من ذلك فقد نازع الله تعالى في ربوبيته وخلع عن عنقه ربقة عبوديته فلذلك سأله وطلب منه أن يغنيه عن تدبيره واختياره وأن يوقفه على مراكز اضطراره ليكون متحققا بصفاته ومتعلقا بصفات مولاه وقد تقدم هذا المعنى غير مرة والمراكز مواضع الاستقرار والثبوت وهي استعارة حسنة * (الهي أخرجني من ذل نفسي) ذل النفس الذي طلب الاخراج منه هو ذلها لغير الله تعالى بالطمع والحرص وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما بسقت أغصان ذل الا على بذر طمع (وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي) الشك والشرك هما سببا وجود الطمع والحرص الموجبين لوقوع الذل والهوان وهذه الاوصاف كلها منافية لحقائق الايمان والتوحيد عافانا الله منها والشك ضيق الصدر عند احساس النفس بامر مكروه يصيبها فاذا ضاق صدره بسبب ذلك أظلم قلبه وأصابه من أجله الهم والحزن وطهارته منه انما تكون بوجود ضده وهو اليقين فبه يتسع الصدر وينشرح ويزول عنه الحرج والضيق وبقدر احتظاء القلب من نور اليقين يكون انشراح الصدر واتساعه وعند ذلك يجد القلب الروح والفرح بالله تعالى وبفضله وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط والشرك تعلق القلب بالاسباب عند غفلته عن المسبب ونسيانه له تعلق الصيد بالشرك ويكون مبدأ

ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب ويحاول حينئذ الهوى فيفزع اذ ذاك الى الاسباب الاتية ويصل بها الى بغيته اذ لا يرى غيرها فيرتبك من أجل ذلك في حبائل الشرك وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق تعالى في قلبه فتطمئن بذلك نفسه وتسكن عن الشره والطيش الذي أصابها وكلما قوي نور التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك أكثر فتمحى عنه الاسباب ويثبت فيه خالص التوحيد فاذا تطهر العبد من الشك والشرك تولاه الله تعالى بالهداية والتسديد والمعونة والتأييد وفي أخبار داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ان الله أوحى اليه يا داود هل تدري متى أتولاهم اذا طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا من قلوبهم الشك (الهي بك أستنصر فانصرني وعليك أتوكل فلا تكلني واياك أسأل فلا تخيبني وفي فضلك أرغب فلا تحرمني ولجنابك أنتسب فلا تبعدني وببابك أقف فلا تطردني) تعلق بالله تعالى في كل مطلب من هذه المطالب واضرب عن الوسائط والاسباب وذلك من تحققه بالتوحيد الذي سأل من مولاه أن يحققه به بتطهيره من اضداده ومعاني هذه الكلمات قريب بعضها من بعض قال أبو الحسن علي بن هند الفارسي رضي الله عنه اجتهد في أن لا تفارق باب سيدك بحال فانه ملجأ الكل فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما (الهي تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني) رضا الله تعالى صفة من صفاته وصفاته قديمة ولذلك امتنع عليها سبقية العلل والقديم لا يكون مسبوقا بشئ واذا كانت صفاته العلية منزهة عن أن تكون لها علة منه فكيف يكون لها علة من غيره فرضا الله تعالى لا علة له ولا سبب بل رضاه وسخطه هما سبب أعمال العاملين حسنها وسيئها رضي عن قوم فاستعملهم باستعمال أهل الرضا وسخط على قوم فاستعملهم باستعمال أهل السخط قال أبو بكر الواسطي رضي الله عنه الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على الابد بما جرى في الازل يظهران الرسمين على المقبولين والمطرودين فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما بانت شواهد المطرودين بظلامها عليهم فاني تنفع من ذلك الالوان المصفرة والاكمام المقصرة والاقدام المنتفخة (أنت الغني بذاتك عن أن يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عني) الكلام في الغنى كالكلام في الرضا وكان المؤلف

[illegible] تطهيرها الا النار (بك استنصر) أي اطلب النصر على نفسي وشيطاني وهواي (فانصرني وعليك أتوكل) في تحصيل مطالبي (فلا تكلني) الى غيرك وان كنت [illegible] في توكلي (واياك أسأل فلا تخيبني) وان كنت أهلا للخيبة (وفي فضلك أرغب فلا تحرمني) وان كنت أهلا للحرمان أي أرغب في فضلك لا في فضل غيرك وقولنا وان كنت الخ جواب عما يقال ان من توكل على الله وحده كفاه فلا حاجة لقوله فلا تكلني ومن سأله وحده لم يخيبه ومن رغب في فضله وحده لم يحرمه فلا حاجة لقوله فلا تخيبني ولا تحرمني (ولجنابك) أي ذاتك والاضافة للبيان (أنتسب) لا لغيرك (فلا تبعدني) عن بابك (وببابك أقف) بالسؤال وفيه تشبيه المولى بملك عظيم يقف الطالبون ببابه (فلا تطردني) عنه (الهي تقدس) أي تنزه (رضاك) وهو الاحسان أو ارادته (عن أن تكون له علة) ناشئة (منك) والا لكنت محتاجا الى تلك العلة لتتكمل بها (فكيف تكون له علة مني) كأعمالي وأحوالي فرضا المولى لا يتوقف على سبب ولا علة بل رضاه وسخطه هما سبب لأعمال العاملين حسنها ورديئها رضي عن قوم فاستعملهم في خدمته وسخط على قوم فشغلهم بما يبعدهم عن حضرته (أنت الغني بذاتك عن أن يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عني)

هنا كالتعليل لما قبله وقصد المصنف بهذه المناجاة الاسترضاء والاستعطاف وطلب المسامحة والتجاوز عن أعماله المدخولة وأحواله المعلولة (الهي ان القضاء) وهو ارادة الله سبحانه التعلق (والقدر) وهو ايجاد الله الاشياء على قدر معلوم ومقدار معين (غلبني) فكلما أعزم على طاعة أو ترك معصية لا يتيسر لي ذلك (وان الهوى) أي ميل النفس الى مرادها ومشتهياتها (بوثائق الشهوة) أي بالشهود الشديدة بالوثائق أي القيود (أسرني) أي قيدني (فكن أنت النصير * (١٤٤) * لي حتى تنصرني) على أعدائي أي النفس وجنودها (وتنصر بي) أي تنصر احبابي وأصحابي على أعدائهم بسببي قال الشاذلي قدس سره واجعلنا سبب الغنى لاوليائك وبرزخا بينهم وبين أعدائك (وأغنني بفضلك) أي شهودك (حتى استغني بك) أي بشهودك (عن طلبي) منك لان من كان مشاهدا للحق حاضرا معه يستحي ان يطلب منه شيئا لرؤيته انه مطلع على حاله لا يخفى عليه شئ منها ومن كان كذلك لا معنى للطلب منه قال الشاذلي قدس الله سره والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك (أنت الذي أشرقت الانوار) أي المعارف والاسرار (في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الاغيار) أي المكونات والتعلق بها (من قلوب احبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤا الى غيرك) وهم أولياؤك وهذا من عطف السبب على المسبب لان زوال الاغيار سبب في شروق الانوار (انت المؤنس لهم) أي المدخل للسرور على قلوبهم بتجليك (حيث أوحشتهم العوالم) التي كانوا ياألفونها وتتعلق قلوبهم بها من أصحاب وأولاد وأموال وغير ذلك فان من حصل له أدنى شئ من شهود الحق وتوحده لم يستوحش لشئ من ذلك بل يغيب عنه ولم يستأنس بشئ منه بل ينفر عنه بقلبه

رحمه الله قصد في مناجاته بهذه الكلمات الاسترضاء والاستعطاف وطلب المسامحة والتجاوز عن أعماله المدخولة وأحواله المعلولة وذلك من أحسن المقاصد للداعي * الهي ان القضاء والقدر غلبني وان الهوى بوثائق الشهوة أسرني فكن أنت النصير لي حتى تنصرني وتنصر بي وأغنني بفضلك حتى أستغني بك عن طلبي) هذا اعتذار واعتراف والله تعالى أكرم من أن يرد عذر من اعتذر اليه أو يخيب أمل من اعترف بذنبه وأقر به لديه يقال ان العبد يبتهل الى الله تعالى في الاعتذار والحق سبحانه يقول له عبدي لو لم أقبل عذرك لما وفقتك للاعتذار وقال الكتاني رضي الله عنه لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة الا لفتح باب المغفرة فلا جرم لما وثق بذلك وقوي رجاؤه فيه طلب منه النصرة له على أعدائه ولم يقتصر على ذلك بل أضاف اليه طلب النصرة به لتكون تلك النصرة بسببه وعلى يديه كما قال أبو الحسن رضي الله عنه واجعلنا سبب الغنى لاوليائك وبرزخا بينهم وبين أعدائك ثم لم يقنع بذلك حتى طلب منه أن يغنيه بما يستغني به عن الطلب منه وهو ما يؤتيه من فضله العظيم وكرمه الجسيم وهذه هي غاية السعادة كما قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك * أنت الذي أشرقت الانوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الاغيار من قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤا الى غيرك أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم) سبب ايحاش العوالم لهم ما هي عليه من الفاقة والافتقار والحاجة والاضطرار فكل واحد منها جالب لنفسه طالب لحظه من كمال نقصه ووفاء بخسه والله تعالى غني حميد عزيز مجيد وهو مع ذلك لطيف بعباده عطوف عليهم متودد اليهم رؤف بهم فلما شاهدوا هذا كله مشاهدة يقين ومعاينة باشهاده اياهم لم يتمالكوا أن أحبوه ولاذوا اليه وقصروا هممهم عليه وجعلوه معتمد أنسهم واستغنوا به عن أبناء جنسهم

بمجالستهم فصاروا لذلك على غاية النعيم وفازوا بالحظ العظيم قال ذو النون المصري رضى الله عنه بينما انا اسير في بعض البوادي اذ لقيتني امرأة فقالت لي من أنت فقلت رجل غريب فقالت وهل يوجد مع الله احزان الغربة وكتب مطرف بن عبد الله بن الشخير الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما وليكن أنسك بالله وانقطاعك اليه فان لله عبادا استأنسوا بالله فكانوا في وحدتهم أشد استئناسا من الناس في كثرتهم وأوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون

وآنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون (وأنت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم) لما نوالى الله تعالى هدايتهم الى طريق التوحيد والمعرفة أبان لهم علامات ذلك ودلائله فعند نظرهم في تلك العلامات والادلة انشرحت صدورهم بأنوار الايمان واليقين فلم يتداخلهم شك ولم يخالجهم ريب والمعالم جمع معلم وكأنه رحمه الله تعالى عرّض في هذه الكلمات بالطالب الذي بحصوله له يستغنى عن الطالب وهو اشراق الانوار في قلبه وازالة الاغيار عن سره وايناسه له

وهدايته اياه وهذه الاربعة مطالب متضمنة لاسنى الرغائب (ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك) قد تقدم غير ما مرة ان ما سوى الله تعالى عدم وظلمة وان الوجود الحق والنور المحقق انما هو الله عز وجل فاذا كان الامر على هذا صح ما قاله المؤلف رحمه الله تعالى ههنا وكان حقا الامرية فيه قال أبو على الروذباري رضى الله عنه سألني أبو بكر الدقاق رضى الله عنه فقال لي يا أبا على لم ترك الفقراء أخذ البلغة وقت الحاجة فقلت لانهم استغنوا بالمعطى عن العطاء فقال نعم ولكن وقع لي شئ آخر فقلت هات أفدني ما وقع لك فقال لانهم قوم لا ينفعهم الوجود اذا الله فاقتهم ولا تضرهم الفاقة اذ الله وجودهم وكان أبو حمزة البغدادي رضى الله عنه يقول في مناجاته اللهم انك تعلم أني من أفقر خلقك اليك

فان كنت تعلم ان فقري اليك يغني هو غيرك فلا تسد فقري (لقد خاب من رضى

دونك بدلا ولقد خسر من بغى عنك متحولا) هذا بين وهو مبني على ما تقدم الآن من الكلام رؤي الشبلي رضى الله عنه في المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبراهين على الدعاوى الا على شئ واحد قلت يوما لا خسارة أعظم من خسارة الجنة ودخول النار فقال وأي خسارة أعظم من خسران لقائي وفي معناه أنشدوا

سهر العيون لغير وجهك باطل ❊ وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

وقال بعضهم كان عندنا رجل مكث عندنا ثلاث عشرة سنة يصلي كل يوم وليلة الف ركعة حتى أقعد من رجليه فاذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة ثم قال

الطرق التي سلكوها فان ظهور ذلك لا يكون الا بهدايتك (ماذا وجد من فقدك) اي فقد شهودك ولم يشهد الاذوات المكونات وهذا كناية عن كونه لم يجد الاشيا حقيرا (وما الذي فقد من وجدك) اي لم يفقد شيأ بل حصل على غاية المقصود حيث كنت سمعه وبصره وجميع قواه (لقد خاب من رضى دونك بدلا) كالشهوات واللذات الدنيوية والاخروية فقد رؤي الشبلي في المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك قال لم يطالبني بالبراهين على الدعاوى الا على شئ واحد قلت يوما لا خسارة اعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال واي خسارة اعظم من خسران لقائي (ولقد خسر من بغى عنك متحولا) اي طلب

١٩ عباد في التحول عن حضرتك الى التعلق بغيرك كالكرامات والمكاشفات وقد تقدم ان هذا شيء طلب منه الملك ان يكون جليسه فلم يرض [illegible] سياسة الدواب

(الهى كيف يرجى سواك) اى يتعلق القلب بالطلب منه (وانت ما قطعت الاحسان) بل احسانك دائم مستمر (وكيف يطلب من غيرك) اى يتوجه اليه بالطلب (وانت ما بدلت عادة الامتنان) اى عادة هى الامتنان اى الاحسان (يا من اذاق احباءه حلاوة مؤانسته) المؤانسة سرور القلب بشهود جمال المحبوب شبهه بشئ له حلاوة وهى تخييل والاذاقة ترشيح (فقاموا بين يديه متملقين) التملق هو التلطف فى التودد كأن يقول الانسان حفظك الله سترك الله *(١٤٦)* وهو هنا كناية عن الطلب من المولى بذلة وانكسار وترتيبه على ذوقهم لحلاوة مؤانسته بين (ويا من ألبس اولياءه ملابس هيبته) اى ملابس هى هيبته او هيبته الشبيهة بالملابس الحسية والمراد بالهيبة الجلالة والعظمة التى كساها الله لاوليائه فكل من رآهم حصل له رعب منهم كأنهم أسود (فقاموا بعزته مستعزين) أى قاموا بين يديه مستعزين بعزته بأن رفعوا هممهم عن تعلقها بالاغيار تيها وتكبرا عليها وثقة منهم به وذلك لما ألبسهم من ملابس هيبته حتى لم يهابوا غيره ولم تتأله قلوبهم الى سواه (أنت الذاكر من قبل الذاكرين) أى أنت الذى ذكرتهم العابدين بالاحسان اليهم فى الازل بان تعلقت ارادتك بوجودهم فيما لا يزال فهذا ذكره لعباده قبل ذكرهم له ويحتمل أن يراد بذكره لهم توفيقه لهم لذكره اذ لولاه ما ذكروه وقوله (وانت البادئ بالاحسان من قبل توجه العابدين) يرجع لما قبله وكذا قوله (وانت الجواد) أى المحسن (بالعطاء من قبل طلب الطالبين وانت الوهاب) أى كثير الهبة أى الاعطاء للعطايا كالاعمال الصالحة والاحوال السنية (ثم أنت لما وهبتنا) اى للشئ الذى وهبته لنا (من المستقرضين) كأنك قلت أقرضونى هنا ما أعطيتكم بدله فى الدار الآخرة قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا واستقراضه تعالى من عبده ما وهبه له فى غاية تلطفه به واعلائه لقدره وفيه اشارة الى ان احسانه تعالى واعطاءه ليس مشوبا بالعلل

عجبت للعليقة كيف أرادت بك بدلا بل عجبت للخليقة كيف استأنست بسواك ثم يسكت الى المغرب * الهى كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان) هذا تعجب ممن كان على هذا الوصف وهو أعجب من كل عجيب والمعنى فى ذلك بين * يا من أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين) التملق هو التلطف فى التودد وترتيبه على ذوقهم لحلاوة مؤانسته بين * ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين) استعزازهم بعزته هو رفع هممهم عن تعليقها بغير الله تعالى تيها وتكبرا عليها وثقة منهم به وذلك لما ألبسهم من ملابس هيبته حتى لم يهابوا معه غيره ولم تتأله قلوبهم الى سواه ولذلك قالوا المعرفة حقر الاقدار سوى قدره ومحو الاذكار سوى ذكره وقال بعض المشايخ اذا عظم الرب فى القلب صغر الخلق فى العين وقيل فى معنى قوله تعالى تعز من تشاء قال بأن يكون لك بك معك بين يديك * (أنت الذاكر من قبل الذاكرين وأنت البادئ بالاحسان من قبل توجه العابدين وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين) الحق تعالى له الاولية فيما ذكر كما ذكر قال أبو يزيد رضى الله عنه غلطت فى ابتداء أمرى فى أربعة أشياء توهمت انى أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكرى ومعرفته تقدمت معرفتى ومحبته أقدم من محبتى وطلبه لى أولا حتى طلبته فاذا كانت له الاولية فى ذلك لم يبق للعبد وسيلة يتوسل بها سوى فضله وكرمه * ومما يوافق ما ذكره المؤلف ما حكى عن الجنيد رضى الله عنه أنه كان يقول فى مناجاته يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ويا بادئ العارفين بما به عرفوه ويا موفق

العابدين لصالحهما ... يشفع عندك الا باذنك من ذا الذي يذكرك الا بفضلك واستقراض الرب من عبده ما وهبه له غاية في ترفيعه لقدره وابانته لشرفه ووعده مع ذلك جزيل الثواب عليه نهاية في اكرامه له وتفضله عليه قال بعضهم ملكك ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبة ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض أضعافا بين فيه ان نعم ... بعيدتان أن يكونا مشوبتين بالعلل *(الهي اطلبني برحمتك حتى أصل اليك واجذبني بمنتك حتى اقبل عليك) لا سبيل للعبد الى وصوله الى الله تعالى الا برحمته فلذلك طلب منه أن يطلبه بها ولا يتأتى له الاقبال عليه الا بمنته فلذلك طلب منه أن يجذبه اليه بها وذلك لتحقق الاولية التي ذكرناها من قبل *(الهي ان رجائي لا ينقطع عنك وان عصيتك كما أن خوفي لا يزايلني وان أطعتك) الخوف والرجاء حالان يتعاقبان على قلب العبد واعتدالهما واستواؤهما هو المطلوب سواء كان العبد في طاعة أو في معصية وقد مثلوا ذلك بكفتي الميزان وجناحي الطائر وهذا من أعلى مشاهدة العارفين والاولياء وذلك لان منشأهما عندهم انما هو شهود الصفات المخوفة والمرجوة وصفات الله تعالى لا تفاوت فيها فكذلك مشاهدتها لا تفاوت فيها فان وقع فيها تفاوت كانت مشاهدة ناقصة وأحوالا معلولة فلذلك يتصور وجود كمال الخوف مع عمل العبد بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكابه للمعصية كما وصف به المؤلف نفسه * قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني أجدني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل ومن دعاء سيدي أبي العباس رضي الله عنه الهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية ففي أيهما أخافك وفي أيهما أرجوك ان قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفا وان قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء فليت شعري كيف أرى احساني مع احسانك أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك ومن كلامه أيضا رضي الله عنه العامة اذا خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا قال في لطائف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة واقفون مع ظواهر الامر فهي خوفوا خافوا اذ ليس

لا سبيل اى الوصول اليك الا برحمتك لا باعمالي المدخولة فطلب ان كان من الاعلى كالسلطان لم يحصل في الوصول مشقة بخلاف ما اذا كان من الادنى (واجذبني بمنتك) اى احسانك فلا يصير لي قدرة على الامتناع (حتى اقبل عليك) وهو بمعنى ما قبله (الهي ان رجائي لا ينقطع عنك وان عصيتك) لمعرفتي انك المبتدئ بالاحسان ومن هو كذلك يرجى خيره ولو مع المعصية) كما ان خوفي لا يزاولني) اى لا يفارقني (وان اطعتك) لعلمي بانك الفعال لما تريد فالطاعة لا تقتضي رفع سخطك وزوال عقابك خصوصا وهي مدخولة معلولة ومنشأ اعتدال الخوف والرجاء عند العارفين شهود الصفات المخوفة والمرجوة فكما ان صفاته تعالى لا تفاوت فيها كذلك شهودها لا تفاوت فيه فان وقع فيه تفاوت كان شهودا ناقصا فلذا يتصور عندهم كمال الخوف مع العمل بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكاب المعصية كما وصف به المصنف نفسه

(الهى قد دفعتنى العوالم اليك) وذلك انى اذا توجهت الى احد لينظر فى اوينظر فى يقول لى لا تعلق
الا الله ولا ناصر الا هو ويحتمل ان يراد بالعوالم جميع ما عدا الله فاذا ظهرت لى كرامة وكشف لى عن شئ
من الكون واردت ان اقف عنده تقول لى حقيقته لا تتعلق بى بل تعلق بمولاك وكذا ان خاطبتنى
الجمادات واردت ان اقف عند ذلك تقول لى حقيقتها لا تتعلق بى بل تعلق بمولاك فكل شئ يدفعنى
اليك (وقد اوقفنى على ابكرمك عليك) اى على بابك فالحاصل

لهم تنفذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم كالاهل الله وأهل الله اذا خوفوا رجوا
علما منهم أن من وراء خوفهم ومابه خوفوا أوصاف المرجو الذى لا ينبغى أن
يقنط من رحمته ولا أن ييأس من منته فاحتالوا على أوصاف كرمه علما منهم
أنه ما خوفهم الا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك اليه واذا رجوا يخافون غيب
مشيئته الذى هو من وراء رجائهم وخافوا أن يكون ما أظهر من الرجاء اختبارا
لعقولهم هل تقف مع ظاهر الرجاء أو تنفذ الى خوف ما بطن فى مشيئته فلذلك
أثار الرجاء خوفهم *(الهى قد دفعتنى العوالم اليك) انما دفعته العوالم اليه لما
تضمنته من التبعات الموحشة كما تقدم ولقد أحسن من قال لا وحشة مع الله ولا
راحة مع غير الله وفى هذا المعنى أنشدوا

يا قرة العين سل عينى هل اكتحلت * بمنظر حسن مذ غبت عن عينى

(وقد أوقفنى علمى بكرمك عليك) اذ الكريم لا تقطع آمال المؤملين ولا يتوجه
نحو سواه طلب الطالبين *(الهى كيف أخيب وأنت أملى أم كيف أهان
وعليك متكلى) المتعلق بالله تعالى والمتوكل عليه استبعد أن يخيب أمله أو يناله
هوان يؤوده تحمله *(الهى كيف أستعز وأنت فى الذلة أركزتنى أم كيف
لا أستعز واليك نسبتنى أم كيف لا أفتقر وأنت الذى فى الفقر أقمتنى أم كيف
أفتقر وأنت الذى بجودك أغنيتنى) تلونه فى هذه الاوصاف المتضادة لما يغلب
عليه من مشاهدة ما يوجبها والذلة المثبتة هنا هى ذلة الخليقة والعبودية والنسبة
التى أشار اليها هى سر الخصوصية والافتقار بمعنى الذلة والاستغناء بمعنى العزة
قال بعضهم رأيت ذل كل ذى ذل فزاد ذلى على ذلهم ونظرت فى عز كل ذى عز فزاد
عزى على عزهم وقال الشبلى رضى الله عنه لقد ذللت حتى عز فى ذلى كل ذى ذل

لى وتوقفنى ببابك
على بكرمك
والكريم لا تقطع
امال المؤملين ولا
يتوجه نحو سواه
طلب الطالبين (الهى
كيف اخيب)
اى يحصل لى خيبة
وعدم ظفر بالمطلوب
(وانت املى) اى
الخصامات العطاء
منه لان عادتك
الاحسان (ام كيف
اهان) اى يحصل
لى هوان وذل (وعليك
متكلى) اى اتكالى
واعتمادى (الهى
كيف استعز) اى
يحصل لى عز فى نفسى
(وانت فى الذلة
ركزتنى) اى اقمتنى

جعلتها مركزا ومكانا لى لا افارقها (ام كيف لا استعز) اى يحصل لى وعززت
عز بك (واليك نسبتنى) اى وقد نسبتنى اليك نسبة خاصة بافاضة الانوار على ظاهرى وباطنى حتى
صار كل من رآنى يقول هذا ولى الله فانا ذليل من وجه عزيز من اخر (ام كيف لا افتقر وانت الذى فى
الفقر اقمتنى) فهو صفة لازمة لى ومن لازمه الذلة فى جميع ما قبله (ام كيف افتقر وانت الذى بجودك
اى بشهودك وفى بعض النسخ بجودك اى اسقاطك لى بالشهود فى جميع ما قبله (اغنيتنى) حتى حصل لى
عز بك فالافتقار يرجع للذلة والاستغناء للعزة وتلونه فى هذه الاوصاف المتضادة بحسب الظاهر
عليه من مشاهدة ما يوجبها والذلة المثبتة هنا هى ذلة الخليقة والعبودية والنسبة التى اشار اليها هى
سر الخصوصية كما تقرر

(يا أنتم الأولى [الذي] تعرفت) تعرفا مستندا اليه فيه (تعرفت لكل شئ) أى جعلت نفسك معروفا لكل شئ بما أودعته فيه من النور الذى عرفتك به (فما جهلك شئ) بل صار كل شئ يعرفك (وأنت الذى تعرفت الى فى كل شئ) بان أودعت فى نورا (فرأيتك ظاهرا فى كل شئ) بسبب ذلك النور (فأنت الظاهر لكل شئ) مفرع على ما قبله (يا من استوى) أى استولى (برحمانيته) أى برحمته (على عرشه) فصار العرش تحت حكمه وقهره كاستيلاء السلطان بجنوده على أهل بلد فشبه المولى بالسلطان ورحمته بالجنود وعرشه باهل القرية (فصار العرش غيبا) أى غائبا ❊(١٤٩)❊ ليس له وجود (فى رحمانيته) أى بالنسبة لرحمته (كما صارت العوالم) أى السموات والارضون وما فيهما (غيبا) (أى غائبة (فى عرشه) أى ليس لها وجود بالنسبة له ثم بين ذلك بقوله (محقت) بالقهر (الآثار) وهى السموات والارضون وما فيهما (بالآثار) وهو العرش لانه أثر الرحمة والعوالم بالنسبة له كلا شئ (ومحوت الاغيار) وهو العرش (بمحيطات أفلاك الانوار) أى بالانوار الشبيهة بالافلاك المحيطة بالعرش وهى تلك الرحمة والحاصل ان رحمته تعالى أى احسانه هو الذى اقتضى وجود العوالم كلها من عرشها الى فرشها ولولا احسانه لها بالوجود ما وجدت فالمراد بالرحمة الرحمة العامة التى وسعت كل شئ (يا من احتجب) أى امتنع (فى سرادقات عزه عن ان تدركه الابصار) أى فى عزه الشبيه بالسرادقات جمع سرادق بمعنى الخيمة التى تنصب على صحن الدار فالسرادقات الخيام وهو من اضافة المشبه به للمشبه فكما ان الخيمة تمنع من رؤية ما بداخلها كذلك عز الله أى قوته العظيمة يمنع من رؤيته بالابصار ثم ان اريد رؤية الاحاطة فهى ممتنعة فى الدنيا والآخرة وان اريد مطلقها فهى ممتنعة فى الدنيا واقعة فى الآخرة للمؤمنين فعزته تعالى اقتضى حجب ما سواه عن رؤيته فان العزيز معناه المنيع الذى لا يوصل اليه يقال عز الشئ اذا تعذر الوصول اليه وقيل العزيز الذى لا يرتقى اليه وقيل

وعززت حتى ما تعنو أحدا الا بك وبمن به تعززت (أنت الذى لا اله غيرك تعرفت لكل شئ فما جهلك شئ وأنت الذى تعرفت الى فى كل شئ فرأيتك ظاهرا فى كل شئ فأنت الظاهر لكل شئ) هذا كله قد تقدم معناه ولفظه فى كلام المؤلف على غاية الكمال والتمام والحاصل منه أن الظهور التام لله تعالى بكل اعتبار ثم انه عبر ههنا عن ذلك بعبارة لم يذكرها فيما تقدم وهو قوله ❊(يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا فى رحمانيته كما صارت العوالم غيبا فى عرشه) كأنه أشار بهذا الى معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى ثم استوى على العرش الرحمن ورحمانية الله تعالى كونه رحمانا والرحمن اسم لله تعالى يقتضى وجود كل موجود وهو مشتق من الرحمة والرحمة ههنا هى الرحمة العامة التى وسعت كل شئ كما وسع علمه كل شئ فى قوله تعالى مخبرا عن حملة العرش اذ قالوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما ولذلك دخلت تحت مقتضى اسمه الرحمن جميع أسمائه تعالى الايجادية ويفهم من معنى الاستواء القهر والغلبة ومقتضاهما فى حق الله تعالى أن لا يكون لغيره وجود مع وجوده ولا ظهور مع ظهوره فلا جرم لما كان الحق تعالى مستويا برحمانيته على عرشه الذى العوالم كلها فى طيه كان العرش غيبا فى الرحمانية والعوالم كلها غيب فى العرش لانها فى طيه فلا ظهور اذا للعرش ولا للعوالم وانما الظهور التام لله عز وجل (محقت الآثار بالآثار) كما بين العوالم والعرش (ومحوت الاغيار بمحيطات أفلاك الانوار) كما بين العرش والرحمانية ومحيطات أفلاك الانوار هى أسماء الله الحسنى والله أعلم ❊(يا من احتجب فى سرادقات عزه عن أن تدركه الابصار) عزة الله تعالى اقتضت كون كل ما سواه محجوبا عن

العزيز الذي ضلت العقول في عظمته وحارت الالباب عن ادراك ذاته وكلت الالسن عن ...
(يا من تجلى) على قلوب العارفين (بكمال بهائه) *(١٥٠)* اى بجمال ... ذاته اى ...

رؤيته لله عز وجل فان العزيز معناه المنيع الذي لا يوصل اليه يقال حصن عزيز اذا تعذر الوصول اليه وقيل العزيز الذي لا يرتقي اليه وهم طمعا في تقديره ولا يسمو الى صمديته فهم قصدا الى تصويره وقيل العزيز من ضلت العقول في بحار تعظيمه وحارت الالباب دون ادراك نعته وكلت الالسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف جماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وذكر السرادقات مضافة الى عزه واحتجابه فيها مجاز حسن

(يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الاسرار) كمال بهائه هو محاسن صفاته وأسمائه فبظهور ذلك وتجليه بها تحققت عظمته أسرار العارفين

(كيف تخفى وأنت الظاهر أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر والله الموفق وبه أستعين) هذا كله بين لا اشكال فيه والحمد لله وقد تقدم معناه غير ما مرة من كلام المؤلف رحمه الله * قال مؤلف هذا الكتاب وقد نجز بحمد الله ما أردناه و بلغنا الغرض الذي قصدناه ولا حول لنا في ذلك ولا قوة الا بالله وبذلك تبين ما عندي من مسائل الكتاب والله تعالى الهادي الى الصواب وقد تقدم في أول هذا التنبيه أني لم أقصد فيه الا هذا المعنى ولم نلتزم كون ما ذكرناه فيه صحيح المبنى حتى نحتاج الى نصب الادلة والبراهين على ما ادعيناه فيه وانما قصدنا ذلك على سبيل حكاية مذهب من المذاهب وللحكى له ذلك أن يصححه أو يبطله ان أحب وما وقع فيه من توخي استدلال على مطلب من المطالب فانا في ذلك متبرع فان صح ذلك الدليل فهو المطلوب وان بطل لم يلزم من بطلانه بطلان المدلول وبقي المذهب قابلا للتصحيح أو الابطال من غير أن تتوجه على مطالبة بذلك والذي حملني على سلوك هذا السبيل ما فيه من وجدان السلامة لي من الخطر الذي يتعرض له كل من يتكلم على طريق التصوف ممن لا تحقق له فيه ويدعي صحة ما نظره بعقله وفهمه وينسب ذلك الى القوم ولعل شيأ من ذلك لا يصح عنهم فيكون بذلك مفتريا كذابا عليهم ثم فيه من سوء الادب معهم والتقدم بين أيديهم ما لا يقوم له شئ وعند ذلك يكون الخرس والبكم وذهاب الحس والحركة أولى به وأحمد عاقبة له لتخلصه بذلك من شر لسانه وبنانه ثم ان ما قصدناه من ذلك لا يمنع من حصول الفائدة لمن أراده الله تعالى بها ووفقه لها فعلى العبد أن يعمل على خلاص نفسه ولا يلزمه اتباع مرضاة غيره فقد قيل رضا الناس غاية لا تدرك ونحن نرغب الى من وقع بين يديه هذا التأليف وظهر له فيه خطأ أو تحريف أن يصلح منه ما ألفاه مختلا وأن ينتهج من الاعتذار عنه

(ولقد تحققت عظمته) اى كونه عظيما عظيما لا نهاية له (الاسرار) اى بواطن القلوب (كيف تخفى وانت الظاهر) بذاتك في جميع الاشياء كما يقوله اهل الشهود او بظهور افعالك وتصرفاتك في العالم كما يقول غيرهم (ام كيف تغيب وانت الرقيب اى المراقب لنا في حركاتنا وسكناتنا الحاضر الذي ليس بغائب واتى به لانه لا يلزم من المراقبة الحضور اذ قد تحصل الاحاطة بافعال الغير واحواله بالمكاتبة والمراسلة وهذا آخر ما تيسر رقمه على هذا الكتاب المبارك على وجه لطيف جعله الله خالصا لوجهه الكريم بمنه وكرمه أمين تم ذلك الشرح يوم السبت المبارك لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال من شهور سنة اربع بعد المائتين والالف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على يد أفقر العباد الى الله عبد الله الشرقاوي الخلوتي الطريقة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الطريقة المثلى وان ظهر له أن يضع فى ذلك تأليفا يتضمن تنبيها وتعريفا فذلك من المذهب الذى يرتضى ومما لم يزل من شأن من قد مضى ونحن نستغفر الله تعالى مما يعلمه منا من التعدى والجراءة فيما تعرضنا له من بيان كلام الاولياء والراسخين من العلماء وتقرير عباراتهم واشاراتهم من غير اطلاع منا على كنهها ولا بصيرة فيها ونستغفره أيضا مما أقدمنا عليه من اظهار ما ستروه واعلان ما أسروه ونستغفره أيضا مما وقع منا فيه من ذكر أحوال الاولياء رضى الله عنهم ومقاماتهم وتحريضنا على سلوك طريقهم المستقيم مع أفلاسنا من جميع ذلك وعدم احتظائنا به ونسأله مع ذلك أن لا يؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرنا مع أنواع القبائح والمعايب التى يعلمها منا ولا نعلمها أو نعلمها ولا تسمح نفوسنا بالتنقى منها والتنزه عنها اغترارا منا بحلمه واستهانة بنظره وعلمه ونرغب اليه جل وعلا أن يمن علينا بتوبة تمحو عنا كل حوبة حتى تنقلب أعمالنا واعنا خائبين خاسئين داخرين صاغرين لم ينالوا من تحقق اراداتهم فيهنا مطلبا ولم يبلغوا من عدم امتحائها بابطالنا مآربا وأن يشمل فى ذلك معنا كل من أمن على هذا الدعاء ممن سمعه وممن دعا لنا أو له من اخواننا المسلمين ونتوسل اليه فى بلوغ الامل والوصول الى المبتغى الاجل بما انصرفنا به عن تولى كل جحود وكفور وأخرجنا على يديه من الظلمات الى النور سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه البررة الاكرمين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

بعد حمد من شيد منار السنه وأنزل الكتاب تفضلا من لدنه ومنه والصلاة والسلام على سيد الكائنات مظهر دلائل الآيات وباهر المعجزات وبعد قد تم بعون الله طبع شرح ابن عباد على متن الحكم وهو أحسن شرح يجذب الطباع ويقضى لؤلفه بكثرة الاطلاع ويأخذ العقول اخذ ناسية الزرجون حويصبان يكتب بماء العيون مطرز هامشه المتساوى بشرح العلامة أبى حامد الشرقاوى بالمطبعة الكاستليه العامره ادارة جرنال الكوكب المصرى بحارة الاسرائيليين بمصر فى أواخر شهر شوال سنة ١٢٩٧ سبع وتسعين ومائتين والف نبويه مصححا بانتشى راجى عفو ربه الفقير حسن سلامه أحسن الله ختامه